فضل ليالي العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله تعالى فضَّل- بحكمته- بعض الأزمنة على بعض، وجعل منها مواسم للتجارة الرابحة معه سبحانه، فكما فضل شهر رمضان على بقية الشهور، فقد جعل العشر الأواخر منه أفضل لياليه، وأيامها أكمل أيامه، وخصها عن بقية أيام الشهر ولياليه بخصائص ومزايا.

ومن أظهر هذه الخصائص وأهمها:

أولاً: اجتهاد النبي ﷺ فيها فوق ما كان يجتهد في غيرها في العبادة، كما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «وكان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره».

يتمثل ذلك في إحياء الليل كله، والجد، وشد المئزر، وإيقاظ الأهل لشهود هذا الخير وعدم الحرمان منه، وَرَدَ ذلك في الحديث المتفق عليه من رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد، وشد المئزر». وهذا لفظ مسلم.

فأنت ترى أيها المسلم أيها الصائم مبالغته صلوات الله وسلامه عليه في الاجتهاد، حتى إنه كان يشد مئزره، كناية عن اعتزال النساء، أو كناية عن الاجتهاد، وهذا من الأسوة الحسنة، صلوات الله وسلامه عليه، يدل على مبادرته واغتنامه الأوقات الفاضلة واجتهاده في طاعة ربه.

ثانيًا: ومن خصائص هذه العشر ومزاياها أن جعل سبحانه فيها ليلة القدر، وهذه الليلة قد خصها الله سبحانه وتعالى بخصائص منها:

١- أنه سبحانه أنزل فيها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقال تعالى: ﴿حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ١- ٣].

قال ابن عباس وغيره: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجمًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ». [تفسير ابن كثير].

٢- وصفها بأنها خير من ألف شهر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

٣- وصفها بأنها مباركة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾.

٤- أنها تنزل فيها الملائكة والروح: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

...اة وليلة القدر

بقلم:
زكريا حسيني

[القدر: ٤]. قال ابن كثير في «تفسيره»: أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له، وأما الروح فالمراد منه هنا جبريل عليه السلام، فيكون من عطف الخاص على العام. [ابن كثير «تفسير سورة القدر»].

٥- وصفها بأنها سلام، أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذًى، كما قال مجاهد، أو تقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال قتادة، أو تُسَلِّم فيها الملائكة على أهل المساجد حتى يطلع الفجر، كما قاله الشعبي. [تفسير ابن كثير بتصرف].

٦- وصفها بأنها يُفْرَق فيها كل أمر حكيم؛ أي يُفْصلُ من اللوح المحفوظ إلى الكَتَبَةِ أمر السنة وما يكون فيها من الأرزاق والآجال، وما يكون فيها من كل أمر محكم لا يبدل ولا يغير، وذلك مما سبق علمُ الله تعالى به وكتابته له، ولكن يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم. [ابن كثير، تفسير سورة الدخان].

٧- أن من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». [متفق عليه].

وقوله: «إيمانًا واحتسابًا» قال ابن حجر: أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه، وطلبًا للأجر لا لقصد آخر من رياء أو نحوه. [«فتح الباري» (٤/٢٥١)].

وبعد، ففي هذا ترغيب للمسلم وحث له على قيام ليلة القدر، وابتغاء وجه الله بذلك، والاقتداء برسول الله ﷺ في التماسها وتحريها، فقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه اعتكف العشر الأول ثم الأوسط ثم الأخير، وفي ذلك كله يلتمس ليلة القدر حتى أكَّدَ ﷺ أنها في العشر الأخير، وهي في أوتار العشر آكد؛ لحديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر». [رواه البخاري].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لكن الوتر يكون باعتبار الماضي، فتطلب ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، ويكون باعتبار ما بقي كما قال النبي ﷺ: «لتاسعة تبقى، لسابعة تبقى، لخامسة تبقى، لثالثة تبقى»، فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين يكون ذلك ليالي الأشفاع، وتكون الاثنتان والعشرون تاسعة تبقى، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى، وهكذا فسره أبو سعيد الخدري في الحديث الصحيح، وهكذا قام النبي ﷺ في الشهر، وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحراها المؤمن في العشر الأواخر جميعه». [«مجموع الفتاوى» (٢٥/٢٨٤، ٢٨٥)].

وأرجاها السبع الأواخر، كما جاء في

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

حديث ابن عمر؛ أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أُرُوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر». [متفق عليه].

وفي حديث مسلم: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يُغْلَبَنَّ على السبع البواقي».

وقد اختلف العلماء في تعيينها أي ليلة من ليالي العشر، بناءً على اختلاف الأدلة فيها، ورجح بعض العلماء أنها تنتقل وليست في ليلة معينة كل عام.

قال النووي رحمه الله: «وهذا هو الظاهر المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك، ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها». [«المجموع»]. وذكر أنه رجحه المزني وابن خزيمة، وكذلك رجحه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري».

ولعل الحكمة في إخفاء هذه الليلة هي أن يجتهد العباد في طلبها، ويجدوا في العبادة، كما أخفيت ساعة الجمعة وغيرها.

فينبغي للمؤمن أن يجتهد في أيام العشر ولياليها طلبًا لليلة القدر، اقتداءً بنبينا ﷺ، وأن يجد في الدعاء والتضرع إلى الله، ومما ورد من الدعاء في تلك الليلة ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يا رسول، أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: قولي: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني». [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، واللفظ للترمذي، وقال: حسن صحيح].

ثالثًا: اختصاص الاعتكاف فيها بزيادة الفضل على ما سواها من أيام السنة.

والاعتكاف: لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، ولقد كان رسول الله ﷺ يعتكف هذه العشر كما صحت بذلك الأحاديث، وكان ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه، كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة.

وقال الأئمة الأربعة وغيرهم- رحمهم الله جميعًا-: يدخل قبل غروب الشمس، وأَوَّلُوا الحديث على أن المراد أنه دخل المعتكف وانقطع وخلا بنفسه بعد صلاة الصبح، لا أن ذلك وقت ابتداء الاعتكاف. [انظر شرح النووي لصحيح مسلم، وفتح الباري].

ويسن للمعتكف الاشتغال بالطاعات، من قراءة قرآن، وذكر، وتسبيح، وصلاة، ونحوها. ويحرم عليه الجماع ومقدماته؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولا يخرج من المسجد إلا لحاجة لا بد منها، ولا يمكن فعلها في المسجد؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا اعتكف يدني إليَّ رأسه فارجِّله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان». [متفق عليه، واللفظ لمسلم].

وللمعتكف أن يجلس مع أهله أو غيرهم ممن يأنس به ويتحدث إليه في مباح قليلاً من وقته، فقد ثبت في الأحاديث الصحاح أن أزواجه كن يزرنه، وربما اجتمعن عنده ﷺ.

قال بعض العلماء: وإن اشترط الخروج لعيادة مريض أو شهود جنازة فله الخروج، ولا يخرج لذلك بلا شرط، قالت عائشة رضي الله عنها: «إن كنت لأدخل البيت للحاجة والمريض فيه، فما أسأل إلا وأنا مارة...» [رواه مسلم].

جعلنا الله من المسابقين إلى الخيرات، المتباعدين عن المنكرات والزلات، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فضل الصيام

إعداد: زكريا حسيني

أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جُنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في خمسة مواضع من صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة رضي الله عنه:

هذا الموضع عن أبي صالح عنه، وموضع قبله في الصحيح عن الأعرج عنه، والموضع الذي بعد هذا عن ابن المسيب عنه، والذي بعده عن أبي صالح عنه، والموضع الأخير عن محمد بن زياد عنه.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وعن الأعرج عنه، وعن أبي صالح عنه، وفي كل موضع من هذه المواضع في البخاري ومسلم الألفاظ متقاربة، وفي بعضها زيادات نشير إليها عند شرحها فيما يلي إن شاء الله تعالى:

من فوائد الصيام

قال ابن القيم رحمه الله: المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، ويُضيق مجاري الشيطان بتضييق مجاري الطعام والشراب، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار المقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارًا

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال النبي ﷺ: «الصوم جنة». انتهى ملخصًا من «زاد المعاد» (٢/٢٨، ٢٩).

معنى تخصيص الصيام لله من بين جميع العبادات

قال ابن حجر في «الفتح»: وقد اختلف العلماء في المراد بقوله: «إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»، مع أن الأعمال كلها له سبحانه وهو الذي يجزي بها، [اختلفوا] على أقوال: أحدها أن الصيام لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، حكاه المازري، ونقله عياض عن أبي عبيد، ولفظ أبي عبيد في غريبه: قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذي يجزي بها، فنرى- والله أعلم- أنه إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب.

وثانيها: أن المراد بقوله: «وأنا أجزي به» أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس.

وثالثها: أن معنى قوله: «الصوم لي» أنه أحب العبادات إليَّ، والمقدم عندي.

ورابعها: أن الإضافة إضافة تشريف وتعظيم كما يقال: بيت الله، وإن كانت البيوت كلها لله.

قال الزين بن المنيِّر: التخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يفهم منه إلا التعظيم.

خامسها: أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما تقرب الصائم إليه سبحانه بما يوافق صفاته أضافه إليه، وقال القرطبي: معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفة من صفات الحق.

سادسها: أن المعنى كذلك، لكن بالنسبة للملائكة لأن ذلك من صفاتهم.

سابعها: أنه خالص لله وليس للعبد فيه حظ، قاله



www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الخطابي، هكذا نقله عياض وغيره، فإن أراد بالحظ ما يحصل من الثناء عليه من أجل العبادة رجع إلى المعنى الأول، وقد أفصح بذلك ابن الجوزي، فقال: المعنى ليس لنفس الصائم فيه حظ بخلاف غيره من العبادات.

ثامنها: سبب الإضافة إلى الله أن الصيام لم يعبد به غير الله بخلاف غيره من العبادات.

تاسعها: أن جميع العبادات تُوَفَّى منها مظالم العباد إلا الصيام، وهذا معترض عليه بحديث المفلس: «المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا». الحديث. وفيه: «فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

عاشرها: أن الصوم لا يظهر فتكتبه الحفظة كما تكتب سائر الأعمال، واستند قائله إلى حديث واه جدًا، ويكفي في رد هذا القول الحديث الصحيح في كتابة الحسنة لمن هم بها وإن لم يعملها.

قال ابن حجر: فهذا ما وقفت عليه من الأجوبة، وقد بلغني أن بعض العلماء بلَّغها إلى أكثر من هذا، وأقرب الأجوبة التي ذكرتها إلى الصواب الأول والثاني، ويقرب منهما الثامن والتاسع. انتهى من «الفتح» باختصار (١٢٩/٤ وما بعدها).

قلت: هكذا قال، مع أن التاسع كما رأيت عليه اعتراض، والأولى من التاسع الجواب الثالث. والله أعلم.

معنى الصيام في الشريعة وفي اللغة!!

قال ابن عبد البر في «الاستذكار»: الصيام في الشريعة الإمساك عن الأكل والشرب والجماع، هذا فرضه عند جميع الأئمة، وسنته: اجتناب قول الزور واللغو والرفث.

وأصله في اللغة الإمساك مطلقًا، وكل من أمسك عن شيء فهو صائم منه، ألا ترى قول الله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

وقال: والصوم في لسان العرب الصبر. قال ابن الأنباري: «إنما سمي الصوم صبرًا لأنه حبس النفس عن المطاعم والمشارب والمناكح والشهوات».



www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وقد يسمى الصائم سائحًا، ومنه قوله تعالى: ﴿السَّائِحُونَ﴾ يعني: الصائمين المصلين، ومنه قوله تعالى: ﴿عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾. وللصوم وجوه في لسان العرب.

الصيام جنة من النار!!

وقوله: «جُنَّة» هي الوقاية والستر عن النار، وحسبك بهذا فضلاً للصيام، وروي عن عثمان بن أبي العاص أن النبي ﷺ قال: «الصيام جنة يستجن بها العبد من النار». [أخرجه ابن ماجه في الصيام (١٦٣٩)].

وقوله: «فلا يرفث»: الرفث هنا الكلام القبيح والشتم والخَنَا والغيبة والجفاء، وأن تغضب صاحبك بما يسوؤه والمراء، ونحو ذلك كله.

ومعنى: «لا يجهل» قريب مما يصيبنا من الشتم والسباب، وكقول القائل:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أقول: وفي الرواية التي معنا: «ولا يصخب». قال ابن حجر: كذا للأكثر بالصاد المهملة، الساكنة بعدها خاء معجمة، ولبعضهم بالسين بدل الصاد وهو بمعناه، والصخب الخصام والصياح، وقد تقدم أن المراد النهي عن ذلك تأكيده حال الصوم، وإلا فغير الصائم منهي عنه أيضًا. اهـ.

هل يقول الصائم: إني صائم؟

قال ابن عبد البر رحمه الله: وأما قوله: «فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم» ففيه قولان:

أحدهما: أن يقول للذي يريد مشاتمته ومقاتلته: إني صائم وصومي يمنعني من مجاوبتك لأني أصون صومي عن الخنا والزور، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». [أخرجه البخاري، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة، والبيهقي].

والمعنى الثاني: أن الصائم يقول لنفسه: إني صائمٌ يا نفسي فلا سبيل إلى شفاء غيظك بالمشاتمة، ولا يعلن بقوله: إني صائم كي لا يكون رياءً.

خلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك

وقوله: «لخُلُوفُ فم الصائم» يعني: ما يعتريه في آخر النهار من التغير، وأكثر ذلك في شدة الحر [أي الرائحة التي تنبعث من الفم، وقد لا يطيقها بعض الناس].

وقوله: «أطيب عند الله من ريح المسك»: يريد أزكى عند الله تعالى وأقرب إليه من ريح المسك عندكم، يحضهم عليه ويرغبهم فيه، وهذا في فضل الصيام وثواب الصائم. انتهى كلام ابن عبد البر بتصرف:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

«الاستذكار» (١٠/٢٤٢) وما بعدها.

وقال ابن حجر: ويؤخذ من قوله: «أطيب من ريح المسك» أن الخُلُوفَ أعظم من دم الشهادة؛ لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك، والخلوف وصف بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشهادة لما لا يخفى.

فرح الصائم بصومه وبفطره

وقوله: «للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح» زاد مسلم: «بفطره». قال القرطبي: معناه: فرح بزوال جوعه وعطشه، حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو من حيث إنه تمام صومه وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على مستقبل صومه.

قُلْتُ- القائل ابن حجر-: ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحًا وهو الطبيعي، ومنهم من يكون فرحه مستحبًا وهو من يكون سببه شيء مما ذكر.

قوله: «وإذا لقي ربه فرح بصومه» أي: بجزائه وثوابه، وقيل: الفرح الذي عند لقاء ربه إما لسروره بربه أو بثواب ربه على الاحتمالين.

قلت- القائل ابن حجر-: والثاني أظهر؛ إذ لا ينحصر الأول في الصوم، بل يفرح حينئذ بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه. انتهى من «فتح الباري» (٤/١٤٢).

شأن الصوم عند الله عظيم

أخي المسلم: وهكذا ترى في هذا الحديث برواياته المختلفة فضل الصوم كعبادة من العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه سواء كان فرضًا أم نفلاً، فشأنه عند الله عز وجل عظيم.

كما اشتمل الحديث على مجموعة من الآداب الشرعية التي ينبغي للمسلم مراعاتها والتأدب بها حتى يسمو إلى الخلق الإسلامي الرفيع، ثم يبين رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ما للصائم من منزلة؛ حتى خُلوف فمه، والتنويه بفرحه عند فطره، وذلك يصدق على فطر كل يوم على حدة كما يصدق على فطر آخر الشهر، كما يشير إلى فرحه يوم القيامة عندما يرى جزاء عمله وخاصة الصيام الذي صامه إيمانًا واحتسابًا للأجر عند الله تبارك وتعالى.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن تتقبل صلاتُهم وصيامُهم وسائر أعمالهم، كما نسأله أن يأخذ بنواصينا إلى الحق، وأن يجنبنا الزلل ويقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الماهر بالقرآن.. مع السفرة الكرام!!

إعداد: زكريا حسيني محمد

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به» اللفظ للبخاري وفي رواية أخرى: «ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي يتغنى بالقرآن» وقال صاحب له: يريد يجهر به، وقال سفيان: تفسير يتغنى أي يستغني به.

وفي رواية لمسلم: «ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به» وفي رواية له «كإذنه».

هذا الحديث أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه؛

الموضع الأول: في باب من لم يتغن بالقرآن وقوله تعالى: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾. تحت رقم (٥٠٢٣) ورقم (٥٠٢٤) مع اختلاف في الألفاظ يسير، وذلك في كتاب فضائل القرآن.

● الموضع الثاني في كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...» ورقمه (٧٤٨٢).

الموضع الثالث في كتاب التوحيد أيضا باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة وزينوا القرآن باصواتكم». ورقمه (٧٥٤٤).

وأخرجه مسلم في كتاب «فضائل القرآن وما يتعلق به» باب «استحباب تحسين الصوت بالقرآن». بالأرقام من (١٨٤٥) إلى (١٨٥٠). مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

شرح الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: «ما أذن الله لشيء» في رواية «لم يأذن الله لشيء» بنفي المضارع والأولى بنفي الماضي ولا فرق بينهما من حيث المعنى، وفي رواية «لم يأذن الله لنبي» قال ابن حجر: كذا بنون وموحدة (باء) لهم، وعند الإسماعيلي (لشيء) بشين معجمة وكذا عند مسلم من جميع طرقه. ووقع في رواية سفيان كالجمهور وفسر سفيان التغني بالاستغناء.

قوله «ما أذن لنبي» كذا للأكثر، وعند أبي ذر «للنبي» بزيادة اللام، قال ابن حجر: فإن كانت محفوظة فهي للجنس (أي اللام) ووهم من ظنها للعهد، وتوهم أن المراد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال: ما أذن للنبي صلى الله عليه وسلم وشرحه على ذلك.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قـــــولـه «أن يتغنى» كذا لهم، قال ابن حجر وأخرجه أبو نعيم من وجه آخر عن يحيى بن بكير شيخ البخاري فيه بدون «أن» وزعم ابن الجوزي أن الصواب حذف «أن».

وقد سبق تفسير سفيان بن عيينة التغني بالاستغناء.

قوله: «وقال صاحب له يجهر به» الضمير في له يرجع لأبي سلمة، والصاحب المذكور هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، بينه الزُّبيدي عن ابن شهاب في هذا الحديث أخرجه ابن أبي داود عن محمد بن يحيى الذهلي في «الزهريات».

وأما تفسير سفيان بن عيينة التغني بالاستغناء فقال ابن حجر: يمكن أن يستأنس له بما أخرجه أبو داود وابن الضريس وصححه أبو عوانة عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن أبي نهيك قال: لقيني سعد بن أبي وقاص وأنا في السوق فقال: تجارٌ كَسَبَةٌ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

وقد ارتضى أبو عبيد تفسير يتغنى بيستغني وقال إنه جائز في كلام العرب، فعلى هذا يكون المعنى: من لم يستغن بالقرآن عن الإكثار من الدنيا فليس منا، أي على طريقتنا. واحتج أبو عبيد أيضا بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غني» ونحو ذلك.

وقال ابن الجوزي: اختلفوا في معنى قوله يتغنى على أربعة أقوال؛ أحدها تحسين الصوت. والثاني الاستغناء، والثالث التحزن قاله الشافعي، والرابع التشاغل به تقول العرب: تغنى بالمكان: أقام به، قلت (القائل ابن حجر) وفيه قول آخر حكاه ابن الأنباري في «الزاهر» قال: المراد به التلذذ والاستحلاء له كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، وفيه قول آخر حسن وهو أن يجعله هِجِّيرَاهُ(١) كما يجعل المسافر والفارغ هجيراه الغناء، قال ابن الأعرابي: كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى وإذا جلست في أفنيتها وفي أكثر أحوالها، وسلم أن يكون هِجِّيراهم القراءة مكان التغني.

والذي يترجح من هذه الأقوال القول الأول وهو تحسين الصوت بالقراءة، فقد استدل أبو عاصم النبيل على تعيينه لهذا المعنى بما رواه بسنده عن عبيد بن عمير قال: «كان داود عليه السلام يتغنى - يعني حين يقرأ - ويَبْكي ويُبكي» وعن ابن عباس: أن داود كان يقرأ الزبور بسبعين لحنًا، ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم. وكان إذا أراد أن يبكي نفسه لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا أنصتت له واستمعت وبكت.

قال ابن حجر - رحمه الله - بعد أن ساق الأقوال وحججها: وفي الجملة ما فسر به ابن عيينة ليس بمدفوع، وإن كانت ظواهر الأخبار ترجح أن المراد تحسين الصوت، ويؤيده قوله «يجهر به» فإنها إن كانت مرفوعة قامت الحجة، وإن كانت غير مرفوعة فالراوي أعرف بمعنى الخبر من غيره ولا سيما إذا كان فقيهًا، وقد جزم الحليمي أنها من قول أبي هريرة.

ثم قال ابن حجر: ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم، لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع. وكان بين السلف اختلاف في جواز القراءة بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك. ومحل الاختلاف في القراءة بالألحان إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه، فلو تغير قال النووي في التبيان: أجمعوا على تحريمه، ولفظه: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفًا أو أخفاه حرم.

قال ابن حجر بعد أن ساق كلام العلماء مفصلا: ولعل هذا مستند من كره القراءة بالألحان، لأن الغالب على من راعى الألحان ألا يراعي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معًا فلا شك في أنه أرجح من غيره لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم. [انتهى من فتح الباري

(١) هِجِّيراه: دِيدنه وعادته.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بتصرف].

والحديث كما ترى أخي المسلم ساقه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن، وفي كتاب التوحيد من صحيحه، وهذا الشرح المتقدم خاص بالندب لتحسين الصوت بالقرآن، وأما عن إيراد الحديث في كتاب التوحيد والرد على الجهمية فأريد به النص على إثبات صفة السمع لله تعالى، كما في قوله ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي...» إلخ الحديث. فمعنى «ما أذن» أي: ما استمع، وصفة السمع ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة وأقوال السلف في ذلك، فأما الكتاب فالآيات التي تثبت السمع لله عز وجل كثيرة في نحو خمسين موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وأما من السنة فالأحاديث كثيرة أيضًا منها الحديث الذي معنا، وحديث عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ الآية. [أخرجه أحمد والبخاري تعليقًا بصيغة الجزم في كتاب التوحيد باب: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾].

وحديث أبي موسى عند البخاري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: «أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا...» الحديث، وحديث عائشة عند البخاري أيضًا قال النبي ﷺ: «إن جبريل ناداني قال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك». والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وأما أقوال السلف فمنها قول ابن خزيمة: وتدبروا أيها العلماء ومقتبسوا العلم مخاطبة خليل الرحمن أباه وتوبيخه إياه لعبادة ما كان يعبد فاعقلوا- بتوفيق خالقنا جل وعلا- صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة، قال خليل الرحمن ﷺ لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، أفليس من المحال يا ذوي الحجا أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان، فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير، [كيف يكون] كما يصفه هؤلاء الجهال، عز ربنا وجل أن يكون غير سميع ولا بصير، فهم كعابدي الأوثان أو كعابدي الأنعام: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾. فأعلمنا عز وجل أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. [كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب (ص٤٧) بتصرف].

وقال القسطلاني في إرشاد الساري: «وقد علم بالضرورة من الدين، وثبت في الكتاب والسنة بحيث لا يمكن إنكاره ولا تأويله أن الباري- تعالى- حي سميع بصير، وانعقد إجماع أهل الأديان، بل جميع العقلاء على ذلك» [ج١٠، ص٣٧٠ نقلاً عن شرح كتاب التوحيد للشيخ الغنيمان].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: «فالسمع والبصر والحياة والعلم والقدرة والكلام ونحوها صفات كمال لا نقص فيها، فمن اتصف بها أكمل ممن لم يتصف بها، والنقص في انتفائها لا في ثبوتها بإجماع العقلاء». [ج٦ ص٨٨].

قال ابن حجر في الفتح: «قال ابن بطال: غرض البخاري من هذا الباب الرد على من قال: إن معنى «سميع بصير» عليم، قال: ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتًا ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعًا بصيرًا يفيد قدرًا زائدًا على كونه عليمًا، وكونه سميعًا بصيرًا، يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليمًا أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

سميعًا بصيرًا
وبين كونه ذا سمع وبصر، وهذا قول أهل السنة قاطبة». [ج١٣ ص٣٧٣].

وقال البيهقي: (السميع من له سمع يدرك به المسموعات، والبصير من له بصر يدرك به المرئيات، وكل منهما في حق الباري صفة قائمة بذاته). [الاعتقاد (ص٥٨)].

روى أبو داود بسند على شرط مسلم عن أبي هريرة أنه قرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ يقرأ ويضع أصبعيه. [سنن أبي داود (ج٥، ص٩٧)].

قال البيهقي عقب روايته لهذا الحديث: «والمراد بالإشارة في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل- بالسمع والبصر، فأشار إلى محل السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله- تعالى- وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير، له سمع وبصر، لا على معنى أنه عليم، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب لأنه محل العلوم منا». [الأسماء والصفات (ص١٧٩)].

ومن ذلك يتبين لك أخي المسلم أن الله تعالى سميع بسمع، لا كما تقول المعتزلة: سميع بلا سمع، ولا كما تقول الجهمية: سميع بمعنى عليم، ولا كما تقول الأشاعرة: سميع بلا أذن.

فأما الأُذُنُ فإن لفظها لم يرد لا في كتاب ولا في سنة مضافًا إلى الله تعالى لا إثباتًا ولا نفيًا، فيجب علينا أن نسكت عنها ولا نلفظ بها مضافة إلى ربنا جل وعلا لا إثباتًا ولا نفيًا، كما هو مقرر: أن ما أثبته الله عز وجل لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ وجب علينا أن نثبته، وما نفاه الله عز وجل عن نفسه أو نفاه عنه رسوله وجب علينا أن ننفيه، وما لم يرد في الكتاب أو السنة لا إثباتًا ولا نفيًا وجب علينا أن نمسك عنه ولا نتكلم به.

والله عز وجل يعصمنا من الزلل ويقينا الخطأ والخطل في الاعتقاد والعمل.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

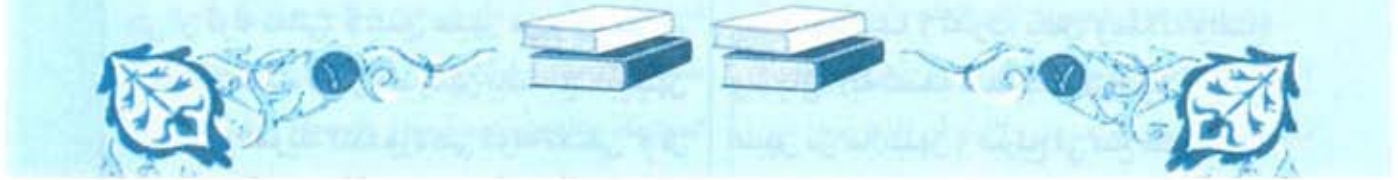

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

آكل الربا وموكله

إعداد / زكريا حسيني محمد

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال : «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء» (٤٠٩٣).

ولأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من طريق عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه. وفى رواية الترمذى وشاهديه بالتثنية، وفى رواية النسائى من وجه آخر عن ابن مسعود: «آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ملعونون على لسان محمد ﷺ».

تعريف الربا

الربا فى اللغة : اسم مقصور على الأشهر، وهو من ربا يربو رَبْوا ورُبُوًا وَرِبَاءً. ويقال الربا والرما والرماء.

والأصل فى معناه الزيادة، يقال: ربا الشيء إذا زاد ، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦].

والربا فى اصطلاح الفقهاء: نوعان، ربا النسيئة: وهو الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل.

وربا الفضل، وهو بيع النقود بالنقود أو الطعام بالطعام مع الزيادة.

حكم الربا

أما ربا النسيئة فهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع قال الله تعالى: «وأحل الله البيع وحرم الربا».

وعن أبى جحيفة قال: «إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب، وكسب الأمة ولعن الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله، ولعن المصور» أخرجه البخاري برقم (٢٢٣٨) وأجمع الأئمة الفقهاء على تحريمه.

وأما ربا الفضل فهو محرم بالسنة والإجماع أيضا، فعن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والملح بالملح مثلا بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطى سواء» أخرجه البخاري وأحمد. ونقل النووي عن ابن المنذر أنه قال: أجمع علماء الأمصار: مالك بن أنس ومن تبعه من أهل المدينة، وسفيان الثوري ومن وافقه من أهل العراق، والأوزاعي ومن قال بقوله من أهل الشام، والليث بن سعد ومن وافقه من أهل مصر، والشافعي وأصحابه، وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو حنيفة وأبو يوسف: أنه لايجوز بيع ذهب بذهب ولافضة بفضة ولابر ببر ولاشعير بشعير، ولاتمر بتمر ولا ملح بملح متفاضلا يدا بيدا، ولانسيئة، وأن من فعل ذلك فقد أربى والبيع مفسوخ، قال وقد روينا هذا القول عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة يكثر عددهم من التابعين. (المجموع ١٠/٤٠-٤١).

الأوراق النقدية حكمها حكم الذهب والفضة

قال الشيخ صالح الفوزان: والصحيح أن العلة فى النقدين الذهب والفضة الثمنية فيقاس عليهما كل ماجعل أثماناً كالأوراق النقدية المستعملة فى هذه الأزمان، فيحرم فيها التفاضل، إذا بيع بعضها ببعض مع اتحاد الجنس، بأن تكون صادرة من دولة واحدة.

وقال: والصحيح أن العلة فى بقية الأصناف الستة البر والشعير والتمر والملح هى الكيل والوزن، مع كونها مطعومة، فيتعدى

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الحكم إلى ماشاركها فى تلك العلة مما يكال أو يوزن وهو مما يطعم فيحرم فيه التفاضل.

وقال : فعلى هذا؛ كل ما شارك هذه الأشياء الستة المنصوص عليها فى تحقيق هذه العلة فيه؛ بأن يكون مكيلا مطعوما أو موزونا مطعوما أو تحققت فيه علة الثمنية؛ بأن كان من النقود فإنه يدخله الربا؛ فإن انضاف إلى العلة اتحاد الجنس كبيع بر ببر مثلا حرم فيه التفاضل والتأجيل لقوله ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد» رواه مسلم وأحمد والترمذى وابن حبان وإن اتحدت العلة مع اختلاف الجنس؛ كالبر بالشعير، حرم فيه التأجيل وجاز فيه التفاضل، لقوله ﷺ: «فإذا اختلفت هذه الأشياء فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» رواه مسلم وأبو داود. ومعنى قوله «يدًا بيد» أي حالا مقبوضا فى المجلس قبل افتراق أحدهما عن الآخر، وإن اختلفت العلة والجنس جاز الأمران التفاضل والتأجيل، كالذهب بالبر، والفضة بالشعير: (الملخص الفقهى حـ٢ صـ ٣١- ٣٢).

خطر الربا على الفرد والمجتمع

ثم اعلم أن خطر الربا عظيم، وأمره ليس بالهين بل هو جسيم، والتحرز منه يعسر على من لا يعرف أحكامه، ومن لم يستطع معرفة أحكام الربا بنفسه فعليه أن يسأل أهل العلم عنها، ولا يجوز له أن يقدم على معاملة إلا بعد تأكده من خلوها من الربا ليسلم بذلك دينه وينجو من عذاب الله تعالى الذى توعد به المرابين، ولا يجوز تقليد أحد من الناس من غير بصيرة، لا سيما فى وقتنا هذا الذى كثر فيه عدم المبالاة بنوعية المكاسب، فقد أخبر النبى ﷺ فيما صح عنه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمِنَ الحلال أم من حرام» أخرجه البخاري (٤٨٣) ولقد عده رسول الله ﷺ من السبع الموبقات، أي المهلكات، قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل وما هن يارسول الله؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (٢٠٨٣).

وجوب تعلم أحكام البيوع قبل العمل فى التجارة

جاء في الموسوعة الفقهية جـ٢٢ جـ٥٣ .

ويجب على من يقرض أو يقترض أو يبيع أو يشتري أن يبدأ بتعلم أحكام هذه المعاملات قبل أن يباشرها، حتى تكون صحيحة وبعيدة عن الشبهات والحرام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وتركه إثم وخطيئة، وهو إن لم يتعلم هذه الأحكام قد يقع فى الربا دون أن يقصد الإرباء، بل قد يخوض فى الربا وهو يجهل أنه تردى فى الحرام وسقط فى النار، وجهله لا يعفيه من الإثم ولا ينجيه من النار، لأن الجهل والقصد ليسا من شروط ترتب الجزاء على الربا، فالربا بمجرد فعله - من المكلف - موجب للعذاب العظيم الذى توعد الله جل جلاله به المرابين. يقول القرطبي رحمه الله: لو لم يكن الربا إلا على من قصده ما حرم إلا على الفقهاء. وقد أثر عن السلف أنهم كانوا يحذرون من الاتجار قبل تعلم ما يصون المعاملات التجارية من التخبط فى الربا، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: «لا يتجر فى سوقنا إلا من فقه، وإلا أكل الربا»، وقول عليّ: «من اتجر قبل أن يتفقه ارتطم فى الربا ثم ارتطم ثم ارتطم» أي وقع فى الربا وارتبك ونشب، (نقلا عن تفسير الطبري ٣٨/٦، وتفسير القرطبي ٣٥٢/٣، وتفسير ابن كثير (٥٨١/١)، ومغني المحتاج ٢٢/٢، ٢٩/٦.)

جزاء أكل الربا

قال السرخسي في المبسوط:

ذكر الله تعالى لآكل الربا خمسا من العقوبات:

إحداها: التخبط، قال الله تعالى: ﴿لا

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥].

الثانية: المحق. قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا....﴾ [البقرة:٢٧٦] والمراد الهلاك والاستئصال. وقيل: ذهاب البركة والاستمتاع، حتى لا ينتفع به ولا ولده من بعده.

الثالثة: الحرب:: قال تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة:٢٧٩].

الرابعة: الكفر: قال تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨].

وقال سبحانه بعد ذكر الربا ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ [البقرة:٢٧٦] أي كفار باستحلال الربا، أثيم فاجر بأكل الربا.

الخامسة: الخلود في النار: قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] (المبسوط ١٢/١٠٩/١١٠).

من أسباب عدم إجابة الدعاء

وبعد أخي المسلم إن النصوص في تحريم الربا بنوعيه كثيرة جدا سواء من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ولا يتسع المقام لحصرها، وهي واضحة لكل ذي عينين، ولكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وكذلك أجمعت الأمة على تحريم الربا وحذر النبي ﷺ من آخر الزمان وما يحدث فيه من الفتن ومن ضياع الدين وعدم المبالاة بالمال، وأنت تعلم أن من أسباب إجابة الدعاء طيب المطعم، فإن كانت مطاعمنا من الحرام ومشاربنا من الحرام وملابسنا من الحرام ومراكبنا من الحرام ومساكننا من الحرام بسبب ما نتعاطى من الربا. فهل يستجيب الله لنا دعاء أو يقبل منا عملا؟ أو يبارك لنا في أرزاقنا؟ نسأل الله التوبة والمغفرة.

حقيقة قروض البنوك

وخلاصة القول في الربا «أن كل قرض اشترطت فيه الزيادة سواء حددت قيمة الزيادة أم لم تحدد سلفا فهو ربا» فوضح بذلك أن القروض التي يتعاطاها الناس من البنوك أو غيرها تعتبر ربا محرما شرعا، يستوي في ذلك قروض الإنتاج وقروض الاستهلاك فيجب على المسلم أن ينأى بنفسه عن مثل هذه القروض فرارا بدينه وحفاظا على نفسه وبعداً عن العقوبات التي رتبها الله عزَّ وجلَّ وتوعد بها آكل الربا.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ * وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٨ - ٢٨١]. قال ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآيات هي آخر ما نزل من القرآن الكريم، أي أنه لم ينسخها شيء جاء بعدها.

كما قال تعالى قبل هذه الآيات من نفس السورة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] فمن سوى بين البيع الذي هو حلال، والربا الذي هو حرام فهذا جزاؤه؛ التخبط كالذي أصابه مس من الشيطان، وجزاؤه كذلك النار خالدا مخلدا فيها.

ثم اعلم أن الأحاديث ومنها حديثنا هذا، تبين أن المعطي والآخذ ومن كتب الربا ومن شهد عليه كلهم ملعونون على لسان رسول الله ﷺ نسأل الله تعالى أن يرزقنا الحلال الطيب ويبارك لنا فيه، وأن يباعد بيننا وبين الحرام ويغنينا عنه. إنه جواد كريم. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

« أعظم الذنوب عند الله تعالى »

إعداد: زكريا حسيني محمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه... وبعد:
فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبيَّ ﷺ: أيُّ الذنب أعظمُ عند اللهِ؟ قال: « أن تجعلَ للهِ نداً وهو خلقك ». قلت: إن ذلك لعظيمٌ، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: « ثم أن تقتل ولدكَ مخافة أن يطعمَ معكَ ». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: « ثمَّ أن تزانيَ حليلةَ جارِكَ ».

« مواضع الحديث »

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في سبعة مواضع من صحيحه مع اختلاف يسير في الألفاظ، نشير إليها عند الشرح إن شاء الله تعالى، أما الموضع الأول ففي كتاب التفسير باب قول الله تعالى: ﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ورقمه (٤٤٧٧)، والموضع الثاني برقم (٤٧٦١) في باب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ﴾ الآية.

والموضع الثالث برقم (٦٠٠١) في كتاب الأدب باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، والرابع برقم (٦٨١١) في كتاب الحدود باب إثم الزناة وقول الله تعالى: ﴿وَلاَ يَزْنُونَ﴾، والخامس برقم (٦٨٦١) في كتاب الديات باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...﴾ الآية، والموضع السادس برقم (٧٥٢٠) في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ...﴾ إلى ﴿الشَّاكِرِينَ﴾.

والموضع السابع برقم (٧٥٣٢) في كتاب التوحيد أيضًا باب قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

كذلك أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب « بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ».

وأخرجه أبو داود برقم (٢٣١٠) في الطلاق باب « تعظيم الزنى »، وأخرجه الترمذي من طريقين برقم (٣١٨٣) في التفسير باب « ومن سورة الفرقان ».

« راوي الحديث »

قال الذهبي: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فار بن مخزوم

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري. كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا.

حدّث عنه طائفة من الصحابة، وكثير من التابعين، وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السلمي وعبيد بن نضيلة وطائفة.

اتفقا له في الصحيحين على أربعة وستين حديثًا، وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثًا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا، وله عند بقيٍّ بالمكرر ثمانمائة وأربعون حديثًا.

قال قيس بن أبي حازم: رأيته آدَمَ خفيف اللحم. وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: كان عبد الله رجلاً نحيفًا قصيرًا شديد الأُدْمَةِ، وكان لا يغير شيبه.

وروى الأعمش عن إبراهيم قال: كان عبد الله لطيفًا فطنًا. قال الذهبي: كان معدودًا في أذكياء العلماء. وكان يعرف بأمه أيضًا ؛ فيقال: ابن أم عبد، قال: كنّاني رسول الله ﷺ أبا عبد الرحمن قبل أن يُولد لي. وعن نويفع مولى ابن مسعود قال: كان عبد الله من أجود الناس ثوبًا أبيض، وأطيب الناس ريحًا.

« شرح الحديث »

حرص الصحابة على تعلم العلم

قول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت أو سُئل رسول الله ﷺ، ولأحمد عن ابن مسعود: جلس رسول الله ﷺ على نَشَزٍ من الأرض (أي مكان مرتفع) وقعدت أسفل منه، فاغتنمت خلوته، فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أي الذنوب أكبر؟

وهكذا ترى هذا الحرص من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم على اغتنام الفرص للتعلم من رسول الله ﷺ والازدياد من المعرفة النافعة لدين المرء.

قوله: « أي الذنب أعظم؟ » وفي بعض الروايات: « أكبر؟ » وفي بعضها: « عند الله أكبر؟ ». وفي بعضها: « أعظم عند الله؟ ». والمراد بالأعظم الأكبر عند الله تعالى، فليس هناك ذنب أعظم ولا أكبر منه.

قال ﷺ: « أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ». وفي رواية: « أن تَدْعُوَ لله ندًا ». والنِّد- بكسر النون-: النظير. ويقال أيضًا: النديد وهو الشبيه والمثيل والشريك.

« إثبات خلق الله تعالى لأفعال العباد »

ونقل ابن حجر رحمه الله تعالى عن ابن بطال قوله: غرض البخاري في هذا الباب « باب قول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ من كتاب التوحيد، غرض البخاري في هذا الباب إثبات نسبة الأفعال كلها لله تعالى، سواء كانت من المخلوقين خيرًا أو شرًا، فهي لله تعالى خلق وللعباد كسب، ولا ينسب شيء من الخلق لغير الله تعالى، فيكون شريكًا وندًا ومساويًا له في نسبة الفعل إليه.

وقد نبه الله تعالى عباده على ذلك بالآيات المذكورة وغيرها المصرحة بنفي الأنداد والآلهة المدعوة معه، فتضمنت الرد على من يزعم أنه يخلق أفعاله. وقال الكرماني: الترجمة مشعرة بأن المقصود

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

إثبات نفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى، فكان المناسب ذكره في أوائل «كتاب التوحيد»، لكن ليس المقصود هنا ذلك، بل المراد كون أفعال العباد بخلق الله تعالى. إذ لو كانت بخلقهم لكانوا أندادًا لله تعالى وشركاء له في الخلق، وتضمن الرد على الجهمية في قولهم: لا قدرة للعبد أصلاً، وعلى المعتزلة، حيث قالوا: لا دخل لقدرة الله تعالى فيها، والمذهب الحق: أن لا جبر ولا قدر بل أمر بين أمرين.

ولقد أطال ابن حجر رحمه الله تعالى في هذا الموضع، حيث نقل كلام الإمام البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد» والرد على من قال إن القرآن مخلوق، ونقل قول الإمام أحمد قالوا بمسألة اللفظ وسماهم اللفظية وهم من قالوا: لفظي بالقرآن مخلوق. ثم نقل رحمه الله التوفيق بين مسلك البخاري ومسلك الإمام أحمد رحمهما الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

قال الطبري: هذا من الكلام الموجز الذي يراد به التقديم، والمعنى: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين، وأوحي إلى الذين من قبلك مثل ما أوحي إليك من ذلك، ومعنى ليحبطن: ليبطلن ثواب عملك. اهـ.

قال ابن حجر: والغرض هنا تشديد الوعيد على من أشرك بالله، وإن الشرك محذر منه في الشرائع كلها، وأن للإنسان عملاً يثاب عليه إذا سلم من الشرك ويبطل ثوابه إذا أشرك.

«القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق»

قوله: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قال ابن حجر: أشار بإيرادها إلى ما وقع في بعض طرق الحديث المرفوع في الباب كما تقدم في تفسير سورة الفرقان، ففيه قوله: «أن تزاني بحليلة جارك»، ونزلت هذه الآية تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية. وكان المصنف أشار بها إلى تفسير الجعل المذكور في الآيتين قبلها، وأن المراد الدعاء؛ إما بمعنى النداء، وإما بمعنى العبادة، وإما بمعنى الاعتقاد.

وقد رد الإمام أحمد على من تمسك من القائلين بخلق القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾. وقال: هي حجة في أن القرآن مخلوق؛ لأن المجعول مخلوق، فناقضه الإمام أحمد بنحو قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾.

وذكر ابن أبي حاتم في الرد على الجهمية أن أحمد رد عليهم بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فليس المعنى فخلقهم، ومثله احتجاج محمد بن أسلم الطوسي بقوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ قال: أفخلقهم بعد أن أغرقهم؟ وعن إسحاق بن راهويه أنه احتج عليه بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾، وعن نعيم بن حماد أنه احتج عليه بقوله تعالى: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، وعن عبد العزيز بن يحيى المكي في مناظرته لبشر المريسي حين قال له: إن قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ نص في أنه مخلوق، مُناقَضٌ بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾، وبقوله تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾.

«معاني الجعل في القرآن وفي لغة العرب»

قال ابن حجر: وحاصل ذلك أن الجعل جاء في القرآن وفي لغة العرب لمعانٍ متعددة. قال الراغب: جعل لفظ عام في الأفعال كلها، ويتصرف على خمسة أوجه؛ الأول: صار، نحو: جعل زيد يقول. قلت: الظاهر أن جعل هنا بمعنى «أنشأ وبدأ». قال: والثاني: أوجد، كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾. والثالث: إخراج شيء من شيء، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. والرابع: تصيير شيء على حالة مخصوصة، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾. والخامس: الحكم بالشيء على الشيء، فمثال ما كان منه حقًا قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ومثال ما كان منه باطلاً قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾. اهـ.

وأثبت بعضُهم سادسًا: وهو الوصف، ومثل بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، هذه الآية مطابقة للحديث تمام المطابقة، فالحديث يبين أن أشد الأعمال إثمًا وأعظمها ذنبًا عند الله تعالى هو اتخاذ الشريك والند والنظير والمثيل لله تعالى في العبادة، وفي نسبة الفعل إليه، وكذلك قتل النفس بغير حق وإن كان عظيمًا إلا أن قتل الولد أشد قبحًا ممن قتل من ليس بولد، ولا سيما إن كان ذلك خشية المشاركة في الرزق، متوهمًا أنه ينقص من رزق الأب؛ لأن الله تعالى هو الرزاق، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

وكذلك القول في الزناة، فإن الزنى من أعظم الفواحش، وذلك في عمومه، وهو أشد قبحًا عندما يكون بحليلة الجار؛ لاشتماله على أذى الجار، بالإضافة إلى جريمة الزنى، والجار له حق على جاره، أدناه كف الأذى عنه، وذلك إن لم يستطع الإحسان إليه. قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره».

«فساد طريقة المتكلمين»

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: واستدل أبو المظفر السمعاني بآيات الباب وأحاديثه على فساد طريقة المتكلمين في تقسيم الأشياء إلى جسم وجوهر وعرض، قالوا: فالجسم ما اجتمع من الافتراق، والجوهر: ما حمل العرض، والعرض: ما لا يقوم بنفسه، وجعلوا الروح من الأعراض، وردوا الأخبار في خلق الروح قبل الجسد، والعقل قبل الخلق، واعتمدوا على حدسهم وما يؤدي إليه نظرهم، ثم يعرضون عليه النصوص، فما وافقه قبلوه، وما خالفه ردوه، ثم قال: وكان مما أمر النبي ﷺ بتبليغه التوحيد، بل هو أصل ما أمر به، فلم يترك شيئًا من أمور الدين وأصوله وقواعده وشرائعه إلا بلغه، ثم لم يَدْعُ إلى الاستدلال بما تمسكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أصحابه من ذلك حرف واحد فما فوقه، فعرف بذلك أنهم ذهبوا خلاف مذهبهم، وسلكوا غير سبيلهم بطريق محدث مخترع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي اللّه عنهم، ويلزم من سلوكه العود على السلف بالطعن والقدح ونسبتهم إلى قلة المعرفة واشتباه الطرق.

فالحذر من الاشتغال بكلامهم والاكتراث بمقالاتهم فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض، قال: وحسبك من قبيح ما يلزم من طريقتهم أنا إذا جرينا على ما قالوه وألزمنا الناس بما ذكروه لزم من ذلك تكفير العوام جميعًا، لأنهم لا يعرفون إلا الاتباع المجرد، ولو عرض عليهم هذا الطريق ما فهمه أكثرهم، فضلاً عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنما غاية توحيدهم التزام ما وجدوا عليه أئمتهم في عقائد الدين والعض عليها بالنواجذ، والمواظبة على وظائف العبادات وملازمة الأذكار بقلوب سليمة طاهرة عن الشبه والشكوك، فتراهم لا يحيدون عما اعتقدوه ولو قطعوا إربًا إربًا، فهنيئًا لهم هذا اليقين، وطوبى لهم هذه السلامة، فإذا كُفرَّ هؤلاء وهم السواد الأعظم وجمهور الأمة فما هذا إلا طي بساط الإسلام وهدم منار الدين. واللّه المستعان. اهـ.

من أقر لله بالخلق والرزق فعليه أن يقر بتوحيد الألوهية

أخي المسلم؛ هكذا ترى المعتقد السليم هو ما أُخذ من كتاب اللّه تعالى وسنة رسوله ﷺ، وبفهم السلف الصالح، من غير تعقيد، ولا تلبيس، فإن آيات القرآن الكريم واضحة في توحيد اللّه تعالى وعدم الإشراك به، وتوعد من أشرك بالله تعالى بحبوط العمل والخسار في الدنيا والآخرة، وكذا أحاديث النبي ﷺ كلها داعية إلى توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، ولا سيما أن الناس جميعًا مقرون لله تعالى بالخلق والرزق، فيجب أن يقروا له بوحدانيته في العبادة وخلوصها له سبحانه، فلا يستغاث بغير الله، ولا يدعى سواه، ولا يخشى إلا الله، ولا يتوجه إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يُذبح ولا ينذر إلا له، ولا يُحلف بغيره.

وبالجملة فلا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى من المخلوقين، ومهما كانت منزلة المخلوق فإنه لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا يملك موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بل مالك ذلك كله رب العالمين، فهو المتصرف في الكون مدبر الأمر وحده، لا شريك له، فيجب أن تصرف العبادات كلها له وحده لا شريك له.

ويستفاد من الحديث:

١- بيان أن الشرك أعظم الذنوب عند الله تعالى، مع الاعتراف بأنه الخالق الرازق.

٢- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

٣- أن أعظم الذنوب بعد الشرك قتل الولد خشية أن ينقص الرزق بسبب مشاركته لأبيه فيه.

٤- إيذاء الجار بأبلغ الأذى وهو الزنى بحليلته، وذلك يلي قتل الولد في عظم الذنب.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا التوحيد والإخلاص، وأن يجنبنا الشرك وأهله. وصلى اللّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

هجرة النبي ﷺ إلى المدينة

إعداد: زكريا حسيني محمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه. وبعد..

أخرج البخاري في صحيحه في حديث طويل عن عائشة في شأن هجرة أبيها (الصديق رضي الله عنه) جاء فيه قولها رضي الله عنها: فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر، هذا رسول الله ﷺ متقنعا ـ في ساعة لم يكن يأتينا فيها ـ فقال أبو بكر: فِدَاءٌ له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذِنَ له، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أُذِنَ لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: نعم. قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحِلَتيَّ هاتين. قال رسول الله ﷺ: بالثمن. قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعْنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق. قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليالٍ، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ، فلا يسمع أمرًا يُكْتَادانِ به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حينَ يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسْلٍ ـ وهو لبن منحتِهِمَا ورضيفهما ـ حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ رجلا من بني الدِّيل، وهو من بني عبد بن عَدِيٍّ هاديًا خِرِّيتًا ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فَأَمِنَاه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل. [ح٣٩٠٥].

وعن الغار أخرج البخاري في باب قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] عن أنس قال حدثنا أبو بكر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أنَّ أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»؟.

وقال البخاري رحمه الله: قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك الدلجي ـ وهو

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ابن أخي سراقة بن مالك بن جُعْشُم - أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جُعْشُم يقول: «جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة، إني قد رأيت آنفًا أسْودَةً بالساحل أراها محمدًا وأصحابه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا. ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي - وهي من وراء أكمة - فتحبسها عليَّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بِزُجِّهِ الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي، حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي - وعصيت الأزلام - تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية. وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمن. فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير: «أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض. وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه، حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أُطُم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبَصُرَ برسول الله وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس، حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مِرْبَدًا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة - فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هنا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمِرْبَدِ يتخذه مسجدًا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول:

«هذا الحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ
هذا أَبَرُّ رَبُّنَا وأطهـــــر»

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ويقول:

«اللهم إنَّ الأجر أجر الآخرة

فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسَمَّ لي. [ح٣٩٠٦].

وأخرج البخاري في باب كيف آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق، فربح شيئا من أقط وسمن فرآه النبي ﷺ وَضَرٌ من صُفْرَةٍ فقال النبي ﷺ: «مهيم يا عبد الرحمن؟» قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «فما سقت فيها؟» فقال: وزن نواة من ذهب، فقال النبي ﷺ: «أَوْلِمْ ولَوْ بِشَاةٍ». [ح٣٩٣٧].

شرح الأحاديث

أولا الحديث الأول: [٣٩٠٥]:

قال ابن حجر رحمه الله:

قوله: «في نحر الظهيرة» أي أول الزوال وهو أشد ما يكون في حرارة النهار.

قوله: «هذا رسول الله متقنعًا» أي مغطيًا رأسه.

قوله: «فِدَاءٌ له» بالمد وبالقصر.

قوله: «إنما هم أهلك» أشار بذلك إلى عائشة وأسماء.

قوله: «الصحابة» أي أريد المصاحبة.

قوله: «إحدى راحلتَيَّ هاتين، قال: بالثمن» زاد ابن إسحاق «قال: لا أركب بعيرًا ليس هو لي» قال: فهو لك، قال: لا، ولكن بالثمن الذي ابتعتها به.

قوله: «أحث الجهاز» أسرع جهاز، وفي رواية «أحب» والأول أصح.

قوله: «وصنعنا لهما سفرة في جراب» أي زادًا في جراب، لأن أصل السفرة في اللغة الزاد الذي يصنع للمسافر، فاستعملت السفرة في هذا الخبر على أصل اللغة.

قوله: «ذات النطاق» وللكشميهنيِّ النطاقين بالتثنية، والنطاق ما يُشد به الوسط، وقيل هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل.

قوله: «فكمنا فيه» بفتح الميم ويجوز كسرها أي اختفيا فيه.

قوله: «عبد الله بن أبي بكر» وقع في نسخة «عبد الرحمن» وهو وَهْمٌ.

قوله: «ثقف» بفتح المثلثة وكسر القاف ويجوز إسكانها وفتحها وبعدها فاء: الحاذق.

قوله: «لقِن» بفتح اللام وكسر القاف بعدها نون. السريع الفهم.

قوله: «فيدلج» أي يخرج وقت السحر إلى مكة.

قوله: «فيصبح مع قريش بمكة كبائت» أي مثل البائت، يظنه من لا يعرف حقيقة أمره لشدة رجوعه بغلس.

قوله «يُكْتَادَان به» في رواية الكشميهني «يُكَادَان به» من غير مثناة، من الكيد وهو طلب المكروه.

قوله: «في رِسْلٍ» بكسر الراء وسكون السين، اللبن الطري.

قوله: «ورضيفهما» الرَّضِيفُ اللبن المرضوف الذي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته.

قوله: «حتى ينعق بها عامر» ينعِق أي يصيح بغنمه، ووقع في رواية أبي ذر «حتى ينعق بهما، أي يسمعهما صوته إذا زجر غنمه».

قوله: «هاديا خريتا» الخِرِّيتُ الماهر بالهداية كما فسر في الرواية.

قوله: «قد غمس حلفا» أي كان حليفا، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم في دم أو خلوق، أو في شيء يكون فيه تلويث فيكون ذلك تأكيدًا للحلف.

ثانيا: الحديث الثاني [٤٦٦٣]

قوله تعالى: ﴿إن الله معنا﴾ أي ناصرنا وحافظنا.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قوله: «لو أن أحدهم رفع قدميه رآنا» وفي رواية نظر تحت قدميه لأبصرنا. فيه مجيء لو الشرطية للمستقبل خلافا للأكثر، وعلى هذا يكون قاله حال وقوفهم على الغار، وعلى القول الأكثر يكون قاله بعد مضيهم شكرًا لله على صيانتهما منهم.

قوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ معنى ثالثهما: أي ناصرهما ومعينهما، وفي الحديث منقبة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه.

ثالثا: الحديث الثالث[٣٩٠٦]

قوله: «دية كل واحد» أي مائة من الإبل.

قوله: «رأيت آنفا» أي في هذه الساعة.

قوله: «أَسْوِدَةً» أي أشخاصًا.

قوله: «فخططت بزُجه» الزجُّ الحديدة التي في أسفل الرمح.

قوله: «وخفضت» أي أمسكته بيدي وجررته على الأرض لئلا يظهر بَرِيقُه لمن بَعُدَ منه.

قوله: «الأزلام» الأقداح وهي السهام التي لا ريش لها ولا نصل، ونقل ابن حجر عن ابن جرير قوله: كانوا في الجاهلية يعمدون إلى ثلاثة سهام على أحدها مكتوب «افعل» وعلى الثاني «لا تفعل» والثالث غفل. وقال الفراء: كان على الواحد «أمرني ربي» وعلى الثاني «نهاني ربي» وعلى الثالث غفل. فإذا أراد أحدهم الأمر أخرج واحدًا فإن طلع الأمر فعل، أو الناهي ترك، أو الغفل أعاد.

قوله: «فخرج الذي أكره» أي لا تضرهم.

قوله: «حتى إذا سمعت قراءة رسول الله»: في حديث البراء «فدعا عليه النبي ﷺ» وفي رواية فقال: «اللهم اكفناه بما شئت» وفي رواية: فالتفت النبي ﷺ فقال: «اللهم اصرعه فصرعه فرسه».

قوله «ساخت» أي غاصت، وفي حديث أسماء بنت أبي بكر «فوقعت لمنخريها».

قوله: «عثان» أي دخان من غير نار، وفي رواية الكشميهني: «غبار» والأول أشهر قوله: «فلم يرزأني» أي لم ينقصاني مما معي شيئًا.

قوله: «كتاب أَمْنٍ» وفي رواية الإسماعيلي «كتاب موادعة»، وفي رواية إسحق «كتابا يكون آية بيني وبينك».

قوله: «في رقعة من أَدَم» وفي رواية ابن إسحق «فكتب لي كتابا في عظم أو ورقة أو خرقة».

قوله: «يغدون» أي يخرجون غدوة.

قوله: «حتى يردهم» في رواية معمر «حتى يؤذيهم»، وفي رواية ابن سعد «فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا».

قوله: «أوفى رجل من يهود على أُطُم» أي طلع إلى مكان عال فاشرف منه، والأطُم هو الحصن.

قوله: «مبيضين» أي عليهم الثياب البيض، وقال ابن التين: يحتمل أن يكون معناه مستعجلين.

قوله: «يزول بهم السراب» أي يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له. وقيل معناه: ظهرت حركتهم للعين.

قوله: «يا معاشر العرب» في رواية «يا بني قَيْلَةَ» وهي الجدة الكبرى للأنصار الأوس والخزرج.

قوله: «وأسس المسجد الذي أسس على التقوى» أي مسجد قباء. ووردت روايات أنه مسجد النبي ﷺ، ولا يمنع أن كلا منهما أسس على التقوى. والله أعلم.

قوله: «وكان مِرْبَدًا»: أي وكان موضع المسجد مربدًا، والمربد هو الموضع الذي يجفف فيه التمر. وقال الأصمعي: المربد كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم.

قوله: «في حجر سعد بن زرارة» كذا لأبي ذر وحده، وللباقين «أسعد» وهو الأصح.

قوله: «ينقل معهم اللبن» أي الطوب المعمول من الطين الذي لم يحرق.

رابعا: الحديث الرابع[٣٩٣٧]

قوله: «كيف أخى النبي ﷺ بين أصحابه»

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: لما قدم النبي ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين، وبين المهاجرين والأنصار على المواساة، وكانوا يتوارثون وكانوا تسعين نفسا بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، وقيل: كانوا مائة. فلما نزل «وأولو الأرحام» بطلت المواريث بينهم بهذه المؤاخاة.

قال السهيلي: آخى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ويتانسوا من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة وأنزل «إنما المؤمنون إخوة» يعني في التوادد وشمول الدعوة.

هذا، وإن المتصفح للأحاديث الصحيحة الواردة في شأن هجرة النبي ﷺ وأصحابه من مكة «بلد البعثة» إلى المدينة «بلد الهجرة وعاصمة الإسلام» ليجد من الدروس والعبر ما يجعل المسلمين لو استفادوا من هذه الدروس لأصبحوا في عزة ومنعة ولنذكر بعضا من هذه الدروس.

أولا: الإعداد السابق قبل البدء بالعمل فإن رسول الله ﷺ قد أعد للهجرة إعدادًا جيدًا من استئجار للدليل الماهر بالطرق، وتأمين للطعام والشراب عن طريق الراعي عامر بن فهيرة، واختيار للشاب اللقن الثقف عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما ليأتيهما بأخبار أهل مكة وما يدبرونه لهما إلي غير ذلك من الإعداد. كما أن تجهيز أبي بكر للراحلتين يُعد من ذلك الباب.

ثانيا: إخفاء الأمر على الأعداء الذين أرادوا به كيدًا، فأبطل الله تدبيرهم وردكيدهم في نحورهم يظهر ذلك في أمره ﷺ عليا لينام مكانه حتى يعمي على المشركين، ومن قبل ذلك في إتيانه بيت أبي بكر في وقت لم يكن يعتاد ﷺ أن يأتيه فيه، وتحققه ﷺ من عدم وجود من يمكن أن يفشي أمره ﷺ في بيت أبي بكر رضي الله عنه. ثم في طلبه ﷺ من سراقة أن يعمي عنهما وجعل ذلك مقابل إنجاء الله له ولفرسه.

ثالثا: اختيار الصاحب في السفر، ولا سيما الرحلة الشاقة، والتي ظهر من خلالها حرص الصديق رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وعلى الدعوة، والاستعداد لفدائه صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وماله وولده ووالده وكل ما يملك ومن يملك.

رابعا: الحرص على تأسيس المساجد وبنائها في أي موضع ينزل به الرسول ﷺ ويوجد به مسلمون، لإقامة الصلاة وذكر الله عز وجل فيها، إذ أن الصلاة من أعظم العبادات التي تربط العبد بربه. كما أنها كانت لكل الأمور الإسلامية من تفقد أحوال الفقراء وتعليم العلم، وتدبير شئون الدولة.

خامسا: عقد المؤاخاة بين المسلمين؛ سواء بين المهاجرين بعضهم وبعض أو بين المهاجرين والأنصار، فإن الأمة في ذلك الوقت بأفرادها كانوا في أمس الحاجة إلى هذه الأخوة وخاصة المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهليهم وضحوا بالغالي والنفيس فرارًا بدينهم وفي سبيل الله عز وجل.

سادسا: بيان حقيقة اليهود كما جاء في حديث عبد الله بن سلام وقصة إسلامه، حيث أخبر النبيُّ ﷺ أن اليهود قوم بهت يكتمون الحق وهم يعلمون.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما لم نعلم، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

هل يُتَشَاءَمُ بصفر؟

أخرج الجماعة أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد».

إعداد/ زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الطب من صحيحه برقم ٥٧٠٧ باب لا هام، وبرقم ٥٧٧٠ باب لا هامة، وبرقم ٥٧٧٣ باب لا عدوى وبرقم ٥٧٧٥ أيضا باب لا عدوى الستة المواضع عن أبي هريرة رضي الله عنه، وبرقم ٥٧٥٣ باب الطيرة، وبرقم ٥٧٧٢ باب لا عدوى الموضعين عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه بالأرقام ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، وعن جابر رضي الله عنه برقمي ١٠٨، ١٠٩ في كتاب «السلام» باب «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح».

وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام: ١٤٠٤٩، ١٤٢٨٥، ١٥٠٤١ عن جابر رضي الله عنه، وبرقمي ٧٦٠٩، ٩٥٧٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وبرقمي ٣٠٣٢، ٢٤٢٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبرقم ٤٧٧٥ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وبرقم ٧٠٧٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وبرقم ١٥٥٤ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وأخرجه أبو داود في كتاب الكهانة والتطير باب في الطيرة بالأرقام ٣٩١١، ٣٩١٢، ١٩١٣،

وأخرجه الترمذي في كتاب القدر باب «ما جاء لا عدوى ولا هامة ولا صفر» من حديث عبد الله بن مسعود بالفاظ مقاربة لحديث أبي هريرة عند غير الترمذي، وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عباس وأنس.

وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب باب «من كان يعجبه الفال ويكره الطيرة» برقم ٣٥٣٩ عن ابن عباس، وبعضه برقم ٣٥٣٧ عن أنس بن مالك، وبعضه عن ابن عمر برقم ٣٥٤٠

وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب العين باب عيادة المريض والطيرة.

شرح الحديث

قوله: «لا عدوى»:

قال أبو عمر بن عبد البر: معناه لا يعدي شيء شيئا، ولا يعدي سقيم صحيحًا، والله يفعل ما يشاء، لا شيء إلا ما شاء. وكانت العرب أو أكثرها تقول بالعدوى والطيرة، ومنهم من كان لا يصدق بذلك وينكره.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

* الطِّيَرَةُ هِيَ التَّشَاؤُمُ. وأصلها التشاؤم بالطير أو التفاؤل به.
* كان أهل الجاهلية يعتقدون أن القتيل يخرج من رأسه طائر يقول أسقوني حتى يقتل قاتله.

قوله: ولا طيرة:

قال ابن حجر: الطِّيرةُ هي التشاؤم، وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يَمْنَةً تيمن به واستمر، وإن رآه طار يَسْرَةً تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك، وكانوا يسمونه السانح والبارح، فالسانح: ما وَلَّك مَيَامِنَه، بأن يمر من يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس، وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح، وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله، ا.هـ من الفتح بتصرف.

وأما قوله: ولا هامة: وفي رواية «ولا هامَ».

فقد قال ابن عبد البر: اختلفوا في ذلك فقال بعضهم: إن الرجل إذا قُتِلَ خرج من رأسه طائر يزفو، فلا يسكت حتى يُقْتَلَ قاتِلُه، وقال بعضهم: عظام القتيل تصير هامةً، فكانت تطير، فأكذبهم النبي ﷺ فقال: «لا عدوى ولا هام» ونهى عن اعتقاد ذلك. ا.هـ من الاستذكار بتصرف.

وقال السيوطي في شرحه على الموطأ: أي لا يتطير به كما كانت العرب تتطير به وتقول: إذا وقعت هامة على بيت خرج منه ميت، وقيل المراد نفي ما كانت العرب تزعم أنه إذا قتل قتيل خرج من رأسه طائر فلا يزال يقول: أسقوني حتى يقتل قاتله. ا.هـ تنوير الحوالك.

وقوله: «ولا صفر».

كانت العرب تزعم أن الصَّفَر حية تكون في البطن وبذلك فسره البخاري رحمه الله، تصيب الماشية والناس فهي عندهم أعدي من الجرب، فالحديث لنفي ذلك أو لنفي العدوى به، قولان، وقيل المراد بقوله: «لا صفر»: الشهر المعروف، فإن العرب كانت تحرمه وتستحل المحرم، فجاء الإسلام برد ذلك. وقيل: إن العرب كانت تتشاءم بقدوم شهر صفر المعروف، لأنه يأتي بعد ثلاثة الأشهر الحرم «ذي القعدة، وذي الحجة، والمحرم» فيعتقدون أن صفر يحل الشؤم فيه بحلول القتال والقتل، والذنب ذنب البشر في الحقيقة وليس ذنب الشهر، فلذلك جاء الإسلام يبين أنه لا شؤم في هذه الأشياء.

قوله في رواية مسلم: «ولا نوء»:

كان أهل الجاهلية إذا نزل بهم مطر، نسبوه إلى الكواكب، فقالوا كما جاء في حديث زيد بن خالد الجهني: «مطرنا بنوء كذا وكذا» فبين النبي ﷺ أن هذا إيمان بالكوكب وكفر بالله، وأما المرء المسلم فيرد الأمر كله لله فيقول: مطرنا بفضل الله ورحمته فيكون مؤمنا بالله كافرا بالكوكب».

وقوله في روايته أيضًا: «ولا غول»:

قال صاحب معارج القبول: وأما الغول فهي واحد الغيلان، وهي من شر شياطين الجن وسحرتهم، والنفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع، وكانوا يخافونهم خوفا شديدًا ويستعيذون ببعضهم من بعض، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، زاد الإنس الجن جرأة عليهم وشرًا وطغيانا، وزادهم الجن إخافة وخبلا وكفرانا. فأبدلنا الله عز وجل عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

* هل هناك تعارض بين قوله: «لا عدوى» وبين قوله: «وفر من المجذوم»؟
* باب «حظك اليوم» وموقف المسلم من التشاؤم والتفاؤل

بجبار السماوات والأرض، رب الكون وخالقه ومالكه وإلهه، وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر.

وإذا نظرنا إلى أول الحديث وجدنا نفي العدوى، فإذا جئنا إلى نهاية الحديث وجدنا الأمر بالفرار من المجذوم، وفي الحديث الآخر «لا يورد ممرض على مصح» أي لا يورد صاحبُ الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة، فيظهر بادئ الأمر أن بين أول الحديث وآخره تناقضا، والأمر ليس كذلك بل إن العلماء تكلموا على هذا كلاما جيدًا، وقد أطال الحافظ في الفتح النقل عمن سبقه من العلماء حول من سلك منهم مسلك الترجيح، فمن رجح نفي العدوى وقال بنسخ الأمر بالفرار من المجذوم، ونسخ النهي عن إيراد الممرض على المص، ومن سلك في ترجيحه عكس ذلك، ولكن الحافظ رحمه الله تعالى قال: إنما يلجأ إلى الترجيح عند عدم إمكان الجمع، والجمع هنا ممكن فهو أولى من الترجيح قال في الفتح: وفي طريق الجمع مسالك وذكر عددا منها، وقد لخصها صاحب معارج القبول في ثلاثة أوجه، قال:

أحدها: أنه ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية، فيظن أنه بسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى التي نفاها رسول الله ﷺ فيقع في الحرج، فأمر بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم، وحسما للمادة وسدًا للذريعة، لا إثباتا للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء، والدليل على ذلك قوله ﷺ للأعرابي الذي استشهد لصحة العدوى بكون البعير الأجرب يدخل في الإبل الصحاح فتجرب، فقال له ﷺ «فمن أعدى الأول؟» يعني أن الله تعالى ابتدأ المرض في الباقي كما ابتدأه في الأول، لا أن ذلك من سريان المرض بطبيعته من جسد إلى آخر.

الوجه الثاني: أن نهيه ﷺ عن المخالطة لأنها من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها لا استقلالا بطبعها، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر في مسببه بقضاء الله تعالى وقدره، وإن شاء سلب الأسباب قواها فلا تؤثر شيئا، ومن قوي إيمانه وكمل توكله وثقته بالله، وشاهد مصير الأمور كلها إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب، كما أن مصدرها من عنده عز وجل، فنفسه أبية وهمته عَلِيَّةٌ، وقلبه ممتلئ بنور التوحيد، فهو واثق بخالق السبب، ليس لقلبه أدنى الْتِفَاتٌ إلى الأسباب سواء فعلها أم لم يفعلها.

الوجه الثالث: أن النفوس تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيته وتشمئز من مخالطته وتكرهه، ولا سيما مع ملامسته وشم رائحته، فيحصل بذلك تأثير بإذن الله في سقمها قضاءً من الله وقدرًا، لا بانتقال الداء بطبيعته كما يعتقده أهل الجاهلية.

ثم قال صاحب معارض القبول - رحمه الله تعالى -: ومن هذا الباب نهيه ﷺ عن القدوم على البلاد التي بها الطاعون وعن الخروج منها فرارًا منه، فإن في القدوم عليه تعرضا للبلاء، وإلقاءً بالأيدي إلى التهلكة، وتسببا للأمور التي أجرى الله تعالى العادة بمضرتها،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وفي الفرار منه تسخط على قضاء الله وارتياب في قدره وسوء ظن بالله عز وجل، فأين المهرب من الله تعالى؟ وأين المفر؟ لا ملجأ من الله إلا إليه، وقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها أنها سألتْ رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبي الله ﷺ أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون في بلده فيمكث صابرًا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد».

ومما يقع من التطير في زماننا هذا أن بعض الناس قد يترك حاجته ويعتقد عدم نجاحها، تشاؤمًا بسماع بعض الكلمات القبيحة مثل: يا هالك، أو يا ممحوق ونحوها، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت قالوا إنها مخبرة بشرٍّ، وكذلك التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه واحد من هؤلاء وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدًا عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع لمن هذه صفته إذا جاءه أول النهار حتى يبيع لغيره تشاؤما به وكراهة له، وكثير منهم يعتقد أنه لا يناله في ذلك اليوم خير قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يحدث له هو في حال خروجه كما إذا عثر أو أصابه شيء عارضٌ يرى أنه لا يجد خيرًا، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو بعض الساعات كالحادي والعشرين من الشهر، وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك، فلا يسافر فيه كثير من الناس ولا يعقد فيه نكاحًا ولا يعمل فيه عملا، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس، وكذلك التشاؤم ببعض الجهات في بعض الساعات فلا يستقبلها في سفر ولا في غيره حتى تنقضي تلك الساعة أو الساعات، إلى غير ذلك مما يقع فيه الكثير من الناس ممن يعتمدون في تصرفاتهم على قراءة «حظك اليوم». وهو من عمل المنجمين الكاذبين، وهذه الأعمال من التطير بأنواعها كثير منها كان في الجاهلية فأبطلها الإسلام بعد نبوة محمد ﷺ، فأعادها الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كانت عليه في الجاهلية، وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم.

نسأل الله تعالى أن يردنا إلى دينه ردًا جميلا، وأن يجعلنا ممن يتوكلون عليه سبحانه حق التوكل، وأن يقوي إيماننا ويقيننا به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

أُخوّة الدين... وأُخوّة النسب

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة». [البخاري: ٢٤٤٢، ٦٩٥١، ومسلم: ٦٥٧٨، والترمذي: ١٤٢٦].

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه وبعد:

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه». [ح: ٦٨٥٣]، وكذا أبو داود والترمذي وابن ماجه مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، كما أخرجه أحمد في المسند بأرقام (٧٤٢١، ١٠٤٤، ١٠٦٢٤).

شرح الحديث

قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم»: أي أخوه في الإسلام، ولا شك أن أخوة الدين أقوى وأوثق من أخوة النسب، فإن اجتمعت أخوة الدين وأخوة النسب كانت أقوى وأوثق من إحداهما منفردة، قال الحافظ في الفتح: ويشترك في ذلك الحر والعبد، والبالغ والمميز.

وقوله: «لا يظلمه» هذا خبر بمعنى الأمر: أي أن النبي ﷺ يأمر المسلم بكف ظلمه عن أخيه المسلم، فإن ظلم المسلم حرام، وإن كان الظلم كله محرمًا على عمومه كما في قوله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». رواه مسلم. إلا أن ظلم المسلم لأخيه المسلم أعظم حرمة.

وأما قوله: «ولا يسلمه» فمعناه: لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، ودرجته أرفع. قال ابن حجر رحمه الله: وقد يكون ذلك واجبًا، وقد يكون مندوبًا بحسب اختلاف الأحوال، وزاد الطبراني من طريق أخرى عن سالم أي ابن عبد الله بن عمر عن أبيه: «ولا يسلمه من مصيبة نزلت به». ولمسلم في حديث أبي هريرة رضي

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الله عنه: «ولا يخذله، ولا يحقره»، وفيه: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». قال النووي: «قال العلماء: الخذل ترك الإعانة والنصر، ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن عنده عذر شرعي، وأما معنى: لا يحقره: أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله، قال القاضي: ورواه بعضهم: «ولا يخفره» بالفاء أي: لا يغدر بعهده، ولا ينقض أمانه، قال: والصواب هو الأول وهو الموجود في غير كتاب مسلم بغير خلاف».

وروي: «ولا يحتقره» وهذا يرد الرواية الثانية.

قوله: «ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته». قال الحافظ: في حديث أبي هريرة عند مسلم: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». أي أن المسلم لا يزال معانًا من الله تعالى على أمر دينه ودنياه إذا أعان أخاه المسلم في أمر من أمور الدين أو الدنيا، فقضى له حاجته أو عاونه في تيسير أمر عسر عليه.

قوله: «ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة». معنى: «فرَّجَ»: أزال، وهو معنى «نَفَّسَ» في رواية مسلم، والكربة: الغمة، والكرب هو الغم الذي يأخذ النفس، وكرُبات: جمع كربة. قال ابن حجر: «كرُبات» بضم الراء، ويجوز فتح الراء وسكونها.

فالمسلم إذا وقع في كربة أو شدة فإنه يحتاج إلى مزيد العون من أخيه المسلم حتى تزول شدته، وتذهب كربته، ويخفف الله عنه بمعاونة أخيه، وحينئذ يأجر الله تعالى المسلم الذي يعاون أخاه ويثيبه في الدنيا والآخرة.

وقوله: «ومن ستر مسلمًا» أي: رآه على قبيح فلم يظهره للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، قال ابن حجر رحمه الله: ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينته عن قبيح فعله ثم جاهر به، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء، فلو توجه إلى الحاكم وأقر لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب الإنكار عليه وإلا رفعه إلى الحاكم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل النصيحة الواجبة، وفيه إشارة إلى ترك الغيبة؛ لأن من أظهر مساوئ أخيه لم يستره.

قوله: «ستره الله يوم القيامة»: في حديث أبي هريرة عند الترمذي «ستره الله في الدنيا والآخرة».

وإن المسلم إذا ستر على أخيه المسلم ولم يفضحه، ولم يكشف عيوبه أمام الناس فإن الله عز وجل يعامله بجزاء من جنس عمله فيستر عليه في الدنيا بأن لا يفضحه ولا يكشف له سترًا، وفي الآخرة يستر عليه ذنوبه وخطاياه، بل يغفرها له كما سترها عليه في الدنيا.

ولقد ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة بسياق أطول من هذا قوله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».

وأنت ترى أخي المسلم في هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث التي تحث المسلمين على التآلف والتعاون على البر والتقوى، كما تحثهم على حسن الخلق والتعاشر بالمعروف، فنهى ﷺ عن التحاسد أي لا يحسد بعضهم بعضًا، فإن التحاسد من سوء الخلق، وإرادة الشر بالمسلم، فإنه تمني زوال نعمة غيره من المسلمين، ونهى أيضًا عن التناجش وهو في البيع عبارة عن زيادة شخص في ثمن السلعة ولا يرغب في شرائها إنما ليغر غيره في شرائها، ولا شك أن هذا فيه إضرار بالمسلم، ونقل النووي عن القاضي عياض قوله: يحتمل أن المراد بالتناجش هنا ذم بعضهم بعضًا. كما

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

نهى ﷺ عن التباغض وهو تبادل البغض فيما بينهم، وهو ضد المأمور به من التحاب الذي يجب أن يكون بين المسلم وأخيه المسلم، فالمسلم يجب أن يحب المسلم لا يحبه إلا لله، فإذا أبغضه فإنه لا يبغضه إلا لله أيضًا، وذلك إذا كان فيه ما يخالف شرع الله تعالى من معصية أو بعد عن دين الله، ومع ذلك فإنه لا يبغضه وإنما يبغض فيه هذه الخصال الذميمة، وكذلك نهى النبي ﷺ عن التدابر، وهو التقاطع، أي أن المسلم يلقى أخاه المسلم فيتفقد أحواله ويتعرف أخباره، يسره ما يسره، ويسيئه ما يسيئه، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه، ويتالم لألمه، فإن ولى بعضهم ظهره لبعض فقد وقع التدابر والتقاطع، وحينئذ لا يجد المسلم على الخير أعوانًا من إخوانه، ولا عن الشر زاجرًا ولا ناصحًا، فيتيه في الضلال، ويزداد في الخسران، ثم أمر ﷺ المسلمين أن يكونوا فيما بينهم إخوانًا وعلى الخير أعوانًا، يشعر بعضهم بشعور بعض، تجمعهم الجُمَعُ والجماعات فيتفقد بعضهم بعضًا ويسأل بعضهم عن أنباء بعض، يسد فاقته إن احتاج، ويرد غيبته إن اغتيب في حضرته، ولا يرضى له إلا ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره أن يعامل به.

ثم يبين النبي ﷺ البيان الشامل التام الكامل الشافي الكافي في قوله صلوات الله وسلامه عليه: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» أي: أن الله تعالى حرم على المسلم أن يقتل أخاه المسلم بغير حق (من قصاص أو رجم أو قتل ردة)، فلا يحل دمه بحال من الأحوال ما دام بغير حق، وكذلك حرم ماله، فلا يحل ماله إلا بطيب نفس منه، فمال المسلم محرم سرقته أو نهبه أو غصبه أو اختلاسه، أو غَلُّه، أو الاعتداء عليه بأي نوع من الغش أو الاقتطاع بيمين فاجرة أو غير ذلك من أنواع الاستيلاء على المال بغير وجه حق، كما حرم الله تعالى عرض المسلم فلا يجوز انتهاك عرضه بأي نوع من الانتهاك، سواء أكان زنى أم كان من مقدمات الزنى، كالنظرة وما يليها من أعمال محرمة.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في نهاية شرحه لحديث ابن عمر في البخاري: وفي الحديث حض على التعاون وحسن التعاشر والألفة، وفيه أن المجازاة تقع من جنس الطاعات، وفيه أيضًا أن من حلف أن فلانًا أخوه، وأراد أخوة الإسلام لم يحنث.

ولقد جاء في حديث أبي هريرة عند مسلم والذي ذكرناه عقب حديث ابن عمر عند البخاري: «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نَسَبُه».

وفي هذا حث على طلب العلم والرحلة في طلبه وبيان أن طالب العلم ابتغاء وجه الله قد وضع قدمه في طريقه إلى الجنة، إذ إن العلم يقود صاحبه إلى الجنة لأنه به يعرف الله عز وجل في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، فيعبده عبادة من يعرف معبوده ومالوهه، كما أنه بالعلم يعرف ما أوجب الله عليه من فرائض وما حرم عليه من المعاصي والآثام، ويعلم حدود الله تعالى فلا يتعداها.

كما أن في الحديث بيان فضل تلاوة القرآن الكريم وتدارسه والاجتماع عليه تعلمًا وتعليمًا وتدبرًا وفهمًا، ومن ثم العمل به والتحاكم إليه، فهو دستور المسلمين وهدايتهم إلى أقوم طريق من قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للحياة بالإسلام والعيش في ظل شريعة الله عزَّ وجلَّ، والاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

البيعة على الإسلام

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال - وحوله عصابة من الصحابة - بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه».

فبايعناه على ذلك.

إعداد/ زكريا حسيني



الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد..

هذا الحديث متفق عليه؛ أخرجه الإمام البخاري في اثني عشر موضعا من صحيحه؛ أولها في كتاب الإيمان «باب علامة الإيمان حب الأنصار» برقم (١٨)، وفي موضعين من كتاب مناقب الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة» برقمي (٣٨٩٢، ٣٨٩٣)، وفي موضع من كتاب المغازي «باب شهود الملائكة بدرًا» برقم (٣٩٩٩)، في كتاب التفسير، موضع برقم (٤٨٩٤)، «باب إذا جاءك المؤمنات يبايعنك...»، وفي موضعين من كتاب الحدود «باب الحدود كفارة» برقم (٥٧٨٤)، و«باب توبة السارق» برقم (٦٨٠١)، وفي موضع كتاب الديات، «باب قول الله تعالى: «ومن أحياها» برقم (٦٨٧٣)، وفي موضع من كتاب الفتن؛ «باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أمورا تنكرونها» برقم (٧٠٥٥)، وفي موضعين من كتاب الأحكام في باب «كيف يبايع الإمام الناس» برقم (٧١٩٩)، وفي باب «بيعة النساء» برقم (٧٢١٣)، والموضع الأخير في كتاب التوحيد باب «المشيئة والإرادة» برقم (٧٤٦٨).

كما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود باب «الحدود كفارة لأهلها» برقم (١٧٠٩)، وأخرجه الترمذي في كتاب الحدود باب «ما جاء أن الحدود كفارة لأهلها» برقم (١٤٣٩)، وأخرجه النسائي في كتاب البيعة «باب البيعة على الجهاد» برقم (٤٠٦٦)، وأخرجه الدارمي في سننه (٢/٢٢٠) كما في شرح السنة للإمام البغوي. وكذا أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار في كتاب العقول باب «العفو في قتل العمد».

راوي الحديث

هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف، الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، سكن بيت المقدس.

قال ابن إسحاق: عبادة بن الصامت شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. قال الذهبي في السير: قال محمد بن كعب القرظي: جمع القرآن في زمن النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذٌ، وعبادةُ، وأبيٌّ، وأبو أيوبَ، وأبو الدرداء.

شرح الحديث

قول عُبادة: (إن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه): العِصَابَةُ والعُصْبَةُ: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين، قال الأخفش: والعصبة والعصابة جماعة ليس لها واحد. [لسان العرب مادة عصب]

قول رسول الله ﷺ: «بايعوني»: وفي رواية «تبايعوني» قال الحافظ في الفتح: زاد في باب «وفود الأنصار»: (تعالوا بايعوني): المبايعة عبارة عن المعاهدة، سميت بذلك تشبيها بالمعاوضة المالية، كما

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

قوله: «أن لا تشركوا بالله شيئا»: هكذا يبدأ النبي ﷺ المبايعة بإخلاص التوحيد لله عز وجل نفي الإشراك به، وقد قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾ [النساء:٣٦].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: .. فالآية أصل في خلوص الأعمال لله تعالى وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

ثم قال القرطبي: إذا ثبت هذا فاعلم أن علماءنا رضي الله عنهم قالوا: الشرك على ثلاث مراتب، وكله محرم، وأصله اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وهو الشرك الأعظم وهو شرك الجاهلية، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]. وهو الذي بعث الرسل من أجل نفيه والأمر بتوحيد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾ [النحل:٣٦] ثم قال: ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله في الفعل، وهو قول من قال: إن موجودًا مّا غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلهًا كالقدرية مجوس هذه الأمة، وقد تبرأ منهم ابن عمر رضي الله عنهما كما في حديث جبريل عليه السلام. ويلي هذه الرتبة الإشراك في العبادة وهو الرياء، وهو أن يفعل شيئًا من العبادات التي أمر الله بفعلها له لغيره» اهـ بتصرف من تفسير القرطبي.

قوله ﷺ: «ولا تسرقوا»: السرقة أخذ ما ليس له أخذه في خفاء، وصار ذلك في الشرع لتناول الشيء من مكان مخصوص وقدر مخصوص، كما قال الراغب في المفردات. قال النووي في شرح مسلم في باب حد السرقة ونصابها: قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وصان الله تعالى الأموال بإيجاب القطع على السارق ولم يجعل ذلك في غير السرقة كالاختلاس والانتهاب والغصب[٢١] لأن ذلك قليل بالنسبة إلى السرقة، ولأنه يمكن استرجاع هذا النوع بالاستدعاء إلى ولاة الأمور وتسهل إقامة البينة عليه، بخلاف السرقة فإنه تندُر إقامة البينة عليها فعظم أمرها واشتدت عقوبتها ليكون أبلغ في الزجر عنها، وقد أجمع المسلمون قاطبة على قطع السارق في الجملة اهـ.

ولقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده».

قوله: «ولا تزنوا»: قال الراغب: الزنا وطء المرأة من غير عقد شرعي، وهو محرم بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «وأجمع العلماء على وجوب جلد الزاني البكر مائة، ورجم المحصن وهو الثيب ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكى القاضي عياض وغيره عن الخوارج وبعض المعتزلة فإنهم لم يقولوا بالرجم. اهـ.

وعلى هذا فمن ينكر الرجم ولا يقول به إنما هو متشبه بالخوارج وبعض المعتزلة، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم مقرون بالرجم بفعل الرسول ﷺ، وقد قال بعض منكري الرجم: إنه لا يوجد في كتاب الله تعالى، وإنما الموجود الجلد فقط، ولهؤلاء وأمثالهم نسوق حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ «إن الله قد بعث محمدًا بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصنَ من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف[٢١]». [أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه ومالك في الموطأ وأحمد في مسنده والدارمي في سننه].

قوله: «ولا تقتلوا أولادكم»: وفي الرواية الأخرى «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق»؛ قتل النفس حرمه الله تعالى على كل حال إلا أن يكون بحق وهو ما بينه النبي ﷺ بقوله: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة» [أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد].

قال الحافظ في الفتح: قال محمد بن إسماعيل التيمي وغيره: خص القتل بالأولاد لأنه قتل وقطيعة رحم فالعناية بالنهي عنه أكد، ولأنه كان شائعا فيهم. وهو وأد البنات وقتل البنين خشية الإملاق، أو خصهم بالذكر لأنهم بصدد ألا يدفعوا عن أنفسهم.

قوله: «ولا تأتوا ببهتان» قال الإمام الخطابي في كتاب «أعلام الحديث، شرح صحيح البخاري»: البهتان مصدر، يقال: بهت الرجلُ صاحبَه بَهْتًا وبُهْتَانًا، وهو أن يكذب عليه الكذب الذي يبهت من

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

شدة نكره، ومعناه هنا: قذف المحصنات والمحصنين، وهو من جملة الكبائر التي قرنه بذكرها. وقد يدخل في ذلك الكذب على الناس، والاغتياب لهم ورميهم بالعظائم وكل ما يلحق بهم العار والفضيحة، قال: وإنما ذكر الأيدي والأرجل وليس لها صنع فيما وقع عنه النهي من البهت، وذلك يُؤَوَّلُ على وجهين أحدهما: أن معظم أفعال الناس إنما تضاف منهم إلى الأيدي والأرجل إذ كانت هي العوامل والحوامل، فإذا كانت المباشرة لها باليد والسعي لها بالرجل أضيفت الجنايات إلى هذين العضوين، وإن كان يشاركهما سائر الأعضاء فيها. الوجه الثاني: لا تبهتوا الناس بالعيوب كفاحًا وانتم حضور يشاهد بعضكم بعضا، قال: وأما قول الله تعالى في امتحان النساء المهاجرات ﴿وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة:١٢]، فإنه يحتمل إضافةً إلى الوجهين السابقين وجها ثالثا لا مساغ له في نعوت الرجال وذلك حملهن ولدًا على أزواجهن ليس منهم ونسبتنه إليهم فيقلن: هذا منكم» اهـ بتصرف.

قوله ﷺ: «ولا تعصوا في معروف»: قال الحافظ في الفتح: للإسماعيلي في باب وفود الأنصار «ولا تعصوني» وهو مطابق للآية (آية الممتحنة) والمعروف: ما عرف من الشارع حسنه نهيًا وأمرًا. وأما على الرواية الأولى: «ولا تعصوا» فقد قال النووي: يحتمل أن يكون المعني ولا تعصوني ولا أحد أولي الأمر عليكم في المعروف، فيكون التقييد بالمعروف متعلقا بشيء بعده، وقال غيره (كما قال الحافظ في الفتح): نبه بذلك على أن طاعة المخلوق إنما تجب فيما كان غير معصية، فهي جديرة بالتوقي في معصية الله.

قوله ﷺ: «فمن وفى منكم»: (وفى بالتخفيف، وفي رواية بالتشديد والمعنى واحد) - أي ثبت على العهد واجتنب هذه المنهيات من شرك بالله وسرقة وزنى والإتيان بالبهتان المفترى واجتناب المعاصي عموما، وطاعة الله ورسوله طاعة أولي الأمر في غير معصية الله تبارك وتعالى.

قوله ﷺ: «فأجره على الله» قال الحافظ في الفتح: أطلق هذا على سبيل التفخيم، أي (تعظيم الأجر عند الله تعالى). لأنه لما ذكر المبايعة المقتضية لوجود العوضين أثبت ذكر الأجر في مقابل أحدهما، وأفصح في رواية الصنابحي بتعيين العوض فقال: «الجنة» وعبر هنا بلفظ «على» للمبالغة في تحقق وقوعه كالواجبات، ويتعين حمله على غير ظاهره للأدلة القائمة على أنه لا يجب على الله شيء.

فإن قيل: لِمَ اقتصر على المنهيات ولم يذكر المأمورات؟ فالجواب: أنه لم يهملها، بل ذكرها على سبيل الإجمال في قوله «ولا تعصوا» إذ العصيان مخالفة الأمر، والحكمة في التنصيص على كثير من المنهيات دون المأمورات أن الكفَّ أيسر من الفعل، ولأن اجتناب المفاسد مقدم على اجتلاب المصالح، والتخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل.

قوله ﷺ: «ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب» قال في الفتح: زاد أحمد في روايته «به». وقوله «فهو» أي العقاب (كفارة) زاد في رواية أحمد «له»، وكذا هو للمصنف من وجه آخر في باب «المشيئة من كتاب التوحيد» وزاد «وطَهور».

قال النووي: عموم هذا الحديث مخصوص بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، فالمرتد إذا قُتِلَ على ارتداده لا يكون القتل له كفارة، قلت (القائل ابن حجر): وهذا بناءً على أن قوله: «من ذلك شيئًا» يتناول جميع ما ذكر وهو ظاهر.

قال القاضي عياض: قال أكثر العلماء: الحدود كفارة استدلالا بهذا الحديث، قال: ومنهم من وقف لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا».

قال الحافظ في الفتح بعد أن ساق كلاما طويلا للقاضي عياض اختصره الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، قال في الفتح: والحق عندي أن حديث أبي هريرة صحيح وهو متقدم على حديث عبادة، والمبايعة المذكورة في حديث عبادة على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة، وإنما كان ليلة العقبة أن النبي ﷺ قال لمن حضر من الأنصار «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» فبايعوه على ذلك. إلى أن قال: والذي يقوي أنها وقعت بعد فتح مكة بعد أن نزلت الآية التي في الممتحنة وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة:١٢]، ونزول هذه الآية متأخر بعد قصة الحديبية بلا خلاف، والدليل على ذلك ما عند البخاري في كتاب الحدود من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري في حديث عبادة هذا أن النبي ﷺ لما بايعهم قرأ الآية كلها.

ثم أطال ابن حجر رحمه الله تعالى في نقل الروايات من البخاري في تفسير الممتحنة، ومن مسلم، وعند النسائي، والطبراني وغيرهم وكلها بالفاظها المختلفة تؤيد أن هذه البيعة التي في حديث عبادة هذا كانت بعد نزول الآية، بل بعد صدور البيعة، بل بعد فتح مكة وذلك بعد إسلام أبي هريرة بمدة، وأيد ذلك بحديث لعبد الله بن عمرو بن العاص وهو ليس من الأنصار وإسلامه قرب إسلام أبي هريرة، وبحديث لجرير، وكان إسلام جرير

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

متأخرًا عن إسلام أبي هريرة على الصواب. قال الحافظ: «وإنما حصل الالتباس من جهة أن عبادة بن الصامت حضر البيعتين معا، وكانت بيعة العقبة من أجلّ ما يتمدح به، فكان يذكرها إذا حدث تنويها بسابقيته، فلما ذكر هذه البيعة التي صدرت على مثل بيعة النساء عقب ذلك توهم من لم يقف على حقيقة الحال أن البيعة الأولى وقعت على ذلك.

ثم قال الحافظ في الفتح: وعليك برد ما أتى من الروايات موهما بأن هذه البيعة كانت ليلة العقبة إلى هذا التأويل الذي نهجت إليه فيرتفع بذلك الإشكال، ولا يبقى بين حديثي أبي هريرة وعبادة تعارض، ولا وجه بعد ذلك للتوقف في كون الحدود كفارة، قال: واعلم أن عبادة بن الصامت لم ينفرد برواية هذا المعنى، بل روي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في الترمذي وصححه الحاكم، وهو عند الطبراني بإسناد حسن من حديث أبي تميمة الهجيمي، ولأحمد من حديث خزيمة بن ثابت بإسناد حسن وللطبراني عن ابن عمرو مرفوعا.

قوله ﷺ: «فعوقب به» قال في الفتح: قال ابن التين: يريد به القطع في السرقة والجلد أو الرجم في الزنا، قال: وأما قتل الولد فليس له عقوبة معلومة، قلت: (القائل ابن حجر) ولكن قوله في حديث الباب: «فعوقب به» أعم من أن تكون العقوبة حدًا أو تعزيرًا، قال ابن التين: وحُكي عن القاضي إسماعيل وغيره أن قتل القاتل إنما هو رادع لغيره، وأما في الآخرة فالطلب للمقتول قائم لأنه لم يصل إليه حق، قلت: (القائل ابن حجر) بل وصل إليه حق وأي حق، فإن المقتول ظلما تكفر ذنوبه بالقتل، كما ورد في الخبر الذي صححه ابن حبان وغيره «إن السيف محّاء للخطايا» وكذلك روي هذا المعنى عن ابن مسعود والحسن بن علي وعائشة رضي الله عنهم، ولو كان حد القتل إنما شرع للردع فقط لم يشرع العفو عن القاتل، وهل تدخل في العقوبة المذكورة المصائب الدنيوية من الآلام والأسقام وغيرها؟ فيه نظر، ويدل للمنع قوله «ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله» فإن هذه المصائب لا تنافي الستر، ولكن بينت الأحاديث الكثيرة أن المصائب تكفر الذنوب، فيحتمل أن المراد أنها تكفر ما لا حد فيه، والله أعلم.

قوله: «ثم ستره الله» زاد في رواية كريمة «عليه» أي لم يطلع أحد من الخلق على الذنب الذي فعله مما يستوجب الحد، ولم يقر هو بما حدث منه، فذلك هو الستر المقصود.

قوله ﷺ: «فهو إلى الله» قال النووي رحمه الله: فيه الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل هو بمشيئة الله تعالى؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، خلافا للخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج يكفرون بالمعاصي، والمعتزلة يقولون لا يكفر ولكن يخلد في النار اهـ، وذكر ابن حجر عن الطيبي قوله: فيه إشارة إلى الكف عن الشهادة بالنار على أحد أو بالجنة لأحد إلا من ورد النص فيه بعينه.

ثم قال الحافظ واختلف فيمن أتى ما يوجب الحد، فقيل: يجوز أن يتوب سرًا ويكفيه ذلك.

وقيل: بل الأفضل أن يأتي الإمام ويعترف به ويسأله أن يقيم عليه الحد كما وقع لماعز والغامدية.

وفصل بعض العلماء بين أن يكون معلنا بالفجور فيستحب أن يعلن بتوبته وإلا فلا.

قول عبادة رضي الله عنه: «فبايعناه على ذلك» فيه بيان سرعة استجابة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ، حيث طلب الرسول ﷺ منهم بقوله: «بايعوني... إلخ» قال: «فبايعناه على ذلك»، ولم يتلكأ أحد منهم ولا قال: دعني أفكر، بل بادروا رضوان الله عليهم، وهكذا يجب أن يكون شأن كل من آمن بالله ورسوله ورضي بالإسلام دينا أن يستجيب لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ موقنا أن الخير كل الخير في اتباع منهج الإسلام بتوحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به، وفي اجتناب المنهيات التي ورد النهي عنها في كتاب ربه عز وجل وسنة نبيه ﷺ وفعل المأمورات التي وردت في الكتاب والسنة قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٠ - ١٣٣].

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتقين المسارعين في الخيرات، المجتنبين للمنهيات، المؤدين للواجبات، وأن يحشرنا مع المتقين، في زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(١) الاختلاس: هو الأخذ مخاتلةً وخداعًا. والنهب: الأخذ في غير خُفية لمن شاء. والغصب: أخذ الشيء ظلمًا. وكلها تختلف عن السرقة. لسان العرب بتصرف.

(٢) المقصود بالمحصن: كل من سبق له الزواج سواء كانت معه زوجته، أو طلقها أو ماتت عنه.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

«ترك المشتبهات»

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في المشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

إعداد
زكريا حسيني



هذا الحديث أخرجه البخاري في موضعين من صحيحه الأول في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه برقم (٥٢)، وفي كتاب البيوع باب «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات» برقم (٢٠٥١).

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب «أخذ الحلال وترك المشبهات» برقم (٤٠٩٤)، وكذا أخرجه أبو داود في كتاب البيوع باب في اجتناب الشبهات برقم (٣٣٢٩)، والترمذي في البيوع برقم (١٢٠٥)، والنسائي في الأشربة برقم (٥٧١٣)، وابن ماجه في الفتن برقم (٣٩٨٤) وأحمد (٤/٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥) وابن حبان (٥٥٦٩) والحميدي في مسنده (٩١٨).

راوي الحديث:

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، الأمير العالم، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أبو عبد الله، ويقال أبو محمد الأنصاري الخزرجي، ابن أخت عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم.

قال الذهبي رحمه الله: مسنده مائة وأربعة عشر حديثا، اتفق البخاري ومسلم له على خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة. شهد أبوه بدرًا، وولد النعمان سنة اثنتين، وسمع من النبي ﷺ، وعُدَّ من الصحابة الصبيان باتفاق. حدث عنه ابنه محمد، والشعبي، وحميد بن عبد الرحمن الزهري وسماك بن حرب، وسالم بن أبي الجعد، وأبو قلابة، وعدة. وكان من أمراء معاوية، فولاه الكوفة، ثم ولي قضاء دمشق، ثم ولي إمرة حمص.

قال البخاري: ولد عام الهجرة.

شرح الحديث:

قول النبي ﷺ: «الحلال بين والحرام بين»: وفي بعض الروايات: «إنَّ الحلال بين وإن الحرام بين» بزيادة «إنَّ» في صدر الجملتين، وهي تفيد التأكيد، والحلال المحض بَيِّنٌ واضحٌ لجميع الناس وذلك مثل أكل الطيبات من الزروع والثمار وبهيمة الأنعام، وشرب الأشربة الطيبة، ولباس ما يحتاج إليه من شعر وصوف وكتان وقطن وغير ذلك، وكالنكاح والتسري إذا كان اكتسابه بعقد صحيح كالبيع، أو بهبة أو ميراث أو غنيمة.

كذلك الحرام المحض بيِّنٌ للناس جميعًا، وهذا مثل أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وشرب الخمر، ونكاح المحارم، ولباس الحرير أو التختم بالذهب للرجال، ومثل الاكتساب المحرم كالربا والميسر، وثمن مالا يحل بيعه، وأخذ الأموال المسروقة أو المغصوبة أو المنهوبة ونحو ذلك.

قوله ﷺ: «وبينهما مشبَّهاتٌ» وهي رواية مسلم، أي شبهت بغيرها مما لم يتبين حكم على التعيين، وفي رواية الأصولي (كما قال الحافظ في الفتح):

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

«مُشْتَبِهَاتٌ» وهي رواية ابن ماجه، أي أنها اكتسبت الشبه من وجهين متعارضين، قال في الفتح: ورواه الدارمي عن أبي نعيم شيخ البخاري فيه بلفظ «وبينهما متشابهات».

قوله ﷺ: «لا يعلمها كثير من الناس»: أي لا يعلم حكمها، قال الحافظ: وجاء واضحا في رواية الترمذي بلفظ «لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام»، ومفهوم قوله «كثير» أي معرفة حكمها ممكن لكن للقليل من الناس وهم المجتهدون، قال ابن رجب رحمه الله: وأما الراسخون في العلم فلا يشتبه عليهم ذلك ويعلمون من أي القسمين هي، قال: وأما المشتبه فمثل بعض ما اختلف في حله وتحريمه، إما من الأعيان كالخيل والنعال والحمير والضب، وشرب ما اختلف في تحريمه من الأنبذة التي يسكر كثيرها، وليس ما اختلف في إباحة لبسه من جلود السباع ونحوها، وإما من المكاسب المختلف فيها كمسائل العينة والتورق ونحو ذلك، قال: وبنحو هذا المعنى فسر المشتبهات أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة.

ثم قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: وحاصل الأمر أن الله تعالى أنزل على نبيه الكتاب وبين فيه للأمة ما يحتاج إليه من حلال وحرام كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، قال مجاهد وغيره: كل شيء أمروا به ونهوا عنه، وقال تعالى في آخر سورة النساء التي بين الله فيها كثيرا من أحكام الأموال والأبضاع: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء:١٧٦]، ثم قال رحمه الله: وما قبض رسول الله ﷺ حتى أكمل له ولأمته الدين، ولهذا أنزل عليه بعرفة قبل موته بمدة يسيرة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وقال ﷺ: «تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» [أخرجه ابن ماجه وأحمد والحاكم وصححه الألباني].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: «توفي رسول الله ﷺ وما طائر يحرك جناحيه في السماء إلا وقد ذكر لنا منه علما». [أخرجه أحمد وابن حبان وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح]

ثم قال رحمه الله تعالى: وفي الجملة فما ترك الله ورسوله حلالا إلا مبينا ولا حراما إلا مبينا، لكن بعضه كان أظهر بيانا من بعض، فما ظهر بيانه واشتهر وعلم من الدين بالضرورة من ذلك لم يبق فيه شك ولا يعذر أحد بجهله في بلد يظهر فيه الإسلام، وما كان بيانه دون ذلك فمنه ما يشتهر بين حملة الشريعة خاصة فأجمع العلماء على حله أو حرمته، وقد يخفى على بعض من ليس منهم، ومنه ما لم يشتهر بين حملة الشريعة أيضا فاختلفوا في تحليله وتحريمه وذلك لأسباب: منها أن يكون النص عليه خفيا لم ينقله إلا قليل من الناس فلم يبلغ جميع حملة العلم، ومنها أنه قد يُنْقَل فيه نصان أحدهما بالتحليل والآخر بالتحريم، فيبلغ طائفة منهم أحد النصين دون الآخر فيتمسكون بما بلغهم، أو يبلغ النصان معا من يبلغه التاريخ فيقف لعدم معرفته بالناسخ والمنسوخ، ومنها ما ليس فيه نص صريح، وإنما يؤخذ من عموم أو مفهوم أو قياس، فتختلف أفهام العلماء في هذا كثيرا، ومنها ما يكون فيه أمرًا أو نهي فتختلف العلماء في حمل الأمر على الوجوب أو الندب، وفي حمل النهي على التحريم أو التنزيه، وأسباب الاختلاف أكثر مما ذكرنا، ومع هذا فلابد في الأمة من عالم يوافق قوله الحق، فيكون هو العالم بهذا الحكم، وغيره يكون الأمر مشتبها عليه ولا يكون عالما بهذا، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يظهر أهل باطلها على أهل حقها، فلا يكون الحق مهجورًا غير معمول به في جميع الأعصار والأمصار. اهـ.

قوله ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» أي حذر منها، قال ابن رجب: قسم الناس في الأمور المشتبهة إلى قسمين: أحدهما من يتقي هذه الشبهات لاشتباهها عليه، فهذا قد استبرأ لدينه وعرضه، ومعنى «استبرأ» طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص والشين، فمن اتقى الأمور المشتبهة واجتنبها فقد حصّن عرضه من القدح والشين الداخلي على من لا يجتنبها، وفي هذا دليل على أن من ارتكب الشبهات فقد عرّض نفسه للقدح فيه والطعن، كما قال بعض السلف: من عرّض نفسه للتهم فلا يلومَنّ من أساء الظن به، وفي رواية للترمذي في هذا الحديث: «فمن تركها استبراء لدينه وعرضه فقد سلم». والمعنى: أن من تركها بهذا القصد لا لغرض آخر فاسد من رياء ونحوه، وفيه دليل على أن طلب البراءة للعرض ممدوح كطلب البراءة للدين، ولهذا ورد: كل ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة.

والقسم الثاني الذي يأتي الشبهات مع اشتباهها عليه، وهذا قد أخبر عنه النبي ﷺ أنه وقع في الحرام، فهذا يفسر بمعنيين: أحدهما أن يكون ارتكابه للشبهة مع

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

اعتقاده أنها شبهة ذريعة تؤدي إلى ارتكابه الحرام الذي يعتقد أنه حرام بالتدريج والتسامح، وفي رواية في الصحيحين لهذا الحديث: «ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أو شك أن يواقع ما استبان». والمعنى الثاني أن من أقدم على ما هو مشتبه عنده لا يدري أحلال هو أم حرام فإنه لا يأمن أن يكون حرامًا في نفس الأمر، فيصادف الحرام وهو لا يدري أنه حرام.

وقوله ﷺ: «كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه»: هذا مثل ضربه النبي ﷺ لمن وقع في الشبهات وأنه يقرب من وقوعه في الحرام المحض، وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ قال: «ساضرب لكم مثلا»، ثم ذكر هذا الكلام، فجعل النبي ﷺ مثل المحرمات كالحمى الذي يحميه الملوك، ويمنعون غيرهم من قربانه، وقد جعل النبي ﷺ حول مدينته اثني عشر ميلا حمًى محرمًا لا يقطع شجره ولا يصاد صيده، وحمى عمر وعثمان رضي الله عنهما أماكن ينبت فيها الكلأ لأجل إبل الصدقة، والله سبحانه وتعالى حمى هذه المحرمات ومنع عباده من قربانها، وسماها حدوده فقال: «تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون»، وقد جعل النبي ﷺ من يرعى حول الحمى أو قريبا منه جديرًا بأن يدخل الحمى فيرتع فيه، فلذلك من تعدى الحلال ووقع في الشبهات فإنه قد قارب الحرام غاية المقاربة فيخشى عليه من مقارفة الحرام والوقوع فيه.

قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» قال الحافظ في الفتح: المضغة قدر ما يمضغ، وعبر هنا عن مقدار القلب في الرؤية، وسمي القلب قلبا لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن، وخالص كل شيء قلبه، وقوله: «إذا صلحت» و«إذا فسدت» هو بفتح عينهما وتضم في المضارع، وحكى الفراء الضم في ماضي «صلُح» وهو يضم وفاقًا إذا صار له الصلاح هيئة لازمة، لشرف ونحوه، وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثرًا فيه.

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته، ورجاؤه والتوكل عليه، ويمتلئ من ذلك، وهذا هو حقيقة التوحيد، وهو معنى قول: لا إله إلا الله، فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تالهه وتعرفه وتحبه وتخشاه إلها واحدًا لا شريك له، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]، فجعل الله علامة الصدق في محبته اتباع رسوله ﷺ، فدل على أن المحبة لا تتم بدون الطاعة والموافقة.

ثم قال: «ومعنى هذا أن كل حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله فقد كمل إيمان العبد بذلك باطنا وظاهرًا، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح، فإذا كان القلب صالحا ليس فيه إلا إرادة الله وإرادة ما يريده لم تنبعث إلا فيما يريده الله، فسارعت إلى ما فيه رضاه، وكفت عما يكرهه وعما يُخْشَ أن يكون مما يكرهه وإن لم يتيقن ذلك.

(تنبيهات):

الأول: قال ابن حجر في الفتح: ادعى أبو عمرو الداني أن هذا الحديث لم يروه عن النبي ﷺ إلا النعمان بن بشير، فإن أراد من وجه صحيح فمُسَلَّم، وإلا فقد رويناه من حديث ابن عمر، وعمار في الأوسط للطبراني، ومن حديث ابن عباس في الكبير له، ومن حديث واثلة بن الأسقع في الترغيب للأصبهاني، وفي أسانيدها فقال، وادعى أيضا أنه لم يروه عن النعمان إلا الشعبي، وليس كما قال، فقد رواه عن النعمان أيضا خيثمة بن عبد الرحمن عند أحمد وغيره وعبد الملك بن عمير عند أبي عوانة وغيره، وسماك بن حرب عند الطبراني، لكنه مشهور عن الشعبي.

الثاني: قال الحافظ في الفتح: وقد عظم العلماء أمر هذا الحديث فعدوه رابع أربعة تدور عليها الأحكام كما نقل عن أبو داود ومنه البيتان المشهوران هما:

عمدة الدين عندنا كلمات
مسندات من قول خير البرية
اترك المشبهات، وازهد ودع ما
ليس يعنيك، واعملنْ بنية

قال: والمعروف عن أبي داود عد: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه.. الحديث» بدل «ازهد فيما في أيدي الناس» وجعله بعضهم ثالث ثلاثة حذف الثاني.

وأشار ابن العربي إلى أنه يمكن أن ينتزع منه وحده جميع الأحكام، قال القرطبي: لأنه اشتمل على التفصيل بين الحلال وعنده، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب، فمن هنا يمكن أن ترد جميع الأحكام إليه، والله المستعان. اهـ.

والحمد لله رب العالمين

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أحكام في البيوع والخطبة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

وبعد:

فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها».

إعداد
زكريا حسيني



هذا الحديث أخرجه البخاري في أحد عشر موضعًا من صحيحه بالأرقام (٢١٤٠- ٢١٤٨- ٢١٥٠- ٢١٥١- ٢١٦٠- ٢١٦٢- ٢٧٢٣- ٢٧٢٧- ٥١٤٤- ٢٥١٢- ٦٦٠١)، كما أخرجه مسلم في خمسة مواضع في كتاب النكاح بأرقام (٣٨- ٣٩- ٥١- ٥٢)، وفي كتاب البيوع برقم (١٢)، كما أخرجه أبو داود في كتاب النكاح وكتاب الطلاق، والترمذي في النكاح والطلاق، والنسائي في البيوع، وابن ماجه في النكاح، ومالك في الموطأ في كتاب النكاح والقدر، وأحمد في المسند.

شرح الحديث

قوله: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد»: فسره ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «لا يكون له سمسارًا»، والسمسار هو الذي يتولى البيع والشراء لغيره، ومعناه: لا يتسبب في رفع ثمن السلعة التي جلبها البادي إلى البلد فيغلي بذلك قوت المسلمين، وصوره بعضهم بأن يجيء البلد غريب بسلعته يريد بيعها بسعر الوقت في الحال، فيأتيه بلدي فيقول له: ضعه عندي لأبيعه لك على التدريج بأغلى من هذا السعر، فجعلوا الحكم منوطًا بالبادي ومن شاركه في معناه، قال: وإنما ذكر البادي في الحديث لكونه الغالب فالحق به من يشاركه في عدم معرفة السعر الحاضر وإضرار أهل البلد بالإشارة عليه بالا يبادر بالبيع.

قوله ﷺ: «ولا تناجشوا»: النَّجْشُ في الشرع: الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، قال ابن حجر: سمي بذلك لأن الناجش يثير الرغبة في السلعة ويقع ذلك بمواطأة البائع فيشتركان في الإثم، ويقع ذلك بغير علم البائع فيختص بذلك الناجش، وقد أورد البخاري تحت باب النجش قول ابن أبي أوفى: «الناجش آكل ربا خائن، وهو خداع باطل لا يحل»، وعلق قول النبي ﷺ: «الخديعة في النار، ومن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد». قال في الفتح: «أما الحديث الثاني فسياتي موصولًا من حديث عائشة في كتاب الصلح، وأما حديث الخديعة في النار»، فرويناه في «الكامل» لابن عدي من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: لولا أني سمعت

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

رسول الله ﷺ يقول: «المكر والخديعة في النار» لكنت من أمكر الناس، وإسناده لا بأس به.

قوله ﷺ: «ولا يبيع الرجل على بيع أخيه»: أي إذا تم عقد البيع إيجابًا وقبولًا بين المتبايعين فإنه لا يجوز للبائع أن يبيع هذه السلعة التي تم العقد عليها لغير المشتري، أما إذا كان البيع بالمزايدة (المزاد) فلا حرج في عرض السلعة على أكثر من واحد، وقد ورد في البيع فيمن يزيد حديث أنس أنه ﷺ باع حلسًا وقدحًا وقال: «من يشتري هذا الحلس والقدح؟» فقال رجل: أخذتهما بدرهم، فقال ﷺ: «من يزيد على درهم؟» فأعطاه رجل درهمين، فباعهما منه.

قال في الفتح: أخرجه أحمد وأصحاب السنن مطولا ومختصرًا، واللفظ للترمذي، وقال: حسن، قال الحافظ: وكان المصنف (البخاري) أشار بالترجمة إلى تضعيف ما أخرجه البزار من حديث سفيان بن وهب: «سمعت النبي ﷺ ينهى عن بيع المزايدة»، فإن في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

قوله ﷺ: «ولا يخطب على خطبة أخيه»: قال ابن عبد البر في الاستذكار: قال مالك: وتفسير قول رسول الله ﷺ فيما نرى- والله أعلم- لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه؛ أن يخطب الرجل المرأة فَتَرْكن إليه ويتفقان على صداق واحد معلوم، وقد تراضيا، فهي تشترط عليه لنفسها، فتلك التي نهى أن يخطبها الرجل على خطبة أخيه، ولم يعن بذلك إذا خطب الرجل المرأة فلم يوافقها أمره، ولم تركن إليه أن لا يخطبها أحد، فهذا باب فساد يدخل على الناس، قال أبو عمر: وبنحو ما فسر مالك هذا الحديث فسره الشافعي وأبو عبيد، وهو مذهب جماعة الفقهاء كلهم، وهو المعمول به عند السلف والخلف، قال: وذلك- والله أعلم-؛ لأن رسول الله ﷺ أباح الخطبة لأسامة بن زيد على خطبة معاوية بن أبي سفيان وأبي الجهم بن حذيفة حين خطبا فاطمة بنت قيس، فأتت رسول الله ﷺ مشاورة له، فخطبها لأسامة على خطبتهما، وحديثها خرجه مسلم وأبو داود والنسائي، وقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك». قال أبو عمر: فإذا ركنت المرأة أو وليها، ووقع الرضا لم يجز لأحد حينئذ الخِطبة على من ركن إليه ورضي واتفق عليه، ومن فعل ذلك كان عاصيًا إذا كان بالنهي عالمًا.

قوله ﷺ: «ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها». وفي رواية: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإنما لها ما قدر لها». وفي رواية لأبي نعيم: «لا يصلح لامرأة أن تشترط طلاق أختها لتكفئ إناءها». وفي رواية للبيهقي: «لا ينبغي» بدل «لا يصلح»، وفي رواية أخرى للبيهقي وفيها: «ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ إناء صاحبتها ولتنكح فإنما لها ما قدر لها». وجاء في رواية البخاري: «لتستفرغ صحفتها...».

قال الحافظ في الفتح: قوله: «لا يحل» ظاهر في تحريم ذلك، وهو محمول على ما إذا لم يكن هناك سبب يُجَوّز ذلك كريبة في المرأة لا ينبغي معها أن تستمر في عصمة الزوج ويكون ذلك على سبيل النصيحة المحضة، أو الضرر يحصل لها من الزوج أو للزوج منها، أو يكون سؤالها ذلك بعوض وللزوج رغبة في ذلك فيكون كالخلع مع الأجنبي، إلى غير ذلك من المقاصد المختلفة. ونقل الحافظ في الفتح عن النووي قوله في معنى «أختها» معنى هذا الحديث نهي المرأة

لا يبيع الحاضر- وهو المقيم بالمدينة- للبادي؛ وهو الغريب عن البلد أو السوق والذي يدخل القرية من غير أهلها، وذلك لجهله بالأسعار. لأن في ذلك إضراراً بالسوق والبائع..

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الأجنبية أن تسأل رجلًا طلاق زوجته وأن يتزوجها هي، فيصير لها من نفقته ومعروفه ومعاشرته ما كان للمطلقة، فعبر عن ذلك بقوله: «تكفئ ما في صحفتها». قال: والمراد بأختها غيرها، سواء كانت أختها من النسب أو الرضاع أو الدين، ويلحق بذلك الكافرة في الحكم وإن لم تكن أختها في الدين، إما لأن المراد الغالب أو أنها أختها في الجنس الآدمي، قال الحافظ: وحمل ابن عبد البر الأخت هنا على الضرة، فقال: فيه من الفقه أنه لا ينبغي أن تسأل المرأة زوجها أن يطلق ضرتها لتنفرد به، ثم علق الحافظ في الفتح على هذا بقوله: «وهذا يمكن في الرواية التي وقعت بلفظ: «لا تسأل المرأة طلاق أختها»، وأما الرواية التي فيها لفظ الشرط فظاهرها أنها في الأجنبية، ويؤيده قوله فيها: ولتنكح» أي: ولتتزوج الزوج المذكور من غير أن تشترط طلاق التي قبلها، وعلى هذا فالمراد بالأخت هنا الأجنبية في الدين، ويؤيده زيادة ابن حبان في آخره بلفظ: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإن المسلمة أخت المسلمة».

وقوله: «لتستفرغ صحفتها» يفسر المراد بقوله: «تكفئ» وهو بالهمزة افتعال من كفأت الإناء إذا قلبته وأفرغت ما فيه، وكذا يكفأ، وجاء أكفأت الإناء إذا أملته، وهو في رواية ابن المسيب «لتكفئ» بضم أوله من أكفأت، وهي بمعنى أملته، ويقال بمعنى أكببته أيضًا، والمراد بالصحفة كما في النهاية إناء كالقصعة المبسوطة، قال صاحب النهاية: وهذا مثل، يريد الاستئثار عليها بحظها، فيكون كمن قلب إناء غيره في إنائه.

وقوله: «ولتنكح» بكسر اللام وبإسكانها وبسكون الحاء على الأمر، ويحتمل النصب عطفًا على قوله: «لتكفئ» فيكون تعليلًا لسؤال طلاقها، ويتعين على هذا كسر اللام، ثم يحتمل أن يكون المراد: ولتنكح ذلك الرجل من غير أن تتعرض لإخراج الضرة من عصمته، بل تكل الأمر في ذلك إلى ما يقدره الله، ولهذا ختم بقوله: «فإنما لها ما قدر لها» إشارة إلى أنها وإن سألت ذلك وألحت فيه واشترطته فإنه لا يقع منه إلا ما قدره الله، فينبغي ألا تتعرض هي لهذا المحذور الذي لا يقع منه شيء بمجرد إرادتها، والمعنى: ولتنكح ما تيسر لها فإن كانت التي قبلها أجنبية فلتنكح الرجل المذكور بدون اشتراط طلاق التي قبلها، وإن كانت أختها فلتنكح غيره.

هذا، وإن المتأمل في أحوال المسلمين اليوم ليجد زيادة عدد النساء بالنسبة للرجال، فينبغي أن ينظر إلى التعدد على أنه حل لمشكلات اجتماعية، وصون لكرامة المرأة، وحفظ لحرمة الدين والعرض، فإن المرأة التي لها زوج ينبغي لها أن تحب لأختها المسلمة ما تحب لنفسها، وألا تطلب الطلاق لمجرد أن زوجها فكر في التعدد، فلو أن كل إنسان مسلم رجلًا كان أم امرأة وضع نفسه موضع أخيه المسلم أو أخته المسلمة، ونظر إلى المصالح والمفاسد المترتبة على منع التعدد؛ لانحلت كثير من عقد المسلمين ومشكلاتهم؛ لأن المسلمين سيتخذون الحليلات بدلًا من الخليلات أو العشيقات والأخدان.

نسأل الله العصمة من الزلل، وأن يغنينا بالحلال عن الحرام، وأن يحفظ على المسلمين دينهم وأعراضهم وبلادهم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

إن المتأمل في أحوال المسلمين اليوم ليجد زيادة عدد النساء بالنسبة للرجال، فينبغي أن ينظر إلى التعدد على أنه حل لمشكلات اجتماعية وصون لكرامة المرأة وحفظ لحرمة الدين والعرض.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

طاعة الرسول فيها النجاة

بقلم
زكريا الحسيني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد.

فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما مَثَلي ومثلُ الناسِ كمَثَلِ رجلٍ استوْقَد نارًا فلما أضاءتْ ما حَوْلَه جعَلَ الفراشُ وهذه الدوابُّ التي تقعُ في النارِ يَقَعْنَ فيها، فجعل الرجُل يَزَعُهُنَّ ويغْلِبْنَه فيَقْتَحِمْنَ فيها؛ فأنا آخذ بحُجَزِكم عن النارِ وأنتم تَقَحَّمُون فيها».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٦٤٨٣) في كتاب الرقاق، وأخرج جزءًا منه في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٤٢٦)، وأخرجه الإمام مسلم برقم ٥٩٥٥ ورقم (٥٩٥٦)، و(٥٩٥٧) عن أبي هريرة وأخرجه عن جابر برقم (٥٩٥٨)، والترمذي عن أبي هريرة في الأدب برقم (٢٨٧٤) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بالأرقام: (١٠٣٨)، (٣٧٠٤)، (٤٠٢٧)، (٧٣١٨)، (٧٤٧٩)، (٨١٠٢)، (١٠٩٧٦)، (١٤٩٣٠).

شرح الحديث

قوله ﷺ: «إنما مثلي ومثل الناس» أي: في دعائي الناس إلى الإسلام الذي فيه إنقاذهم من النار ومثل ما تزين لهم أنفسهم وتوسوس لهم شياطينهم من التمادي في الباطل والاستمرار على المعاصي والشهوات التي توردهم النار وتدخلهم جحيمها فيصلونها وبئس المصير.

وقوله ﷺ: «كمثل رجل» قال الحافظ في الفتح: المراد تمثيل الجملة بالجملة لا تمثيل فرد بفرد، أي تمثيل حال الرسول ﷺ عند دعوته الناس إلى الإسلام لإنقاذهم من النار بحال رجل أوقد نارًا فجاء الفَرَاشُ والدَّوَابُّ فاقتحمتها وهو يذبها عن النار.

قوله: «استوقد نارًا» أي: أوقد، وزيادة السين والتاء إشارة إلى أنه سعى في إيقادها واستحضار آلاتها، وقد وقع في رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عند مسلم «أوقد»، واستوقد أبلغ من أوقد.

قوله ﷺ: «فلما أضاءت ما حوله» الإضاءة: شدة الإنارة وفرطها، و«ما حوله» حول الشيء: جانبه الذي يمكن أن ينتقل إليه، وجاء في رواية مسلم «ما حولها» فالضمير في «حوله» للرجل الذي أوقد النار، وأما في «حولها» فالضمير للنار.

قوله: «الفَراشُ» جاء في المعجم الوسيط: «الفَرَاشُ» جنس حشرات من الفصيلة الفراشية ورتبته حرشفيات الأجنحة، تتهافت حول السراج فتحترق، واحدتها فَرَاشَةٌ. ومنه المثل: «أَطْيَشُ من فَرَاشَةٍ». قال في الفتح:

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

جزم المازري بأنها الجنادب، وتعقبه عياض فقال: الجُنْدُبُ هو الصرار أي الذي له صوت، قلت (القائل ابن حجر) والحق أن الفراش اسم لنوع من الطير مستقل له أجنحة أكبر من جثته، وأنواعه مختلفة في الكبر والصغر، وكذا أجنحته، وعطف الدواب على الفراش يشعر أنها غير الجنادب والجراد.

قوله: «وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها» يدخل فيما يقع في النار البعوض والبرغش، وما أشبه ذلك من الحشرات التي تتهافت في النار.

قوله ﷺ: «فجعل الرجل يَزَعُهُنَّ»: أي: يدفعهن، وفي رواية (ينزعهن) بزيادة النون، وفي رواية عند مسلم من طريق همام عن أبي هريرة: «وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحَّمن فيها» فالزَّعُ والدفع والحجز بمعنى واحد، ويقصد به الإبعاد.

وقوله ﷺ: «فيقتحِّمن فيها» أي يدخلن، وأصله القَحْم وهو: الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت، ويطلق على رمي الشيء بغتة، واقتحم الدار هجم عليها.

قوله ﷺ: «فأنا آخذ» قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «روي بوجهين: اسم فاعل بكسر الخاء وتنوين الذال «آخِذٌ»، والثاني: فعل مضارع بضم الذال بلا تنوين «آخذُ»، والأول أشهر، وهما صحيحان».

وقوله: «بحُجَزِكم» جمع حُجْزَة وهي: مَعْقِدُ الإزار والسراويل، ويجوز في الجمع فتح الجيم وضمها.

قوله: «عن النار» وضع المسبب موضع السبب لأن المراد أن يمنعهم من الوقوع في الشركيات والمعاصي التي تكون سببا في دخول النار.

قوله: «وأنتم تقحمون فيها». «وأنتم» قال الحافظ في الفتح: في رواية (الكشميهني) «وهم» وعليها شرح الكرماني فقال: كان القياس أن يقول: «وأنتم» ولكنه قال «وهم» وفيه الْتِفَات، وفيه إشارة إلى أن من أخذ رسول الله ﷺ بحجزته لا اقتحام له في النار، قال: وفيه أيضا احتراز عن مواجهتهم بذلك. قلت (القائل ابن حجر) والرواية بلفظ «وأنتم» ثابتة تدفع هذا. ووقع في رواية مسلم «وأنتم تفلُّتون» بفتح أوله والفاء واللام الثقيلة: «تَفَلَّتُون» وأصله «تتفلتون» حذفت إحدى التائين، وبضم أوله وسكون الفاء وفتح اللام «تُفْلِتُون» ضبطوه بالوجهين وكلاهما صحيح.

قوله ﷺ: «تَقَحَّمُون» أصله «تتقحمون» فحذفت إحدى التاءين.

نقل ابن حجر في الفتح عن الطيبي قوله: تحقيق التشبيه الواقع في هذا الحديث يتوقف على معرفة معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وذلك أن حدود الله محارمِه ونواهيه كما في الحديث الصحيح: «ألا وإن حمى الله محارمه»، ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها واستيفاء لذاتها وشهواتها، فشبه ﷺ إظهار تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستنقاذ الرجال من النار، وشبه فشوَّ ذلك في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد، وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف، وتعديهم حدود الله، وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات، ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حجزهم بالفراش التي تقتحمن في النار وتغلبن المستوقد على دفعهن عن الاقتحام، كما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاستضاءة والاستدفاء وغير ذلك، والفراش لجهلها جعلته سببا لهلاكها، فكذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة، واجتنابها ما هو سبب لهلاكهم، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها مقتضية لترديهم وهلاكهم.

أخي المسلم: ضرب رسول الله ﷺ في هذا الحديث مثلا مما مثل به حاله وحال الناس، وأنه يدعوهم إلى الإسلام الذي فيه نجاتهم من النار وسعادتهم الدنيوية، وفوزهم بجنات النعيم في الآخرة، وهم يأبون إلا دخول النار، ولقد مثل رسول الله ﷺ نفسه بأمثلة في هذا المعنى كما جاء في حديث أبي موسى الأشعريّ

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلُ ما بعثني اللهُ كمثلِ رجلٍ أتى قومًا فقال: رأيت الجيشَ بعَيْنَيَّ، وإني أنا النذيرُ العُريانُ فالنَّجاءَ النَّجاءَ، فأطاعه طائفةٌ فادلَجوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفةٌ فصبَّحهم الجيشُ فاجْتَاحَهُمْ». أخرجه البخاري ومسلم، وزاد مسلم في رواية: «فذلك مَثَلُ من أطاعَني واتبع ما جئتُ به، ومثل من عصاني وكذَّبَ ما جئتُ به من الحق». إلى غير ذلك من الأحاديث.

ولقد بين رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث وجوب طاعته، واتباع ما جاء به، وشفقته على أمته ورأفته بهم، وأنه إنما ينذرهم النار ويخوفهم عذابها، ويبشرهم بالجنة ويرغبهم في نعيمها، فمن أطاعه صلوات الله وسلامه عليه نجا وأفلح وفاز، ومن عصاه فقد هلك وخاب وخسر؛ قال ﷺ: «كل الناس يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

والله عز وجل أمر بطاعة رسوله ﷺ وعطفها على طاعته سبحانه وجعل الهداية في طاعته فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]، كما جعل طاعته مع طاعة الله عز وجل سببا لرحمة الله تبارك وتعالى فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢]، لكنَّ أناسًا من أمته نظروا للأمر بعين واحدة، فقالوا القرآن فقط، وأما السنة فمن الزمنا بها؟!! والجواب عن ذلك يسير؛ إذ كيف يأمر الله عز وجل بطاعة رسوله عاطفا إياها على طاعته لو لم تكن له سنة تتبع؟! فلقد كان يكفي أن يأمر الله عز وجل بطاعته وحده، ولا يعطف طاعة الرسول على طاعته، والله عز وجل أخبر أنه أنزل عليه الكتاب والحكمة، ولا شك أن الحكمة غير الكتاب، ولقد بين العلماء من السلف والخلف أن المراد بالحكمة في الآية إنما هو السنة، وأنكر البعض الآخر أحاديث بحجة أنها أحاديث آحاد، أو أنها لا تتفق مع العقل، والحق أن سلف الأمة إنما أقاموا الحجة وألفوا كتبا لرد هذه الشبهات، فألف الشافعي رحمه الله تعالى كتاب «الرسالة» في أصول الفقه وأقام الحجة فيه على حجية خبر الواحد؛ فإن رسول الله ﷺ كان يرسل الواحد إلى الناس يبلغهم دعوة الله عز وجل، وكانوا يقبلون منه أو يردون عليه، ولم يثبت أن بعض القبائل أو الأقوام قالوا: لن نصدقك حتى تأتي بشاهد يشهد معك على ما جئت به، بل إن الله تعالى أرسل معظم رسله واحدًا واحدًا، كذلك ألف جماعة من السلف كتبا في الرد على العقلانيين في ردهم لبعض الأحاديث، منها كتاب «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة رحمه الله تعالى. ثم إن العقول تختلف فما يوافق عقلي قد لا يوافق عقلك، وإنما المقصود هو التثبت من صحة ما ورد عن رسول الله ﷺ، فإذا ثبت وجب الإيمان به وتصديقه حتى وإن قيل عنه: إنه يخالف العقل.

فالواجب على كل مسلم أن يؤمن بما جاء عن الله تعالى وما جاء عن رسول الله ﷺ، وأن يُسَلِّم بأمر الله وأمر رسوله ﷺ، وأن يعمل بطاعة الله ورسوله وأن يجتنب المعاصي والموبقات حتى ينقذه الله عز وجل من النار ويدخله الجنة برحمته وفضله.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا والمسلمين من الموحدين الطائعين الفائزين الناجين، وأن يرزقنا الجنة ونعيمها، ويباعد بيننا وبين النار وعذابها، وأن يوحد صفوف المسلمين على التوحيد، وأن يجمع كلمتهم ويعلي رايتهم وأن يدحر الكفر وأهله والشرك وأهله.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فضل العلم والعلماء

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.. وبعد:

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضع واحد من صحيحه في كتاب العلم باب «من عَلِمَ وعلّم»، وأخرجه الإمام مسلم (ح٧٩)، وأخرجه أحمد (ح١٩٥٨٨).

راوي الحديث

هو عبد الله بن قيس بن سُليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير صاحب رسول الله ﷺ أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ، قال الإمام الذهبي: هو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ اقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين، قرأ عليه حطان بن عبد الله الرقاشي، وأبو رجاء العطاردي في الصحيحين عن أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا». استعمله النبي ﷺ ومعاذًا على زبيد وعدن (باليمن)، وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة، وغزا وجاهد مع النبي ﷺ، وحمل عنه علمًا كثيرًا، ولم يكن في الصحابة أحدٌ أحسن منه صوتًا.

شرح الحديث

الغيث: المطر. نقية: من النقاء، وفي رواية الحميدي وعند الخطابي «ثغبة»، قال الخطابي: هي مستنقع الماء في الجبال والصخور، وغلط القاضي عياض هذه الرواية وقال: إنه إحالة للمعنى لأن هذا وصف للطائفة الأولى التي تنبت، وما ذكره يصلح وصفًا للثانية التي تمسك الماء، وفي مسلم: «طائفة طيبة»، وهي بمعنى «نقية»، وروي «بقعة» قال ابن حجر: وهو بمعنى طائفة، لكن ليس ذلك في شيء من روايات الصحيحين، وقال ابن رجب: وفي رواية «بقية» قال: والمراد بها القطعة الطيبة كما يقال: فلان بقية الناس.

قبلت الماء: من القبول، ووقع عند الأصيلي «قيلت» وهو تصحيف، كما قال الحافظ في الفتح.

الكلأ: النبت الرطب واليابس. العشب: النبت الرطب. فهو من عطف الخاص على العام.

أجادب: جمع جَدَب وهي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء، وفي رواية أبي ذر الهروي: «إخاذات» جمع إخاذة وهي الأرض التي تمسك الماء.

قيعان: جمع قاع، وهي الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت.



إعداد
زكريا حسيني

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فُقُه: بضم القاف، أي صار فقيهًا، قال ابن التين: رويناه بكسر القاف والضم أشبه.

المعنى الإجمالي للحديث

نقل ابن حجر عن القرطبي وغيره قولهم: ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذلك علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع من العلم، لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله ﷺ: «نضر الله امرءًا سمع مقالتي فأداها كما سمعها». ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وإنما جمع بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها، والله أعلم.

قال الحافظ: ثم ظهر لي أن في كل مثل طائفتين؛ فالأول قد أوضحناه، والثاني الأولى منه من دخل في الدين ولم يسمع العلم أو سمعه فلم يعمل به ولم يعلمه، ومثالها من الأرض السباخ، وأشير إليها بقوله ﷺ: «من لم يرفع بذلك رأسًا» أي أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع غيره، والثانية منه من لم يدخل في الدين أصلاً، بل بلغه فكفر به، ومثالها من الأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا ينتفع به، وأشير إليها بقوله ﷺ: «ولم يقبل هدى الله الذي جئت به».

ثم نقل عن الطيبي قوله: بقي من أقسام الناس قسمان: أحدهما الذي انتفع بالعلم في نفسه ولم يعلمه غيره، والثاني من لم ينتفع به في نفسه وعلمه غيره، ثم قال ابن حجر: قلت: والأول داخل في الأول لأن النفع حصل في الجملة وإن تفاوتت مراتبه، وكذلك ما تنبته الأرض فمنه ما ينتفع الناس به، ومنه ما يصير هشيمًا. وأما الثاني فإن كان عمل الفرائض وأهمل النوافل فقد دخل في الثاني كما قررناه، وإن ترك الفرائض أيضًا فهو فاسق لا يجوز الأخذ عنه، ولعله يدخل في عموم: «من لم يرفع بذلك رأسًا».

فضل العلم

لقد حث الله تبارك وتعالى على طلب العلم ورغب فيه وبين فضل العلم والعلماء في آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ من ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وقوله سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

وقد عطف الله عز وجل أولي العلم على نفسه سبحانه وعلى وملائكته، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، كما أمر نبيه ﷺ بأن يدعو ربه أن يزيده علمًا ولم يأمره بطلب المزيد من أي أمر آخر غير العلم، فقال جل شأنه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

ورسول الله ﷺ رغب في طلب العلم، وبين فضل العلماء في أحاديث كثيرة منها حديثنا هذا وما أخرجه مسلم رحمه الله تعالى من قول رسول الله ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة». إلى غير ذلك من الأحاديث.

ولقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى طبقات المكلفين في الدار الآخرة، فذكر الطبقة الأولى وهم أولو العزم من الرسل، ثم الثانية وهم بقية الرسل، ثم الثالثة وهم الأنبياء الذين لم يرسلوا إلى أممهم فاختصوا عن الأمة بإيحاء الله إليهم، وإرساله ملائكته إليهم. ثم ذكر الطبقة الرابعة فقال: هم ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم، وهم القائمون بما بعثوا به علمًا وعملاً ودعوة للخلق إلى الله على طريقهم ومنهاجهم، وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة، وهي مرتبة الصديقية، ولهذا قرنهم الله تعالى في كتابه بالأنبياء فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

فجعل درجة الصديقية معطوفة على درجة النبوة، وهؤلاء هم الربانيون، وهم الراسخون في العلم، وهم الوسائط بين الرسول وأمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه، وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق لا يضرهم

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، فمرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء، ولهذا قدمهم عليهم في الآيتين؛ آية سورة النساء وهذه الآية في سورة الحديد، وكذلك جاء ذكرهم مقدمًا على الشهداء في كلام النبي ﷺ في قوله: «اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان». متفق عليه.

ولهذا كان نعت الصديقية وصفًا لأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولو كان بعد النبوة درجة أفضل من الصديقية لكانت نعتًا له رضي الله عنه، ثم قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والمقصود أن درجة الصديقية والربانية ووراثة النبوة وخلافة الرسالة هي أفضل درجات الأمة، ولو لم يكن من فضلها وشرفها إلا أن كل من علم بتعليمهم وإرشادهم أو علم غيره شيئًا من ذلك كان له مثل أجره ما دام ذلك جاريًا في الأمة على آباد الدهور، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْر النَّعَم». متفق عليه.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء». رواه مسلم.

وصح عنه ﷺ أيضًا أنه قال: «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». رواه مسلم.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «من يرد الله به خيرًا يفقهُ في الدين». متفق عليه، ثم قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فيا لها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلها وأسناها، أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة، أوصالاً متفرقة، وصحف حسناته متزايدة يملى فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يحسد الحاسدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. انتهى ملخصًا من مدارج السالكين.

هذا، ونحن مع بداية عام دراسي جديد، فتحت أبواب المدارس والمعاهد لتستقبل الطلاب والمعلمين، فإذا استشعر الطالب أنه يتعلم العلم لوجه الله تعالى، ثم لينفع به نفسه ومجتمعه، واستشعر المدرسُ أنه يُعَلِّم العلم ابتغاء وجه الله، ولكي تنهض الأمة فترقى إلى مصاف الأمم المتحضرة، وليستعيد المسلمون عزهم ومجدهم، فإنه لن يعود إليهم عزهم ومجدهم إلا بالعلم الذي يعيدهم إلى دينهم فيتمسكون به، ويعلمون بما علمهم الله تعالى، فيرقون خلقًا وسلوكًا، وتصح عباداتهم بعد أن تصلح عقائدهم، فيوحدون الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ولا يشركون به شيئًا، ويتبعون سنة نبيهم ﷺ فلا يبتدعون بدعة في الدين ولا يغيرون ما كان عليه سلف الأمة، وليعلموا أن مجاراة غير المسلمين وملاحقتهم لا يكون في خُلُق ولا تقاليد ولا دين، وإنما يقلد الكفار فيما يصلح من أمور التطور الصناعي أو الزراعي أو التجاري، ومع ذلك يجب ضبطه بأوامر الله عز وجل، فإننا نتميز عن غيرنا بشرع ربنا الذي أوحاه لنبينا وحفظه علينا.

فإذا أدى كل منا ما وجب عليه، وقام بالمسئولية الملقاة على عاتقه وأدى الأمانة التي كُلِّفَها فحينئذ يستقيم أمر الأمة، ويبارك الله تعالى في جهود أبنائها وتنهض من كبوتها، وتصحو من رقدتها.

وإن الإخلاص في طلب العلم- سواءً كان علمًا مما يتعلق بالدنيا أم مما يتعلق بالآخرة- يجعله مباركًا ويؤجر الطالب على طلبه وتصلي عليه الملائكة، بل تضع أجنحتها له رضا بما يصنع، وأما المعلم فإنه إذا استشعر أنه يؤدي أمانة ويعلم العلم ابتغاء وجه الله تعالى مخلصًا لمهنته التي هي وظيفة الأنبياء، فإن كل من ينتفع بعلمه كلما اهتدى به كان لعلمه مثل أجره دون أن ينقص من أجر تلميذه شيء، وهكذا يستمر هذا الأجر على مر الزمان ويسجل في سجل حسناته.

آداب المعلم والمتعلم

١- إخلاص النية لله تعالى. ٢- عطف المعلم على تلميذه وشفقته عليه والحرص على نفعه. ٣- احترام عقول المتعلمين، والاستيثاق من المعلومة قبل إلقائها عليهم، ولا حرج أن يقول لمن سأله منهم: لا أعلم ولا سيما إن كانت المسألة من المسائل الفقهية التي تحتاج إلى رجوع للأدلة وكلام الفقهاء. ٤- على الطالب أن يحترم معلمه، ويبجله، ويعرف له فضل تعليمه إياه. ٥- أن يلزم الأدب عندما يناقشه في مسألة من المسائل، ولا يبدي لأستاذه أنه يعلمُ في المسألة خلاف رأيه فيها.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

رمضان وتفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب النار وتصفيد الشياطين

بقلم
زكريا الحسيني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.. وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فُتِّحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضعين من صحيحه؛ الموضع الأول في كتاب الصيام باب «هل يقول رمضان أو شهر رمضان؟ ومن رأى كله واسعا» برقمي (١٨٩٨، ١٨٩٩)، والموضع الثاني في كتاب بدء الخلق باب «صفة إبليس وجنوده» برقم (٣٢٧٧)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب «فضل شهر رمضان» برقم (١٠٧٩) بثلاثة أسانيد، والنسائي في الصيام باب «فضل شهر رمضان».

شرح الحديث

قوله ﷺ: «إذا دخل رمضان». وفي رواية لمسلم: «إذا جاء رمضان»، وفي أخرى «إذا كان رمضان»، والمعنى واحد وهو دخول شهر رمضان، قال النووي رحمه الله: فيه دليل للمذهب الصحيح المختار الذي ذهب إليه البخاري والمحققون أنه يجوز أن يقال: رمضان من غير ذكر الشهر بلا كراهة، وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب، قالت طائفة: لا يقال رمضان على انفراده بحال وهذا قول أصحاب مالك، وزعموا أن رمضان من أسماء الله تعالى فلا يطلق على غيره إلا بقيد، وقال معظم الشافعية وابن الباقلاني من المالكية: إن كان هناك قرينة تصرف إلى الشهر فلا كراهة، وإلا فيكره، قالوا: فيقال: صمنا رمضان، قمنا رمضان... إلخ، والمذهب الثالث مذهب البخاري والمحققين أنه لا كراهة في إطلاق رمضان بقرينة وبغير قرينة، وهذا هو المذهب الصواب، والمذهبان الأولان فاسدان لأن الكراهة لا تثبت إلا بنهي الشرع، ولم يثبت فيه نهي، وقولهم: إنه اسم من أسماء الله تعالى ليس بصحيح ولم يصح فيه شيء، وإن كان قد جاء فيه أثر ضعيف، وأسماء الله تعالى توقيفية لا تطلق إلا بدليل صحيح. اهـ ملخصًا.

قال الحافظ في الفتح: واختلف في تسمية هذا الشهر، فقيل: لأنه ترمض فيه الذنوب، أي تحرق؛ لأن الرمضاء شدة الحر، وقيل: وافق ابتداء الصوم فيه زمنًا حارًا. والله أعلم.

قوله ﷺ: «فتحت أبواب الجنة». وفي رواية أخرى في البخاري: «أبواب السماء»، وفي رواية لمسلم: «أبواب الرحمة»: أي فتحت أبواب الجنة لتستقبل الطائعين الصالحين، أو فتحت أبواب السماء لرفع الأعمال الصالحة لتصعد إلى ربها جلَّ وعلا، أو فتحت أبواب الرحمة ومغفرة الذنوب، فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». أخرجه البخاري ومسلم، وفي حديث آخر عنه رضي الله عنه: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». أخرجاه، ففتح أبواب الرحمة يدل على فتح أبواب العمل الصالح والطاعات التي تكون في رمضان، وقد لا تتاح في غيره كصيام نهاره، وقيام ليله وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير من المخالفات، وكذا تفتيح أبواب السماء فيه فتح أبواب التوبة للتائبين الذين لم يعرفوا الصلاة في غير رمضان أو الصيام أو القيام أو الاعتكاف أو الصدقة أو غير ذلك من الأعمال، فكانهم تتاح لهم الفرصة، ويفتح لهم باب التوبة على مصراعيه، فمن وفق لاغتنام تلك الفرصة واندرج في سلك الطائعين العابدين المصلين الصائمين القائمين المتصدقين فإنه تغفر خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر بشرط ألا يشرك بالله شيئًا، فإنه من أدرك رمضان فلم يغفر له ذنبه أبعده الله تعالى كما ورد في الحديث، لأن من صامه إيمانًا بالله عز وجل أي مؤمنًا بالله، فإن الإيمان بالله تعالى شرط في قبول الأعمال، واحتسابًا للأجر عند الله تعالى، أو كما قال الخطابي رحمه الله: احتسابًا أي عزيمة أي قوي عزمه بالله فدفعه إلى الصيام فإن الله تعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه كذلك مؤمنًا بالله محتسبًا الأجر عند الله تعالى غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر مؤمنًا محتسبًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وكثرة أعمال البر فيه من قراءة القرآن والجود- اقتداء بالنبي ﷺ من معاني فتح أبواب الجنة، فإن رسول الله ﷺ كان أجود ما يكون في رمضان، وجوده ﷺ العظيم ارتبط بمدارسة جبريل القرآن معه ﷺ، فكان في هذه الحال أجود بالخير من الريح المرسلة كما وصفه بذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، واعتكاف العشر الأواخر من رمضان من أعمال الخير التي قد لا تتاح في غير رمضان، وفيها انقطاع للعبادة للتزود بالتقوى للدار الآخرة، وهذا أيضًا من تفتيح أبواب الرحمة في هذا الشهر، وختام الشهر بصدقة الفطر شكرًا لله على التوفيق لهذه العبادات من أبواب الرحمة التي يفتحها الله تعالى لعباده.

وقوله ﷺ: «وغلقت أبواب النار»، وفي رواية لمسلم: «أبواب جهنم»: في معناه يبدو الصوم مهذبًا للنفوس مربيًا على الفضائل مبعدًا عن الرذائل؛ من انكفاف عن قول الزور والعمل به، وعن الجهل والسفه، قال ﷺ كما في الصحيح: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». وكما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، إني صائم...» فالصوم يمنع من الرفث والفسوق، كما يمنع من السفه والجهل على الناس، وحتى لو تعرض له أحد بسب أو شتم أو مقاتلة فليقل لنفسه أو لمن سبه: إني صائم، أي يذكر نفسه أن صومه يمنعه من مقابلة الإساءة بمثلها، وإنما يدفعه صومه إلى الإحسان إلى من أساء إليه، كما أن الصيام يمنع أو يقلل الكثير من العادات الرذيلة كالتدخين فإن المدخن ينكَفُّ عن التدخين طيلة النهار لأنه صائم، والعاقل من يستعين بالله في رمضان على ترك التدخين مطلقًا ليلاً ونهارًا، فيكون ذلك انطلاقًا من رمضان إلى ما بعده لفعل الخير والانكفاف عن الشر، وكذلك أهل اللهو والذين يشغلون أوقاتهم باللغو والباطل واللعب واللهو، فإنهم إذا انشغلوا في رمضان بقراءة القرآن ومدارسته وتعلم فقه الصيام والزكاة فإن ذلك يكون منطلقًا لهم للبعد عن اللغو واللهو، إلا من انتكست فطرته فعد الفن- من رقص وغناء ونحو ذلك- من العبادات كما قالت بعضهن: إن الرقص عبادة تتقرب به إلى الله. ففي هذا من الجهل المركب والفسق والبعد عن طاعة الله تبارك وتعالى وانعكاس وانتكاس في الفطر، نسأل الله العفو والعافية، ونعوذ به من الخذلان، فإن الكثيرين ممن بعدوا عن دين الله تعالى التبست عليهم الأمور، فينظرون إلى العمل لتحصيل الرزق واللعب والفن، وكل ما كان نحو ذلك على أنه عبادة يعتاضون بها عن العبادات الواجبة عليهم من صلاة وصيام وغيرهما.

وقوله ﷺ: «وسُلْسِلَت الشياطين». وفي رواية

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

لمسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم: «صُفِّدَت الشياطين». وفي رواية للنسائي: «وتُغَلُّ فيه مردة الشياطين».

قال ابن حجر في الفتح: قال الحليمي: يحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقو السمع منهم، وأن تسلسلهم يقع في ليالي رمضان دون أيامه؛ لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ، ويحتمل أن يكون المراد أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره (أي في غير رمضان) لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات، وبقراءة القرآن والذكر، وقال غيره: المراد بالشياطين بعضهم وهم المردة منهم.

وقوله: «صُفِّدَتْ» أي شُدَّتْ بالأصفاد وهي الأغلال وهي بمعنى سُلْسِلَتْ.

ثم نقل الحافظ في الفتح عن القاضي عياض قوله: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن ذلك كله علاقة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين. قال: ويؤيد هذا الاحتمال الثاني قوله في رواية يونس عن ابن شهاب عند مسلم: «فتحت أبواب الرحمة». قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات وذلك أسباب لدخول الجنة، وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة باصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات.

قال الزين بن المنير: والأول أوجه، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وأما الرواية التي فيها: «أبواب السماء وأبواب الرحمة» فمن تصرف الرواة، والأصل أبواب الجنة بدليل ما يقابله وهو غلق أبواب النار.

وجزم التوربشتي شارح المصابيح بالاحتمال الأخير، وعبارته: فتح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد تارة ببذل التوفيق وأخرى بحسن القبول، وغلق أبواب جهنم كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش والتخلص من البواعث على المعاصي بقمع الشهوات. وقال الطيبيُّ: فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين وأنه من الله بمنزلة عظيمة، وفيه إذا علم المكلف ذلك بإخبار الصادق ما يزيد في نشاطه ويتلقاه باريحية. وقال القرطبي بعد أن رجح حمله على ظاهره: فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرًا فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟ فالجواب أنها إنما تقل عن الصائمين الذين يصومون الصوم الذي حوفظ على شروطه ورعيت آدابه، أو أن المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما تقدم في بعض الروايات، أو أن المقصود تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس، فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شيء ولا معصية؛ لأن لذلك أسبابًا غير الشياطين؛ كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية.

وقال غيره: في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف، كأنه يقال له: قد كُفِيت الشياطين عنك فلا تعتل بهم في ترك الطاعات ولا فعل المعاصي. اهـ. ملخصًا من الفتح.

ونقل صاحب الفتح الرباني عن ابي بكر بن العربي المالكي قوله: وهذا مجاز جائز لا يقطع الحقيقة ولا يعارضها، وكلا المعنيين صحيحان موجودان والحمد لله.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الوصية وتقسيم التركة في حياة المورث

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد:

أخرج الجماعة عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد قال: «عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت فقلت: يا رسول الله بلغني ما ترى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قال قلت : أفأتصدق بشطره؟ قال: لا، الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك، قال: قلت يا رسول الله أخلف بعد أصحابي؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويُضَرَّ بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة قال رثى له رسول الله ﷺ من أن توفي بمكة.



إعداد
زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أحد عشر موضعا من صحيحه؛ في كتاب الإيمان باب ما جاء عن الأعمال بالنيات والحسبة برقم ٥٦، وفي الجنائز باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة برقم ١٢٩٥، وفي كتاب الوصايا باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس برقم ٧٤٢، وفي باب الوصية بالثلث برقم ٢٧٤٤، وفي كتاب مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ومرثيته لمن مات بمكة برقم ٣٩٣٦؛ المغازي باب حجة الوداع برقم ٤٤٠٩، وفي كتاب النفقات باب فضل النفقة على الأهل برقم ٥٣٥٤، وفي كتاب المرضى باب وضع اليد على المريض برقم ٥٦٥٩، وباب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع، أو وارأساه، أو اشتد بي الوجع برقم ٥٦٦٨، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء برفع الوباء والوجع برقم ٦٣٧٣، وفي كتاب الفرائض باب ميراث البنات برقم ٦٧٣٣. كلها من رواية عامر بن سعد عن أبيه إلا موضعًا واحدًا في كتاب المرضى برقم ٥٦٥٩ فعن عائشة بنت سعد.

كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الوصية باب الوصية بالثلث وساق الحديث بروايات عامر بن سعد ومصعب بن سعد، وعن ثلاثة من ولد سعد وأخرجه أبو داود

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

في كتاب الوصايا باب «ما جاء فيما يجوز للموصي في ماله» برقم ٢٨٦٤.

وأخرجه الترمذي في الوصايا باب ما جاء في الوصية بالثلث برقم ٢١١٦، وأخرجه النسائي في الوصايا باب الوصية بالثلث برقم ٣٦٥٦، وأخرجه ابن ماجه في الوصايا باب الوصية بالثلث برقم ٢٧٠٨.

وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الوصية باب «الوصية في الثلث لا تتعدى، كما أخرجه الإمام أحمد في المسند.

راوي الحديث

هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، شهد بدرًا وأحدًا والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى.

قال الإمام الذهبي يروي جملة من الأحاديث الصالحة، اتفق البخاري ومسلم له على خمسة عشر حديثا، وانفرد البخاري بخمسة، وانفرد مسلم بثمانية عشر حديثا.

مناقبه لا تحصى كثرة، ومنها أن رسول الله ﷺ لم يجمع أبويه لأحد غيره رضي الله عنه فقد قال له رسول الله ﷺ يوم بدر «ارم فداك أبي وأمي» أخرجه مسلم، ومنها عن جابر قال كنا مع رسول الله ﷺ إذْ أقبل سعد بن مالك فقال رسول الله ﷺ: «هذا خالي فلْيُرِني امرؤ خاله» أخرجه الترمذي والطبراني والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

ومنها أنه كان متسجاب الدعوة، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر، فقالوا: إنه لا يحسن يصلي، فقال سعد: أمَّا أنا فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله، صلاة العشي لا أخرم منها، أركد في الأوليين وأحذف في الأخريين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فبعث رجالا يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجدًا إلا قالوا خيرًا حتى أتوا مسجدًا لبني عبس، فقال رجل يقال له أبو سعدة: أما إذ نشدتمونا بالله، فإنه كان لا يعدل في القضية ولا يحكم بالسوية ولا يسري بالسَّرية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذبا فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن، فكان بعد ذلك يتعرض للإماء في السكك، فإذا سئل: كيف أنت؟ يقول: كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.

شرح الحديث

والوصية أن يوصيَ الإنسانُ بجزءٍ من مالِهِ يُنْفَقُ بَعد موته على مَنْ أوصَى له به.

قول سعد رضي الله عنه: «عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع»، وفي رواية «جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة» زاد الزهري في روايته «في حجة الوداع من وجع اشتد بي» وله في الهجرة «من وجع أشفيت منه على الموت» قال الحافظ في الفتح: واتفق أصحاب الزهري على أن ذلك كان في حجة الوداع، إلا ابن عيينة فقال: «في فتح مكة» أخرجه الترمذي وغيره من طريقه، واتفق الحفاظ على أنه وهم فيه، وقد أخرجه البخاري في الفرائض من طريقه فقال «بمكة» ولم يذكر الفتح، وقد وجدت لابن عيينة مستندًا فيه، وذلك فيما أخرجه أحمد والبزار والطبراني والبخاري في التاريخ وابن سعد من حديث عمرو بن القاريّ: «أن رسول الله ﷺ قدم فخلف سعدًا مريضا حيث خرج إلى حنين، فلما قدم من الجعرانة معتمرًا دخل عليه وهو مغلوب فقال: يا رسول الله إن لي مالا، وإني أورث كلالة، أفأوصي بمالي» الحديث، وفيه: «قلت يا رسول الله أَمَيِّتٌ أنا بالدار التي خرجت منها مهاجرًا؟

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قال: لا، إني لأرجو أن يرفعك الله حتى ينتفع بك أقوام».. الحديث، فلعل ابن عيينة انتقل ذهنه من حديث إلى حديث، قال الحافظ: ويمكن الجمع بين الروايتين بأن يكون ذلك وقع له مرتين؛ مرة عام الفتح ومرة عام حجة الوداع، ففي الأولى لم يمكن له وارث من الأولاد أصلا، وفي الثانية كانت له ابنة فقط فالله أعلم، قوله رضي الله عنه: «من وجع أشفيت منه على الموت»: أي اقتربت على الموت، وهذا ظن سعد لشدة الوجع الذي أصابه رضي الله عنه.

قوله: «وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها»: يحتمل أن تكون الجملة حالا من الفاعل أي الرسول ﷺ، أو من المفعول أي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكل منهما محتمل لأن كلا من النبي ﷺ ومن سعد كان يكره ذلك، قال الحافظ في الفتح: لكن إن كان حالا من المفعول وهو سعد ففيه التفات، لأن السياق يقتضي أن يقول «وأنا أكره» وقد أخرجه مسلم من طريق حميد بن عبد الرحمن عن ثلاثة من ولد سعد عن سعد بلفظ «فقال: يا رسول الله خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة».

قول سعد رضي الله عنه: «بلغني من الوجع ما ترى»: قال النووي في شرح مسلم: فيه جواز ذكر المريض ما يجده (من شدة الألم) لغرض صحيح من مداواة أو دعاء صالح أو وصية أو استفتاء عن حاله ونحو ذلك، وإنما يكره من ذلك ما كان على سبيل التسخط ونحوه، فإنه قادح في أجر مرضه.

قوله رضي الله عنه: «وأنا ذو مال» فيه دليل على إباحة جمع المال، لأن هذه الصيغة لا تستعمل إلا لمال كثير، بل قد صرح به في بعض الروايات «وأنا ذو مالٍ كثير».

قوله: «ولا يرثني إلا ابنة واحدة»: قال النووي وغيره: معناه لا يرثني من الولد أو من خواص الورثة أو من النساء، وإلا فقد كان لسعد عصبات من بني زهرة وهم كثير، وقيل: معناه لا يرثني من أصحاب الفروض، أو خصها بالذكر على تقدير لا يرثني ممن أخاف عليه الضياع والعجز إلا هي.

قوله رضي الله عنه: «أفأتصدق بثلثي مالي»: في رواية للبخاري من رواية سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «أوصي بمالي كله؟»: في رواية عائشة بنت سعد «أفأتصدق بثلثي مالي» وكذا وقع في رواية الزهري، فأما التعبير بقوله «أفأتصدق» فيحتمل التنجيز والتعليق أي تنجيز الصدقة أو تعليقها فتكون وصية تنفذ بعد الموت، بخلاف «أفأوصي» فإنها للتعليق، قال الحافظ في الفتح: لكن المخرج واحد فيحمل على التعليق للجمع بين الروايتين، قال: وأما الاختلاف في السؤال فكانه سأل أولا عن الكل ثم سأل عن الثلثين ثم سأل عن النصف ثم سأل عن الثلث، وقد وقع مجموع ذلك في رواية جرير بن يزيد عند أحمد وفي رواية بكير بن مسمار عند النسائي كلاهما عن عامر بن سعد.

قوله ﷺ: «الثلث والثلث كثير» وفي بعض الروايات «كبير» قال النووي: وكلاهما صحيح. وقال ابن حجر في الفتح: ويحتمل أن يكون قوله: «والثلث كثير» مسوقا لبيان الجواز بالثلث وأن الأولى أن ينقص عنه ولا يزيد عليه وهو ما يبتدره الفهم، ويحتمل أن يكون لبيان أن التصدق بالثلث هو الأكمل أي كثير أجره، ويحتمل أن يكون معناه كثير غير قليل، قال الشافعي رحمه الله «وهذا أولى معانيه»، يعني أن الكثرة أمر نسبي، وعلى الأول عول ابن عباس رضي الله عنه كما روى البخاري رحمه الله تعالى قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لو

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

غض الناس إلى الربع، لأن رسول الله ﷺ قال: «الثلث والثلث كبير أو كثير».

وقوله ﷺ: «إنك أن تدع ورثتك» بفتح «أن» على التعليل وبكسرها على الشرطية، قال النووي: وكلاهما صحيح، ومنع القرطبي وابن الخشاب الكسر استبعادًا للشرط، ورد استبعادهما ابن مالك، وصحح كونه بالكسر كما أنه صحيح بالفتح، والله أعلم. وأما قوله: «ورثتك» وفي بعض الروايات «ذريتك» ولم يقل «ابنتك» لأن ورثته غيرها كثير إما في الوقت الذي كان فيه ذلك، وإما باعتبار ما يكون من حال سعد رضي الله عنه، فإنه عُمِّر بعد حجة الوداع خمسا وأربعين أو ثمانيا وأربعين سنة لأنه مات سنة خمس وخمسين أو ثمان وخمسين من الهجرة وعد له ابن سعد أكثر من سبعة عشر ابنا ومن البنات اثنتي عشرة بنتا والله أعلم.

قوله: «عالة» أي فقراء، وهو جمع عائل وهو الفقير، والفعل منه عال يعيل إذا افتقر.

وقوله: «يتكففون الناس» أي يسألون الناس بأكفهم، يقال تكفف الناس واستكف إذا بسط كفه للسؤال، أو سأل ما يكف عنه الجوع، أو سأل كفًا كفًا من طعام. قال في بعض الروايات «في أيديهم» أي بأيديهم، أو سألوا بأكفهم وضْعَ المسئولِ في أيديهم.

قوله ﷺ: «ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها». وفي رواية «وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة» في هذه الرواية بإطلاق النفقة، وفي الرواية التي معنا مقيدة بابتغاء وجه الله تعالى وهو المعتبر في حصول الأجر. وهذا القول معطوف على قوله «إنك أن تذر ورثتك أغنياء» وهو علة للنهي عن الوصية بأكثر من الثلث، كأنه قيل: لا تفعل لأنك إن مت تركت ورثتك أغنياء، وإن عشت تصدقت وأنفقت فالأجر حاصل لك في الحالين.

وقوله: «حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك» أي جميع ما تفعله في مالك من صدقة ناجزة ومن نفقة ولو كانت هذه النفقة واجبة تؤجر بها إذا ابتغيت بذلك وجه الله تعالى، قال الحافظ في الفتح: ولعله خص المرأة بالذكر لأن نفقتها مستمرة بخلاف غيرها.

قول سعد رضي الله عنه: «يا رسول الله أخلَّفُ بعد أصحابي»؟ أي أخلف بمكة بعد أصحابي إما إشفاقا من موته بمكة لكونه هاجر منها وتركها لله تعالى، وإما خشية من بقائه بمكة بعد انصراف رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة وتخلفه بسبب مرضه.

وقوله ﷺ: «إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة» المراد بالتخلف طول العمر والبقاء في الحياة بعد جماعات من أصحابه، وفيه فضيلة طول العمر للازدياد من العمل الصالح والحث على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضرُّ بك آخرون».

قال الإمام النووي رحمه الله: وهذا الحديث من المعجزات فإن سعدًا رضي الله عنه عاش حتى فتح العراق وغيره وانتفع به أقوام في دينهم ودنياهم، وتضرر به الكفار في دينهم ودنياهم؛ فإنهم قتلوا وصاروا إلى جهنم وسبيت نساؤهم وأولادهم، وغنمت أموالهم وديارهم، وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق وتضرر به خلائق بإقامته الحق فيهم من الكفار ونحوهم.

وقوله ﷺ: «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم»: دعاء من النبي ﷺ لأصحابه أن يتمم الله للمهاجرين منهم هجرتهم ويجزل لهم الأجر عليها وينجزها لهم ولا يردهم

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

على أعقابهم بإبطال أجر هجرتهم وإحباطها عليهم.

قوله ﷺ: «لكن البائس سعد بن خولة» البائس هو الذي عليه أثر البؤس وهو الفقر والقلة، قال الإمام النووي رحمه الله: اختلفوا في قصة سعد بن خولة؛ فقيل لم يهاجر من مكة حتى مات بها، وذكر البخاري وغيره أنه هاجر وشهد بدرًا ثم انصرف إلى مكة ومات بها، وقال ابن هشام إنه هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد بدرًا وغيرها وتوفي بمكة في حجة الوداع سنة عشر، وقيل توفي بها سنة سبع في الهدنة خرج مجتازًا من المدينة.

قوله «رثى له رسول الله ﷺ من أن توفى بمكة» وفي رواية «يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة» قال العلماء هذا من كلام الراوي يفسر كلام النبي ﷺ أنه يرثيه ويتوجع له ويرق لحاله لكونه مات بمكة، واختلفوا في القائل من هو؟ فقيل سعد بن أبي وقاص وقد جاء مفسرًا في بعض الروايات، وقيل إنه من كلام الزهري. والله أعلم.

قال الحافظ في الفتح: وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم:

مشروعية زيارة المريض للإمام فمن دونه، وتتأكد باشتداد المرض، وفيه وضع اليد على جبهة المريض ومسح وجهه ومسح العضو الذي يؤلمه، والفسح في طول العمر، وجواز إخبار المريض بشدة مرضه وقوة ألمه إذا لم يقترن بذلك شيء مما يمنع ويكره من التبرم وعدم الرضا، بل حيث يكون ذلك لطلب دعاء أو دواء وربما استحب، وأن أعمال البر والطاعة إذا كان منها ما لا يمكن استدراكه قام غيره في الثواب والأجر مقامه. وربما زاد عليه، وذلك أن سعدًا خاف أن يموت بالدار التي هاجر منها فيفوت عليه بعض أجر هجرته، فأخبره النبي ﷺ بأنه إن تخلف عن دار هجرته فعمل عملا صالحا من حج أو جهاد أو غير ذلك كان له به أجر يعوض ما فاته من الجهة الأخرى.

وفيه إباحة جمع المال بشرطه، والحث على صلة الرحم والإحسان إلى الأقارب، وأن صلة الأقرب أفضل من صلة الأبعد، والإنفاق في وجوه الخير، لأن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة، وفيه سد الذريعة لقوله ﷺ: «ولا تردهم على أعقابهم» لئلا يتذرع بالمرض أحد لحب الوطن قاله ابن عبد البر، وفيه تقييد مطلق القرآن بالسنة لأنه سبحانه قال: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ فأطلق، وقيدت السنة الوصية بالثلث، وفيه أن من ترك شيئا لله لا ينبغي له الرجوع فيه ولا في شيء منه مختارًا. وفيه التأسف على فوت ما يحصل الثواب، وأن من فاته ذلك بادر إلى جبره بغير ذلك. وفيه تسلية من فاته أمر من الأمور بتحصيل ما هو أعلى منه، وفيه مراعاة العدل بين الورثة. اهـ ملخصا من الفتح في شرح الحديث ٢٧٤٢.

وفي الحديث أيضا بيان خطأ من قسم ماله على الورثة في حياته، إذ ربما مات بعض الورثة قبله فيترتب عليه ذهاب بعض المال إلى غير مستحقيه، وربما طال عمر المورِّث وتزوج وأنجب فتضيع حقوق الورثة الجدد، وقد طال عمر سعد بعد مرضه هذا أكثر من خمس وأربعين سنة وصار له من الأولاد الجدد الكثير بينما ظن أنه ميت في مرضه هذا، فليحذر الذين يخالفون أحكام الله عز وجل بتوريث المال في حياتهم، ومن يورثون الذكور دون الإناث، وغير ذلك من المخالفات.

نسأل الله لنا وللمسلمين جميعا الهداية والتوفيق.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

حجة النبي

صلى الله عليه وسلم

إعداد:
زكريا حسيني

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين... وبعد:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم حتى انتهى إليَّ فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين، فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زري الأعلى ثم نزع زري الأسفل ثم وضع كفه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب، فقال: مرحبًا بك يا ابن أخي، سلْ عما شئت، فسألته وهو أعمى، وحضر وقت الصلاة فقام في نِساجةٍ ملتحفًا بها كلما وضعها على منكبِهِ رجع طرفاها إليه من صغرها ورداؤه إلى جنبه على المِشْجَب فصلى بنا، فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ، فقال بيده تسعًا، فقال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذَّن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاجٌ فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلتْ إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع، قال: اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي، فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماشٍ وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك، ورسولُ الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به فأهلَّ بالتوحيد لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئًا منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته، قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول: «ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ»، كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرَقِيَ عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله الله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبَّت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى، حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلَّ وليجعلها عمرة، فقام سراقة بن مالك بن جُعْشُمٍ فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبد، فشبَّك رسول الله ﷺ

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أصابعه واحدة في الأخرى وقال: دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبدٍ أبدٍ، وقدم عليٌّ من اليمن ببُدْنِ النبي ﷺ، فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت: إنَّ أبي أمرني بهذا، قال: فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ مُحَرِّشًا على فاطمة للذي صنعت مستفتيًا لرسول الله ﷺ فيما ذكرتْ عنه، فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها، فقال: صدقتْ صدقتْ، ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال: قلت: اللهم إني أُهِلُّ بما أهلَّ به رسولك، قال: فإن معي الهدي فلا تحل، قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي ﷺ مائة، قال: فحلَّ الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منًى فأهلوا بالحج وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضعُ من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فُرُشَكم أحدًا تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضربًا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات، ثم أذن، ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر، ولم يصلِّ بينهما شيئًا، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس، السكينةَ السكينَة» كلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئًا، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا، فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيمًا، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظُعُنٌ يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن مُحسِّر فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثًا وستين بيده، ثم أعطى عليًا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجلعت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوًا فشرب منه.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

زاد في رواية أخرى في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم، ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف، ووقفت ههنا وجَمْعٌ كلها موقف».

هذا الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (٢٩٥٠)، وأخرجه أبو داود في كتاب المناسبك باب صفة حجة النبي ﷺ (١٩٠٥)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك باب حجة رسول الله ﷺ برقم (٣٠٧٤).

شرح الحديث

قال الإمام النووي عن هذا الحديث (حديث جابر) وهو حديث عظيم مشتمل على جُمَلٍ من الفوائد ونفائس من مهمات القواعد، ثم قال: قال القاضي: وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا وصنف فيه أبو بكر بن المنذر جزءًا كبيرًا، وخرَّج فيه من الفقه مائة ونيفًا وخمسين نوعًا ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه، قوله: «عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر...» إلى قوله: «... فصلى بنا».

قال النووي: هذه القطعة فيها فوائد منها:

- أنه يستحب لمن ورد عليه زائرون أو ضيفان ونحوهم أن يسأل عنهم لينزلهم منازلهم كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم.

-وفيه إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ كما فعل جابر بمحمد بن علي.

- استحباب قوله للزائر والضيف ونحوهما مرحبًا.

- ملاطفة الزائر بما يليق به وتانيسه، وهذا سبب حل جابر زري محمد بن علي ووضع يده بين ثدييه، وقوله: وأنا يومئذ غلام شاب فيه تنبيه على أن سبب فعل جابر ذلك التانيس لكونه صغيرًا، وأما الرجل الكبير فلا يحسن إدخال اليد في جيبه والمسح بين ثدييه.

- جواز إمامة الأعمى البصراء ولا خلاف في جواز ذلك.

- أن صاحب البيت أحق بالإمامة من غيره.

- جواز الصلاة في الثواب الواحد مع التمكن من الزيادة عليه.

- جواز تسمية الثدي للرجل وفيه خلاف لأهل اللغة منهم من جوزه، ومنهم من قال يختص الثدي بالمرأة ويقال في الرجل «ثندوة».

- وقوله: «في نساجة» هي بكسر النون وتخفيف السين وبالجيم، ووقع في بعض النسخ «ساجة» بغير نون، والساجة ثوب كالطيلسان والنساجة الثوب الملفق، وكلاهما صحيح. والله أعلم.

وقوله: «ورداؤه إلى جنبه على المشجب» المِشْجَبُ: أعواد تعلق عليها الثياب.

وقوله: «أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ» هي بكسر الحاء وفتحها، والمراد حجة الوادع.

- وقوله: «فقال بيده فعقد تسعًا فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج»: يعني مكث بالمدينة بعد الهجرة تسع سنين لم يحج فيها.

قوله: «ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج»: معناه أعْلَمَهم بذلك وأشاعه بينهم ليتأهبوا للحج معه ويتعلموا المناسك والأحكام، ويشهدوا أقواله وأفعاله، ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب، وتشيع دعوة الإسلام وتبلغ الرسالة القريب والبعيد، وفيه أنه يستحب للإمام إيذان الناس بالأمور المهمة ليتأهبوا لها.

قوله: «كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ»، قال النووي: قال القاضي: هذا مما يدل على أنهم كلهم أحرموا بالحج؛ لأنه ﷺ أحرم بالحج وهم لا يخالفونه، ولهذا قال جابر: «وما عمل من شيء عملنا به»، ومثله توقفهم عن التحلل بالعمرة ما لم يتحلل حتى اغضبوه واعتذر إليهم، ومثله تعليق عليٍّ وأبي موسى إحرامهما على إحرام النبي ﷺ.

وقوله ﷺ لأسماء بنت عميس: «اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي»: فيه استحباب غسل الإحرام للنفساء، والاستثفار أن تشد في وسطها شيئًا وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها، وفيه صحة إحرام النفساء والحائض وهو مجمع عليه. والله أعلم.

قوله: «فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب القصواء» قال النووي: فيه استحباب صلاة ركعتي الإحرام ويكونان نافلة، هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن البصري أنه استحب كونها بعد صلاة فرض لأنه روي أن هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح.

وقوله: «ثم ركب القصواء» قال ابن قتيبة: كانت

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

للنبي ﷺ نوق: القصواء والجدعاء والعضباء، وفي حديث آخر غير هذا خطب على ناقة خرماء، وفي حديث ثالث: كانت لرسول الله ﷺ ناقة لا تسبق تسمى «مخضرمة» قال القاضي: وهذا كله يدل على أنها ناقة واحدة خلاف ما قاله ابن قتيبة، ونقل القاضي عن محمد بن إبراهيم التيمي التابعي وغيره أن العضباء والقصواء والجدعاء اسم لناقة واحدة كانت لرسول الله ﷺ.

قوله: «نظرت إلى مد بصري» معناه منتهى بصري، وأنكر بعض أهل اللغة مدَّ بصري، وقال: الصواب (مدى بصري)، قال النووي: وليس هو بمنكر، بل هما لغتان والمد أشهر.

قوله: «بين يديه من راكب وماش»: فيه جواز الحج راكبًا وماشيًا، وهو مجمع عليه، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قوله: «وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله». قال النووي رحمه الله: معناه الحث على التمسك بما أُخبركم عن فعله في حجته، وقال الألباني رحمه الله: «فيه إشارة لطيفة إلى أنَّ النبي ﷺ هو الذي يبين للناس ما نزل عليه من القرآن، وأنه هو وحده الذي يعرف تأويله وتفسيره حق المعرفة وأن غيره - حتى من الصحابة - لا يمكنه الاستغناء عن بيانه ﷺ، ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم في هذه الحجة- كغيرها من العبادات- يتتبعون خطاه ﷺ فما عمل من شيء عملوا به». انتهى ملخصًا من حجة النبي ﷺ (ص٥٤).

قوله: «فأهلَّ بالتوحيد» يعني قوله: «لبيك لا شريك لك»، وفيه إشارة إلى مخالفة ما كانت الجاهلية تقوله في تلبيتها من لفظ الشرك، فقد كان المشركون يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك». وبين جابر رضي الله عنه تلبية رسول الله ﷺ فقال: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمدَ والنعمة لك والملكَ، لا شريك لك».

قوله: «وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلُّون به فلم يردَّ رسول الله ﷺ شيئًا منه ولزم رسول الله ﷺ تلبيته»، نقل النووي عن القاضي عياض أن في ذلك إشارة إلى ما روي من زيادة الناس في التلبية من الثناء والذكر كما روي عن عمر رضي الله عنه في ذلك أنه كان يزيد: «لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوبًا منك مرغوبًا إليك». وعن ابن عمر: «لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل». وعن أنس: «لبيك حقًا تعبدًا ورقًا». قال القاضي: قال أكثر العلماء: المستحب الاقتصار على تلبية رسول الله ﷺ وبه قال مالك والشافعي، ولا بأس بالزيادة، فقد أقرها رسول الله ﷺ.

قوله: «حتى أتينا البيت» فيه بيان أن السنة للحاج أن يدخلوا مكة قبل الوقوف بعرفات ليطوفوا للقدوم وغير ذلك.

قوله: «حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا»، فيه أن المحرم إذا دخل مكة قبل الوقوف بعرفة يسن له طواف القدوم وهو مجمع عليه، وفيه أن الطواف سبعة أشواط، وفيه أن السنة الرَّمَلُ في الثلاثة الأشواط الأولى والمشي في الأربعة الأخيرة، والرمل عبارة عن إسراع المشي مع تقارب الخطا، وهذا يكون في طواف القدوم في الحج وفي طواف العمرة، وكذلك لاضطباع في هذا الطواف سنة وهو أن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه الأيمن ويجعل طرفيه فوق عاتقه الأيسر ويكون عاتقه الأيمن مكشوفًا.

قوله: «ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت». قال النووي: فيه دليل على ما أجمع عليه العلماء أنه ينبغي لكل طائف إذا فرغ من طوافه أن يصلي خلف المقام ركعتي الطواف، فإن لم يكن خلف المقام ففي المسجد وإلا ففي مكة وسائر الحرم، وهما سنة على الصحيح.

قوله: «وكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ»، كان يقرأ فما الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ معنى هذا أن محمد بن علي يروي ما رواه جابر عن قراءة رسول الله ﷺ في ركعتي الطواف، فكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وبعد الفاتحة في الركعة الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

قوله: «ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا»، فيه دليل أنه يستحب للطائف طواف القدوم أو أطواف العمرة إذا فرغ من الطواف وصلاته خلف المقام أن يعود إلى الحجر الأسود فيستلمه، ثم يخرج من باب الصفا ليسعى، واتفقوا على أن هذا الاستلام سنة وليس بواجب ولو تركه لم يلزمه شيء.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قوله: «فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا...﴾» إلى قوله: «... ثم نزل إلى المروة» قال النووي رحمه الله: في هذا اللفظ أنواع من المناسك: منها أن السعي يشترط أن يبدأ من الصفا، ومنها أنه ينبغي أن يرقى على الصفا وهذا الرُّقي مستحبٌ ليس بشرط ولا واجب، ومنها أنه يسن أن يقف على الصفا مستقبل الكعبة حتى يرى البيت إن أمكنه، ويذكر الله تعالى الذكر المذكور ويدعو، ويكرر الذكر والدعاء ثلاثًا.

قوله: «ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى إذا صعدتا مشى حتى أتى المروة» فيه استحباب السعي الشديد في بطن الوادي وهو ما بين العلمين الأخضرين الآن، فإذا جاوزهما مشى باقي المسافة، وهذا السعي مستحب وليس بواجب وهو الإسراع.

قوله: «فقام سراقة بن مالك جُعْشم فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبد» فيه دليل على أن العمرة دخلت في أشهر الحج لأبد الأبد، وبه أبطل النبي ﷺ قول الجاهلية: «إن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور».

قوله: «فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت فأنكر ذلك عليها» فيه إنكار الرجل على زوجه ما يراه من نقص في دينها لأنه ظن أن ذلك لا يجوز فأنكره.

قوله: «إني أهللتُ بما أهلَّ به رسول الله ﷺ» فيه جواز تعليق الإحرام بإحرام كإحرام فلان.

قوله: «فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي» إنما قصروا ولم يحلقوا لأنهم أرادوا أن يبقى شعر يحلق في الحج، فلو حلقوا لم يبق شعر، فكان التقصير هنا أحسن ليحصل في النسكين إزالة شعر.

قوله: «فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج» يوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة.

قوله: «فخطب الناس» فيه استحبا الخطبة للإمام بالحجيج يوم عرفة في هذا الموضع وهو سنة باتفاق جماهير العلماء.

قوله ﷺ: «إن دماءكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا». معناه متأكدة التحريم شديدته، وفي هذا دليل لضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير قياسًا قوله: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع...» إلى قوله: «كله» فيه إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها وأنه لا قصاص في قتلها، وأن الإمام أو غيره ممن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله، فهو أقرب إلى قبول قوله، وقوله في الربا: «موضوع كله» أي الزائد عن رأس المال.

وقوله ﷺ: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» فيه الوصية بالنساء والحث على مراعاة حقهن ومعاشرتهن بالمعروف، وقوله: «بكلمه الله» أي الإيجاب والقبول، وقيل معناه قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وقيل: المراد كلمة التوحيد، وقيل: المراد بإباحة الله والكلمة قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

وقوله ﷺ: «ولا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه» معناه: ألا يأذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيًا أو امرأة أو أحدًا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك. قال النووي: وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل أو امرأة ولا محرم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه.

قوله: «ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف.... إلى قوله حتى غاب القرص». فيه تعجيل الذهاب إلى الموقف إذا فرغ من الصلاتين، ومنها الوقوف راكبًا وهو جائز وقيل أفضل، واستحباب الوقوف عند الصخرات، وقد ظن بعض العوام أنه لابد من صعود الجبل وهذا خطأ، فقد وقف النبي ﷺ عند الصخرات وقال كما في آخر الحديث وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف، ففي أي جزء من عرفة وقف الحاج أجزأه. واستحباب استقبال القبلة، وأن يبقى واقفًا حتى تغرب الشمس ويتحقق كمال غروبها ثم يفيض إلى مزدلفة، فلو أفاض قبل الغروب صح وقوفه وحجه ويجبر ذلك بدم، وأما وقت الوقوف فهو ما بين زوال الشمس يوم عرفة إلى طلوع الفجر يوم النحر، فمن حصل بعرفات في جزء من هذا الوقت صح وقوفه، ومن فاته ذلك فاته الحج، وأما قوله: «وجعل حبل المشاة» فحبل المشاة مجتمعهم، وحبل الرَّمل ما طال منه وضَخُمَ.

وقوله: «وقد شنق للقصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب مورك رحله». معنى شنق: ضَمَّ

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وضيق والمَوْرِك هو الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه. وقوله: «ويقول بيده اليمنى أيها الناس السكينة السكينة» أي: الزموا الطمأنينة، فإذا وجد فرجة يسرع كما ثبت في الحديث الآخر.

قوله: «حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئًا» فيه فوائد؛ منها أن السنة للدافع من عرفة أن يؤخر المغرب إلى وقت العشاء ثم يجمع بينهما في المزدلفة في وقت العشاء، فلو صلاهما في عرفات في وقت المغرب أو في الطريق أو في موضع آخر وصلى كل واحدة في وقتها جاز جميع ذلك لكنه خلاف الأفضل، وقال أبو حنيفة: يشترط أن يصليهما في مزدلفة وعند مالك لا يصليهما قبل المزدلفة إلا من به عذر أو بدابته بشرط كونها بعد مغيب الشفق، ومنها: أنه يصلي الصلاتين بأذان واحد وإقامتين، ومنها أنه لا يفصل بينهما بنافلة وهذا معنى قوله: «لم يسبح بينهما».

قوله: «ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة» فيه أن المبيت بمزدلفة ليلة النحر نسك وهو واجب على أصح أقوال العلماء يجبر تركه بدم، والسنة أن يبقى في مزدلفة حتى يصلي بها الصبح، إلا الضعفة فيسن لهم الدفع قبل الفجر، ويصدق المبيت على قضاء معظم الليل، قال النووي رحمه الله: والسنة أن يبالغ بتقديم صلاة الصبح في هذا الموضع ويتأكد التبكير بها في هذا اليوم اقتداء برسول الله ﷺ، كما يسن الأذان والإقامة لهذه الصلاة، وكذلك غيرها من صلوات المسافر، وقد تظاهرت الأدلة الصحيحة على الأذان والإقامة لرسول الله ﷺ في السفر كما في الحضر.

قوله: «ثم ركب القصواء... إلى قوله: ودفع قبل أن تطلع الشمس» فيه أن الوقوف عند المشعر الحرام من مناسك الحج وأنه لا يزال واقفًا فيه يدعو ويذكر حتى يسفر الصبح جدًا.

قوله: «وأردف الفضل بن عباس... إلى قوله: حتى وضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل» فيه الحث على غض البصر عن الأجنبيات وغضهن عن الرجال الأجانب، وفيه أن من رأى منكرًا وأمكنه إزالته بيده لزمه إزالته إن لم يكُفِ فيه القول.

وقوله: «حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة» الجمرة التي عند الشجرة هي جمرة العقبة، وفيه أن السنة للحاج إذا دفع من مزدلفة فوصل منى أن يبدأ بجمرة العقبة، وفيه أن الرمي بسبع حصيات، وأن تكون مثل حصى الخذف يعني قدر حبة الفول أو الحمص ونحوها. وفيه أن يسن التكبير مع كل حصاة، وفيه رمي كل حصاة على حدة، ولا يجوز أن يرمي السبع جملة واحدة، وفيه أن السنة أن يقف للرمي في بطن الوادي بحيث تكون منى عن يمينه ومكة عن يساره، وفيه أن يوم النحر فيه رمي جمرة العقبة فقط ولا يشرع رمي غيرها في ذلك اليوم.

وقوله: «ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر» هذا الطواف هو طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج بإجماع المسلمين وأول وقته من بعد نصف ليلة النحر وأفضله بعد رمي جمرة العقبة وذبح الهدي والحلق ويكون ذلك ضحوة يوم النحر، قال النووي :ولا وقت لآخره، وشرطه أن يكون بعد الوقوف بعرفة، فلا يصح قبله، ويجوز تأخيره وجمعه مع طواف الوداع. والله أعلم.

وقوله: «فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم» إلى قوله: «فشرب منه» أما قوله ﷺ: «انزِعوا فهو بكسر الزاي ومعناه استقوا بالدلاء، وأما قوله: «فأتى بني عبد المطلب» فمعناه أتاهم بعد فراغه من طواف الإفاضة. وقوله: يسقون على زمزم معناه يغرفون بالدلاء ويصيبونه في الحياض ونحوها ويجعلونه سبيلاً للناس، وقوله ﷺ: «لولا أن يغلبكم الناس لنزعت معكم» معناه لولا خوفي أن يعتقد الناس أن ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا العمل، وفيه استحباب شرب ماء زمزم.

وقوله ﷺ: «نحرت هاهنا ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف، ووقفت ههنا وجمع كلها موقف» فهذا بيان رفقه ﷺ بأمته وشفقته عليهم في تنبيههم على مصالح دينهم ودنياهم فإنه ﷺ ذكر لهم الأكمل، والجائز، فالأكمل موضع نحره ووقوفه والجائز كل جزء من أجزاء منى وعرفة ومزدلفة.

والحمد لله رب العالمين

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

تحريم دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.. وبعد:

فقد أخرج الشيخان عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس البلدة؟» قلنا: بلى، قال: «فأي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه». ثم قال: «ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت» قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في تسعة مواضع من صحيحه في كتاب العلم باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع» رقم (٦٧)، وفي باب «ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ» رقم (١٠٥)، وفي كتاب الحج باب الخطبة أيام منى رقم (١٧٤١)، وفي كتاب بدء الخلق باب ما جاء في سبع أرضين رقم (٣١٩٧)، وفي كتاب المغازي باب حجة الوداع رقم (٤٤٠٦)، وفي كتاب التفسير باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ رقم (٤٦٦٢)، وفي كتاب الأضاحي باب من قال الأضحى يوم النحر رقم (٥٥٥٠)، وفي كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي



بقلم

زكريا حسيني

كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» رقم (٧٠٧٨)، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ رقم (٧٤٤٧)، كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

راوي الحديث:

هو مولى النبي ﷺ، اسمه نفيع بن الحارث، وقيل: نفيع بن مسروح، تدلّى في حصار الطائف ببكَرَة فكني بأبي بكرة لذلك، وفرّ إلى

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

النبي ﷺ، وأسلم على يديه، وأعلمه أنه عبد فأعتقه، حَدَّثَ عنه بنوه الأربعة: عبيد الله، وعبد الرحمن، وعبد العزيز ومسلم، كما حدث عنه أبو عثمان النهدي والحسن البصري وابن سيرين وغيرهم، أورد الذهبي في السير عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لما اشتكى أبو بكرة عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب فأبى، فلما نزل به الموت قال: أين طبيبكم؟ ليردها إن كان صادقًا! كما أورد أن ثقيفًا سألوا رسول الله ﷺ أن يرد إليهم أبا بكرة عبدًا، فقال: «لا، هو طليق الله وطليق رسوله».

شرح الحديث:

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في باب «الخطبة أيام منى»، وجاء في أوله قول أبي بكرة رضي الله عنه: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، وفيه دليل على مشروعية الخطبة والتذكير وشرح المناسك يوم النحر للإمام أو نائبه.

وقوله ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»، قال الإمام النووي في شرح مسلم: قال العلماء: معناه أنهم في الجاهلية كانوا يتمسكون بملة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة حتى اختلط عليهم الأمر وصادفت حَجَّة النبي ﷺ تحريمهم، وقد تطابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرموا ذا الحجة لموافقة الحساب الذي ذكرناه، فأخبر النبي ﷺ أن الاستدارة صادفت ما حكم الله به يوم خلق السماوات والأرض، وقال أبو عبيد: كانوا ينسئون أي يؤخرون، وهو الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ فربما احتاجوا إلى الحرب في المحرم فيؤخرون تحريمه إلى صفر، ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى، فصادف

أصبحت الدماء الآن تستباح لأهون الأسباب،

حرم الإسلام دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم

كان أهل الجاهلية إذا احتاجوا إلى قتال في الأشهر الحرم

تلك السنة رجوع المحرم إلى موضعه.

وقوله ﷺ: «السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان»: السنة اثنا عشر شهرًا، هذه عدة الشهور عند الله كما ذكر الله عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ((التوبة: ٣٦))، وأما منها أربعة حرم فهي الأشهر الأربعة التي حرمها الله عز وجل بينها النبي ﷺ بقوله: «ثلاثة متواليات» وهي: ذو القعدة بفتح القاف على المشهور، وقيل يجوز كسرها وهو قليل، وذو الحجة بكسر الحاء على المشهور أيضًا، ويجوز فتحها وهو قليل، والمحرم، والرابع رجب الفرد وبَيَّنَهُ النبي صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «رجبُ مُضَرَ» أو «رجبُ شهرُ مُضَرَ»، وإنما أضافه النبي ﷺ إلى مضر لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم، وقيل: إن ربيعة ومضر كانوا يختلفون في رجب، فكانت مضر تجعله هذا الشهر المعروف، وأما ربيعة فكانت تجعله رمضان، وإنما قيده النبي ﷺ هذا التقييد بقوله: «الذي بين رجب وشعبان» مبالغة في إيضاحه وإزالة للبس عنه، فقد قيل إن العرب كانت تسمي رجبًا وشعبان الرجبين، وقيل: كانت تسمي جُمَادَى ورجبًا جُمَادَيْن وتسمي شعبان رجبًا، فلذلك جاء هذا التقييد لإزالة ما فيه من لبس.

قال النووي رحمه الله: وقد أجمع المسلمون على أن الأشهر الحُرم الأربعة هي هذه المذكورة في الحديث، ولكن اختلفوا في الأدب المستحب في كيفية عدها فقالت طائفة من أهل الكوفة وأهلُ الأدب: يقال: المحرم ورجب، وذو القعدة، وذو

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

والأموال تؤكل بالباطل أكثر من أكلها بالحق

كحرمة مكة والأشهر الحرم

أخروا تحريم الشهر المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر

الحجة ليكون الأربعة من سنة واحدة.

وقال علماء المدينة والبصرة وجماهير العلماء هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ثلاثة سرد وواحد فرد، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة ومنها هذا الحديث الذي نحن فيه، وعلى هذا الاستعمال أطبق الناس من الطوائف كلها.

قال الحافظ في الفتح: قيل الحكمة في جعل المحرم أول السنة أن يحصل الابتداء بشهر حرام ويختم بشهر حرام، وتتوسط السنة بشهر حرام وهو رجب، وإنما توالى شهران في الآخر لإرادة تفضيل الختام، والأعمال بالخواتيم. اهـ.

قوله ﷺ: «أي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا بلى... إلخ.

قال النووي رحمه الله: هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم، وأما قولهم: الله ورسوله أعلم فإن هذا من حسن أدبهم، وأنهم علموا أن الرسول ﷺ لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون، بل هناك أمر آخر يريد النبي ﷺ أن يقرره ويبينه.

وقوله ﷺ: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»: المراد من ذلك تأكيد غلظ تحريم الدماء والأموال والأعراض والتحذير من التهاون فيها، أما الدماء فإنها أصبحت الآن تستباح لأهون الأسباب، فيقتل المسلم أخاه المسلم بل قريبه لسبب من الأسباب التافهة التي لا تبرر ذلك كسبّ أو شتم أو لطمع في مال أو خلاف أسري بين الزوجين، فإن الواحد إذا ظن أن أخاه يريد أن يسلب شيئًا من ماله- مجرد ظن دون تيقن- فإنه سرعان ما يفكر في قتله والتخلص منه، وأما الأموال فقد صارت تؤكل بالباطل أكثر من أكلها بالحق، ولا يبالي المرء من أين أخذ المال أمن حلال أم من حرام، فالغش والتحايل والسلب والنهب والرشوة والغصب والربا وغير ذلك من أمور انتشرت حتى أصبح الحرام يطغى على الحلال، بل ربما نظر الناس إلى من يتحرى الحلال على أنه ساذج أبله ليس ماهرًا ولا محنكًا، وأما الأعراض فقد استبيحت تحت مسميات الحرية أو التحرر أو التقدم والتطور والمدينة، مع أن الإسلام جاء بأعظم حضارة عرفها التاريخ وذلك مع حفظ الأعراض ونشر العفة والفضيلة وقمع الرذيلة ومنع الفاحشة أن تشيع في المجتمع، ويوم ترك المسلمون أحكام دينهم واتجهوا إلى الغرب أو الشرق يستجلبون التقاليد من هنا وهناك شاعت الفاحشة وظهرت الأمراض التي لم تكن معهودة ولا معروفة في المجتمعات الإسلامية، وذلّ المسلمون وهانوا على الناس لأنهم هانوا على الله بسبب هوان دينهم عليهم.

وقوله ﷺ: «وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم» فيه التذكير بما يجده الإنسان في يوم القيامة من سؤال عمّا قدّم من عمل، والمقصود ليس مجرد السؤال، بل المحاسبة على الأعمال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

والأعمال توزن ويجزى العامل بما قدم، فمن ثقلت موازينه فهو من المفلحين، ومن خفت موازينه فهو من الخاسرين، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ
(١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

قوله ﷺ: «فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وفي رواية عند مسلم: «فلا ترجعُنَّ»، وفي رواية أخرى في الصحيحين: «كفارًا» بدل «ضلالاً». قال الحافظ في الفتح: جملة ما فيه من الأقوال ثمانية: أحدها: قول الخوارج إنه على ظاهره. ثانيها: هو في المستحلين (أي من يستحل قتل أخيه المسلم). ثالثها: المعنى كفارًا بحرمة الدماء وحرمة المسلمين وحقوق الدين. رابعها: تفعلون فعل الكفار في قتل بعضهم بعضًا. خامسها: لابسين السلاح، يقال: كفر درعه إذا لبس فوقها ثوبًا. سادسها: كفارًا بنعمة الله. سابعها: الزجر عن الفعل وليس ظاهره مرادًا. ثامنها: لا يُكَفِّر بعضكم بعضًا كأن يقول أحد الفريقين للآخر: يا كافر؛ فيكفر أحدهما. قال: ثم وجدت تاسعها: وهو أن المراد ستر الحق، والكفر لغة الستر؛ لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويعينه، فلما قاتله كأنه غطى على حقه الثابت له عليه، وعاشرًا وهو أن الفعل المذكور يفضي إلى الكفر؛ لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى ما هو أشد منها فيخشى ألا يختم له بخاتمة الإسلام.

وقوله ﷺ: «ألا ليبلغ الشاهد الغائب»: فيه وجوب تبليغ العلم؛ لأنه أتى بصيغة الأمر (لام الأمر دخلت على المضارع فجعلت معناه الأمر)، وتبليغ العلم فرض كفاية على الأمة، فيجب تبليغه بحيث ينتشر ولا سيما العلم النافع وهو ما يتعلق بعلم الشريعة والمقصود العلم بالدين الإسلامي عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاقًا وسلوكًا وأحكامًا، إلى غير ذلك، فإذا أطلق العلم في الكتاب أو في السنة فالمراد به العلم بالدين الإسلامي.

وقوله ﷺ: «فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه» أي: لا يقتصر تبليغ العلم على الفقهاء الفاهمين لما يبلغونه للناس، فإن مرحلة الحفظ لنصوص الكتاب والسنة تأتي أولاً، ولقد درج المسلمون منذ العصور الأولى للإسلام على تحفيظ الصغار كتاب الله تعالى وهم في مقتبل أعمارهم فنجد أن منهم من حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين أو ثماني سنين، أو أكثر أو أقل، ثم يثني بعد ذلك بحفظ أحاديث المصطفى ﷺ، ثم بحفظ متون العلوم المختلفة، كل ذلك قبل أن يشرع في دراسة الشروح والتفاسير المختلفة، فهذا وعاء علم يحفظ لنفسه ويؤدي لغيره، فإن فقه هو ما حفظ- وهذا هو الغالب- كان من الفقهاء ومن جملة العلماء، وإلا كان أقل أحواله أن يكون مبلغًا وراويًا ما حفظه لغيره ممن هو من أهل الفقه في الدين، ولقد كان الإمامان الشافعي وأحمد بن حنبل كل منهما يأخذ عن الآخر، فالشافعي يأخذ الحديث عن أحمد، وأحمد يأخذ الفقه عن الشافعي، رحم الله علماء الأمة وأئمتها، قال النووي رحمه الله: احتج به (أي بقوله ﷺ فلعل بعض من يبلغه إلخ) العلماء لجواز رواية الفضلاء وغيرهم من الشيوخ الذين لا علم لهم عندهم ولا فقه إذا ضبط ما يحدث به.

قوله ﷺ: «ألا هل بلغت...» إلخ، فيه تقريره ﷺ أصحابه وسامعيه على أنه بلغ ما أرسل به من ربه إلى الناس، كما أن فيه إشهاد الله عز وجل على ذلك.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

وجوب تفقد الزوجة حال زوجها

إعداد
زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد:

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها اشترت نُمْرُقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله، فعرفتُ في وجهه الكراهية، فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ماذا أذنبت؟ فقال ﷺ: «ما بال هذه النمرقة؟» قلتُ: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم». وقال: «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في ستة مواضع من صحيحه في كتاب البيوع باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء برقم ٢١٠٥، وكتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه برقم ٣٢٢٤، وكتاب النكاح بل هل يرجع إذا رأى منكرًا في الدعوة برقم ٥١٨١، وكتاب اللباس باب من كره القعود على الصور برقم ٥٩٥٧ باب من لم يدخل بيتًا فيه صورة برقم ٥٩٦١، وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى: «والله خلقكم وما تعملون» برقم ٧٥٥٧، كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان ٩٦ برقم (٢١٠٧)، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الاستئذان.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

شرح الحديث

قوله: «نمرقة»: قال في النهاية: أي وسادة، وهي بضم النون والراء وبكسرهما، وبغير هاء، وجمعها نمارق، وقال النووي في شرح مسلم: هي بضم النون والراء، ويقال بكسرهما، وقال بضم النون وفتح الراء ثلاث لغات، ويقال نمرق بلا هاء وهي وسادة صغيرة، وقيل هي مرفقة.

قول عائشة رضي الله عنها: «فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله». قال الحافظ في الفتح: قال الرافعي: وفي دخول البيت الذي فيه الصورة وجهان؛ قال الأكثر: يكره، وقال أبو محمد: يحرم، فلو كانت الصورة في ممر الدار لا داخل الدار كما في ظاهر الحمام أو دهليزها لا يمنع الدخول؛ قال: وكان السبب فيه أن الصورة في الممر ممتهنة، وفي المجلس مكرمة، قلت: وقصة إطلاق نص المختصر وكلام الماوردي وابن الصباغ وغيرهما أنه لا فرق. اهـ من الفتح.

قولها رضي الله عنها: «فعرفت في وجهه الكراهة، فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ماذا أذنبت؟» فيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا غضب لشيء أو كره شيئًا عُرف ذلك ورُؤي في وجهه ﷺ، وأنه كان يغضب ويظهر على وجهه أثر ذلك إذا رأى مخالفة لأمر الله تعالى، أو رأى ما يكره ولا سيما هذا فإن وجود الصور يمنع دخول الملائكة، والرسول ﷺ يعرف أهمية دخول الملائكة البيت فإنها تخف الذاكرين الله تعالى، وتتنزل بالرحمة من رب العالمين، وتأتي من الله عز وجل بالبركة، أما من لا يُقَدِّرُ هذه الأمور قدرها فإنه لا يبالي دخلت الملائكة أو خرجت، بل وُجِدَت الملائكة أم وُجِدَت الشياطين لا فرق عند كثير من الناس اليوم، فإذا مستهم الشياطين وركبتهم الوساوس والأمراض بحثوا عمن يخرجهم مما هم فيه، فإذا قيل لأحدهم أو لإحداهن: الجأ إلى الله، واقرأ القرآن والزم ذكر الله

كان رسول الله ﷺ إذا غضب لشيء أو كره

يجب على المرأة أن تراعي حال زوجها وتتفقد رضاه

نسوق هذه الأحكام لمن يؤمنون بالله واليوم

تعالى، فإنه يقول: قرأت وقلت الأذكار ولكن لم ينفع ولم يجد، والسبب في ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر وانعدام الثقة بالله والتوكل عليه.

وفيه أيضًا: أن المرأة يجب عليها أن تراعي حال زوجها وتتفقد رضاه وتحرص عليه، وتنأى عما يغضبه، فإذا عرفت أو تبين لها أنه غضب لشيء سارعت بتغييره أو الاعتذار عما بدر منها، وهذا الأدب يظهر في تساؤل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبت؟ هذه الزوجة التي يشنع من لا خلق له ولا عقل متبعًا شنشنة أعداء الإسلام يشنع عليها بأنها الصغيرة التي لا يليق أن نأخذ عنها، بل ربما طعن في الحديث وفي قبوله لأنه جاء من طريقها. أقول هذا الأدب يجب على نسائنا أن تتأدب به وتعيه وتتفهمه فإنه والله نعم الأدب، وفي قولها رضي الله عنها: «اشتريتها لك لتقعد عليها وتتوسدها» بيان منها للسبب الذي اشترت من أجله النمرقة، وأنه لتكريم رسول الله ﷺ، ولم تمنّ عليه ﷺ، ولم تعاتبه، ولم تقل له: أهلكذا تقابل إحساني بالإساءة، كما يحدث من كثير من النساء مع أزواجهن، بل قدمت بين يدي هذا البيان، أي قبل أن تقول: اشتريتها لك، أتوب إلى الله وإلى رسوله، وهذا أدب رفيع ممن لقبها الله

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

شيئًا عُرف ذلك ورُؤي في وجهه ﷺ

وتحرص عليه، وتنأى عما يغضبه

الآخر، ويتحرون سنة نبيهم ﷺ

تعالى مع سائر أزواجه ﷺ ورضي عنهن بأمهات المؤمنين.

قوله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم». قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: وفي الرواية السابقة: «أشد الناس عذابًا يقوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله تعالى». وفي رواية: «الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم». وفي رواية ابن عباس: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسًا فتعذبه في جهنم». وفي رواية قال الله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة».

ثم قال النووي رحمه الله: وأما قوله ﷺ: «ويُقال لهم أحيوا ما خلقتم» فهو الذي يسميه الأصوليون أمر تعجيز، كقوله تعالى: «قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ»، ثم قال رحمه الله تعالى: وهذه الأحاديث صريحة في تحريم تصوير الحيوان وأنه غليظ التحريم، وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به، وسواء الشجر المثمر وغيره، وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهدًا فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه، قال القاضي، لم يقله أحد غير مجاهد، واحتج مجاهد بقوله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» ويؤيده حديث ابن عباس المذكور في الكتاب- أي في صحيح مسلم- «إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له».

قال النووي رحمه الله: وأما رواية: «أشد الناس عذابًا» فقيل: هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد، وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشد عذابًا، وقيل: هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره، فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير كسائر المعاصي ولا يكفر.

وأما قوله تعالى: «فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة»، فالذرة بفتح الذال وتشديد الراء، ومعناه فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هي خلق الله تعالى، وكذلك فليخلقوا حبة حنطة أو شعير أو غيرها مما فيه طعم يؤكل ويزرع وينبت، وهذا أمر تعجيز كما سبق. والله أعلم.

قال أبو عمر بن عبد البر: هذا الحديث من أصح ما يروى عن النبي ﷺ في هذا الباب، وهو مخالف لحديث أبي النضر في قوله: «إلا ما كان رقمًا في ثوب»؛ لأن هذا قد صرح بأن الصورة في الثوب لا يجوز اتخاذها، ولا استعمال الثوب الذي هي فيه، وذكر فيه من الوعيد ما ترى، وهو غاية عمل الصور في الثياب وغيرها ولم يخص فيها ما يوطأ ويتوسد مما يمتهن وينصب، ثم قال: هذا ما يوجبه ظاهر هذا الحديث، وهو أشد حديث روي في هذا الباب وهو أحسنها إسنادًا وأصحها نقلاً.

ثم قال أبو عمر رحمه الله تعالى: وأما اختلاف العلماء في هذا الباب فعلى حسب اختلاف الآثار فيه وتأويلها، فكان ابن شهاب- فيما ذكر عنه معمر وغيره- يكره التصاوير في الثياب وغيرها، ما نصب منها وما بسط، على ظاهر حديثه هذا عن القاسم

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بن محمد عن عائشة.

وقالت طائفة: إنما يكره من التصاوير ما كان في حيطان البيوت، وأما ما كان رقمًا في ثوب فلا يكره وذلك على حديث سهل بن حنيف، وسواء كان الثوب منصوبًا أو مبسوطًا. وقال آخرون: لا يجوز استعمال شيء من الثياب التي فيها الصور، إذا كان الثوب ينصب أو يلبس، وإنما يجوز ما كان يوطأ. وساق ابن عبد البر رحمه الله عدة آثار على ذلك ثم عقب عليها بقوله: هذا المذهب أوسط المذاهب في هذا الباب. ثم ساق بعد ذلك قولين آخرين بقوله رحمه الله: وقال قوم: ما قطع رأسه فليس بصورة، روي ذلك عن ابن عباس وقالت به طائفة.

وقال: ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يكره من الصور إلا ما له ظل مما له روح، من تمثال النحاس والجواهر كلها والطين، وكل ما إذا صُوِّرَ كان له ظل.

ثم عاد رحمه الله تعالى إلى حكاية القول الأول، فقال: وذهب غيرهم من أهل العلم إلى أن المكروه من الصور، ما كان له روح من كل حيوان، من أي شيء صنع كان له ظل أو لم يكن. ثم ساق حجتهم من الحديث الذي معناه في هذا الباب وهو حديث عائشة المذكور وحديث ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صور صورة فإن الله معذبه يوم القيامة حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ». اهـ. الاستذكار مختصرًا.

وأخيرًا فإننا نسوق هذه الأحكام لمن يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويتحرون سنة نبيهم ﷺ ليعملوا بها، وأما من ينظرون إلى الصور وهذه النصوص فيها وفي أمثالها على أنها من الأمور الصغار، أو غير المهمة والتي يجب أن تؤجل حتى تجتمع كلمة الأمة على الإسلام أولاً، ثم بعد ذلك نبحث هذه الأمور ونتعلمها أو لا نتعلمها، فإننا نسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية إلى الصراط المستقيم، وإني لا أدري على أي شيء ستجتمع الأمة إذا لم تجتمع على توحيد الله تعالى ومعرفته ثم معرفة أحكامه وذلك من خلال معرفة كتابه وسنة رسوله ﷺ بكمالها وشمول الإسلام لجميع مناحي الحياة نسأل الله أن يوحد صفوف المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق، وليس على التهاون بالسنة والتقليل من شأنها.

وأخيرًا، فإن الإمام البخاري رحمه الله تعالى ساق هذا الحديث في كتاب البيوع باب «التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء مع حديث ابن عمر: أرسل النبي ﷺ بحلة حديد أو سيراء- فرآها عليه، فقال: «إني لم أرسل بها إليك لتلبسها، إنما يلبسها من لا خلاق له، إنما بعثت بها إليك لتستمتع بها» يعني يبيعها.

وفي ذلك من فقه الإمام البخاري رحمه الله تعالى أن التجارة فيما يكره للرجال أو للنساء أو لكليهما جائزة إذا كانت فيه منفعة، أما ما لا منفعة فيه شرعية فلا يجوز بيعه ولا شراؤه، وفي حديثنا حديث عائشة يستنبط هذا الحكم كما قال الحافظ في الفتح من أن النبي ﷺ لم يفسخ البيع في النمرقة، قال: وسياتي في بعض طرق الحديث أن النبي ﷺ توكأ عليها بعد ذلك.

نسأل الله أن يبصرنا بالحق وأن يعلمنا من سنة نبينا وأحكام ديننا ما جهلنا وأن يعيننا ويوفقنا للعمل بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده محمد وآله وصحبه أجمعين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

زمن الفتن وذهاب الأمانة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين... وبعد:

عن حذيفة قال: حدثنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها قال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجْلِ كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرًا وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلانٍ رجلاً أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقلَهُ وما أظرفَهُ وما أجلدَهُ وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ردَّه عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانيًا ردَّهُ عليَّ ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه واللفظ له في ثلاثة مواضع؛ الموضع الأول في كتاب الرقاق باب «رفع الأمانة» برقم (٦٤٩٦)، والموضع الثاني في كتاب الفتن باب «إذا بقي في حثالة من الناس» برقم (٧٠٨٦) والثالث في كتاب الاعتصام باب «الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ» برقم (٧٢٧٦) مختصرًا.

كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب «رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب» برقم (٣٦٧)، وأخرجه ابن ماجه في أبواب الفتن باب «ذهاب الأمانة» برقم (٤٠٥٣)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٣٨٣/٥) كما في المعجم.

راوي الحديث:

هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان، وهوحذيفة بن حُسَيْل، ويقال: حِسْلُ بن جابر بن أسيد بن عمرو بن مالك، ويقال: حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو، صاحب سرّ رسول الله ﷺ، قال



بقلم / زكريا الحسيني

المزي في تهذيب الكمال: شهد مع رسول الله ﷺ أُحُدًا هو وأبوه، وقُتِل أبوه يومئذ، قتله المسلمون خطأ، أرادا أن يشهدا بدرًا فاستحلفهما المشركون أن لا يشهدا مع النبي ﷺ فحلفا لهم، ثم سألا النبي ﷺ فقال ﷺ: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم». رواه مسلم. وهذا والله نعم التوجيه من رسول الله ﷺ، ونعم الوفاء، مع أنه مع المشركين، لكن المسلم إذا عاهد عهدًا، أو ميثاقًا وجب عليه الوفاء به حتى مع المشركين فضلاً عن العصاة والفساق، فكيف بالمتقين المطيعين.

كما ذكر المزي رحمه الله تعالى بسنده عن صلة بن زفر قال: قلنا لحذيفة: كيف عرفت أمر المنافقين ولم يعرفه أحد من أصحاب النبي ﷺ أبو بكر ولا عمر؟ قال: إني كنت أسير خلف رسول الله ﷺ فنام

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

على راحلته، فسمعت ناسًا منهم يقولون: لو طرحناه عن راحلته فاندقت عنقه فاسترحنا منه، فسرت بينهم وبينه، وجعلت أقرأ وأرفع صوتي فانتبه النبي ﷺ فقال: «من هذا؟» قلت: حذيفة، قال: «من أولئك؟» قلت: فلان وفلان حتى عددتهم، قال: «أو سمعت ما قالوا؟» قلت: نعم، ولذلك سرت بينك وبينهم، قال: «فإن هؤلاء فلانًا وفلانًا- حتى عد أسماءهم- منافقون، لا تخبرنَّ أحدًا».

شرح الحديث:

قال الإمام النووي: قول حذيفة رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين: معناه: حدثنا حديثين في الأمانة، وإلا فروايات حذيفة كثيرة في الصحيحين وغيرهما. وأما الأمانة فهي كل ما افترض الله تعالى على عباده من كلمة التوحيد ومن الصلاة والزكاة وأداء الدَّيْن، وآكد الأمانة الودائع وآكد الودائع كتم الأسرار، وقد قيل إن الأمانة تشتمل على ثلاثة عناصر:

١- عفة الأمين عما ليس له بحق.

٢- تأدية الأمين ما يجب عليه من حق لغيره.

٣- اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه، وعدم التفريط بالأمانة أو التهاون بشأنها.

وقد بيّن بعض العلماء أن للأمانة مجالات تشمل نواحي الحياة كلها ومن ذلك أنها تدخل في الدين والعرض والمال والأجساد والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة ونقل الحديث والأسرار، والحواس كلها. إلخ ذلك.

ولقد نقل ابن الجوزي رحمه الله عن بعض المفسرين أن الأمانة جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة معان: أحدها الفرائض كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧].

والثاني الوديعة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

والثالث: العفة والصيانة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. والأمانة من أبرز وأعظم أخلاق الرسل وصفاتهم عليهم الصلاة والسلام، فنوح وهود وصالح وشعيب ولوط كل واحد منهم قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ كما ورد في سورة الشعراء.

ورسولنا محمد ﷺ كان مشهورًا بين قومه- قبل الرسالة وبعدها- بأنه الأمين، حتى إن الناس كانوا- يختارونه لحفظ ودائعهم عنده، فلما هاجر ﷺ وكَلَ أمرَ ردِّ الأمانات إلى ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فردها إلى أصحابها.

وجبريل عليه السلام- أمين الوحي قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، وأما الخيانة- وهي ضد الأمانة- فإنها من صفات المنافقين، فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان». متفق عليه، وكذا ثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». متفق عليه واللفظ للبخاري.

وقول حذيفة: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال» قال النووي: أما الجذر فهو بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الأصل. ونقل عن صاحب التحرير قوله: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ الآية، وهي عين الإيمان، فإذا استمكنت من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنم ما يرد عليه منها وجَدَّ في إقامتها، والله أعلم.

قوله عليه الصلاة والسلام: «فيظل أثرها مثل الوَكْت» هو بفتح الواو وسكون الكاف وبالتاء المثناة، وهو الأثر اليسير، وقيل هو سواد يسير أو لون يحدث مخالفًا للون الجلد الذي كان قبله. قال النووي: وأما «المَجْل» فبفتح الميم وسكون الجيم وفتحها لغتان، والمشهور الإسكان، يقال منه: مَجِلَتْ تمْجَلُ، ومَجَلَتْ تَمْجُلُ، والمصدر في الأول بفتح الجيم

الأمانة هي عين الإيمان، فإذا استمكنت

الإيمان يزول عن القلوب شيئًا

لن يَصلح الزمان إلا بأهله

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

من قلب العبد جَدّ في إقامة التكاليف

فشيئًا حتى يشتد ظلام القلب

ولن يُصلح الناس إلا الأمـــانة

وفي الثاني بإسكانها، قال أهل اللغة: المجل هو التنفط الذي يصير في اليد من أثر العمل بفأس أو نحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل.

قوله: «كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء»، الجمر معروف، وكذلك الدحرجة معروفة أيضًا، وأما نَفِط بفتح النون وكسر الفاء، ويقال أيضًا تنفط بمعناه أي انتفخ، ومنتبرًا أي مرتفعًا، والانتبار الارتفاع ومنه أُخِذَ المنبر لارتفاعه وارتفاع الخطيب عليه.

وفي رواية مسلم وابن ماجه: «ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله» أي أن حذيفة رضي الله عنه أخذ حصى فدحرجه على رجله شارحًا لمن يسمعونه ويحضرون مجلسه بطريقة عملية صورة دحرجة الجمر على الرجل.

نقل النووي عن صاحب التحرير قوله: معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئًا فشيئًا، فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها، ثم يزول الجمر ويبقى التنفط.

قوله: «ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلمًا ردّه عليّ الإسلام، ولئن كان نصرانيًا رده عليّ ساعيه، فأما اليوم فما كنت لأبايع إلا فلانًا وفلانًا».

فمعنى المبايعة هنا كما قال النووي وغيره من العلماء: البيع والشراء المعروفان، ومراده: أني كنت أعلم أن الأمـانة لم تنزع ولم ترتفع وأن في الناس وفاءً بالعهود، فكنت أُقْدِمُ على التعامل والتبايع مع من شئت غير باحث عن حاله وأمانته وثوقًا بالناس وأمانتهم، فإنه إن كان مسلمًا فدينه وأمانته تمنعه من الخيانة وتحمله على أداء الأمانة، وإن كان كافرًا فساعيه وهو الوالي عليه كان أيضًا يقوم بالأمانة في ولايته فيستخرج حقي منه، وأما اليوم فقد ذهبت الأمانة فما بقي لي وثوق بمن أبايعه ولا بالساعي في أدائهما الأمانة فما أبايع إلا فلانًا وفلانًا، يعني أفرادًا من الناس أعرفهم وأثق بهم.

ثم نقل النووي عن صاحب التحرير والقاضي عياض رحمهما الله تعالى قولهما: وحمل بعض العلماء المبايعة هنا على بيعة الخلافة وغيرها من المعاقدة والتحالف في أمور الدين، قالا: وهذا خطأ من قائله ففي هذا الحديث مواضع تبطل قوله، منها قوله: ولئن كان نصرانيًا (أو يهوديًا) كما في رواية مسلم، ومعلوم أن النصراني واليهودي لا يُعَاقَدُ على شيء من أمور الدين. والله أعلم.

وإذا كان هذا في زمان حذيفة رضي الله عنه- في خير القرون- فماذا يقال في زماننا هذا الذي بلا شك هو شر مما قبله، وهذا آخر الزمان عند اقتراب الساعة، وقد ضيعت الأمانة، كما ثبت من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال للأعرابي الذي سأله عن الساعة قال له :«إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال الأعرابي: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». أخرجه البخاري.

فأين الآن التاجر الأمين؟ وأين الصانع الأمين؟ وأين الزارع الأمين؟ وأين المعلم المربي الأمين؟ وأين الطبيب الأمين؟ وأين المهندس الأمين؟ وأين الموظف الأمين؟ وأين، وأين، وأين؟ إن الأمين في كل فن وكل عمل وكل علم أندر من النادر اليوم، ولن يصلح الزمان إلا بأهله، ولن يصلح الناس إلا بالأمانة، ولقد جعل الله عز وجل حفظ الأمانة وأداءها من صفات عباد الله المؤمنين المتقين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

نسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم وأمانتهم ردًا جميلاً، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

تعظيم الرسول ﷺ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»



بقلم/ زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب «واذكر في الكتاب مريم» برقم (٣٤٤٥) وفي كتاب الحدود مطولا باب «رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت» (٦٨٣٠) كما أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٥٤)، (١٦٤) ومطولا برقم (٣٩١)، وكذلك أخرجه الدارمي في السنن في كتاب الرقاق باب في «قول النبي ﷺ» «لا تطروني». برقم (٢٧٨٤).

راوي الحديث

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

مولده بمكة قبل الفجار الأخير بأربع سنين، وقيل مولده يوم الاثنين لأربع بقين من ذي الحجة، أسلم عمر رضي الله عنه بعد تسعة وثلاثين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وكان إسلامه عزًا ظهر به الإسلام. قال أبو عمر بن عبد البر: ضرب رسول الله ﷺ صدر عمر رضي الله عنه ثلاث مرات وقال: «اللهم أخرج ما في صدر عمر من غلّ وأبدله إيمانا» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، وعن أبي هريرة وعقبة بن عامر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب».

ولي الخلافة بعد أبي بكر الصديق، واستمرت خلافته عشر سنين وستة أشهر، قتل لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، ودفن إلى جوار أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

شرح الحديث

قوله ﷺ: «لا تطروني»: قال في النهاية الإطراء مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه، جاء في لسان العرب: أطرى الرجل: أحسن الثناء عليه، وأطرى فلانٌ فلانا إذا مدحه بما ليس فيه.

والمقصود أنه ﷺ نهى أمته عن الكذب في مدحه برفعه فوق منزلته، كما فعلت النصارى بعيسى ابن مريم عليه السلام.

وأما رسولنا ﷺ فقد بين الله عز وجل أنه بشر، وأنه رسول مثل الرسل قبله؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم بإحسان يعظمون رسول الله ﷺ ويوقرونه ويعزرونه كما أمرهم الله عز وجل في كتابه وكما بين لهم رسولهم صلوات الله وسلامه عليه، فكانوا يأتون من ذلك كله الحق لا

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

يجاوزونه؛ فلا يرفعونه فوق منزلته التي أنزله الله إياها ولم يجعلوه شريكا لله يتصرف في ملك الله، ولا نسبوا إليه ما ليس بصحيح من أمور اعتقادية كأن يكون خلق من نور، أو أن الله خلق الخلق من أجله، أو ما شابه ذلك من الكذب والباطل الذي درج عليه المبتدعة وأهل الأهواء قديما وتابعهم عليه مبتدعة زماننا حديثا.

وانظر رحمني الله وإياك إلى ما رواه الترمذي في الشمائل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من أقرب الناس إليه - يصفه بالأوصاف البشرية التي تفوق كل البشر، ومع ذلك لا تخرجه عن كونه بشرًا صلوات ربي وسلامه عليه يقول: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس صدرًا وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعتُهُ: لم أر قبله ولا بعده مثله».

وأما قوله ﷺ: «فإنما أنا عبدُهُ» وفي رواية: «عبدٌ» أي عبد الله، فهو ﷺ يبين لنا أنه عبد لله مخلوق لله لا يرتفع عن منزلته التي أنزله الله تبارك وتعالى، والله عز وجل وصفه بوصف العبودية في أشرف الأحوال، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:١]، وقال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء:١]، وقوله: ﴿فقولوا عبد الله ورسوله﴾، أمرنا ﷺ أن نصفه بهذين الوصفين وصف العبودية لله، ووصف الرسالة، فهما أعظم وصف يوصف به المخلوق أن يكون عبدًا لله تعالى وهذا أشرف مقام للمخلوق مع خالقه، ثم وصف الرسالة الذي يتميز به عن عامة البشر، فإنه يعني أنه يوحى إليه من ربه فلذلك أمره ربه سبحانه أن يقول ذلك لأمته وللناس جميعًا أنه جمع الله تعالى له بين الوصفين، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠]، أي معلنا توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به فإن كان هو ﷺ عبدًا لله يوحي إليه الله بشرعه فإن الله واحد لا شريك له لا في الخلق ولا في الأمر، فينبغي أن يعظم ويحب ويؤله، إنما يكون الحب والتعظيم لمن أمر الله بحبه وتعظيمه وهو عبده ورسوله محمد ﷺ والصالحون من عباده، وهناك فرق عظيم بين الحب والعبادة التي يشرك فيها المبطلون بربهم رسوله أو أولياءه من رفع بعضهم فوق منزلته التي أنزله الله تعالى وصرف كثير من العبادات لغير الله تعالى سواء لرسوله أو لأوليائهم الذين يتخذونهم أندادًا من دون الله.

فحقوق الرسول ﷺ التي تقتضي منا القيام بها هي:

١ - الإيمان به ﷺ: قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن:٨].

وقال هو ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به»، ومعنى الإيمان به ﷺ التصديق بنبوته ورسالته، وأن كل ما جاء به وما أخبر به فهو صدق.

٢ - محبته ﷺ: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

٣ - طاعته ﷺ: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وقال ﷺ: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه».

٤ - متابعته ﷺ: إن متابعة الرسول ﷺ عقيدة وعملا وقولا واجبة، بل هي الدين كله، ومخالفته في ذلك هي الخروج من الدين كله، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

ومن مظاهر هذه المتابعة

(أ) أن لا يبتدع المسلم بدعة، وألا يعمل ببدعة ابتدعها غيره مهما كان هذا المبتدع.

(ب) رد كل قول لقوله، وترك كل تشريع لشرعه، والإعراض عن كل ما خالف هديه في الاعتقاد

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

والقول والعمل.

(جـ) التمسك بالسنة الواجبة والمستحبة على السواء.

٥ ـ الاقتداء به ﷺ: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة، وكان أبي بن كعب رضي الله عنه يقول: «إن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وموافقة بدعة، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا واقتصادًا أن يكون على منهج الأنبياء وسنتهم».

٦ ـ توقيره ﷺ: وتوقير النبي ﷺ معناه تعظيمه وإجلاله والإكبار من شأنه ورفع قدره حتى لا يدانيه أحد من الناس وهذا واجب المسلم، وضد ذلك هو الاستخفاف به وهو كفر وخروج من ملة الإسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٨، ٩].

فالتعزير النصرة والتأييد، والتوقير الإجلال والتعظيم.

ومن مظاهر توقيره

(أ) ما أرشد الله إليه في كتابه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات:١]، أي لا تقولوا قبل أن يقول، وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا.

(ب) وما أرشد الله إليه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]. فرفع الصوت عنده يدل على عدم توقيره وعدم الأدب معه، وكذلك الجهر بالقول له إذا خاطبوه وكلموه.

(جـ) عدم ندائه باسمه العلم «يا محمد» وإرشادهم أن يدعوه بلقب الرسالة والنبوة قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور:٦٣].

٧ ـ تعظيم شأنه: أي احترام كل ما له تعلق به، كاسمه وحديثه وسنته وشريعته وآل بيته وصحابته وأفراد أمته، إذ كل ذلك داخل تحت حرمات الله تعالى والله يقول: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج:٣٠]. ولقد بلغ الصحابة والتابعون وتابعوهم في ذلك مبلغا عظيما.

٨ ـ النصح له ﷺ: قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٩١]. وقال ﷺ: «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله» فجعل ﷺ النصح له دينا، ومن النصيحة للرسول ﷺ:

(أ) التصديق بنبوته والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه.

(ب) شدة المحبة له ولآل بيته وجميع أصحابه.

(جـ) إبلاغ رسالته بعده ونشر دعوته وإقامة شريعته وإعزاز أهل ملته، وإذلال أهل بغضه وعداوته من الكائدين لدينه ولأمته وملته.

(٩) محبة آل بيته وصحابته: إذ محبة آل بيته ومحبة أصحابه من محبته، وما دامت محبته واجبة فمحبة ما يحب واجبة أيضا ويكفي في ذلك بعض الأحاديث التي وردت عنه ﷺ ومنها: «أنشدكم الله في أهل بيتي» وقوله ﷺ: «الله الله في أصحابي» إلى آخر ما جاء عنه ﷺ في هذا الشأن، ولقد كان الصحابة نعم من يعمل بذلك وينفذه.

(١٠) الصلاة عليه ﷺ: إن الصلاة عليه ﷺ من أوجب الواجبات، وهي واجبة بالقرآن والسنة والإجماع. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «رغم أنف امرئ ذكرت عنده ولم يصل عليّ» وقال ﷺ: «وصلوا عليّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني» إلى غير ذلك من النصوص الدالة على ذلك.

وأخيرًا فأين المدعون لمحبته المحتفلون بيوم مولده من هذه الحقوق العشرة؟ إنهم أبعد الناس عن ذلك ولا سيما اتباعه والعمل بسنته، والنصح له ﷺ وطاعته. وما أيسر الكلام والادعاء، وما أصعب العمل والمتابعة.

نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق والسداد لجميع المسلمين. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وجوب اتباع النبي ﷺ

إعداد
زكريا الحسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العينُ نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أوِّلوها له يَفْقَهْهَا، قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمةٌ والقلب يقظان، فقالوا: الدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» باب «الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ»، وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ برقم (٧٢٨١) كما أخرج معناه الإمام الترمذي في جامعه من حديث جابر في كتاب الأدب باب ما جاء في مَثَل الله عز وجل لعباده برقم (٢٨٦٠) ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه برقم (٢٨٦١)، والدارمي في المقدمة حديث رقم (١٢).

راوي الحديث

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن غَنْم بن كعب بن سَلمة، قال الذهبي في السير: الإمام الكبير المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي السَّلمي المدني الفقيه.

من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة موتًا، روى علمًا كثيرًا عن النبي ﷺ، وعن عمر وعلي وأبي بكر وأبي عبيدة ومعاذ بن جبل والزبير وطائفة. وروى عنه طائفة من التابعين كثيرون، وكان مفتي المدينة في زمانه، عاش بعد ابن عمر أعوامًا وتفرَّد. شهد ليلة العقبة مع والده، وكان والده من النقباء البدريين استشهد يوم أحد، وكان جابر قد أطاع والده يوم أحد وقعد لأجل أخواته، ثم شهد الخندق وبيعة الشجرة، وشاخ وذهب بصره، وجاوز التسعين.

وأخرج الترمذي عنه قال: «استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمسًا وعشرين مرة». وفي الصحيحين عن جابر: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم اليوم خير أهل الأرض». وكنا ألفًا وأربعمائة. قال الإمام الذهبي: مسنده بلغ ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا؛ اتفق له الشيخان على ثمانية وخمسين حديثًا، وانفرد له البخاري بستة وعشرين حديثًا، ومسلم بمائة وستة وعشرين حديثًا.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

شرح الحديث

قوله: «جاءت ملائكة»، قال الحافظ في الفتح: لم أقف على أسمائهم ولا أسماء بعضهم، ولكن في رواية سعيد بن أبي هلال المعلقة عقب هذا عند الترمذي أن الذي حضر في هذه القصة جبريل وميكائيل، ولفظه: «خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فقال: إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي». فيحتمل أنه كان مع كل منهما غيره، واقتصر في هذه الرواية على من باشر الكلام منهم ابتداءً وجوابًا، ووقع في حديث ابن مسعود عند الترمذي وحسنه، وصححه ابن خزيمة: أن النبي ﷺ توسد فخذه فَرَقَدَ، وكان إذا نام نفخ؛ قال: فبينا أنا قاعد إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض، الله أعلم بما بهم من الجمال، فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ، وطائفة منهم عند رجليه، قوله: «فقال بعضهم إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان». نقل ابن حجر الرامهرمزي قوله: هذا تمثيل يراد به حياة القلب وصحة خواطره، يقال: رجل يقظ إذا كان ذكي القلب، وفي حديث ابن مسعود فقالوا بينهم: ما رأينا عبدًا قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان، اضربوا له مثلاً، وفي رواية سعيد بن أبي هلال، فقال أحدهما لصاحبه اضرب له مثلاً، فقال: «اسْمَعْ سَمِعَ أُذُنُك، واعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُك إنما مثلك». وفي حديث ربيعة الجرشيّ عند الطبراني نحوه، وزاد أحمد في حديث ابن مسعود: «ليَعقلْ قَلْبُك». ولقد قال ﷺ عن نفسه لعائشة عندما سألته أتنام قبل أن توتر؟ قال: «يا عائشة، إنّ عيني تنامان ولا ينام قلبي». أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه.

والحاصل أنه إذا كان المقصود يقظة القلب فقد أوتي رسول الله ﷺ الكمال في ذلك، ويحتمل أن هذا مما اختص الله عز وجل به نبيه ﷺ، فيكون من خصوصياته، وحديث عائشة المذكور يرجح ذلك، والله أعلم.

قوله: «مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة». جاء في حديث ابن مسعود: «مثل سيد بني قصرا». وفي رواية أحمد: «بنيانا حصينًا ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه- أو قال- عذبه». وفي رواية: «عذب عذابًا شديدًا»، والمأدبة بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة، وحكي فتح الدال، ونقل ابن حجر عن ابن التين قوله عن أبي عبد الملك: الضم والفتح لغتان فصيحتان، ونقل عن أبي موسى الحامض: من قاله بالضم أراد الوليمة، ومن قاله بالفتح أراد أدب الله الذي أدب به عباده. ثم قال ابن حجر عقب ذلك: فعلى هذا يتعين الضم.

قوله: «وبعث داعيًا» في رواية سعيد: «ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه». قوله: «فقال بعضهم أولوها له يَفْقَهْهَا». قال الحافظ في الفتح: قيل يؤخذ منه حجة لأهل التعبير أن التعبير إذا وقع في المنام اعتمد عليه، قال ابن بطال: قوله: «أولوها له» يدل على أن الرؤيا على ما عبرت في النوم. انتهى.

قال: وفيه نظر لاحتمال الاختصاص بهذه القصة لكون الرائي النبي ﷺ والمرئي الملائكة، فلا يطرد ذلك في حق غيرهم.

قوله: «فقالوا الدار الجنة» أي الممثل بها، زاد في رواية سعيد بن أبي هلال «فالله هو الملك والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول الله». وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «أما السيد فهو رب العالمين، وأما البنيان فهو الإسلام، والطعام الجنة ومحمد الداعي، فمن تبعه كان في الجنة».

قوله: «فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله»؛ لأن محمدًا رسول الله ﷺ صاحب المأدبة، فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة، وهو كناية عن دخول الجنة، وقد جاء مبينًا في رواية سعيد، ولفظه: «وأنت يا محمد رسول الله، فمن أجابك دخل في الإسلام، ومن دخل في الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».

قوله: «ومحمد فَرْق بين الناس». قال ابن حجر رحمه الله: كذا لأبي ذر بتشديد الراء فعلاً ماضيًا، ولغيره بسكون الراء والتنوين «فَرْقٌ» وكلاهما متجه. زاد في حديث ابن مسعود: «فلما استيقظ قال: سمعت ما قال هؤلاء، هل تدري من هم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم الملائكة، والمثل الذي ضربوا الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده».

ولا شك أن محمدًا ﷺ فرّق الناس، فإنه دعا الناس إلى الله تعالى، فمنهم استجاب لدعوته، ومنهم من أعرض وأبى، وهذا هو المراد بالتفريق.

الأخذ بالسنة مع القرآن

وفي هذا الحديث وأمثاله ما يبين وجوب الأخذ بسنن رسول الله ﷺ، إيمانًا وتصديقًا وعلمًا وعملاً، والرد على من تنكر للسنة وزعم أنه يكتفي

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بالقرآن الكريم، فإن هذا الزعم باطل بكل حال، وإن الذين ينكرون سنة رسول الله ﷺ عبارة عن فرق يتفاوتون فيما بينهم، فمنهم من يرد السنة جملةً بزعم أنها من رواية الصحابة، والصحابة- عند هؤلاء- كفار، وهؤلاء هم الروافض، وهم لا شك مبطلون بل من زعم ذلك فقد خرج من الملة وأراد هدم الدين من أساسه، لأن الصحابة الذين نقلوا السنة هم الذين نقلوا القرآن، فمن طعن في السنة من هذا الباب طعن في القرآن فهدم الدين كله من أساسه.

وفريق يعرض السنة على عقله، فما وافق عقله منها قبله، وما لم يوافقه رده، ولا مستند له في ذلك إلا العقل، وربما زعم أنه يرد نصًا بفهمه هو لنصوص أخرى يرى أن فهمه صحيح وبناء عليه يرد السنن. وقد يزيد على ذلك فيتنقص أصحاب رسول الله ﷺ ممن روى تلك الأحاديث التي لم توافق عقله وازدراه وسخر منه.

وفريق ثالث يقف موقفًا آخر فيرى أن لا حجة في أحاديث الآحاد في عقيدة ولا شريعة، وهذا مزلق خطير، إذ فيه رد لمعظم السنن الواردة عن رسول الله ﷺ، غير أنه بصحيح الأحاديث ولا معتمد لما قرره علماء السنة من أصول يعتمد عليها في هذا الشأن.

قال الشافعي في الرسالة: ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله، فقال في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، مع أي سواها ذكر فيهن الكتاب والحكمة.

قال الشافعي: فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضاه من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ثم ساق الكلام، إلى أن قال: فأعلمهم أن طاعة رسول الله ﷺ طاعته، فقال: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، واحتج أيضًا بقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وغيرها من الآيات التي دلت على اتباع أمره ولزوم طاعته، فلا يسع أحدًا رد أمره لفرض الله طاعة نبيه.

قال الشافعي: فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه، لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى وحرام يجتنب، وحد يُقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا.

ثم أورد البيهقي حديث أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر أمري مما أمرت به أو نهيت عنه يقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا». أخرجه أبو داود والحاكم.

وحديث المقدام بن معديكرب أن النبي ﷺ حرم أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلي وغيره، ثم قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله». قال البيهقي: وهذا خبر من رسول الله ﷺ عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه فوجب تصديقه فيما بعده.

مناظرة رائعة في فرضية الأخذ بالسنة

ثم أخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة المكي أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد، إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعًا، ووجدت المغرب ثلاثًا، والغداة ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا، قال: فعن من أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟ أوجدتم فيه من كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بعيرًا كذا وفي كل كذا درهمًا كذا؟ قال: لا، قال: فعن من أخذتم ذلك؟ ألستم أخذتموه عنا وأخذناه عن النبي ﷺ؟ وقال: أوجدتم في القرآن: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أو وجدتم فيه فطوفوا سبعًا واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم في القرآن: لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام؟ أما سمعتم الله قال في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. قال عمران بن حصين: فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم. انتهى ملخصًا من مفتاح الجنة للسيوطي.

والحمد لله رب العالمين

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

المعجزة الكبرى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضعين من صحيحه؛ أحدهما في كتاب فضائل القرآن، باب: «كيف نزل الوحي وأول ما نزل» برقم (٤٩٨١)، والثاني في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ: «بعثت بجوامع الكلم» برقم (٧٢٧٤)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، إلى جميع الناس ونسخ الملل قبله برقم (١٥٢)، كذا أخرجه الإمام أحمد في المسند، والنسائي في الكبرى.

راوي الحديث

قال الذهبي: الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات، اختُلِف في اسمه واسم أبيه على أقوال جمة أرجحها: عبد الرحمن بن صخر.

ويقال: كان في الجاهلية اسمه عبد شمس «أبو الأسود»، فسمّاه النبي ﷺ: عبد الله وكناه أبو هريرة. قال الطبراني: وأمه رضي الله عنها هي ميمونة بنت صبيح.

حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه- لم يُلحق في كثرته- وكذلك عن أبيِّ بن كعب وأبي بكر وعمر وأسامة وعائشة والفضل وبصرة بن أبي بصرة وكعب الحبر.

حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمانمائة أو أكثر كما قال البخاري.

عن محمد بن قيس قال: كان أبو هريرة يقول: لا تكنُّوني أبا هريرة؛ كناني رسول الله ﷺ: أبا هر، فقال: «ثكلتك أمك أبا هر». والذكر خير من الأنثى، وعن الوليد بن رباح أن أبا هريرة كان يقول: كان النبي ﷺ يدعوني: «أبا هر».

قال أبو هريرة: والله ما خلق الله مؤمنًا يسمع بي إلا أحبني. قال يزيد بن عبد الرحمن لأبي هريرة: وما علمك بذلك؟ قال: إن أمي كانت مشركة، وكنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى عليَّ، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فأخبرته، وسألته أن يدعو لها، فقال: «اللهم اهدِ أم

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

للنبي صلى الله عليه وسلم

إعداد/ زكريا حسيني

أبي هريرة». فخرجت أعدو أبشرها، فأتيت فإذا الباب مجاف وسمعت خضخضة الماء، وسمعت حسي، فقالت: كما أنت، ثم فتحت وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. قال: فرجعت إلى رسول الله أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فأخبرته، وقلت: ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين، فقال: «اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهما». أخرجه مسلم وأحمد.

شرح الحديث

قوله ﷺ: «ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعْطي». هذا يدل على أن كل نبي من الأنبياء لابد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه وعدم تكذيبه، ولا يضره بعد ذلك من أصر على تكذيبه.

قوله: «من الآيات» أي: المعجزات الخوارق للعادات.

وقوله: «ما مثله آمن عليه البشر»: المِثْلُ يطلق ويراد به عين الشيء، ويطلق أيضًا على ما يساويه، والمعنى أن كل نبي من الأنبياء أعطي معجزة أو أكثر؛ من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن ويصدق هذا النبي لأجلها، و«على» هنا بمعنى اللام أو الباء، وإنما عبر بـ «على» لأنها تفيد معنى الغَلَبَة، أي أنه يؤمن بذلك مغلوبًا عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه، ولكنه قد يجحد ويعاند، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾. قوله ﷺ: «وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليَّ» أي إن معجزتي التي تحديْتُ بها هي الوحي الذي أنزل عليَّ وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته ﷺ فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات مثل ما أوتي من تقدمه من الأنبياء، بل المراد أن القرآن هو المعجزة العظمى التي اختصه الله بها دون غيره، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، فلما كان السحر فاشيًا عند فرعون وقومه جاءه موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقف ما صنعوا أي تبطله، ولم يقع ذلك بعينه لغيره من الأنبياء، وكذلك لما كان الأطباء والحكماء في عهد عيسى عليه السلام في غاية الظهور كانت معجزته عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وهو ما لم تصل إليه قدرتهم. ولما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة والفصاحة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك، وقيل المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة، بخلاف غيره من المعجزات فإنها لا تخلو عن مثل، وقيل المراد أن كل نبي أعطي

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله، وقيل المراد أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخييل وإنما هو كلام معجز لا يقدر أحد أن يأتي بما يتخيل منه التشبيه به، بخلاف غيره فإنه قد يقع في معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل شبهه فيحتاج مَن يميز بينهما إلى نظر، والنظر عرضة للخطأ، فقد يخطئ الناظر فيظن تساويهما، وقيل المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بذهاب عصورهم وأزمانهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، وهذا أقوى المحتملات، وقيل المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأحسها أكثر، لأن الذي يشاهدُ بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرًا، قال الحافظ ابن حجر بعد أن ساق هذه الأقوال: ويمكن نظم هذه الأقوال كلها في كلام واحد؛ فإن محصلها لا ينافي بعضه بعضًا.

قوله ﷺ: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة». قال الحافظ في الفتح: رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن

القرآن عام النفع كثير الفائدة يشتمل على

سامع القرآن لا يمجه وقارئه لا يمل من تلاوته،

لن يستطيع أعداء الإسلام والمسلمين أن يصرفوهم عن

سيوجد، فحسن ترتيب الرجاء المذكور على ذلك، وهذا الرجاء قد تحقق، فإنه أكثر الأنبياء تابعًا، ثم قال رحمه الله: وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

أحدها: حسن تاليفه والْتِئام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظمًا ونثرًا حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها: ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها: الإخبار بما سياتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي، وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه، كتمني اليهود الموت، ومنها الروعة التي تحصل لسامعه، ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده، وسامعه لا يمجه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة، ومنها أنه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي فوائدها. اهـ.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة وحلاوة

دينهم وعن كتاب ربهم إذا استمسكوا به وحفظوه ولم يهجروه

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم أفصح القرون. مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروف، والله أعلم.

ثم قال رحمه الله: وقوله ﷺ: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا» علَمٌ من أعلام النبوة؛ فإنه أخبر عليه السلام بذلك في زمن قلة المسلمين، ثم مَنَّ الله تعالى وفتح على المسلمين البلاد وبارك فيهم حتى انتهى الأمر واتسع الإسلام في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة ولله الحمد على هذه النعمة وسائر نعمه التي لا تحصى، والله أعلم.

هذا ولا شك أن القرآن الكريم هو معجزة نبينا محمد ﷺ وأنه الوحي الذي أوحاه الله تعالى إليه، وكذلك السنة النبوية وحي الله تبارك وتعالى إلى رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾، والقرآن باق ومحفوظ بحفظ الله تعالى لا يتبدل ولا يتغير، قال تعالى: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ليس بحاجة إلى حفظ البشر، فإن الله تعالى حافظه، وإنما يسعد المسلمون ويرقون ويفوزون في الدنيا والآخرة إذا تعلموا هذا الكتاب واعتنوا به، تلاوة وحفظًا وتدبرًا وفهمًا وعلمًا وعملاً، حافظوا على تلاوته وحفظه وتفسيره وإعرابه، فإنه منهاجهم الذي فيه عزهم ونصرهم في الدنيا، وفوزهم بالجنة ونجاتهم من النار في الآخرة.

ولن يستطيع أعداء الإسلام والمسلمين أن يصرفوهم عن دينهم وعن كتاب ربهم إذا استمسكوا به وحفظوه ولم يهجروه، أما إذا هجروه تلاوة وحفظًا وفهمًا وتدبرًا وعلمًا وعملاً، فإن الأعداء يسهل عليهم أن يتسلطوا على المسلمين ويعيثوا فسادًا بتشكيكهم في كتابهم وإلقاء الشبه عليهم فيتهوك منهم من يتهوك ويتشكك من يتشكك، وذلك لضعف الإيمان والجهل بالقرآن، ولا عجب بعد ذلك أن يُطْلَب من المسلمين مَحْوُ آياتٍ من القرآن تتعارض مع مبادئ الكافرين وأهوائهم أو تتصادم مع مصالحهم فيما يزعمون، بل أكثر من ذلك أن يؤلفوا كتابًا أو كتبًا بديلة عن القرآن للمسلمين، ليأخذوه فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، ومن هان عليه دينه هان عليه كل شيء.

نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا وعقائدنا، وأن يجعلنا من أهل القرآن المستمسكين به العاملين به في الدنيا الفائزين به في الآخرة، وأن يجعله شفيعنا إلى جنات النعيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الصبر على المكاره

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها.

إعداد / زكريا الحسيني

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المرضى باب: «فضل من يصرع من الريح برقم (٥٦٥٢)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة باب «ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها برقم (٢٥٧٠)» كما أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٣٢٤٠).

راوي الحديث: هو حبر الأمة، وفقيه عصره وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم، ولد بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، قال الذهبي: صحب النبي ﷺ نحوا من ثلاثين شهرًا، وحدث عنه بجملة صالحة وعن عمر وعلي ومعاذ ووالده وعبد الرحمن بن عوف وأبي سفيان صخر بن حرب وأبي ذر وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم. وأمه هي أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية. قال الذهبي: وكان وسيما جميلا مديد القامة، مهيبا كامل العقل ذكي النفس، من رجال الكمال. صح عنه رضي الله عنه أنه قال: «كنت أنا وأمي من المستضعفين؛ أنا من الولدان وأمي من النساء» يقصد قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ [النساء:٩٨]، كما صح عنه رضي الله عنه أنه قال: مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة. ودعا له بقوله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين» وفي زيادة: «وعلمه التأويل»، فكان ببركة دعاء النبي ﷺ من أعلم الأمة بكتاب الله تعالى بحق كما كان من أفقه الصحابة ومن أعلمهم بالدين.

في قول البخاري في الترجمة: فضل من يصرع من الريح، قال الحافظ: «انحباس الريح قد يكون سببا للصرع، وهو علة تمنع الأعضاء الرئيسية عن انفعالها منعا غير تام، وسببه ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصبًا بل يسقط ويقذف بالزُّبَد لغلظ الرطوبة، وقد يكون الصرع من الجن ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم. إما لاستحسان بعض الصور الإنسية وإما لإيقاع الأذية به، والأول هو الذي يثبته جميع الأطباء ويذكرون علاجه، والثاني يجحده كثير منهم، وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجًا إلا بمقاومة الأرواح الخيرة العلوية لتدفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها، وممن نص على ذلك أبقراط فقال لما ذكر علاج المصروع: هذا إنما ينفع في الذي سببه أخلاط، وأما الذي يكون من الأرواح فلا.

وقال ابن القيم في الزاد بعدما ساق هذا الحديث: الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة،

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه، وأما صرع الأرواح فائمتهم وعقالؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدفع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك بقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج.

وقال أيضا: وأما جهلة الأطباء وسقطُهم وسِفْلتهم، ومن يعتقد بالزندقة فضيلة فأولئك ينكرون صرع الأرواح، ولا يقرون بانها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحس والوجود شاهد به، ثم قال: ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتاثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم.

قال: وعلاج هذا النوع يكون بامرين؛ أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي تواطأ عليه القلب واللسان، فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصار على عدوه بالسلاح إلا بامرين؛ أن يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدًا، وأن يكون ساعده قويا، فمتى تخلف أحدهما لم يُغْنِ السلاح عنه شيئا، فكيف إذا عدم الأمران جميعا: يكون القلب خرابًا من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه، ولا سلاح له.

والأمر الثاني وهو الذي من جهة المعالج وهو أن يكون فيه هذان الأمران أيضا. [انتهى من زاد المعاد بتصرف يسير]

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: «وفي الحديث فضل من يصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوي، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله تعالى أنجح وانفع من العلاج بالعقاقير، وأن تاثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تاثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجع بامرين: أحدهما من جهة العليل، وهو صدق القصد والآخر من جهة المداوي وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل. والله أعلم

وأما قولها: «وإني أتكشّفُ» بالتاء وتشديد الشين من التكشف، وبالنون الساكنة من الانكشاف، والمراد أنها خشيت أن تظهر عورتها وهي لا تشعر.

قال الحافظ: وعند البزار من وجه آخر عن ابن عباس في نحو هذه القصة أنها قالت: «إني أخاف الخبيث أن يجردني، فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تاتي أستار الكعبة فتتعلق بها».

وانظر أخي المسلم وتامل، ولتتأمل نساء المسلمين في قوة يقين هذه المراة وشدة حرصها على الجنة؛ فهي تختار الجنة مع صبرها على المرض مع أن النبي ﷺ خيرها بين الدعاء لها بالشفاء وبين الصبر فتختار الصبر على المرض وتعاني منه وتكابده وذلك في سبيل دخولها الجنة في الآخرة، ولكنها لم تصبر على التكشف، ولم ترض بانكشاف شيء من جسدها ولم تصبر عليه، مع أنها معذورة في ذلك إنما يحدث لها الانكشاف وهي مصروعة غير مدركة، والمريض ليس عليه حرج كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١]، ولكنها مع ذلك لم تصبر على التكشف، فما بال نساء المسلمين اليوم، يتكشفن بإرادتهن، بل تتفنن الواحدة منهن في التكشف وإظهار مفاتن جسدها للرجال من غير صرع ولا مرض، وليس لهن من عذر ولا بهن من جنون، ضاربات باوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ عُرض الحائط، وكانهن لا يعرفن من الإسلام إلا اسمه، وكانهن لا يؤمن بالله ولا برسوله ولا يصدقن كتابًا ولا سنة، وكان وحي الله عز وجل - الذي يتلى على مسامع القوم صباحًا ومساءً - لا يخاطبهم رجالا ونساءً، وإنما يخاطب عالمًا آخر غيرهم، وهذا القرآن الذي يبث إليهم ولا يستمعون إليه ولا ينصاعون ولا يستجيبون له هو حجة الله تعالى على خلقه لا عذر لهم بجهل دينهم فإنه معروض عليهم ليلا ونهارًا، وهم معرضون عنه ولذلك كان هذا الشقاء والبلاء الذي يعيشه المسلمون قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه:١٢٤-١٢٦]، أو أن الأمر كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: وأكثر تسلط الأرواح

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والإيمانية؛ فتلقى الروحُ الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح له، وربما كان عريانا فيؤثر فيه هذا، ولو كشف الغطاء لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبها الصرع الأعظم الذي لا يُفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاينة (يعني عند الموت) فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقة، والله المستعان.

وقال أيضا: وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرسل، وأن تكون الجنة والنار نُصبَ عينيه وقبلة قلبه، ويستحضر أهل الدنيا، وحلول المثلات والآفات بهم، ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر، وهم صرعى لا يفيقون، وما أشد داء هذا الصرع، ولكن لما عمت البلوى به بحيث لا يُرى إلا مصروعا، لم يصر مستغربا ولا مستنكرًا، بل صار لكثرة المصروعين عين المستنكر والمستَغْرَب خلافه.

فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا أفاق من هذه الصرعة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حوله يمينا وشمالا على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من أطبق به الجنون، ومنهم من يفيق أحيانا قليلة، ويعود إلى جنونه، ومنهم من يفيق مرةً ويُجَنُّ أخرى فإذا أفاق عمل عمل أهل الإفاقة والعقل، ثم يعاوده الصرع، فيقع في التخبط. اهـ

بهذا الوصف يصف ابن القيم أهل الدنيا في زمانه، فما باله لو رأى أهل عصرنا الذي نعيش فيه؛ تنكر كثير من المسلمين لدينهم وانخدعوا بما زينه لهم شياطين الإنس والجن وراحوا ضحايا هذا التخبط والتيه في ظلمات الجهل بدينهم وبكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، ولو كانوا من المثقفين والمتعلمين الذين نالوا أعلى الشهادات وتبوءوا أعظم المنازل والدرجات فإنما ذلك شأنهم في الدنيا وأما عن الآخرة فهم غافلون، وأما ما يفعله البعض الآن من القراءة على المرضى وخاصة المرأة يقرأ عليها ويرقيها رجل من غير محارمها وربما كشف عن شيء من جسدها وما يترتب على ذلك من المفاسد التي تملأ السمع والبصر فهذا مما لا يقره دين ولا عقل، ولا يجوز للمسلمة التي تخشى الله عز وجل وتتقيه أن تذهب أو يذهب بها وليها إلى رجل ليقرأ عليها، فإن قراءة المعوذات وآية الكرسي يستطيعها كل مسلم، فإن كانت المرأة لا تستطيع القراءة فليقرأ عليها أحد محارمها، وأما التهاون في هذا الأمر فإنه يؤدي إلى مفاسد دينية وخلقية، وربما أدّى إلى ارتكاب الفواحش، وامتهان الدجل والشعوذة، فالمرأة المصابة الصرع في هذا الحديث لم تطلب من النبي ﷺ أن يرقيها، ولا هو ﷺ أرشدها إلى ذلك، بل طلبت أمرًا مشروعا وهو الدعاء، ومع ذلك أرشدها النبي ﷺ إلى ما هو خير لها من الدعاء، وهو الصبر لتنال جنة ربها.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدي ضال المسلمين وأن يشفي صرعاهم ومرضاهم، وأن يردهم إلى دينه ردًا جميلا إنه بهم رءوف رحيم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

المحرمات من النسب بسبب الرضاع

إعداد
زكريا حسيني

عن عروة أنَّ عائشة رضي الله عنها أخبرته أنه جاء أفلَحُ أخو أبي القُعَيس يستأذن عليها، بعد ما نزل الحجاب، وكان أبو القعيس أبا عائشة من الرضاعة، قالت عائشة فقلت: والله لا آذن لأفلح حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فإن أبا القُعيس ليس هو أرضعني ولكنْ أرضعتني امرأته، قالت عائشة: فلما دخل رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله إن أفلح أخا أبي القُعيس جاءني يستأذن عليَّ فكرهت أن آذن له حتى أستأذنك قال: قالت: فقال النبي ﷺ «ائذني له».

قال عروة: فبذلك كانت عائشة تقول: «حرموا من الرضاعة ما تحرمون من النسب».

هذا الحديث أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، والسياق لمسلم، كما أخرجه أيضا أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وكذلك أخرجه الإمام أحمد في المسند.

شرح الحديث

قول عائشة رضي الله عنها: «حَرِّموا من الرضاعة ما تحرمون من النسب»: هو جزء من نص حديث جاء مصرحًا به من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في بنت حمزة: «لا تحل لي، يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، هي ابنة أخي من الرضاع». خرجاه في الصحيحين.

وهنا نجد أن النبي ﷺ جعل المحرمات من الرضاع مثل المحرمات من النسب، فجعل المحرمات من النسب أصلا يقاس عليهن مثلهن من الرضاع، إذن لابد من معرفة المحرمات بالنسب حتى نعرف المحرمات بالرضاع فالمحرمات بالنسب بيَّنتهن الآية من سورة النساء في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ [النساء:٢٣].

فالآية بيَّنت أن المحرمات بالنسب سبع وهن:

١ ـ الأم، وتشمل الأم والجدة لأم والجدة لأب وأم الجدة لأم وأم الجدة لأب، فيقال: الأم وإن علت.

٢ ـ البنت، وتشمل البنت، وبنتها، وبنت الابن وهكذا فيقال: البنت وإن نزلت.

٣ ـ الأخت، وتشمل الأخت الشقيقة، والأخت لأب، والأخت لأم.

٤ ـ العمة: وتشمل العمة أخت الأب شقيقةً كانت أو لأب أو لأم، والعمة أخت الجدِّ وهكذا، فيقال: العمة وإن علت.

٥ ـ الخالة: وتشمل الخالة أخت الأم شقيقة كانت أو لأب أو لأم، والخالة أخت الجدة وهكذا، فيقال وإن علت.

٦ ـ بنت الأخ: وتشمل بنت الأخ الشقيق وبنت الأخ لأب، وبنت الأخ لأم، وبنت بنت الأخ وبنت ابن الأخ فيقال: بنت الأخ وإن نزلت.

٧ ـ بنت الأخت، وتشمل بنت الأخت الشقيقة وبنت الأخت لأب أو لأم، وبنت بنت الأخت، وبنت ابن الأخت وهكذا فيقال: بنت الأخت وإن نزلت.

هؤلاء المحرمات بالنسب، وهن أصل يقاس عليهن المحرمات بالرضاع بقوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» وفي حديث آخر: «إن الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة»

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وفي رواية: «الرضاع يُحرم ما تحرمهُ الولادة» وكلها في الصحيحين من حديث عائشة وعبد الله بن العباس، وعلي رضي الله عنهم. فإذن اللائي يحرمن من الرضاع على هذا الترتيب هن:

١ ـ الأم التي أرضعت وأمها وأم زوجها صاحب اللبن فالأم تشمل الجدات فيصح أن يقال فيها: الأم وإن علت.

٢ ـ البنت من الرضاعة وإن نزلت، أي وبنتها وبنت بنتها وبنت ابنها، فيقال فيها: البنت وإن نزلت، وهذا مبني على أن لبن الفحل يُحَرِّم؛ أي: إثبات أبوة الفحل صاحب اللبن، وأن التحريم ينتشر منه كما ينتشر من المرأة، قال ابن القيم: وهذا هو الحق الذي لا يجوز أن يقال بغيره، وإن خالف فيه من خالف من الصحابة ومن بعدهم، فسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع، ويترك ما خالفها لأجلها، ولا تترك هي لقول أحد كائنا من كان، ولو تُركت السنن لخلاف من خالفها لعدم بلوغها له، أو لتأويلها، أو غير ذلك لتركت الحجة إلى غيرها، وقول من يجب اتباعه إلى قول من لا يجب اتباعه، وقول المعصوم إلى قول غير المعصوم، وهذه بَلِيَّةٌ، نسأل الله العافية منها وأن لا نلقاه بها يوم القيامة.

قال الأعمش: كان عمارة، وإبراهيم، وأصحابنا لا يرون بلبن الفحل باسًا حتى أتاهم الحكم بن عتيبة. بخبر أبي القعيس، يعني فتركوا قولهم، ورجعوا عنه، وهكذا يصنع أهل العلم إذا أتتهم السنة عن رسول الله ﷺ رجعوا إليها، وتركوا قولهم بغيرها. انتهى من الزاد ج٥ ص٥٦٤، ٥٦٥.

والمقصود بخبر أبي القعيس هو ما ورد في هذا الحديث، والعجب أن عائشة ناقشت الرسول ﷺ في هذا فقالت: فإن أبا القعيس لم يرضعني، ولكن أرضعتني امرأته، فقال لها النبي ﷺ: ائذني له فإنه عمك، وفي رواية قال لها: تربت يمينك، حاثًا لها على الاستجابة لأمره ﷺ بالإذن لأفلح، ومبينا أن لبن الفحل يحرم وتنتشر به الحرمة كما تنتشر بلبن المرأة.

٣ ـ الأخت من الرضاع وهي كالأخت من النسب، أي بأنواعها الثلاثة الشقيقة، ولأب، ولأم والكلام في الأخت لأب من الرضاع ثابت أيضا بخبر أبي القعيس، وصورته أنه يحرم على الرجل أن يتزوج بنت صاحب اللبن من زوجة غير التي أرضعته.

أي أن رجلا له زوجتان أو أكثر، فأرضعت إحدى الزوجتين أو الزوجات طفلا، فإذا أراد هذا الطفل أن يتزوج من بنات هذا الرجل من الزوجة الأخرى التي لم ترضعه فإنها لا تحل له، لأنها أخته لأبيه من الرضاع.

٤ ـ العمة من الرضاع، وهي أخت زوج المرأة التي أرضعت، أي أخت صاحب اللبن، فهي عمة وكذلك أخت أبيه عمة فيقال فيها أيضا: العمة وإن علت.

٥ ـ الخالة من الرضاع، وهي أخت المرأة التي أرضعت، وكذلك أخت أمها وهكذا فيقال فيها: الخالة وإن علت.

٦ ـ بنت الأخ من الرضاع، وكذلك بنت ابن الأخ وبنت بنت الأخ من الرضاع فيقال فيها: بنت الأخ وإن نزلت.

٧ ـ بنت الأخت من الرضاع، وكذلك بنت بنت الأخت، وبنت ابن الأخت من الرضاع، فيقال فيها: بنت الأخت وإن نزلت.

هؤلاء سبع من الرضاع حرمن كما حرمت مثيلاتهن من النسب وذلك بقول الرسول ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» وبقوله ﷺ: «الرضاعة تحرِّمُ ما يَحْرُم من الولادة» وهكذا نرى انتشار المحرمية بالرضاع كانتشارها بالنسب تمامًا بتمام، وبقي من أسباب التحريم التحريم بالمصاهرة فهو قسم ثالث السبب فيه ليس الولادة ولا الرضاع وإنما سببه المصاهرة، سنتكلم عنه لكن بعد الكلام عن أمور بقيت في التحريم بالرضاع.

الأمر الأول:

المراد بالرضعة، وعدد الرضعات التي تحرِّم، فأما الرضعة التي تنفصل عن أختها وتسمى رضعة فهي المرة من الرضاع، فمتى الْتَقَمَ الثدي فامتص منه ثم تركه باختياره من غير عارض كان ذلك رضعة، لأن الشرع ورد بذلك مطلقا، فيحمل على العرف وهذا هو المتعارف عليه، قال ابن القيم: والقطع العارض لتنفس أو استراحة يسيرة، أو لشيء يلهيه ثم يعود عن قرب لا يخرجه عن كونه رضعة واحدة.

ولو انتقل من ثدي المرأة إلى ثديها الآخر ليكمل الرضاع فهي رضعة واحدة أيضا.

وأما عدد الرضعات المحرمة فقد اختلف العلماء فيه على أقوال، المعتبر منها ثلاثة:

أولها: يحرم قليل الرضاع وكثيره، وهذا مروي عن طائفة من السلف والخلف، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك، وهو رواية عن أحمد رحم الله الجميع، وقد احتج أصحاب هذا القول بأن الله سبحانه علق التحريم باسم الرضاعة، فحيث وجد اسمها وجد حكمها،

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

والنبي ﷺ قال: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، وهذا موافق لإطلاق القرآن، وإنبات اللحم وإنشاز العظم يحصل بقليل الرضاع وكثيره.

وثانيها: لا يثبت التحريم بأقل من ثلاث رضعات وهذا قول داود بن علي الظاهري وهو رواية ثانية عن الإمام أحمد، وحجة القائلين بذلك أنه ثبت عن النبي ﷺ: «لا تحرم المصة ولا المصتان». رواه مسلم عن عائشة، وروى عن أم الفضل أنها قالت قال رسول الله ﷺ: «لا تحرم الإملاجة والإملاجتان». وفي حديث آخر عنها رضي الله عنها أنها قالت: قال رجل يا رسول الله هل تحرم الرضعة الواحدة؟ قال: «لا». قالوا: وهذه أحاديث صحيحة صريحة، لا يجوز العدول عنها، فأثبتنا التحريم بالثلاث لعموم الآية، ونفينا التحريم بما دونها بصريح السنة، إلى آخر ما قالوا.

وثالث الأقوال المعتبرة: أنه لا يثبت تحريم بأقل من خمس رضعات، وهو مذهب الشافعي، وأحمد في ظاهر مذهبه وهو قول ابن حزم الظاهري وقد خالف داود في هذه المسألة.

وحجة أصحاب هذا القول ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يُحَرِّمْن، ثم نسخن بخمس معلومات. فتوفي رسول الله ﷺ، وهن فيما يقرأ من القرآن» أي توفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك لم ينسخن بشيء، وفي قصة سالم مولى أبي حذيفة قال النبي ﷺ: «أرضعيه تحرمي عليه» قالت عائشة فأرضعته خمس رضعات.

وفي بعض روايات هذا الحديث: «أرضعيه خمس رضعات تحرمي عليه»: قالوا: وعائشة أعلم الأمة بحكم هذه المسألة هي ونساء النبي ﷺ، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا أرادت أن يدخل عليها أحد أمرت إحدى بنات أخواتها أو إخوتها فأرضعته خمس رضعات. قالوا: ونفى التحريم بالرضعة والرضعتين صريح في عدم تعليق التحريم بقليل الرضاع وكثيره، قالوا: وإذا علقنا التحريم بالخمس لم نكن قد خالفنا شيئا من النصوص التي استدللتم بها، وإنما نكون قد قيدنا مطلقها بالخمس وتقييد المطلق بيان لا نسخ ولا تخصيص. إلى آخر ما هنالك من المناقشات بين أصحاب هذه الأقوال، ولكن يمكن العمل بهذه الأقوال بالتفريق بين حالتين:

إحداهما: أن يكون الزواج قد تم بالفعل، ويُدَّعَى أن هناك رضاعا قد تم، ففي هذه الحال لا يفرق بين الزوجين إلا أن يثبت الرضاع يقينا ويكون خمس رضعات فأكثر، وليس أقل من خمس رضعات، قال بعض العلماء: لأن الزواج يقين، واليقين لا يزول بشبهة ولا بشك، ولكن بيقين مثله أو أقوى منه، وحينئذ تكون العبرة بأكبر الأقوال وأكثرها في عدد الرضعات.

وثانيتهما: أن تكون مجرد خطبة، ولم يتم زواج ولا شيء، فإن ادُّعي رضاع، فحينئذ لا يشترط عدد رضعات، بل لو كانت مصة واحدة لكفت في منع إقامة هذا الزواج، وذلك اتقاء للشبهات والأمر في هذا ليس فيه تفريق بين زوجين فيختلف عن الحالة الأولى.

الأمر الثاني:

سن الرضاع المحرِّم: قد اختلف الفقهاء في ذلك اختلافا كبيرًا؛ والأقوال المعتبرة في ذلك ثلاثة:

الأول: أنه ما كان في الحولين، ولا يحرم ما كان بعدهما، وهو قول الشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد بن الحسن صاحبي أبي حنيفة. وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة:٢٣٣]. وهذه هي مدة المجاعة التي ذكرها رسول الله ﷺ وقصر الرضاعة المحرمة عليها في قوله لعائشة: «انظرن من إخوانكن من الرضاعة. فإنما الرضاعة من المجاعة» متفق عليه.

الثاني: الرضاع المحرم ما كان قبل الفطام ولم يَحُدَّهُ أصحاب هذا القول بزمن. تقدم الفطام أم تأخر وبعضهم حده بالحولين وما قاربهما وهو مشهور مذهب مالك، وقال أبو حنيفة وزفر: ثلاثون شهرًا.

الثالث: قال أصحاب القول الثالث يحرم رضاع الكبير ولو كان شيخا: وهو قول عائشة وكذلك قول الليث بن سعد وأبي محمد ابن حزم. مستدلين بقصة سالم مولى أبي حذيفة، وبفعل عائشة رضي الله عنها وقد نقل الإمام ابن القيم في كتابه القيم زاد المعاد الجزء الخامس مناظرة يطول ذكرها هنا بين القائلين بالحولين والقائلين برضاع الكبير، منتهاها أنه يظهر من المناظرة أن القائلين بعدم تحريم رضاع الكبير والعبرة به، قالوا إن أمر سالم خاص به، وأما القائلون بتحريم رضاع الكبير فقالوا إنه عام يشمل الأمة كلها، وسلك جماعة من العلماء من المحققين مسلكا ثالثا: وهو أن حديث سهلة زوجة أبي حذيفة في رضاع سالم ليس بمنسوخ، ولا مخصوص، ولا عام في حق كل أحد،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وإنما هو رخصة للحاجة لمن لا يستغني عن دخوله على المرأة، ويشق احتجابها عنه. كحال سالم مع امرأة أبي حذيفة، فمثل هذا الكبير إذا أرضعته للحاجة أثّر رضاعه، وأما من عداه فلا يؤثر إلا رضاع الصغير، قال: وهذا مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. قال: والأحاديث النافية للرضاع في الكبير إما مطلقة فتقيد بحديث سهلة، أو عامة في الأحوال فتخصيص هذه الحال من عمومها، وهذا أولى من النسخ ودعوى التخصيص بشخص بعينه، وأقرب إلى العمل بجميع الأحاديث من الجانبين، وقواعد الشرع تشهد له، والله الموفق، أ.هـ.ج٥ ص٥٩٣ زاد المعاد.

الأمر الثالث:

محرمية الرضاع تتساوى مع محرمية النسب تمامًا فلا فرق بينهما من حيث المحرمية وهذا رسول الله ﷺ يقول لعائشة: «ائذني لأفلح فإنه عمك من الرضاع» فالعم من الرضاع محرم مثل العم من النسب يدخل على المرأة ويخلو بها ولا حرج شرعا في ذلك.

الأمر الرابع:

كثيرًا ما يتساءل المتسائلون عن رضاع تم بين فتى وفتاة أو رجل وامرأة فهل يجوز له أن يتزوج أختها الصغرى مثلا؟ كما أنه انتشر بين الناس أنه إذا لم يجتمع الاثنان على ثدي واحد فلا حرمة.

ففي الحالة الأولى نقول: يجب تحديد المرتضع؛ هل الفتى رضع من أم الفتاة؟ إن كان كذلك فإن هذا الفتى صار ابنا للمرأة التي أرضعته كما صار ابنا أيضا لزوجها صاحب اللبن، فكل بنات هذه المرأة الكبيرات والصغيرات وكذلك بنات هذا الرجل (صاحب اللبن) أخوات لهذا الفتى من الرضاع وأم المرأة المرضعة جدة له وأم زوجها - صاحب اللبن - جدة أيضا وأخوات المرأة المرضعة خالات، وأخوات الرجل صاحب اللبن عمات، وبنات أولاد هذه المرأة وأولاد زوجها بنات إخوة وأخوات وهكذا تنتشر المحرمية بين الرضيع وفروعه ومن أرضعته وأصولها وفروعها وزوجها وأصوله وفروعه، وأما إخوة الرضيع الذين لم يرضعوا فلا تتعلق محرمية الرضاع بهم، وهكذا الفتاة إن كانت هي التي رضعت، فإن الإنسان الذي يرتضع من امرأة يصير واحدًا من أسرتها كأبنائها وبناتها وأبناء زوجها وبناته، وأما إخوته وأخواته فلا علاقة لهم بتحريم الرضاع.

وفي الحالة الثانية وهي ما انتشر من أنه إذا لم يجتمعا على ثدي واحد فلا حرمة، فهذا ليس صحيحًا على إطلاقه فإن الأخت لأب من الرضاع لم تجمع مع أخيها لأب على ثدي واحد.

وإتمامًا للفائدة نذكر القسم الثالث من المحرمات من النساء:

المحرمات بسبب المصاهرة

وهذا القسم فيه نوعان:

النوع الأول من حرمن على التأبيد وهو كالآتي:

١- زوجة الأب، فيحرم على الرجل أن يتزوج زوجة أبيه- التي ليست أمه- بعد وفاة أبيه أو بعد طلاقها من أبيه، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً﴾، وقد كان هذا معروفًا وشائعًا في الجاهلية، فنهى الإسلام عنه، بل وصفه القرآن بأوصاف جعله فيها أقبح من الزنى، فبينما قال في الزنى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾، قال في نكاح زوجة الأب: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

٢- زوجة الابن، فيحرم على الرجل أن يتزوج بزوجة ابنه بعد طلاقها أو وفاته عنها، قال تعالى عاطفًا على المحرمات: ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾، وقيد أصلابكم يخرج زوجة الابن المتبنى، فإن الله أباحها في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

٣- أم الزوجة، إذا عقد الرجل على المرأة حرمت عليه أمها بمجرد العقد، قال تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾.

٤- بنت الزوجة، إذا دخل الرجل بامرأة حرمت عليه بنتها وهي الربيبة، لكن لا تحرم البنت بالعقد بل لا بد من الدخول بأمها حتى تحرم، قال تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

النوع الثاني: المحرمات تحريمًا مؤقتًا- أو تحريم جمع:

١- أخت الزوجة، قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

٢- عمة الزوجة، قال ﷺ: «لا تجمع المرأة على عمتها...».

٤- المرأة المحصنة، أي المتزوجة وهي لا تزال تحت زوجها وعلى عصمته، قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

٥- المرأة المعتدة، سواء كانت في عدة طلاق أو في عدة وفاة، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

استذكار القرآن وتعاهده

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم النبيين وإمام المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «بئس ما لأحدكم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل نُسِّي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النَّعَم».

الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣٢)، وطرفه في باب نسيان القرآن برقم (٥٠٣٩). وأخرج قريبًا منه عن أبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، كما أخرج الحديث الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين باب الأمر بتعهد القرآن برقم (٧٩٠)، وكذلك أخرج قريبًا منه في الباب نفسه عن ابن عمر رضي الله عنهما وعن أبي موسى رضي الله عنه، وأخرج الترمذي في أبواب القراءات باب «فاستذكروا القرآن» برقم (٢٩٤٢)، وأخرج النسائي في كتاب الافتتاح باب جامع ما جاء في القرآن برقم (٩٤٤)، كما أخرجه الدارمي في كتاب الرقاق وفي فضائل الأعمال، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨٢/١، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٦٣).

راوي الحديث

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمّخ بن فار بن مخزوم، الإمام الحَبْر، فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري حليف بني زهرة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا، وهو من القراء المشهورين من الصحابة والذين زكاهم النبي ﷺ وزكى قراءتهم، حدث عبد الله عن نفسه فقال: والذي لا إله غيره لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته.

وفي لفظ البخاري (٥٠٠٢) قال رضي الله عنه: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه.

ويكفيه قول الرسول ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل فليسمعه من ابن مسعود».

وهو مع عنايته رضي الله عنه بالقرآن فهو مشهور بالإكثار من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، كما اشتهر بالعفة، ولقد كانت ساقا ابن مسعود دقيقتين مجموتين، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر رسول الله ﷺ ابن مسعود، فصعد شجرة يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله فضحكوا من حموشة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «ما تضحكون؟

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

لرجلٍ عبيد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد».

شرح الحديث

هذا الحديث أورده الإمام البخاري في باب «استذكار القرآن وتعاهده» ضمن ثلاثة أحاديث، أما أولها فهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المُعَقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت». وهو من رواية عبد الله بن يوسف شيخ البخاري عن مالك عن نافع عن ابن عمر، وفيه تشبيه حامل القرآن الذي حفظه وألف تلاوته سواء كانت نظرًا من المصحف أم كانت عن ظهر قلب- تشبيه هذا بصاحب الإبل المعقلة، والمعقلة المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يُشد في ركبة البعير، شبه استذكار القرآن ومداومة تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الهرب، فالحفظ يبقى موجودًا مادام التعاهد موجودًا، كما أن البعير يبقى محفوظًا ما دام مشدودًا بالعقال.

قال الحافظ في الفتح: وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورًا، وفي إمساكها بعد كمال نفورها صعوبة.

وقوله في هذا الحديث: «وإن أطلقها ذهبت» أي: انفلتت، وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عند مسلم: «إن تعاهدها صاحبها فعقلها أمسكها وإن أطلق عقلها ذهبت». وفي رواية موسى بن عقبة عن نافع عند مسلم أيضًا: «إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه».

الحديث الثاني هو حديثنا هذا؛ حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قوله: «بئس ما لأحدهم أن يقول» بئس فعل يفيد الذم وهو فعل جامد غير متصرف مثل نِعْمَ التي للمدح، وهما فعلان يرفعان الفاعل ظاهرًا مثل: نعم الرجلُ محمدٌ، أو مضمرًا، فإن كان مضمرًا فلابد من ذكر اسم نكرة ينصب مفسرًا للضمير مثل: نعم رجلاً محمدٌ، وقد يكون هذا التفسير «ما» كما في هذا الحديث، وقوله تعالى: «فنعما هي».

قوله: «نَسِيتُ» قال الحافظ: بفتح النون وتخفيف السين اتفاقًا.

قوله: «آية كيت وكيت». قال القرطبي: كيت وكيت يعبر بهما عن الجمل الكثيرة والحديث الطويل، وجاء في المعجم الوسيط: وتكسر التاء كِيْتَ أي كذا وكذا، وهي كناية عن القصة والأحدوثة ولا تستعمل إلا مكررة.

قوله: «بل هو نُسِّي» نقل الحافظ ابن حجر قول القرطبي: رواه بعض رواة مسلم مخففًا، ثم قال: وكذا هو في مسند أبي يعلى، وكذا أخرجه ابن أبي داود في كتاب «الشريعة»، ونقل عن القاضي عياض قوله: كان اللكناني- يعني أبا الوليد الوقشبي- ولا يجيز في هذا غير التخفيف، ثم قال الحافظ: قلت: والتثقيل هو الذي وقع في جميع الروايات في البخاري، وكذا في أكثر الروايات في غيره، ثم نقل عن القرطبي قوله: التثقيل معناه أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته واستذكاره، ومعنى التخفيف أن الرجل ترك غير ملتفت إليه وهو كقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

قال الحافظ في الفتح: واختلف في متعلق الذم من قوله: «بئس» على أوجه: الأول هو على نسبة الإنسان إلى نفسه وهو لا صنع له فيه، فإذا نسبه إلى نفسه أوهم أنه انفرد بفعله، فكان ينبغي أن يقول أُنسيت أو نُسِّيتُ على البناء للمجهول فيها، أي أن الله هو الذي أنساني كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، وقوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾، وبهذا الوجه جزم ابن بطال فقال: أراد أن يجري على لسان العباد نسبة الأفعال إلى خالقها لما في ذلك من الإقرار له بالعبودية والاستسلام لقدرته وذلك أولى من نسبة الأفعال إلى مكتسبها مع أن نسبتها إلى مكتسبها جائز بدليل الكتاب والسنة،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وقد أضاف غلام موسى عليه السلام النسيان إلى نفسه مرة وإلى الشيطان مرة، فقال: ﴿إِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾، ولكل إضافة منها معنى صحيح، فالإضافة إلى الله بمعنى أنه خالق الأفعال كلها، وإلى النفس لأن الإنسان هو المكتسب لها، وإلى الشيطان بمعنى الوسوسة.

الوجه الثاني: كالأول، لكن سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بالتلاوة والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال الإنسان نسيت الآية الفلانية فكأنه شهد على نفسه بالتفريط فيكون متعلق الذم ترك الاستذكار والتعاهد لأنه الذي يورث النسيان، وقد رجح هذا الوجه القرطبي.

الوجه الثالث: قال الإسماعيلي: يحتمل أن يكون كره له أن يقول نسيت بمعنى ذكرت لا بمعنى السهو العارض كما قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، وهذا اختيار أبي عبيد وطائفة.

الوجه الرابع: قال الإسماعيلي أيضًا: يحتمل أن يكون فاعل نسيت هو النبي ﷺ، كأنه قال: لا يقل أحد عني إني نسيت آية كذا، فإن الله هو الذي نساني ذلك لحكمة نسخه ورفع تلاوته وليس لي في ذلك صنع بل الله هو الذي ينسيني لما تنسخ تلاوته.

الوجه الخامس: قال الخطابي: يحتمل أن يكون ذلك خاصًا بزمن النبي ﷺ، وكان من ضرورة النسخ نسيان الشيء الذي ينزل ثم ينسخ منه بعد نزوله الشيء فيذهب رسمه وترفع تلاوته ويسقط حفظه عن حملته، فيقول القائل نسيت آية كذا، فنهوا عن ذلك لئلا يتوهم على محكم القرآن الضياع وأعلمهم أن الذي يكون من ذلك إنما هو بإذن الله لما راه من الحكمة والمصلحة.

الوجه السادس: قال الإسماعيلي: وفيه وجه آخر وهو أن النسيان الذي هو خلاف الذكر إضافته إلى صاحبه مجاز لأنه عارض له لا عن قصد منه، لأنه لو قصد نسيان الشيء لكان ذاكرًا له حال قصده، قال الحافظ وهو كالوجه الأول.

ثم قال رحمه الله تعالى: وأرجح الأوجه هو الوجه الثاني، ويؤيده عطف الأمر باستذكار القرآن عليه.

وقال القاضي عياض: أولى ما يتأول عليه ذم الحال لا ذم القول؛ أي بئس الحال حال من حفظه ثم غفل عنه حتى نسيه، وقال النووي الكراهة فيه للتنزيه.

قوله ﷺ: «واستذكروا القرآن»، أي: واظبوا على تلاوته وداوموا على قراءته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به. قال الطيبي: هو عطف من حيث المعنى على قوله: «بئس ما لأحدكم» أي: لا تقصروا في معاهدته واستذكروه.

قوله: «فإنه أشد تفصيًا» أي: تفلتًا وتخلصًا، تقول: تفصيت كذا، أي: أحطت بتفاصيله.

ووقع في حديث عقبة بن عامر بلفظ: «تفلتًا» وكذا وقعت عند مسلم في حديث أبي موسى ثالث أحاديث الباب، وتفصيًا: منصوب على التمييز، قال الحافظ: وفي هذا الحديث زيادة على حديث ابن عمر، لأن في حديث ابن عمر تشبيه أحد الأمرين بالآخر، وفي الحديث أن القرآن أبلغ في النفور من الإبل، ولذا أفصح به في الحديث الثالث حيث قال: «لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها»؛ لأن من شأن الإبل محاولة التفلت ما أمكنها، فمتى لم يتعاهدها صاحبها برباطها تفلتت، فكذلك حافظ القرآن إن لم يتعاهده تفلت، بل هو أشد في ذلك.

وقال ابن بطال: هذا الحديث يوافق الآيتين؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يسر له، ومن أعرض عنه ثقل عليه وتفلت منه.

وقوله: «من النَّعَم» أي: الأنعام وهو بفتح النون المشددة، والأنعام هي الإبل والبقر والغنم، وأما «النِّعم» بكسر النون فهي جمع نعمة، وليست مرادة

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

هنا، وأشد الأنعام تفلتًا هي الإبل، ولذلك جاء مصرحًا بها في حديث ابن عمر، وفي حديث أبي موسى.

وأما الحديث الثالث فهو حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو من رواية ابنه أبي بردة عنه ويرويه عن أبي بردة حفيده بريد بن عبد الله بن أبي بردة، فشيخ بُرَيْد في هذا الحديث هو جده أبو بردة، وفي هذا من اعتناء الصحابة بتعليم أولادهم العلم وغرسه فيهم وتربيتهم عليه، وحثهم على أن يورثوه أبناءهم فيأخذ اللاحق عن السابق من أهل البيت الواحد، فأين نحن من هذا الحرص على ميراث النبوة والعناية به، والأخذ بحظ وافر منه؟

وقوله ﷺ: «تعاهدوا القرآن» فيه الأمر بتعاهد القرآن ومداومة استذكاره، وقد سبق هذا المعنى في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقد جاء في هذا الحديث: «فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل». وهذا قَسَمٌ من النبي ﷺ على هذا الأمر، ونلاحظ تأكيد الكلام بالقسم ولام الابتداء واسمية الجملة، كل ذلك من مؤكدات الكلام دليل على الاهتمام بالأمر وعدم التهاون به.

وقوله ﷺ: «في عُقُلها» بضم العين والقاف، ويجوز سكون القاف جمع عِقال بكسر العين وهو الحبل، قال القرطبي: والحاصل تشبيه من يتفلت منه القرآن بالناقة التي تفلتت من عقالها وبقيت متعلقة به. قال ابن حجر عقب هذا: كذا قال، والتحرير أن التشبيه وقع بين ثلاثة بثلاثة: فحامل القرآن شبه بصاحب الناقة، والقرآن بالناقة، والحفظ بالربط.

ومن فوائد هذه الأحاديث: كراهة قول القائل: نسيت آية كذا. قال النووي: وهي كراهة تنزيه.

ومنها: ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد، ومنها جواز القسم عند الخبر المقطوع بصدقه مبالغة في تثبيته في صدور سامعيه، ومنها جواز القياس ومشروعيته بأن يقاس النظير على نظيره.

هجمة الأعداء على كتاب الله

ومنها التحذير من هجر القرآن الكريم فإنه يؤدي إلى الجهل به، فإذا جهله المسلمون ساغ لأعدائهم أن يطعنوهم في كتاب ربهم الذي هو مصدر دينهم وأصل التلقي عن خالقهم، وقد اشتدت هجمة أعداء الله تعالى وأعداء دينه (الإسلام) على المسلمين؛ فمحاولات التشكيك وصلت إلى القرآن الكريم (في مواقع الشبكة العالمية) زاعمين أن القرآن فيه أخطاء لغوية، أو تناقض آياته بعضها بعضًا، والمسلمون لم يؤتوا إلا من قبل جهلهم بدينهم وخاصة جهلهم بالقرآن الكريم، وأما الأعداء فسيبوعون بالخسران المبين، إذ أن قريشًا في عداوتها للإسلام التي لا تعدلها عداوة، وفصاحتها اللغوية التي لا تعدلها فصاحة بشرية على مر التاريخ، وكانت تتمنى لو وجدت مغمزًا أو نقصًا أو تناقضًا تنقض به دين محمد ﷺ وكتاب محمد ﷺ لكنها عجزت وأظهرت صغارها أمام الكتاب المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل هو تنزيل من حكيم حميد، أقول: قريش عجزت عن ذلك ولم تستطعه، فهل يليق باعجمي فضلاً عن عربي أن يصل إلى ما عجزت عنه قريش في هذا الشأن، إن هذا لشاو بعيد المنال.

ومع ذلك فالواجب على الأمة أن يحفظ أفرادها كتاب الله تعالى صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم، حتى لا يكونوا فريسة للأعداء.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن العاملين به في الدنيا، القائمين به، وأن يوفقنا لأن نتلوه حق تلاوته، وأن نكون ممن اصطفاهم الله تعالى فأورثهم كتابه نحيا عليه ونموت عليه ونبعث عليه فيكون شفيعًا لنا يسوقنا إلى الجنة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

تحريم الجماع في نهار رمضان ووجوب الكفارة المغلظة فيه

إعداد
زكريا حسيني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه.
وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، هلكت، قال: «مالك؟» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا، قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟» قال: لا، فمكث عند النبي ﷺ، فبينا نحن على ذلك أتي النبيُّ ﷺ بعَرَقٍ فيها تمر- والعرق المكتل- قال: «أين السائل؟» فقال: أنا، قال: «خذ هذا فتصدق به». فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها- يريد الحرتين- أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «أطعمه أهلك».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في عشرة مواضع من صحيحه هذا أولها، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب «تغليظ تحريم الجماع في رمضان على الصائم»، وأخرجه أبو داود في باب «كفارة من أتى أهله في رمضان»، وأخرجه الترمذي في باب «ما جاء في كفارة الفطر في رمضان»، وأخرجه ابن ماجه في باب ما جاء في كفارة من أفطر يومًا في رمضان»، والإمام أحمد في المسند بالأرقام (١، ٢٩٧، ٢، ٢٤١، ٢٢٨١، ٥١٦، ٥، ١٤٦).

راوي الحديث

هو أبو هريرة- عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وقد سبق ترجمته في عدد سابق.

شرح الحديث

قول أبي هريرة: «كنا عند النبي ﷺ» قال الحافظ: فيه حسن الأدب في التعبير لما تشعر العندية بالتعظيم بخلاف ما لو قال: «مع» لكن في رواية الكشميهني: «مع النبي ﷺ».

وقوله: «بينما نحن جلوس» بينما أصلها «بين»، وقد تأتي بغير «ما» فتشبع الفتحة أي تنطق بالف

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

المد «بينا» ومن خواص «بينما» أنها تأتي بعدها إذْ أو إذا، أما بينا فلا تأتي بعدها إحداهما، وقد وردت كل منهما في هذا الحديث.

قوله: «إذ جاءه رجل» في رواية الإمام أحمد «أن أعرابيًا»: قيل هو سلمان أو سلمة بن صخر البياضي، وتعقب بأن سلمة هو المظاهر في رمضان، وإنما أتى امرأته ليلاً، ولكن روى ابن عبد البر عن سعيد بن المسيب أن الرجل الذي وقع على امرأته في رمضان في عهد النبي ﷺ هو سلمان بن صخر أحد بني بياضة، وعلى كل حال فإنه لا مانع من تعدد الواقعة، سواء كان هو الشخص نفسه أو كان غيره.

قوله: «فقال يا رسول الله». وفي رواية: «جاء رجل وهو ينتف شعره ويدق صدره ويقول هلك الأبعد»، وفي أخرى: «يلطم وجهه». وفي ثالثة: «يدعو ويله»، وفي رواية مرسلة: ويحثي على وجهه التراب. والظاهر أن هذا كان قبل النهي عن لطم الخدود وحلق الشعر أو نتفه عند المصيبة، أو كانت بعده ولم يبلغ الرجل هذا الحكم، وقال الحافظ في الفتح: واستدل بهذا على جواز هذا الفعل والقول ممن وقعت منه معصية، ويفرق بذلك بين مصيبة الدين ومصيبة الدنيا، فيجوز في مصيبة الدين لما يشعر به الحال من شدة الندم وصحة الإقلاع.

قوله: «هلكت»، وفي رواية: «إن الآخر هلك». وفي حديث عائشة في الباب «احترقت» وفي رواية أخرى: «ما أراني إلا قد هلكت». قال الحافظ: واستدل به على أنه كان عامدًا لأن الهلاك والاحتراق مجاز عن العصيان المؤدي إلى ذلك.

قوله ﷺ: «ما لك؟» بفتح اللام استفهام عن حاله، وفي رواية: «ويحك ما شأنك؟» وفي أخرى: «ما الذي أهلكك؟» وفي ثالثة: «ما ذاك» وفي رابعة: «ويحك ما صنعت؟». وفي خامسة: «ويلك»، ورجح الحافظ «ويحك» على «ويلك»، قال وهو اللائق بالمقام، فإن «ويح» كلمة رحمة، و«ويل» كلمة عذاب والمقام يقتضي الأول.

قوله: «وقعت على أهلي»: وفي رواية: «أصبت أهلي». وفي حديث عائشة: «وطئت امرأتي». أي في نهار رمضان.

قوله: «وأنا صائم»: جملة حالية من قوله: «وقعت»، وفي رواية: «وقعت على أهلي اليوم وذلك في رمضان».

قوله: «هل تجد رقبة تعتقها». وفي رواية: «أتجد ما تحرر رقبة؟» وفي رواية: «أتستطيع أن تعتق رقبة؟» وفي ثالثة: «أعتق رقبة»، وفي رواية زيادة: «بئسما صنعت أعتق رقبة».

قوله: «قال لا»، وفي رواية: «فقال لا والله يا رسول الله»، وفي رواية: «ليس عندي»، وفي حديث ابن عمر: «والذي بعثك بالحق ما ملكت رقبة قط».

قوله: «قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا». وفي رواية: قال فصم شهرين متتابعين، وفي حديث سعد: «قال: لا أقدر»، وفي رواية: «وهل لقيت ما لقيت إلا من الصيام؟».

قوله: «فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟ قال: لا». وفي رواية: «لا يا رسول الله». وفي أخرى: «فهل تستطيع إطعام ستين مسكينًا؟»، وفي رواية ثالثة: «فتطعم ستين مسكينًا؟ قال: لا أجد»، وفي رواية أخرى: «أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينًا؟» قال: لا.

شدة ندم المذنب جعلته يضرب صدره ويلطم

من هديه ﷺ التلطف في التعليم والرفق بالمتعلم

لا تجب الكفارة على المرأة لأن النبي ﷺ أمر

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وجهه وينتف شعره، فهل من توبة نصوح؟!

والتألف على الدين، والسعي في فك كربة المسلم

الواطئ بالكفـــارة ولم يأمـــر المرأة

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «والذي بعثك بالحق ما أشبع أهلي»، أي لا أجد ما أشبعه.

قوله: «فمكث عند النبي ﷺ». وفي رواية أبي نعيم: «فسكت»، وفي رواية ابن عيينة: «فقال له النبي ﷺ: اجلس، فجلس».

قوله: «فبينا نحن على ذلك»، وفي رواية ابن عيينة: «فبينما هو جالس كذلك». قوله: «أُتي النبيُّ ﷺ» البناء للمجهول، جواب «بَيْنَا» في هذه الرواية، وأما في الرواية الأخرى المشار إليها سابقًا، فقال فيها: «إذا أتى» لأنها جواب «بينما». والآتي المذكور لم يسم، لكن وقع في رواية معمر: «فجاء رجل من الأنصار». وعند الدارقطني عن سعيد بن المسيب مرسلاً: «فأتى رجل من ثقيف». قال الحافظ في الفتح: فإن لم يحمل على أنه كان حليفًا للأنصار، أو إطلاق الأنصار بالمعنى الأعم، فرواية الصحيح أصح.

قوله: «بِعَرَق» بفتح العين والراء، وفي رواية بسكون الراء، وإنكار السكون غير صحيح.

قوله: «والعَرَق: المكتل»: بكسر الميم وسكون الكاف وفتح التاء وبعدها لام، زاد ابن عيينة عند الإسماعيلي وابن خزيمة: «المكتل الضخم»، ونقل الحافظ عن الأخفش قوله: سمي المكتل عرقًا لأنه يُضفَرُ عَرَقةً عَرَقةً، فالعَرَقُ جمعُ عرقة كعَلَق وعَلَقَة. والعرقة الضفيرة من الخوص، وقوله: العرق المكتل تفسير من أحد الرواة، وفي رواية منصور: «فأتي بعرق فيه تمر وهو الزبيل»، وفي رواية ابن أبي حفصة: «فأتي بزبيل وهو المكتل»، والزبيل بفتح الزاي وتخفيف الباء بوزن «رغيف» هو المكتل، وفيه لغة أخرى وهي «زنبيل» بكسر الزاي وزيادة نون ساكنة، وقد تدغم النون فتشدد الباء مع بقاء وزنه، وجمعه على اللغات الثلاث «زنابيل». ووقع في بعض طرق حديث عائشة عند مسلم: «فجاء عَرَقان» والمشهور في غيرهما عرق، ورجحه البيهقي، وجمع بعضهم بين الحديثين بتعدد الواقعة، لكن ابن حجر رجح أن يكون التمر قدر عرق لكن الآتي به جعله في عرقين في حال التحميل على الدابة ليكون أسهل في الحمل، فمن قال عرقان أراد ابتداء الحال، ومن قال عرق أراد ما آل إليه الحال، والله أعلم.

قوله ﷺ: «أين السائل»: زاد في رواية: «آنفًا»، وفي حديث عائشة: «أين المحترق آنفًا». قال الحافظ: ولم يعين في هذه الرواية مقدار ما في المكتل بل ولا في شيء من طرق الصحيحين في حديث أبي هريرة، ووقع في رواية ابن أبي حفصة: «فيه خمسة عشر صاعًا». وفي رواية مؤمل عن سفيان: «فيه خمسة عشر أو نحو ذلك». وفي رواية عن الثوري عند ابن خزيمة: «خمسة عشر أو عشرون». ووقع في مرسل عطاء بن أبي رباح وغيره عند مسدد: «فأمر له ببعضه». وهذا يجمع بين الروايات، فمن قال إنه كان عشرين أراد أصل ما كان فيه، ومن قال: إنه خمسة عشر أراد قدر ما تقع به الكفارة. ويبين ذلك حديث علي عند الدارقطني: «تطعم ستين مسكينًا لكل مسكين مدٌّ».

قوله: «خذ هذا فتصدق به» زاد ابن إسحاق: «فتصدق به عن نفسك»، وفي رواية منصور: «أطعم هذا عنك». وعند الدارقطني عن أبي هريرة: «نحن نتصدق به عنك».

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قوله: «فقال الرجل أَعَلَى أفقر مني»؟. أي: أتصدق على شخص أفقر مني، وهذا معناه أنه فهم أن رسول اللّه ﷺ أذن له أن يتصدق به على من يتصف بالفقر، قال الحافظ: وقد بين ابن عمر رضي الله عنهما في حديثه ذلك فزاد فيه: «إلى من أدفعه؟» قال: «إلى أفقر من تَعْلَمُ»، وفي رواية إبراهيم بن سعد: «أعلى أفقر من أهلي؟» ولابن مسافر: «أعلى أهل بيت أفقر مني؟» وللأوزاعي: «أعلى غير أهلي؟» وللمصور: «أعلى أحوج مني»، ولابن إسحاق: «وهل الصدقة إلا لي وعليّ».

قوله: «فوالله ما بين لابتيها» تثنية «لابة» وهي الحَرَّة، والحَرَّة الأرض التي فيها حجارة سود، يقال لابة ولوبة ونوبة بالنون- حكى ذلك الجوهري وغيره من أهل اللغة، ومنه قيل للأسود: نوبي، ولوبي، والضمير في قوله: «لابتيها» عائد إلى المدينة؛ لأنها واقعة بين حرتين، أي ما بين حرتي المدينة.

قوله: «أهل بيت أفقر من أهل بيتي». زاد يونس: «مني ومن أهل بيتي». وفي رواية إبراهيم بن سعد: «أفقر منا»، وأفقر بالنصب خبر ما على أنها حجازية، ويجوز الرفع على أنها تميميه. وفي رواية عقيل: «ما أحد أحق به من أهلي». «ما أحد أحوج إليه مني». وفي حديث عائشة عند ابن خزيمة: «ما لنا عشاء ليلة». وفي مرسل سعيد: «والله ما لعيالي من طعام».

قوله: «فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه»، وفي رواية: «حتى بدت نواجذه». وفي رواية: «حتى بدت ثناياه»، ولقد كان غالب ضحك النبي ﷺ التبسم فلا يزيد على التبسم إلا قليلاً، وهذا من القليل.

قوله: «ثم قال: أطعمه أهلك». وفي رواية: «أطعمه عيالك». وفي أخرى: «فأنتم إذًا». وفي رواية ثالثة: «ثم قال كُلْهُ»، وجمع بين هذه الروايات ابن إسحاق ولفظه: «خذها وكلها وأنفقها على عيالك، وفي حديث عائشة: عُدْ به عليك وعلى أهلك».

ومما يستفاد من هذا الحديث من الفقه:

أولاً: كفارة من جامع امرأته في نهار رمضان هي هذه الخصال:

أ- عتق رقبة.

ب- فإن لم يجد رقبة صام شهرين متتابعين.

ج- فإن لم يستطع الصيام أطعم ستين مسكينًا لكل مسكين مدٌّ، أي عليه عند الجمهور خمسة عشر صاعًا من طعام يطعم بها ستين مسكينًا.

ثانيًا: هل من جامع في نهار رمضان ناسيًا أو جاهلاً بدخول رمضان عليه الكفارة نفسها؟

هذا من المسائل الخلافية، وبعضهم فرق بين الجهل والنسيان، فالجهل تجب عليه الكفارة، وأما الناسي فإنه يكمل صومه عند الأحناف والشافعية وذلك قياسًا على الأكل والشرب ناسيًا، وأما المالكية والحنابلة فيقولون بفساد صومه، وعليه القضاء فقط عند المالكية، والقضاء والكفارة عند الحنابلة.

ثالثًا: هل تجب الكفارة على المرأة كما وجبت على الرجل؟ قال بذلك بعض الفقهاء، لكن الراجح أنه ليس عليها كفارة، لأن النبي ﷺ أمر الواطئ بالكفارة ولم يأمر المرأة بذلك، وبعضهم فصل في المسألة فقال: إن كانت مكرهة فلا كفارة عليها، وإن كانت غير مكرهة وجبت عليها الكفارة.

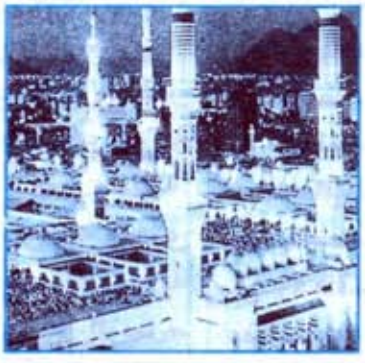

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

رابعًا: في وجوب قضاء ذلك اليوم، قال بعض العلماء: لا يلزم من جامع القضاء لأن النبي ﷺ لم يأمره بالقضاء، ولكن الجمهور على وجوب قضاء ذلك اليوم لأن من أفطر يومًا وجب عليه قضاؤه.

خامسًا: من أكل أو شرب متعمدًا هل يقاس على من جامع؟ بمعنى أنه هل تجب عليه الكفارة المذكورة في الحديث؟ قال بذلك الأحناف والمالكية لأن الجماع مفطر مثل الأكل والشرب فلا فرق بينها، وأما الشافعية والحنابلة فقالوا: لا تجب عليه الكفارة، لأن النص وارد في الجماع خاصة، وما عداه ليس في معناه، ولأنه لا نص في إيجاب الكفارة بهذا ولا إجماع.

سادسًا: هل يشترط في الرقبة أن تكون مؤمنة؟ قال الإمام أبو حنيفة ومن معه: يجزئ عتق رقبة كافرة في كفارة الجماع والظهار ونحوهما، وإنما يشترطون الرقبة المؤمنة في كفارة القتل لأنها منصوص على وصفها بالإيمان في القرآن، وقال الإمام الشافعي والجمهور يشترط الإيمان في جميع الكفارات تنزيلاً للمطلق على المقيد.

وفي الحديث فوائد غير ما تقدم، منها:

السؤال عن حكم ما يقع من الشخص مخالفًا للشرع، والتحدث بذلك من أجل معرفة الحكم، واستعمال الكناية فيما يستقبح التصريح بلفظه.

ومن الفوائد أيضًا التلطف في التعليم والتالف على الدين والرفق بالمتعلم، وكذلك منها الندم على المعصية، واستشعار الخوف، ومنها الجلوس في المسجد لغير الصلاة من المصالح الدينية كنشر العلم، ومنها جواز الضحك إذا وجد سببه، ومنها إخبار الرجل بما يقع منه مع امرأته للحاجة، ومنها جواز الحلف لتأكيد الكلام، وقبول قول المكلف مما لا يطلع عليه إلا من قبله، ومنها التعاون على العبادة والسعي في فك كربة المسلم، ومنها جواز إعطاء الواحد أكثر من حاجته الراهنة، ومنها جواز إعطاء الكفارة أهل بيت واحد، ومنها أن المضطر إلى ما بيده لا يجب عليه بذله أو بذل بعضه إلى مضطر آخر.

هذا، ونسأل الله تعالى أن يبصر المسلمين بأمور دينهم، وأن يلتزموا شرع ربهم، ففيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وإن كثيرًا ممن يتزوجون قبيل رمضان يظن الجاهل منهم أن ذلك يخول له أن يجامع في نهار رمضان، ويترخص في ذلك ويرى أنه معذور، وهذا لا شك أنه كبيرة من الكبائر، فليعتبر أولئك بقول الرجل في هذا الحديث: «هلكت»، وفي حديث عائشة: «احترقت»، أو في الروايات الأخرى أنه جاء يضرب صدره وينتف شعره أو يلطم وجهه نادمًا على ما فعل، أما هؤلاء فنقول لهم: إن أمامك ليلاً تقضي فيه شهوتك، فاتق الله ولا تنتهك حرمة الشهر، واعلم أنك موقوف بين يدي ربك وستحاسب على ما قدمت يداك، فإياك وانتهاك الحرمات، والتهاون بالفرائض والواجبات، وعليك بطاعة مولاك والعمل على مرضاته سبحانه، لعله يدخلك في عباده الصالحين.

ونسأل الله سبحانه أن يجنبنا الزلل، وأن يوفقنا لخير العمل، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

صوم التطوع بعد الفريضة

إعداد
زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر».

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصيام «باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعًا لرمضان» برقم (٢٧٥٨)، (٢٧٥٩)، (٢٧٦٠)، كما أخرجه الإمام أبو داود برقم (٢٤٣٣)، والإمام الترمذي برقم (٧٥٩)، والإمام ابن ماجه برقم (١٧١٦)، والإمام الدارمي برقم (١٧٥٤)، والإمام أحمد في المسند بالأرقام (٣/٣٠٨، ٣٢٤، ٣٤٤، ٥/٤١٧، ٤١٩).

راوي الحديث

هو أبو أيوب الأنصاري الخزرجي النجاري البدري، السيد الكبير الذي خصه النبي ﷺ بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة، وبني المسجد الشريف.

واسمه: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن الخزرج، حدث عنه جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين، منهم: جابر بن سمرة، والبراء بن عازب، والمقدام بن معديكرب، وعبد الله بن يزيد الخطمي، وجبير بن نفير، وسعيد بن المسيب، وموسى بن طلحة، وعروة بن الزبير، وعطاء بن يزيد الليثي وغيرهم.

قال الذهبي: وله عدة أحاديث، ففي «مسند بقي» له مائة وخمسة وخمسون حديثًا اتفق الشيخان على سبعة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة.

وقال أيضًا في سيرة ابن عباس: أنه كان أميرًا على البصرة لعلي، وأن أبا أيوب وفد عليه، فبالغ في إكرامه، وقال: لأجزينك على إنزالك النبي ﷺ عندك، فوصله بكل ما في المنزل، فبلغ ذلك أربعين ألفًا.

وقد روي عن غير وجه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه كان محبًا للغزو في سبيل الله، وأنه مرض وهو في جيش، وكان على الجيش يزيد بن معاوية، فقال له يزيد: حاجتك؟ قال: نعم، إذا أنا مت فاركب بي، ثم تبيغ بي في أرض العدو ما وجدت مساغًا، فإذا لم تجد مساغًا فادفني ثم ارجع، فلما مات ركب به، ثم سار به ثم دفنه، وكان يقول: قال الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، ولا أجدني إلا

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

خفيفًا أو ثقيلاً.

وكان رضي الله عنه يقول: ادفنوني تحت أقدامكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة». مات سنة اثنتين وخمسين وقيل سنة خمسين.

شرح الحديث

قال الإمام النووي بعد أن ساق الحديث في شرحه على صحيح مسلم: فيه دلالة صريحة لمذهب الشافعي وأحمد وداود وموافقتهم في استحباب صوم هذه الستة، وقال مالك وأبو حنيفة: يكره ذلك، قال مالك في الموطأ: ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه يصومها، قال: ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف، وإن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته وأن يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفاء لو رأوا في ذلك رخصة عند أهل العلم ورأوهم يعملون بذلك الناس أو أكثرهم أو كلهم لها، وقولهم: قد يظن وجوبها ينتقض بصوم عرفة وعاشوراء، وغيرهما من الصوم المندوب، قال أصحابنا: والأفضل أن تصام الستة متوالية عقب يوم الفطر، فإن فرقها أو أخرها عن أوائل شوال إلى أواخره حصلت فضيلة المتابعة، لأنه يَصْدُقُ أنه أتبعه ستًا من شوال، يرى الإمام أحمد أنه لا فضل لأول شوال على آخره بل كلها سواء، فرقها أو تتابعت، كانت في أول الشهر أم في آخره.

قال ابن عبد البر في الاستذكار: وحديث ثوبان يعضد حديث عمر بن ثابت هذا- وهو الراوي عن أبي أيوب حديثنا هذا- وثوبان مولى رسول الله ﷺ حدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها». رواه ابن ماجه والدارمي وأحمد والبزار والنسائي في الكبرى.

قال أبو عمر: لم يبلغ مالكًا حديث أبي أيوب- على أنه حديث مدني- والإحاطة بعلم الخاصة لا سبيل إليه، والذي كرهه له مالك أمر قد بينه وأوضحه، وذلك خشية أن يضاف إلى رمضان وأن يستبين ذلك إلى العامة، وكان رحمه الله متحفظًا كثير الاحتياط للدين.

ثم قال رحمه الله: وأما صيام الستة الأيام من شوال على طلب الفضل وعلى التأويل الذي جاء به وثبان رضي الله عنه، فإن مالكًا لا يكره ذلك إن شاء الله، لأن الصوم جُنَّةٌ وفضله معلوم لمن رد طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى، وهو عمر بر وخير، وقد قال الله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ [الحج: ٧٧]، ومالك لا يجهل شيئًا هذا، ولم يكره عن ذلك إلا ما خافه على أهل الجهالة والجفاء إذا استمر ذلك، وخشي أن يعدوه من فرائض الصيام مضافًا إلى رمضان، إلى أن قال: وقد يمكن أن يكون جهل الحديث ولو علمه لقال به، والله أعلم.

قال الإمام الترمذي بعد أن ساق حديث أبي أيوب: حديث أبي أيوب حديث حسن صحيح، وقد استحب قوم صيام ستة أيام من شوال بهذا الحديث، وقال ابن المبارك: هو حسن من مثل صيام ثلاثة أيام من كل شهر، قال ابن المبارك: ويروى في بعض الحديث: ويلحق هذا الصيام برمضان، واختار ابن المبارك أن يكون ستة أيام في أول الشهر، وقد روي عن ابن المبارك أنه قال: إن صام ستة أيام من شوال متفرقًا فهو جائز.

قال ابن قدامة في المغني: فإن قيل: فلا دليل في هذا الحديث على فضليتها، لأن النبي ﷺ شبه صيامها بصيام الدهر، وهو مكروه، قلنا: إنما كره صوم الدهر لما فيه من الضعف والتشبيه بالتبتل، ولولا ذلك لكان فضلاً عظيمًا، لاستغراقه الزمان بالطاعة والعبادة، والمراد بالخبر التشبيه به في حصول العبادة به على وجه عَرِي عن المشقة، كما قال عليه السلام: «من صام ثلاثة أيام من كل شهر كان كمن صام الدهر». ذكر ذلك حثًا على صيامها وبيان فضلها، ولا خلاف في استحبابها، ثم قال: ولأن فضيلتها لكونها تصير مع الشهر ستة وثلاثين يومًا، والحسنة بعشر أمثالها، فيكون ذلك كثلاثمائة وستين يومًا وهي السنة كلها، فإذا وجد ذلك في كل سنة صار كصيام الدهر كله.

وأما صيام الدهر فقد ورد فيه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما المتفق عليه: «لا صام من صام الأبد» قال في سبل السلام: اختلف في معناه، قال شارح المصابيح: فُسِّرَ هذا من وجهين؛ أحدهما أنه على معنى الدعاء عليه

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

زجرًا له عن صنيعه، والآخر على سبيل الإخبار، والمعنى: أنه بمكابدته سورة الجوع وحر الظما لاعتياده الصوم حتى خف عليه، ولم يفتقر إلى الصبر على الجهد الذي يتعلق به الثواب فكأنه لم يصم، ولم تحصل له فضيلة الصوم، ويؤيد أنه للإخبار حديث أبي قتادة عند مسلم بلفظ: «لا صام ولا أفطر». ويؤيده أيضًا حديث الترمذي عنه: «لم يصم ولم يفطر». قال ابن العربي: إن كان دعاء فياويح من دعا عليه النبي ﷺ، وإن كان معناه الخبر فياويح من أخبر عنه النبي ﷺ أنه لم يصم، وإذا كان لم يصم شرعًا فكيف يكتب له ثواب؟

ثم قال صاحب سبل السلام: وقد اختلف العلماء في صيام الأبد- أي الدهر- فقال بتحريمه طائفة وهو اختيار ابن خزيمة مستدلين بهذا الحديث وما في معناه، وذهبت طائفة أخرى إلى جوازه، وهو اختيار ابن المنذر وتأولوا أحاديث النهي عن صيام الدهر بأن المراد من صامه مع صيام الأيام المنهي عنها من العيدين وأيام التشريق، وهو تأويل مردود بنهيه لابن عمرو عن صوم الدهر وتعليله بأن لنفسه عليه حقًا ولأهله حقا ولضيفه حقا. ولقوله ﷺ: «أما أنا فأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني». فالتحريم هو الأوجه دليلاً.

فائدة لغوية: قال النووي رحمه الله: قوله ﷺ: «ستًا من شوال» صحيح، ولو قال ستة بالهاء لجاز أيضًا، قال أهل اللغة: يقال صمنا خمسا وستا وخمسة وستة، وإنما يلتزمون الهاء في المذكر إذا ذكروه صريحًا بلفظه؛ فيقولون: صمنا ستة أيام، ولا يجوز ست أيام، فإذا حذفوا الأيام جاز الوجهان، ومما جاء حذف الهاء فيه من المذكر إذا لم يذكر بلفظه قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ أي عشرة أيام.

صيام الستة من شوال لمن عليه قضاء من رمضان

من كان عليه قضاء أيام من رمضان فليقضها أولاً قبل أن يصوم الستة من شوال، وذلك لمن وجد عنده القدرة على ذلك؛ لأن لفظ الحديث: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال»، فالذي عليه قضاء أيام من رمضان لم يصم رمضان، فعليه أولاً قضاء فرض رمضان ثم بعد ذلك يصوم الست من شوال، ذهب إلى ذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، وكذلك من خاف ألا يستطيع قضاء رمضان طوال العام إذا صام الستة من شوال تعين عليه القضاء في شوال.

أما إذا كان شوال لا يتسع ليقضي فيه ما عليه من أيام من رمضان مع صيام الستة وهو يرجو تفريق القضاء بعد ذلك على أيام العام فإنه يجوز له صوم الستة من شوال وتأخير القضاء إلى ما بعد ذلك، لأن وقت الستة من شوال محصور في شوال، وأما وقت القضاء فموسع في أيام العام كلها لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، ولأن عائشة رضي الله عنها أخبرت عن نفسها أنها كان يكون عليها الأيام من رمضان فلا تقضيها إلا في شعبان، وليس من المعقول أنها كانت تترك صوم النوافل مع تأخيرها القضاء إلى شعبان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت :«كان عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. قال يحيى بن سعيد تعني: الشغل من النبي أو بالنبي ﷺ، وأخرجه أيضًا عنها أنها قالت: «إن كانت إحدانا لتفطر في زمان رسول الله ﷺ فما تقدم على أن تقضيه مع رسول الله ﷺ حتى يأتي شعبان».

قال النووي رحمه الله: ومذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وجماهير السلف والخلف أن قضاء رمضان في حق من أفطر بعذر كحيض وسفر يجب على التراخي ولا يشترط المبادرة به في أول الإمكان لكن قالوا لا يجوز تأخيره عن شعبان الآتي. وقال داود: تجب المبادرة به في أول يوم العيد من شوال وحديث عائشة يرد عليه. قال الجمهور: ويستحب المبادرة به للاحتياط.

نسأل الله تعالى أن يعيننا على الصيام والقيام، وأن يتقبل صالح الأعمال، وأن يجعلها خالصة له وعلى سنة نبيه ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بين الجهاد والحج

إعداد
زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه. وبعد:

> عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لَكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور»

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أربعة مواضع من صحيحه؛ في كتاب الحج في موضعين أولهما في باب فضل الحج المبرور برقم (١٥٢٠)، وثانيهما في باب حج النساء برقم (١٨٦١) وفي موضعين من كتاب الجهاد والسير أولهما في باب فضل الجهاد والسير برقم (٢٧٨٤) وباب جهاد النساء برقم (٢٨٧٥)، (١٨٧٦) كما أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج فضل الحج برقم (٢٦٢٩)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك باب الحج جهاد النساء برقم (٢٩٠١).

راوي الحديث

هي أم المؤمنين وزوجة النبي ﷺ أفقه نساء الأمة على الإطلاق، عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشية التيمية المكية النبوية، وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب الكنانية.

هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، عقد عليها وهي بنت سبع ودخل بها في شوال سنة اثنتين بعد انصرافه من غزوة بدر وهي ابنة تسع سنين.

فروت عنه ﷺ علما كثيرا طيبا مباركا فيه، وعن أبيها وعن عمر وفاطمة وسعد وحمزة بن عمرو الأسلمي وغيرهم، وروى عنها خلق لا يحصون.

مسند عائشة يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين وانفرد مسلم بتسعة وستين، وعائشة ولدت في الإسلام وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين.

قال الذهبي: وكانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها: الحميراء، ولم يتزوج النبي ﷺ بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ ولا في النساء

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

مطلقا امرأة أعلم منها، ونشهد أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فهل فوق هذا مفخر؟ قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام ثلاث ليال؛ جاء بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه» [متفق عليه].

أحبها النبي ﷺ حبا شديدًا كان يتظاهر به بحيث إن عمرو بن العاص، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة سأل النبي ﷺ: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها» [متفق عليه]، وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيبا وقد قال: «لو كنت متخذًا خليلا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام أفضل» فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضا إلى الله ورسوله.

وكان الناس يتحرون بهداياهم إلى رسول الله ﷺ يوم عائشة، فاجتمت أزواجه إلى أم سلمة وقلن لها كلميه في ذلك، فكلمته فسكت فلم يرد عليها فعادت الثانية فلم يرد عليها شيئا، فلما كانت الثالثة قال: «يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها» [متفق عليه]، وهذا الجواب دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها.

شرح الحديث

قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «نرى الجهاد أفضل العمل» أي نعتقد ونعلم فإنه بفتح النون من رأى القلبية بمعنى «علم»، وذلك لكثرة ما يسمع من فضائله في الكتاب والسنة، فإنه قد ورد ذكر الجهاد في سبيل الله تعالى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا....﴾ [التوبة:١١١]، وقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذي قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾ [الصف:١٠-١٢] وقبل هذه الآيات في السورة نفسها قال: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف:٤] وغير ذلك من الآيات التي تحض على الجهاد في سبيل الله تعالى وتبين فضله.

وأما في السنة فإن الأحاديث التي وردت في الجهاد وفضله كثيرة أيضا، منها حديث ابن مسعود: قلت يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها» قلت: ثم يُّ؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» [متفق عليه] ومنها حديث عائشة هذا الذي معنا، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: «لا أجده». قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟»

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طِوَله فيكتب له حسنات. متفق عليه، ومعنى فيستن في طِوَله: أي يمرح ويتحرك في حَبْلِه الذي يربط به في المرعى، ومن ذلك أيضا حديث أبي سعيد رضي الله عنه: قيل يا رسول الله: أيُّ الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله» قالوا: ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويَدَعُ الناس من شره» متفق عليه. ومنها حديث أنس «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها» متفق عليه وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تبين فضل الجهاد في سبيل الله تعالى.

فلما نظرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع غيرها من النساء بل من المؤمنين عامة إلى الجهاد فرأوه أفضل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى؛ فكل منهم يحدث نفسه بالجهاد ويتمناه لنفسه رجالا ونساءً وصغيرًا وكبيرًا، لذلك قالت عائشة رضي الله عنها ما قالت وتمنت أن يأذن رسول الله ﷺ لها ولغيرها من النساء في الجهاد في سبيل الله، ولكن لما كانت المرأة لا تتحمل المشاق ولا تستطيع أن تثبت أمام العدو ولا تطيق من العمل إلا الأجمل والأحسن دلها رسول الله ﷺ على هذا الأحسن والأجمل والأليق بهن والأنسب لهن ولرقتهن ونعومتهن، فقال ﷺ: «لكُنَّ أحسن الجهاد وأجمله الحج: حجٌّ مبرور» كما جاء في رواية لهذا الحديث في كتاب الحج باب حج النساء.

الحج المبرور

وأما قوله ﷺ: «حج مبرور»: فالحج المبرور قيل: هو الذي لا رياء فيه

عائشة أم المؤمنين وأفقه

كانت عائشة أم المؤمنين امرأة بيضاء جميلة ومن ثم

فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي

ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق، وكانت النفقة فيه من المال الطيب، وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «الحج المبرور إطعام الطعام وحسن الصحبة، وعن ثور بن يزيد قال: من أمَّ هذا البيت ولم يكن فيه ثلاث خصال لم يسلم له حجه؛ من لم يكن له حلم يضبط به جهله، وورع عما حرَّم الله عليه، وحسن الصحبة لمن صحبه.

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ: ما برُّ الحج؟ قال: «إطعام الطعام وطيب الكلام» رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن وقال رجل للحسن يا أبا سعيد ما الحج المبرور؟ قال: أن يدفع زاهدًا في الدنيا راغبا في الآخرة، ويدفع أي يرجع من حجه.

والحج المبرور جزاؤه الجنة، فقد صح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ وأحمد في المسند والنسائي وابن ماجه وغيرهم.

قال أبو عمر بن عبد البر وأما قوله: «الحج المبرور» فهو الحج المتقبل والله أعلم، وعن أبي هريرة: الحج المبرور يكفر خطا تلك السنة. قال: وإنما تكون الجنة جزاء لمن غفر له وثقلت موازين حسناته، وتجاوز الله

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

نساء الأمة على الإطلاق

يقال لها الحميراء ولم يتزوج النبي بكراً غيرها

وراء حب الرسول صلى الله عليه وسلم لها

عن سيئاته، وقد صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» متفق عليه.

التناسب بين الجهاد والحج

ليس عجيبا ولا غريبا أن يسمي النبي ﷺ الحج جهادًا لأن بين الجهاد والحج تناسبًا شديدًا فكلاهما عبادة بدنية مالية، يبذل في كل منهما المال والنفس، وفي كل منهما مشقة بدنية من سفر وصبر على المتاعب، وترك للأهل والمال والولد والوطن والأحباب والخلان، ويطلب لكل منهما التوبة قبل البدء، والتحلل من المعاصي ورد المظالم إلى أهلها.

ولقد جاءت آيات القتال في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة:١٩٠-١٩٤] وبعدها جاءت آيات الحج من قوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ [البقرة:١٩٦-٢٠٣] وتوسطت بين آيات القتال وآيات الحج آية الإنفاق وهي قوله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة:١٩٥] فكان الآية تتعلق بما قبلها في الحث على الإنفاق في سبيل الله تعالى وعدّ الإلقاء بالنفس إلى الهلكة والأمر بالإحسان، ولا بأس أن تتعلق بما بعدها فيكون ذلك الإنفاق وعدم إلقاء النفس في التهلكة والأمر بالإحسان في الحج أيضا فكلاهما يقتضي هذه الأمور، وإن كان سبيل الله إذا أطلق فإنما يراد به الجهاد في سبيل الله تعالى، لكن الرسول ﷺ سمى الحج جهادًا في هذا الحديث وغيره من الأحاديث فحينئذ يمكن أن يكون الإنفاق في الحج في سبيل الله تعالى، وعد الإلقاء بالنفس إلى التهلكة أيضا مطلوب في كل من الجهاد والحج، كما أن الإحسان مطلوب في كل الأعمال ولا سيما الجهاد والحج.

ولكن لما كان الجهاد لا تتمكن فيه المرأة من التستر اللازم لها والمناسب لطبيعتها عدل بها الرسول ﷺ إلى الجهاد الذي لا قتال فيه ولا شوكة وهو الحج والمرأة في الحج مهما كان فيه من سفر وسعي ومجاهدة وصبر ومشقة تتمكن فيه من الستر اللائق بها وبطبيعتها.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا والمسلمين الرشد، والفقه في الدين وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

استباق الخيرات والحسد المذموم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين من أرسله ربه رحمة للعالمين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَحاسُدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فهو يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو ينفقه في حقه فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي عملت فيه مثل ما يعمل».

هذا الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة في ثلاثة مواضع من صحيحه؛ في كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، برقم (٥٠٢٦)، وفي كتاب التمني باب تمني القرآن والعلم برقم (٧٢٣٢)، وفي كتاب التوحيد باب قول النبي ﷺ: «رجل آتاه الله القرآن» برقم (٧٥٢٨)، كما أخرجه أيضًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في موضعين؛ في كتاب فضائل القرآن برقم (٥٠٢٥)، وفي كتاب التوحيد برقم (٧٥٢٩).

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين عن ابن عمر رضي الله عنهما باب فضل من يقوم بالقرآن برقم (٢٦٦، ٢٦٧)، كما أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الحسد برقم (١٩٣٦)، كما أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب الحسد برقم (٤٢٠٩)، والدارمي في فضائل القرآن، وأحمد في المسند (٢/٩، ٣٦، ٨٨، ١٣٣، ٤٧٩، ٤/١٠٥، ٥/١٤).

إعداد/ زكريا حسيني

شرح الحديث

الحسد هو تمني زوال النعمة عن المنعم عليه سواء تمناها لنفسه أم لا، وهو مذموم شرعًا وعقلاً وعرفًا، والدافع إلى الحسد أن الطباع جبلت على حب الترفع والتعالي على الجنس، فإذا رأى نعمة أنعم الله بها على غيره وليست له أحب أن تزول هذه النعمة عن صاحبها، وتأتيه هو ليرتفع عليه، أو أن تزول عن صاحبها فقط حتى يتساويا في عدم التمتع بها.

وصاحب الحسد مذموم إن عمل بمقتضى ذلك من قول أو فعل أو عزم، وينبغي لمن خطر له الحسد أن يكرهه كما يكره ما طبع عليه من حب المنهيات، واستثنى العلماء من ذلك ما إذا كانت النعمة لكافر أو فاسق يستعين بها على فعل المنكرات وارتكاب المعاصي.

وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة:

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وعرفها بعض العلماء بأن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على ذلك يسمى منافسة، قال الحافظ في الفتح: فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، وإن كان في المعصية فهو مذموم، ومنه: «ولا تنافسوا»، وإن كان في الجائزات فهو مباح، فكأنه قال في الحديث: لا غبطة أعظم- أو أفضل- من الغبطة في هذين الأمرين، قال: ووجه الحصر أن الطاعات إما بدنية أو مالية أو كائنة عنهما.

وقد أشار إلى البدنية بإتيان القرآن والقيام به، والمراد بالقيام به العمل به مطلقًا، أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها ومن تعليمه والحكم والفتوى بمقتضاه، وقد جاء في رواية لأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ويتبع ما فيه».

وقوله: «لا تحاسد» أي: لا رخصة في الحسد إلا في خصلتين، أو لا يَحْسُنُ الحسدُ إن حَسُنَ، أو أطلق الحسد مبالغة في الحث على تحصيل الخصلتين، كأنه قيل: لو لم يحصلا إلا بالطريق المذموم لكان ما فيهما من الفضل والخير حاملاً على الإقدام على تحصيلهما به فكيف والطريق المحمود يمكن تحصليهما به، وهو من جنس قوله تعالى: «فاستبقوا الخيرات» فإن حقيقة السبق أن يتقدم على غيره في المطلوب، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: «لا حسد».

قوله: «إلا في اثنتين»: قال الحافظ: كذا في معظم الروايات «اثنتين» بتاء التأنيث، أي لا حسد محمود في شيء إلا في خصلتين، وعلى هذا فقوله: «رجلٌ» بالرفع، والتقدير: خصلةُ رجلٍ، حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وللمصنف في الاعتصام «إلا في اثنين»، وعلى هذا فقوله: «رجلٍ» بالخفض على البدلية. ويجوز النصب بإضمار «أعني» وهي رواية ابن ماجه.

وفي حديث: «إلا على اثنتين»: تقول حسدته على كذا أي على وجود ذلك له، وأما حسدته في كذا فمعناه حسدته في شأن كذا وكأنها سببته.

قوله: «رجل آتاه الله القرآن» وللمصنف في باب اغتباط صاحب القرآن من كتاب فضائل القرآن: «رجل علمه الله القرآن»: أي أن الله تعالى أنعم عليه بالقرآن كاملاً تلاوة وحفظًا وتدبرًا وفهمًا وعلمًا وعملاً، لا يعدل عنه إلى غيره يحكمه في شئون حياته كلها.

وقوله: «يتلوه آناء الليل وآناء النهار» وفي رواية: «من آناء الليل» بزيادة من، وفي حديث ابن عمر: «وقام به آناء الليل»، والمقصود أنه مشغول بالقرآن ليلاً ونهارًا، يتلوه ويتدبره ويعمل به.

قوله: «يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل». وعند المصنف في كتاب فضائل القرآن: «فسمعه جار له فقال: «ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل» أي يتمنى من يغبطه أو جاره الذي لم يؤت القرآن أن يرزقه الله تعالى علم الكتاب مثل جاره فيعمل مثل عمله، وهذا التمني مأجور عليه كما جاء في حديث أبي كبشة الأنماري عند الترمذي وابن ماجه وصححه الترمذي: «إنما الدنيا لأربعة نفر؛ عبدٍ رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل به رحمه ويعلم لله فيه حقًا فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بغير علم لا يتقي فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالا ولم يرزقه علمًا فهو يخبط في ماله ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًا فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء».

فصاحب القرآن معروف بسمته وخلقه وعلمه وعمله قائم لله به آناء الليل والنهار يعمل به فيظهر ذلك في سلوكه وفي عقيدته وعبادته ومعاملاته، والكيِّس من جيرانه أو ممن يعاملونه ويخالطونه يقتدي به، ومن لم يستطع أن يصل إلى درجته يتمنى أن يكون له مثله غبطةً له، ولا يتمنى زوال العلم والقرآن عنه، بل يتمنى المماثلة والانتفاع بالقرآن وبصاحبه في الاقتداء والعمل.

وقوله: «ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في حقه» وللمصنف عن ابن عمر: «فهو يتصدق به آناء

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الليل والنهار»، وله أيضًا في حديث أبي هريرة في كتاب فضائل القرآن: «فهو يهلكه في الحق». وعند المصنف في «صحيح مسلم كذلك في حديث ابن مسعود: «فسلطه على هلكته في الحق». والتعبير بالتسليط يدل على قهر النفس المجبولة على الشح، كما أن التعبير بالهلكة يدل على أنه لا يبقي منه شيئًا، والمراد بإهلاكه إنفاقه على الأهل والولد، والبر والصلة والصدقة حتى كأنه لم يُبق منه شيئًا.

وأما قوله: «في الحق» فهو قيد لإنفاق المال وإهلاكه بأن يكون في الحق أي في الطاعات ليزيل عنه ما يمكن أن يتوهم من الإسراف والتبذير المذمومين. قال الحافظ في الفتح: «قوله فهو يهلكه في الحق» فيه احتراس بليغ، كأنه لما أوهم الإنفاق في التبذير من جهة عموم الإهلاك قيده بالحق.

قوله: «فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي عملت فيه مثل ما يعمل». وفي كتاب فضائل القرآن عند المصنف: «فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل»: أي أن هذا الغني الموفق الذي رزقه الله تعالى المال فسلطه على هلكته في الحق يراه الناس يعمل الخيرات ويسابق إليها ويسارع فيها فحينئذ يتمنى من يغبطه أن يكون له مال مثله ويرجو الله عز وجل أن يوفقه في إنفاقه في وجوه الخير.

قال النووي في شرح مسلم: «آناء الليل والنهار» أي: ساعاته، وواحده آنٌ: وإنْيٌ، وأنْيٌ.

وقال ابن عبد البر في الاستذكار: وقد أجاز الرسول ﷺ الحسد في الخير وأورد حديث ابن مسعود رضي الله عنه المشار إليه فيما سبق، وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ثم قال: ويقال إن الحسد لا يكاد يسلم منه أحد، فمن لم يحمله حسده على البغي لم يضره حسده، وروى عن الحسن البصري أنه قال: «ليس أحد من ولد آدم إلا وقد خلق معه الحسد، فمن لم يجاوزه إلى الظلم والبغي لم يتبعه منه شيء». ثم قال رحمه الله: وقد أشبعنا هذا المعنى بالآثار عن السلف في ذم الحسد وفضل من لم يحسد الناس في التمهيد.

وفي الحديث الحث على التنافس في الأعمال الصالحة ولا سيما ما يقوم عليه أمر الإسلام في كل زمان ومكان، وهما العلم والمال، فأما العلم فأصله كتاب الله تعالى الذي هو أصل الدين، فإذا وُجد القرآن وجد الدين، وإذا فرط المسلمون في كتاب ربهم وجهلوه تشجع أعداؤهم على تشكيكهم في كتاب الله من حيث صدقه وأنه من عند الله حقًا، ثم في لغته وأنه اشتمل على تناقضات، وحينئذ يجدون أرضًا خصبة لغرسهم الفاسد المهلك الذي يأتي على الأخضر واليابس، وجدوا أرضًا خبيثة لا تخرج إلا نكدًا، فإذا هان على المسلمين قرآنهم وظنوا أنه كتاب ثقافة وآداب يمكن الاستفادة منه كما يمكن الاستغناء عنه، إذا حدث ذلك هان عليهم دينهم وأصيبوا بالذل والهوان والضعف والخذلان، فتسلط عليهم الأعداء، وتكالبت عليهم قوى الشر والطغيان، ويكون ذلك بما كسبت أيدينا.

وأما المال فعليه تقوم حياة الأفراد والأمم، فإذا أنفق في حقه، واتقى فيه صاحبُه ربَّه وعمل فيه بالطاعات، وكان المال عونًا له على اجتناب المعاصي والخطيئات، فإنه حينئذ يكون قد وظف ماله في خدمة دينه، فلا يسرف ولا يبذر، ويكون المال عدة للمسلمين في مواجهة أعدائهم، أما إذا بخل المسلم الغني بماله فإن المجتمع تتقطع أواصره وتنفك عرى التواصل والتواد بين أفراده، ويضعف فيصبح نهبًا لأعدائه، تتقاذفه أمواج فتنهم ويتحكمون في تسيير دفته مرة ذات اليمين وتارة ذات الشمال، أما إذا تمسك المسلمون بدينهم وأخذوا ما آتاهم الله تبارك وتعالى بقوة، ونصروا الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، إذا رجعوا إلى دينهم وعرفوا أن عزهم فيه، وأنهم لا قوام لهم بغير دينهم، إذا عادوا إلى الله وآمنوا به وتوكلوا عليه فلا شك أن الله سينصرهم على أعدائهم ويرد كيد الأعداء في نحورهم، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله، وأن يذل الكفر وأهله، وأن يمكن لعباده المؤمنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

الهجرة بين

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . وبعد :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال يوم الفتح : «لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس في كتاب الجهاد باب فضل الجهاد والسير برقم ٢٧٨٣، وفي باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية برقم ٢٨٢٥، وفي باب «لا هجرة بعد الفتح» برقم ٣٠٧٧، وأخرجه عن ابن عمر موقوفًا عليه في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة برقم ٣٨٩٩، وفي كتاب المغازي برقم ٤٣٠٩، ٤٣١٠، ٤٣١١، وأخرجه أيضًا من قول عائشة موقوفًا عليها في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة برقم ٣٩٠٠، وفي كتاب المغازي برقم ٤٣١٢، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما برقم ٨٥ ومن حديث عائشة رضي الله عنها برقم ٨٦، وأخرج بمعناه حديث مجاشع بن مسعود السلمي .

وأخرجه أيضًا الترمذي في أبواب السِّيَر باب «ما جاء في الهجرة» من حديث ابن عباس برقم ١٥٩٠ قال : وفي الباب عن أبي سعيد وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن حُبْشي . وأخرجه النسائي في كتاب البيعة باب «ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة من حديث يعلى بن أمية برقم ٤١٧٣، وعن يعلى بن أمية برقم ٤١٧٤، وعن صفوان بن أمية برقم ٤١٧٤، وعن ابن عباس برقم ٤١٧٥، وعن عمر بن الخطاب برقم ٤١٧٦، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات باب إبرار المقسم عن عبد الرحمن بن صفوان أو صفوان بن عبد الرحمن القرشي بمعناه .

شرح الحديث

قوله ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» أي : فتح مكة ، قال الإمام الخطابي عقب هذا الحديث : كانت الهجرة على معنيين، أحدهما: أن الآحاد من القبائل كانوا إذا أسلموا، وأقاموا في ديارهم بين ظهراني قومهم أوذوا وفتنوا ، فأمروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ويزول الأذى عنهم ، والمعنى الآخر : أن أهل الدين بالمدينة كانوا في قلة من العدد ، وضعف من القوة

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الأمس واليوم

إعداد/ زكريا حسيني

فكان الواجب على من أسلم من الأعراب وأهل القرى أن يهاجروا فيكونوا بحضرة الرسول ﷺ إن حدث حادث وحزب أمر استعان بهم في ذلك، وليتفقهوا في الدين فيرجعوا إلى قومهم فيعلموهم أمر الدين والأحكام، فلما فتحت مكة استغنوا عن ذلك، إذ كان معظم الخوف على المسلمين من أهل مكة، فلما أسلموا أمن المسلمون أن يُغْزَوْا في عقر دارهم فقيل لهم: أقيموا في أوطانكم وقَرُّوا على نية الجهاد، فإن فرضه غير منقطع مدى الدهر، فكونوا مستعدين لتنفروا إذا استنفرتم، وتجيبوا إذا دعيتم. اهـ

[أعلام الحديث (ج٢ ص١٣٥٤)]

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن نقل ملخص كلام الخطابي وغيره: وكانت الحكمة أيضًا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم حتى يرجع عن دينه، وفيهم نزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها، وقد روى النسائي من طريق بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده مرفوعًا: «لا يقبل الله من مشرك عملاً بعدما أسلم أو يفارق المشركين».

لا يتورع أعداء الإسلام الذين يهاجر إليهم عن الإفصاح بتبجح عن تدخلهم في تغيير هوية المسلمين وضرب المناهج الإسلامية وتمييع الشريعة حتى يتسنى لهم القضاء على الإسلام وأهله!!

ولأبي داود من حديث سمرة مرفوعًا: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين». وهذا محمول على من لم يأمن على دينه.

قوله ﷺ: «ولكن جهاد ونية» نقل ابن حجر رحمه الله قول الطيبي وغيره في هذا فقال: هذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله، والمعنى: أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية، وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر، والخروج في طلب العلم، والفرار بالدين من الفتن، والنية مطلوبة في جميع ذلك.

ولقد وضحت ذلك عائشة رضي الله عنها فيما روى عنها عطاء بن أبي رباح قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير الليثي، فسألها عن الهجرة، فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية. [البخاري: ح٣٩٠٠].

قال الحافظ تعليقًا على قول عائشة رضي الله عنها: كان المؤمنون يفر أحدهم...»:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أشارت عائشة رضي الله عنها إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته ، فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت ، ومن ثم قال الماوردي: إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفار فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام .

هذا ، وقد أخرج النسائي عن عبد الله بن وقدان السعدي قال : قلت : يا رسول الله متى تنقطع الهجرة ؟ قال : «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار». [ح ٤١٧٧، ٤١٧٨]. قال ابن حجر في الجمع بين حديث ابن عباس وابن عمر وعائشة وغيرهم وبين حديث ابن السعدي : كانت الهجرة إلى النبي ﷺ بعدما هاجر إلى المدينة مفترضة ، وقد أكد الله تعالى ذلك حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾، فلما فتحت مكة ودخل الناس في دين الله من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب ، وقال البغوي في «شرح السنة»: يحتمل الجمع بينهما بطريق أخرى بقوله : «لا هجرة بعد الفتح» أي : من مكة إلى المدينة ، وقوله : «لا تنقطع» أي : من دار الكفر إلى دار الإسلام في حق من أسلم ، قال -أي البغوي -: ويحتمل وجهًا آخر وهو قوله : «لا هجرة» أي إلى النبي ﷺ ، حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن، وقوله : «لا تنقطع» أي : هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم .

قلت - القائل ابن حجر -: الذي يظهر أن المراد بالشق الأول وهو المنفي ما ذكره في الاحتمال الأخير ، والشق الآخر المثبت ما ذكره في الاحتمال الذي قبله ، وقد أفصح ابن عمر فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ : «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» أي : ما دام في الدنيا دار كفر ، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه .

وبعد : فما شرعية الهجرة في زماننا هذا؟

لقد هاجر أناس من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفر - والله أعلم بأسباب هجرتهم - فعاشوا في تلك البلاد وكونوا ثروات وطاب لهم العيش فيها فانمسخت شخصياتهم ونسوا دينهم ونشأ أولادهم على أخلاق تلك البلاد وعاداتهم فتربوا على غير دين الإسلام ، وجاء بعضهم وقد أرسلهم آباؤهم -ربما - ليتعلموا الإسلام في البلاد الإسلامية العربية ، فرأيناهم لا يعرفون لغة ولا دينًا ، بل جاء بعضهم غير مختون وقد بلغ العشرين من عمره أو نحوها ، فإذا تكلم معه بعض أساتذته ومدرسيه بكى وقال : لا تسألونا عن الإسلام ولا تعاملونا على أننا مسلمون فإننا لا نعرف شيئًا عن الإسلام إلا اسمه ، ولم يتحمل أكثرهم الحياة في ظل الإسلام وتعاليمه وعاد إلى بلاده التي جاء منها ليحيا حياة بعيدة عن الإسلام، وهذا ما جناه عليهم آباؤهم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الذين يقيسون هجرتهم على هجرة المستضعفين من مكة إلى الحبشة قياسهم فاسد لأن هجرتهم الآن عند رموز الظلم والكفر في العالم، وعند من يذيق المسلمين في بلاد المسلمين العذاب ألوانًا

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وهاجر فريق آخر من الشباب، فعاشوا وسط الرذيلة ، ورأوا بأعينهم الفواحش فاستمرءوا رؤيتها ، ولم يتمعر وجه الواحد منهم عندما ترتكب المحارم علانية في الشوارع وفي الأماكن العامة ، وربما تشدق بعضهم بأنه يعيش حياة حرة كريمة ، والحرية الواقعة هناك إنما هي حرية الكفر والفسق والمعاصي والمجون.

وهاجر فريق ثالث ممن شعروا بأنهم مضطهدون في بلاد الإسلام وذلك لانحراف أفكارهم وغلوهم في تكفير المسلمين جانحين في ذلك إلى منهج الخوارج ، منزلين نصوص الوعيد على عامة المسلمين ضاربين عرض الحائط بنصوص الوعد والتوبة وعفو الله تعالى ومغفرته ، وإنك لتعجب إذا علمت وسمعت عن بعض النماذج التي لقيها بعض الدعاة في الخارج ورأينا بعضًا من تلك النماذج في مدينة رسول الله ﷺ في الجامعة الإسلامية ، حيث أن آباءهم يعيشون في أمريكا حاملين الجنسية الأمريكية ويصرح أحدهم بأنه لا يمكن أن يحمل معه زوجه وأولاده لأنه لا يرضى لهم أن يعيشوا الحياة التي يعيشها هو هناك ، ويفصح بأنه يريد أن يتربى أولاده في بلاده تربية إسلامية .

إذن فما الذي حملك على الهجرة إلى هناك؟

وآخر يعيش في دولة أوربية ، جاء ليدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة، وعندما كان يسمع الأذان ينبعث من بيوت الله ، مساجد المدينة حول الجامعة من جهات متعددة ، فإذا به يبكي ويقول: نحن محرومون من سماع الأذان هناك، وإذا سألته: أين تصلون ؟ وكيف تصلون ؟ أجاب: إنهم يصلون في بعض البيوت دون أن يظهر لهم صوت ، ويحجر عليهم أن يسمع أحدٌ لهم صوتًا . فيا للعجب لهؤلاء.

ثم بعد ذلك تسمع من بعضهم من يقيس هذه الهجرة على هجرة المستضعفين من مكة إلى الحبشة ، فإنهم أولاً : هاجروا بأمر النبي ﷺ ، وثانيًا هاجروا عند ملك وصف بأنه لا يظلم عنده أحد ، وأما هؤلاء فبأمر مَنْ هاجروا؟ وعند من هاجروا؟ أعند من لا يظلم عنده أحد؟ بل عند رمز الظلم والكفر في العالم ، عند الذي يذيق المسلمين في بلاد المسلمين العذاب ألوانًا ويعمل ليلاً ونهارًا لا يهدأ له بال على سفك دماء المسلمين من جانب كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ومن جانب آخر يفصح عن تدخله في تغيير هوية المسلمين وضرب المناهج الإسلامية ، وتمييع الشريعة حتى يتسنى له القضاء على الإسلام وأهل الإسلام.

وعلى ذلك فإنه تُشرع الهجرة من بلاد الكفر لمن أسلم من أهلها إلى بلاد المسلمين، إذا لم يتمكن من إقامة شعائر دينه.

نعوذ بالله تعالى من الخذلان ، ونسأله تعالى أن يحفظ علينا ديننا ، وأن يصلح بلادنا وولاة أمورنا ، وأن يوفق علماء المسلمين إلى تبصير المسلمين بالحق ، وأن يرزقنا وجميع المسلمين العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يهيء لنا من أمرنا رشدًا ، وأن يبرم لأمة الإسلام أمر رشد يعز فيه أهل الإسلام وأهل الطاعة ، ويذل فيه أهل الكفر والفسوق والعصيان ، وأن يهدي ضال المسلمين ، وأن يوحد بين صفوفنا على الحق.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخَلَصة؟» فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحْمَسَ، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري، وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا». قال: فما وقعت عن فرس بعد، قال: وكان ذو الخلصة بيتًا باليمن لخثعم وبَجيلة فيه نُصُبٌ تُعْبَدُ- يقال الكعبة، قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها، قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسولَ رسولِ الله ﷺ هاهنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير قال: لتكسرنها ولتشهدنّ أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك، قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاةَ إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبرّك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في تسعة مواضع من صحيحه ثلاثة منها في كتاب الجهاد: في باب (حرق الدور والنخيل) برقم (٣٠٢٠) وباب (من لا يثبت على الخيل) برقم (٣٠٣٦) وباب (البشارة في الفتوح) برقم (٣٠٧٦) وفي موضع واحد في كتاب مناقب الأنصار باب (ذكر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه) برقم (٣٨٢٣)، وكتاب المغازي في باب (غزوة ذي الخلصة) بالأرقام (٤٣٥٥، ٤٣٥٦، ٤٣٥٧)، وفي كتاب الأدب باب (التبسم والضحك) برقم (٦٠٩٠) وفي كتاب الدعوات باب (قول الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ برقم (٦٣٣٣)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب «من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه» برقم (٢٤٧٦). وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب (في بعثة البشراء) برقم (٢٧٧٢)، وأخرجه النسائي في الكبرى في السير وفي المناقب، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام (٤/٢٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥).

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد . وبعد:

إعداد
زكريا حسيني

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

راوي الحديث:

هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن عوف، الأمير النبيل الجميل، أبو عمرو، وقيل أبو عبد الله البَجَلِيُّ القَسْرِيُّ، وقسر من قطحان، وجرير من أعيان الصحابة وبايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم، وفي مسند احمد بسند قوي عن جرير بن عبد الله قال: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي، وحللت عيبتي ولبست حلتي ثم دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ يخطب فرماني الناس بالحدق. فقلت لجليسي: يا عبد الله هل ذكر رسول الله ﷺ من أمري شيئًا؟ قال: نعم، ذكرك بأحسن الذكر، بينما هو يخطب إذ عَرَضَ له في خطبته، فقال: «إنه سيدخل عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، ألا وإن على وجهه مِسْحَة ملك». قال: فحمدت الله.

وعنه رضي الله عنه قال: ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي، قال: «يَطْلُعُ عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مِسْحَة مَلَكٍ»، وإسناده صحيح. وروى البخاري ومسلم عن همام قال: رأيت جرير بن عبد الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه، ثم قام فصلى، فسئل فقال: رأيت النبي ﷺ فعل مثل هذا، قال إبراهيم فكان يعجبهم، لأن جريرًا من آخر من أسلم.

واعتزل جرير عليًا ومعاوية حتى توفي، وروي أن عليا أرسل إليه ابن عباس والأشعث فقالا: أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول: نعم ما رأيت من مفارقتك معاوية، وإني أنزلك بمنزلة رسول الله ﷺ التي أنزلكها. فقال جرير: إن رسول الله ﷺ بعثني إلى اليمن أقاتلهم حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا حرمت دماؤهم وأموالهم، فلا أقاتل من يقول لا إله إلا الله.

وتوفي جرير سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة أربع وخمسين، فرضي الله عنه وأرضاه.

شرح الحديث:

قوله: «غزوة ذي الخَلَصَةِ» بفتح الخاء واللام والصاد، وحكى ابن دريد فتح أوله وإسكان ثانيه، وحكى ابن هشام ضمها، وقيل بفتح أوله وضم ثانيه، والأول أشهر، قاله الحافظ في الفتح، وقال: والخلصة نبات له حبٌّ أحمر كخرز العقيق، وذو الخلصة اسم للبيت الذي كان فيه الصنم، وقيل: اسم البيت الخلصة، واسم الصنم ذو الخلصة، وحكى المبرد أن موضع ذي الخلصة صار مسجدًا جامعًا لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم، ووهم من قال إنه كان في بلاد فارس.

كان بيت في الجاهلية لخثعم يقال له ذو الخلصة، وخثعم قبيلة شهيرة ينتسبون إلى خثعم بن أنمار بن إراش بن عنز بن وائل ينتهي نسبهم إلى ربيعة بن نزار إخوة مضر بن نزار جد قريش، وقد ذكر ذو الخلصة في حديث أبي هريرة عند الشيخين في كتاب الفتن مرفوعًا: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة»، وكان صنمًا تعبده دوس في الجاهلية. قال ابن حجر: والذي يظهر لي أنه غير المراد في حديث جرير هذا، لأن دوسًا قبيلة أبي هريرة ينتسبون إلى دوس بن عدثان- بالثاء المثلثة- بن عبد الله بن زهران ينتهي نسبهم إلى الأزد، فبينهم وبين خثعم تباين في النسب والبلد، وذكر ابن دحية أن ذا الخلصة المراد في حديث أبي هريرة كان عمرو بن لحيٍّ قد نصبه أسفل مكة، وكانوا يلبسونه القلائد ويجعلون عليه بيض النعام ويذبحون عنده، وأما الذي لخثعم فكانوا قد بنوا بيتًا يضاهون به الكعبة، فظهر الافتراق وقوي التعدد، والله أعلم.

جاء في بعض روايات الحديث: «والكعبة اليمانية والكعبة الشامية». قيل: هو غلط والصواب اليمانية فقط، سموها بذلك مضاهاة للكعبة، والكعبة البيت الحرام بالنسبة لمن يكون جهة اليمن شامية. فسموا التي بمكة شامية والتي عندهم يمانية تفريقًا بينهما.

وقوله ﷺ: «ألا تريحيني»: بفتح اللام مخففة

لا راحة لصالحي أهل الإسلام

مهمة الرسل دعوة الناس إلى

على من أخذ بالأسباب ألا ينسى دعاء

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

إلا بزوال معالم الشرك بالله عز وجل

التوحيد الخالص وتعبيدهم لرب الناس

الله؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن

طلب تضمن الأمر، وخص ﷺ جريرًا بذلك لأنها كانت في بلاده وهو من أشراف قومه، والمراد بالراحة هنا راحة القلب؛ وما كان شيء أتعب لقلب رسول الله ﷺ من بقاء الشرك بالله تعالى.

قوله: «فبرك النبي ﷺ على خيل أحْمَسَ ورجالها خمس مرات» أَحْمَسُ على وزن أحمر هو إخوة بَجيلةَ رهط جرير ينتسبون إلى أحْمَسَ بن الغوث بن أنْمَار، وبجيلة اسم امرأة نسبت إليها القبيلة المشهورة. قال الحافظ في الفتح: وفي العرب قبيلة أخرى يقال لها أحمس ليست مرادة هنا ينتسبون إلى أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار.

وأما بَرَك وفي رواية بارك وفي ثالثة دعا لنا ولأحمس خمس مرات - أي بالبركة.

قول جرير رضي الله عنه: «وكنت لا أثبت على الخيل فضرب على صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري». أي أن النبي ﷺ فعل ذلك ثم دعا له بقوله ﷺ: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا». الذي لا يثبت على الخيل يقال له رجل قِلِعٌ وخاصة الذي لا تثبت قدمه عند الحرب، فلذلك دعا النبي ﷺ لجرير أن يثبته الله تعالى على فرسه، وزاد في دعائه له أن يجعله الله تعالى هاديا مهديا أي هاديا لغيره مهديا في نفسه.

قوله: «فكسرها وحرقها» أي: هدم بناءها، ورمى النار فيما فيها من الخشب.

وقوله: «ولما قدم جرير إلى اليمن» يشعر باتحاد قصته في غزوة ذي الخلصة بقصة ذهابه إلى اليمن، وكأنه بعد فراغه من هدم ذي الخلصة وتحريقها، وأرسل رسوله ليبشر رسول الله ﷺ استمر ذاهبًا إلى اليمن لدعوة أهلها إلى الإسلام وتعريفهم بخبر رسول الله ﷺ وإقامة الدين فيهم.

قوله: «يستقسم بالأزلام» أي يستخرج بواسطة ذلك غيب ما يريد أن يفعله ويمضي فيه من خير أو شر، والاستقسام بالأزلام وهي الأسهم التي لا ريش لها واحدها «زَلَمٌ» فكان الواحد منهم إذا أراد فعل أمر «أخذ ثلاثة أسهم وكتب على أحدها [افعل] وعلى الثاني: [لا تفعل] وترك الثالث غُفْلاً أو كتب عليه [غُفْلٌ]. ويقرع بها فإن خرج الذي فيه الأمر بالفعل فعل، وإن خرج الذي فيه النهي انتهى، وإن خرج الغُفْلُ أعاد، ويعتقدون أن في ذلك الخير أو هو الذي يترتب عليه اختيار الخير للفاعل غير رادين الأمر لصاحب الأمر وهو الله رب العالمين، وقد حرم الله تعالى الاستقسام بالأزلام في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ عطفا على المحرمات في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ الآية.

قوله: «ثم بعث جرير رجلاً من أحْمَسَ يكنى أبا أرْطَاةَ». قال ابن حجر: وقع مسمى في صحيح مسلم بـ «حصين بن ربيعة» ولبعض رواة مسلم «حسين» وهو تصحيف، قال: ومنهم من سماه «حصن»، وقلبه بعض الرواة فقال: «ربيعة بن حصين»، ومنهم من سماه «أرطاة»، والصواب: أبو أرطاة حصين بن ربيعة وهو ابن عامر بن الأزور، وهو صحابي بجلي لم أرَ له ذكرًا إلا في هذا الحديث. اهـ.

قوله: «كأنها جمل أجرب» كناية عن نزع زينتها وإذهاب بهجتها، وقال الخطابي: المراد أنها صارت مثل الجمل المطلي بالقطران من جربه، إشارة إلى أنها صارت سوداء لما وقع فيها من التحريق. ووقع في بعض الروايات: «أجوف» بدلاً من أجرب، والمعنى أنها صارت صورة بغير معنى. والأجوف الخالي الجوف مع كبره في الظاهر. والله أعلم.

وفي الحديث من الفوائد الجمة والمطالب العظيمة الكثير وأولها وأهمها حرص النبي ﷺ على توحيد الله تبارك وتعالى، وأنه أظهر حزنه وتعبه لوجود أوثان أو أصنام تعبد من دون الله تعالى في أرض الله، وأن همه كان انتشال الناس من الشرك إلى التوحيد، وألا يتعلق العبد في أي أمر من أموره إلا برب العالمين الذي خلقه وسواه وجعله في أحسن تقويم، وإن كثيرًا من المجتمعات الإسلامية تعج

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ويشيع فيها ألوان من الإشراك بالله تعالى في ألوهيته خاصة، فإن كثيرًا من المسلمين تتعلق آمالهم ويتوجهون بحوائجهم إلى القبور وأصحابها راجين منها دفع البلاء والضر، وجلب العافية والنفع، وحتى من لم يتعلق بهؤلاء المقبورين فإنه لا يجرؤ على هدم شيء من قبابهم وما بنى عليهم وذلك خشية أن يصيبه صاحب القبر بضر إن هو فكر في ذلك أو تجرأ عليه، ويمتد هذا الاعتقاد حتى يشمل الذبح عند هذه القبور، والنذر لأصحابها وإقامة الاحتفالات، بل قد يصل الأمر إلى تقديم شكاوى لبعض أصحاب هذه القبور ليرد إليه مظلمته ممن ظلمه، ومنهم من يطلب الولد ممن يظن أنه يستطيع أن يمنحه الولد من هؤلاء، ومهمة الرسول ﷺ بل وظيفة الرسل جميعًا والعلماء من بعدهم، وظيفتهم تعبيد الناس لرب الناس، وإنك لتعجب ممن ينكرون على الرسل ومن ينكرون على العلماء دعوتهم إلى توحيد الله عز وجل، فهل الداعي أو العالم يطلب من المدعو أن يترك عبادة شيخه ليعبد شيخ الداعي، حتى يظن أنه يريد صرفه عن عبادة مخلوق ليعبد مخلوقًا آخر؟

إن هذا لشيء عجاب، إنما يدعو الرسل والعلماء- وهم ورثتهم- إلى عبادة الله وحده وترك عبادة غير الله، إن دعوة الرسل هي دعوة لجميع الخلق أن يتوجهوا بعبادتهم لخالق الخلق جميعًا ورازقهم ومدبر أمورهم من بيده ملكوت كل شيء، ولكن إذا ذهب العقل ضل صاحبه وغوى، وتوجه لعبادة المخلوق غير مفرق بين من يملك النفع والضر والموت والحياة والنشور وبين من لا يملك من ذلك شيئًا لنفسه فضلاً عن أن يملكه لغيره.

ولا شك أن الهمَّ الأكبر الذي يوجع القلب ويتعبه إنما يتمثل في وجود من يشرك مع الله أحدًا، وإن آيات القرآن الكريم وأحاديث سيد الخلق ﷺ إنما تفيض بهذا الأمر، وهي معلومة لكل ذي عينين بل لكل ذي قلب سليم.

إنه يجب على المسلمين في كل بقاع المعمورة أن يزيلوا ما يفتن الناس عن دينهم سواء كان بناءً أم صنمًا أم وثنًا، وإن التماثيل التي وضعت بالميادين في بلاد المسلمين لهي نذير شر وخطر على عقائد المسلمين، ولا سيما في زمن الجهل بالدين، ولكن إذا كان زعماء بعض الطوائف يقام على قبره بنيان ويُذكرُ بكل فخر أنه بُني على هيئة الكعبة وأن أبناء هذه الطائفة يطوفون بالقبر كما يطوف المسلمون بالكعبة، فهؤلاء يناون بأنفسهم عن التوحيد ويلبسون عن الجهلة من أبناء المسلمين، ويصبح الإسلام في نظر أعداء الإسلام مجموعة من الخرافات والخزعبلات، والله لو أن المسلمين فقهوا الإسلام عقيدة وشريعة وعملوا بمقتضاه لَعَزُّوا وارتفعوا وما هانوا ولا ذلوا، وما استطاع أعداؤهم ولا تجرؤا أن يطعنوا في الدين الحق الذي رضيه الله لعباده دينًا، وأخبر سبحانه أنه لا يقبل منهم دينًا سواه.

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث- من الفوائد- مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس من بناء وغيره سواء كان إنسانًا أو حيوانًا أو جمادًا، وفيه استمالة نفوس القوم بتامير من هو منهم والاستمالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح، وقبول خبر الواحد، والمبالغة في نكاية العدو، ومناقب لجرير وقومه، وبركة يد النبي ﷺ ودعائه، وأنه كان يدعو وترًا وقد يجاوز الثلاث- وهذا تخصيص لعموم قول أنس رضي الله عنه: «كان إذا دعا دعا ثلاثًا». فيحمل على الغالب، وكان الزيادة لمعنى اقتضى ذلك، وهو ظاهر في أحمس لما اعتمدوه من دحض الكفر ونصر الإسلام ولا سيما مع القوم الذين هم منهم.

نسأل الله العلي العظيم ربَّ العرش العظيم أن يعز أهل التوحيد أهل الحق وأن يذل أهل الباطل أهل الشرك، وأن يهدي ضال المسلمين إلى هدي كتابه وسنة رسوله وأن ينشر لواء التوحيد في كل مكان من أرض الله، وأن يحيينا على توحيده سبحانه ويميتنا عليه، لا إله غيره ولا رب سواه، ولا معبود بحق إلا هو، وأن يحشرنا في زمرة الموحدين مع سيدهم محمد بن عبد الله ﷺ.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

تكفير المسلمين من

الحمد لله حق حمده وأكمله لا نحصي ثناء عليه سبحانه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصَّلْ من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً» قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة كث اللحية، محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله، اتق الله، قال: «ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟» قال: ثم ولى الرجل. قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يصلي». فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم». قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ، وقال: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في عدة مواضع أولها في كتاب أحاديث الأنبياء باب (قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ برقم (٣٣٤٤)، وثانيها في كتاب المناقب باب «علامات النبوة» برقم (٣٦١٠) وثالثها في كتاب المغازي باب (بعث علي وخالد بن الوليد إلى اليمن) برقم (٤٣٥١)، ورابعها في كتاب التفسير باب (قوله تعالى: «والمؤلفة قلوبهم» برقم (٤٦٦٧) وخامسها في كتاب فضائل القرآن باب (إثم من راءى بقراءة القرآن) برقم (٥٠٥٨) وسادسها في كتاب الأدب باب (ما جاء في قول الرجل ويلك) برقم (٦١٦٣)، وسابعها في كتاب استتابة المرتدين باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم برقمي (٦٩٣١، ٦٩٣٣)، وثامنها في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ برقم (٧٤٣٢)، وتاسعها في كتاب التوحيد أيضًا باب (قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم) برقم (٧٥٦٢)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب (ذكر الخوارج وصفاتهم) برقم (١٠٦٤) (١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨)، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة باب (قتال الخوارج) برقم (٤٧٦٤)، والنسائي في كتاب الزكاة باب (المؤلفة قلوبهم) برقم (٢٧٥٩)، وفي كتاب المحاربة باب (من شهر سيفه ثم وضعه في

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

معتقد فرقة الخوارج

إعداد/ زكريا حسيني

الناس) برقم (٤١٠٦).

شرح الحديث

قوله: «بذهيبة» تصغير ذهَبَة، وفي معظم النسخ من صحيح مسلم بذهَبَةٍ بدون تصغير.

وقوله: «في أديم مقروظ» أي في جلد مدبوغ.

وقوله: «لم تحصل من ترابها» أي: لم تخلص من تراب المعدن فكان تبرًا لم تسبك، وتخليصها بالسبك.

وقوله: «بين عيينة بن بدر» نسب لجده الأعلى، وإنما هو عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر الفزاري.

وقوله: «وأقرع بن حابس» هكذا في هذه الرواية، وجاء في غيرها على الأصل بالألف واللام، «الأقرع بن حابس» وقد استشهد به ابن مالك على أن الأعلام ذوات الالف واللام قد تحذف منها في غير نداء ولا إضافة ولا ضرورة.

وقوله: «وزيد الخيل» هو زيد بن مهلهل الطائي، وقيل له: زيد الخيل لكرائم الخيل التي كانت له، وسماه النبي ﷺ: زيد الخير بالراء بدل اللام وأثنى عليه، وأسلم وحسن إسلامه ومات في حياة النبي ﷺ.

قوله: «والرابع إما علقمة» يعني ابن عُلاثة العامري، و«إما عامر بن الطفيل» وهو العامري قال الحافظ في الفتح: وجزم في رواية سعيد بن مسروق بأنه علقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب، وهو من أكابر بني عامر، وأسلم علقمة وحسن إسلامه، قال الحافظ: وذكر عامر بن الطفيل غلط من عبد الواحد (أي في هذه الرواية) فإنه كان مات قبل ذلك.

قوله: «وقال رجل من أصحابه» هكذا في الرواية، وفي رواية أخرى «فغضبت قريش والأنصار». وقالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، فقال ﷺ: «إنما أتالفهم» والصناديد جمع صنديد وهو الرئيس، وفي رواية أخرى: «فتغيظت قريش والأنصار»، وفي رواية رابعة: «فتغضبت قريش والأنصار».

قوله: «فقال ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً». وفي الرواية الأخرى أنه ﷺ قال ذلك عقب قول الخارجي الذي يذكر بعد هذا، قال الحافظ: وهو المحفوظ.

قال الحافظ في الفتح: واختلف في هذه الذهيبة فقيل: كانت أخمس الخمس، وفيه نظر، وقيل من الخمس، وكان ذلك من خصائصه ﷺ لم يضعه في صنف دون الأصناف للمصلحة، وقيل من أصل الغنيمة وهو بعيد.

قوله: «فقام رجل غائر العينين» أي عيناه داخلتان في محاجرها للصفنين بقعر الحدقة.

قوله: «مشرف الوجنتين» أي بارزهما، والوجنتان العظمان المشرفان على الخدين.

وقوله: «ناشز الجبين» أي: مرتفع الجبين، وفي رواية: «ناتئ» من النتوء وهو الارتفاع عما حوله.

وقوله: «محلوق الرأس»، وفي رواية ابن سيرين قيل ما سيماهم؟ قال: «سيماهم التحليق أو التسبيد» شك من الراوي،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

والتسبيد بمعنى التحليق، وقيل إنَّ التسبيد أبلغ من التحليق وقيل: هو ترك دهن الشعر وغسله، والأولى أولى، قال الحافظ: وكان السلف يوفرون شعورهم لا يحلقونها، وكانت طريقة الخوارج حلق جميع الرأس.

قوله: «يا رسول الله، اتق الله» وفي رواية أخرى: «فقال: اعدل يا رسول الله». وفي رواية ثالثة: «فقال: اتق الله يا محمد». وفي حديث عبد الله بن عمرو فقال: «اعدل يا محمد». وفي لفظ له عند البزار والحاكم: «فقال: يا محمد: والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما أراك تعدل». وفي رواية مقسم التي أشرت إليها: «فقال يا محمد قد رأيت الذي صنعت، قال: وكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت». وفي حديث أبي بكرة: فقال: يا محمد، والله ما تعدل، وفي لفظ: «ما أراك عدلت في القسمة»، ونحوه في حديث أبي برزة. اهـ في الفتح.

وهذا الرجل هو ذو الخويصرة التميمي كما صرح به في بعض الروايات وعند أبي داود أن اسمه: نافع، قال الحافظ: ورجحه السهيلي، وقيل: اسمه جُرقوص بن زهير السعدي، وقيل حرقوس هو ذو الثدية الذي جاء في رواية أبي سلمة بن عبد الله عن أبي سعيد: «أيتهم رجل إحدى يديه - أو قال ثدي مثل ثدي المرأة، أو قال مثل البضعة يدردر يخرجون على حين فُرقة من الناس، قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ أن عليًا قتلهم وأنا معه، مجيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال: فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾.

وقوله ﷺ: «أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله». وفي رواية: «فقال: ومن يطع الله إذا عصيته». وفي رواية ثالثة: «ومن يعدل إذا لم أعدل». وزاد في رابعة: «قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل».

قوله: «قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟» في رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن: «قال عمر بن الخطاب دعني أضرب عنقه» ولا منافاة في ذلك ولا تضاد ولا جدال أن يكون كلّ منهما سأل في ذلك، وقد صُرِّح بذلك عند مسلم من طريق جرير عن عمارة بن القعقاع: «فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه، قال: لا، ثم أدبر فقام إليه خالد بن الوليد سيف الله فقال: يا رسول الله، أضرب عنقه؟ قال: لا».

وقوله: «ولعله أن يكون يصلي» قال الحافظ: قيل فيه دلالة بطريق المفهوم أن تارك الصلاة يقتل، وفيه نظر.

وقوله: «أن أنقب قلوب الناس» أي: إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمور الناس ولم أؤمر بالتنقيب عن قلوبهم، أو أن أشق صدورهم لأطلع على ما فيها، ونقل الحافظ عن القرطبي قوله: إنما منع قتله وإن كان قد استوجب القتل لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولا سيما من صلى كما ورد نظيره في قصة عبد الله بن أُبي.

وقوله: «يخرج من ضئضئ هذا» بالضاد المعجمة، وفي رواية بالضاد المهملة والمراد النسل والعقب، وقد جاء في رواية أخرى: من ضئضئ هذا أتوا من عقب هذا. وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن: «دعه فإن له أصحابًا» فهم أتباع لهذا الرجل سواء كانوا أصحابًا له على طريقته أم كانوا من عقبه، وعلى كل فقد ظهروا وخرجوا في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد قاتلهم.

وقوله: «يتلون كتاب الله رطبًا» وفي رواية: «يقرءون القرآن» أي: يتلون كتاب الله تلاوة حسنة كما أنزل، وقوله: «لا يجاوز حناجرهم»، وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن: «لا يجاوز تراقيهم» أي أن إيمانهم لا يجاوز حناجرهم [جمع حنجرة] أو لا يجاوز تراقيهم

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

[جمع ترقوة((، ويجوز أن يكون المعنى قراءتهم للقرآن قراءة بالأفواه والألسن لا تتجاوزها إلى القلب، ويحتمل أنه لكونه لا تفقه قلوبهم ويحملونه على غير المراد به، ويحتمل أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله تعالى.

وقوله: «يمرقون من الدين». وفي رواية سعيد بن مسروق: «يمرقون من الإسلام»، وقد أوّل الخطابي الدين بالطاعة أي طاعة الإمام، وفي رواية سعيد «من الإسلام»، رد على تأول الخطابي، قال الحافظ: والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام كما فسرته الرواية الأخرى، وخرج الكلام مخرج الزجر، وأنهم بفعلهم هذا يخرجون من الإسلام الكامل، وزاد سعيد بن مسروق في روايته: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» وهو مما أخبر به النبي ﷺ من المغيبات فوقع كما قال ﷺ.

قوله: «وأظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود». وفي رواية سعيد بن مسروق: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» بالجزم بلا تردد، وهو الراجح.

وقد استشكل قوله ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم» مع أنه نهى عمر وخالدًا عن قتل أصلهم، وأجيب بأنه ﷺ أراد إدراكهم عند خروجهم على المسلمين بالسيف، ولم يكن ظهر ذلك في زمانه، بل إنهم خرجوا في عهد عليّ رضي الله عنه كما هو مشهور، واستدل به على تكفير الخوارج وهي مسألة مشهورة والخلاف بين علماء الأمة فيها مشهور معلوم.

وقوله: «كما يمرق السهم من الرمية»: الرمية على وزن فعيلة وهي الصيد المرميُّ، شبه النبي ﷺ خروج الخوارج من الدين بخروج السهم من جسم الصيد بسرعة حتى إنه لا يعلق منه شيء بالسهم من شدة سرعته، فكذلك الخوارج يمرقون من الدين لم يبق في قلوبهم منه شيء على الرغم من صلاتهم والمبالغة فيها وفي العبادات، وذلك كما جاء في رواية أبي سلمة: «يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه مع صيامهم». وفي رواية: «تحقرون أعمالكم مع أعمالهم». وقد وصفوا بأنهم يصومون النهار ويقومون الليل ويأخذون الصدقات على السنة، وعن ابن عباس في قصة مناظرته للخوارج قال: فأتيتهم فدخلتُ على قوم لم أر أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود.

وقوله في رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن: «جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ» وهم الذين قتلهم علي، قال: إن عليًا لما كاتب معاوية وحكما الحكمين خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة وعتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله ومن اسم سماك الله به، ثم حكمت الرجال في دين الله ولا حكم إلا لله، فبلغ ذلك عليًا فجمع الناس فقال: كتاب الله بيني وبين هؤلاء، يقول الله في امرأة رجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ الآية، وأمة محمد أعظم من امرأة رجل، ونقموا عليّ أن كاتبت معاوية، وقد كاتب رسول الله ﷺ سهل بن عمرو، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، ثم بعث إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع منهم أربعة آلاف فيهم عبد الله بن الكواء، فبعث عليّ إلى الآخرين أن يرجعوا فأبوا، فأرسل إليهم: كونوا حيث شئتم وبيننا وبينكم ألا تسفكوا دمًا حرامًا، ولا تقطعوا سبيلاً ولا تظلموا أحدًا، فإن فعلتم نبذت إليكم الحرب، قال عبد الله بن شداد: فوالله ما قتلهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم الحرام. الحديث.

ولابن أبي شيبة من طريق أبي مجلز قال: قال علي لأصحابه: لا تبدءوهم بقتال حتى يحدثوا حدثًا، قال: فمر بهم عبد الله بن

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

خباب، قالوا له: حدثنا عن أبيك فحدثهم بحديث، فقدموه فضربوا عنقه، ثم دعر سريته وهي حبلى فبقروا بطنها، وكانوا مروا على ساقته فأخذ واحد منهم تمرة فوضعها في فيه، فقالوا له تمرة معاهد فيم استحللتها؟ فقال لهم عبد الله بن خباب: أنا أعظم حرمة من هذه التمرة، فأخذوه فذبحوه، فبلغ ذلك عليًا فأرسل إليهم: أفهدونا بقاتل عبد الله بن خباب، فقالوا: كلنا قتلة، فأذن حينئذ في قتالهم، وقد التمس الرجل ذو الثديَّة فلم يجدوه إلا في خربة فأتوا به فوضعوه بين يديه، فلما رآه علي على النعت الذي نعته رسول الله ﷺ هلل وكبر وقال: صدق الله وبلغ رسوله.

هذا، وقد اختلف علماء الأمة في تكفير الخوارج، فممن قال بتكفيرهم بعد إقامة الحجة عليهم الطبري والبخاري كما قال الحافظ يفهم ذلك من صنيع البخاري في تراجمه، وأبو بكر بن العربي، فقال الحافظ ومن المتأخرين الشيخ تقي الدين السبكي وكذلك الإمام القرطبي، وصاحب الشفاء وصاحب الروضة واحتج القائلون بتكفير الخوارج بقول النبي ﷺ: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». وبقوله ﷺ: «لأقتلنهم قتل عاد». ولفظ: «ثمود» وكل منهما إنما هلك بالكفر، وبقوله ﷺ: «هم شر الخلق» ولا يوصف بذلك إلا الكفار، ولقوله: «إنهم أبغض الخلق إلى الله تعالى»، ولحكمهم على كل من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد في النار فكانوا هم أحق بالاسم منهم على كل من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد في النار فكانوا هم أحق بالاسم منهم.

قال السبكي: احتج من كفر الخوارج وغلاة الروافض (الشيعة) بتكفيرهم أعلام الصحابة لتضمنه تكذيب النبي ﷺ في شهادته لهم بالجنة، قال: وهو عندي احتجاج صحيح.

قال الحافظ في الفتح: ويؤيد القول المذكور الأمر بقتلهم مع ما تقدم من حديث ابن مسعود: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث- وفيه-: التارك لدينه المفارق للجماعة».

قال الحافظ: وذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق، وأن حكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام.

وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين إلى تأويل فاسد، وجرهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك، وممن ذهب إلى ذلك الخطابي والقاضي عياض وأبو المعالي الجويني وأبو بكر الباقلاني والغزالي، وقد قال الغزالي في كتابه التفرقة بين الإيمان والزندقة: والذي ينبغي الاحتراز عن التكفير مما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد.

قال ابن بطال: ذهب جمهور العلماء إلى أن الخوارج غير خارجين عن جملة المسلمين لقوله: «يتمارى في الفوقة» أو هل علق شيء من الصيد؛ لأن التماري من الشك. وإذا وقع الشك في ذلك لم يقطع عليهم بالخروج من الإسلام، لأن من ثبت له عقد الإسلام بيقين لم يخرج منه إلا بيقين، قال: وقد سُئل عليٌّ عن أهل النهر: هل كفروا؟ قال: من الكفر فروا، وقد قال الحافظ إلى القول بتكفيرهم ونقل قول القرطبي فيهم والقول بتكفيرهم أظهر في الحديث.

قال القرطبي: فعلى القول بكفرهم يقاتلون ويقتلون وتُسبى ذراريهم وتغنم أموالهم وهو قول طائفة من أهل الحديث في الخوارج، وعلى القول بعدم تكفيرهم يسلك بهم مسلك

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أهل البغي إذا شقوا عصا الطاعة، فأما من استتر منهم ببدعة فإذا ظهر عليه هل يقتل بعد الاستتابة أو لا يقتل مجتهد في رد بدعته؟ اختلف فيه بحسب الاختلاف في تكفيرهم.

قال: وباب التكفير باب خطر ولا نعدلُ بالسلام شيئًا. قال: وفي الحديث علم من أعلام النبوة حيث أخبر بما وقع قبل أن يقع، وذلك أن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم، وتركوا قتال المشركين واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله ﷺ أمره ونسبه إلى الجور. نسأل الله السلامة.

قال ابن هبيرة: وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة في ذلك أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى، وفيه الزجر عن الأخذ بظواهر جميع الآيات القابلة للتأويل التي يفضي بظواهرها إلى مخالفة إجماع السلف، وفيه التحذير من الغلو في الديانة والتنطع في العبادة بما لم يأذن به الشرع، وإنما ندب الشرع إلى الشدة على الكفار وإلى الرأفة بالمؤمنين فعكس الخوارج ذلك، وفيه جواز قتال من خرج عن طاعة الإمام العادل، ومن نصب الحرب فقاتل عن اعتقاد فاسد، ومن خرج يقطع الطريق ويخيف السبيل ويسعى في الأرض بالفساد، وفيه إباحة قتال الخوارج بالشروط المتقدمة وقتلهم في الحرب وثبوت الأجر لمن قتلهم، وفيه أن من المسلمين من يخرج من الدين من غير أن يقصد الخروج منه ومن غير أن يختار دينًا على دين الإسلام، وفيه أن الخوارج شر الفرق المبتدعة من أمة محمد ﷺ، بل من اليهود والنصارى، وفيه منقبة عظيمة لعمر وكذلك لخالد بن الوليد لشدتهما في الدين، وفيه أنه لا يكفي في التعديل بظاهر الحال ولو بلغ المشهود بتعديله الغاية في العبادة والتقشف والورع.

وبعد، فهذا خبر فرقة من الفرق يبين هذا الحديث وغيره من الأحاديث عن علي وجابر بن عبد الله وجندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمر وغيرهم تبين الأحاديث حالهم وحكم النبي ﷺ فيهم، تساق ليكون المسلم على حذر شديد من الوقوع في مثل ما وقع فيه هؤلاء فإن من رد حكم الله تعالى أو حكم رسوله ﷺ أو ظن أن حكم الرسول يستوي مع حكم غيره من البشر، أو خرج على إمامه وولي أمره الذي بايعه أو تسبب في الفتن بين المسلمين تحت أي مسمى من المسميات فإنه على خطر عظيم يوشك أن يخرج من الإسلام وهو لا يدري ويظن أنه على شيء، ويحسب أنه يحسن صنعًا، فأما أولياء الأمور وإنه لهم على رعاياهم وخاصة العلماء منهم النصيحة بالحكمة واللين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك عنده أي عند ولي الأمر وجهًا لوجه فيما بينه وبينه وليس على الملأ فإن النصيحة على الملأ فضيحة، بل ليس على المنابر ولا على صفحات الصحف ولا وسائل الإعلام، بل على العلماء ألا يتشبهوا بأهل الأحزاب المعارضة الذين لا يقيمون لدينهم وزنًا ولا لأمتهم نصحًا بل همهم تجريح الحكومات القائمة كزرع العداوة بينها وبين شعوبها، وذلك مخطط صهيوني يسعى إليه وإلى تنفيذه من يجهلون حقائق الأمور، وهم يحسبون أنهم أفهم الأمة بمصالح الأمة، والحق أن كل واحد يزين نفسه في عيون الشعب ولا يكون ذلك إلا بذم الآخرين وتقبيحهم وما أسلوب الانتخابات عنا ببعيد.

نسأل الله تعالى أن يلهم الأمة الإسلامية رشدها، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

السُّبُل المثلى لإصلاح البيوت

إعداد
زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حجَّ وحججتُ معه، وعدل وعدلت معه بإداوة، فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى لهما: «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما»؟ فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس، هما عائشة وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه، فقال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ فينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبت على امرأتي فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني. قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإنَّ إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك فقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن ثم جمعت عليَّ ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أيْ حفصة، أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خبتِ وخسرتِ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي؟ لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، وسليني ما بدا لكِ، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ - يريد عائشة- قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تُنْعِلُ الخيل لغزونا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته. فرجع إلينا عشاءً فضرب بابي ضربًا شديدًا وقال: أثَمَّ هو؟ ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت ما هو؟ أجاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول، طلق النبي ﷺ نساءه، فقلت: خابت حفصة وخسرت، وقد كنت أظن هذا يوشك أن يكون، فجمعت عليَّ ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل النبي ﷺ مشربة له فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟ أطلقكن النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في المشربة، فخرجت فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل الغلام فكلم النبي ﷺ ثم رجع فقال: كلمت النبي ﷺ وذكرتك له فصَمَتَ، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر. ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام- فذكر مثله، فجلست مع الرهط الذين عند المنبر. ثم غلبني ما أجد فجئت- فذكر مثله- فلما وليت منصرفًا فإذا الغلام يدعوني فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلت على النبي ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليست بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئًا على وسادة من أدَم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت: وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إليَّ بصره فقال: لا. فقلت: الله أكبر. ثم قلت وأنا قائم استأنس: يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ، يريد عائشة، فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فو الله ما رأيت في بيته شيئًا يرد البصر غير أهبة ثلاث، فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فإن فارس والروم قد وُسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فجلس النبي ﷺ وكان متكئًا فقال: أوَ في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت يا رسول الله استغفر لي. فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعًا وعشرين ليلة، وكان قد قال: ما أنا بداخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عز وجل، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدًا، فقال النبي ﷺ: الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعًا وعشرين ليلة. قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة. اهـ

هذا الحديث أخرجه البخاري في عشرة مواضع من صحيحه موضع في كتاب العلم باب التناوب في العلم، وفي كتاب المظالم موضع في باب الغرفة المشرفة وغير المشرفة وثلاثة مواضع في كتاب التفسير في تفسير سورة التحريم باب تبتغي مرضاة أزواجك، وباب وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا، وباب: إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما، وفي كتاب النكاح في موضعين في باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، وفي باب حب الرجل بعض نسائه أفضل من بعض، وفي موضع من كتاب اللباس باب: ما كان النبي ﷺ يجوز من اللباس والبسط، وفي موضعين من كتاب أخبار الآحاد باب في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والأحكام، وفي باب قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، كما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وأخرجه الترمذي في التفسير والنسائي في الصيام.

شرح الحديث

قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر»، وفي رواية قال: «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر». فيه حرص ابن عباس على تحصيل العلم، وعلو الإسناد.

وقوله رضي الله عنه: «حتى حج وحججت معه». وفي رواية: «فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجًا». قال الحافظ: وعند ابن مردويه: «أردت أن أسأل عمر فكنت أهابه حتى حججنا معه، فلما قضينا حجنا قال: مرحبًا يا ابن عم رسول الله، ما حاجتك؟

وقوله: «وعدل»: أي عدل عن الطريق إلى مكان يستطيع أن يقضي حاجته فيه دون أن يراه أحد. وقوله: «وعدلت معه بإداوة فتبرز» أي: قضى حاجته، والإداوة: إناء صغير من جلد.

قوله: «فقلت له يا أمير المؤمنين من المرأتان» في رواية عبيد بن حنين في كتاب التفسير: «فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ قال: تلك حفصة وعائشة، فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك: قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علم خبرتك به».

وقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: قال الله تعالى لهما: إن تتوبا من التعاون على رسول الله ﷺ، ومعنى تظاهرهما أنهما تعاونتا على رسول الله ﷺ حتى حرَّم على نفسه ما حرَّم.

قول عمر رضي الله عنه: «واعجبًا لك يا ابن عباس»، تعجب عمر من ابن عباس يسأل عن هذا مع شهرته في العلم وخاصة بالتفسير وكيف خفي عليه مع عظمته في نفس عمر وتقدمه في العلم على غيره، أو تعجب من حرصه على طلب فنون التفسير حتى معرفة المبهم، وقيل: تعجب عمر من ابن عباس دليل على أنه كره ما سأله عنه وقد جزم بذلك الزهري كما في رواية مسلم عنه.

قوله: «عائشة وحفصة». وفي رواية: «حفصة وأم سلمة»، والأولى هي الأكثر والأشهر.

قوله: «ثم استقبل عمر الحديث يسوقه». أي يسوق القصة التي كانت سبب نزول الآية.

قوله: «كنت أنا وجار لي من الأنصار» هذا الجار هو عتبان بن مالك كما قال الحافظ: أفاده ابن القسطلاني، لكن لم يذكر دليله، ثم جزم ابن حجر أن هذا الجار هو أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث الأنصاري، كما جاء في رواية عن عائشة عند ابن سعد. ثم قال: وهذا هو المعتمد.

وقوله: نغلب نساءنا أي نحكم عليهن ولا يحكمن علينا بخلاف الأنصار، فكانوا بالعكس من ذلك، وفي رواية: «كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته إلا إذا كانت له حاجة قضي منها حاجته»، وفي رواية أخرى: «ما نعد للنساء أمرًا». وفي ثالثة: «كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في أمورنا».

قوله: «فطفق» فعل ناقص من أخوات «كاد» ومعناه أخذ أو جعل، أي أنهن أخذن في تعلم ذلك.

قوله: «من أدب نساء الأنصار» أي من طريقتهن، وفي رواية: «من أرب» وهو العقل، وفي رواية أخرى «يتعلمن من نسائهم». وفي ثالثة: «فلما قدمنا المدينة تزوجنا من نساء الأنصار فجعلن يكلمننا ويراجعننا».

قوله: «فصخبت» وفي رواية: فسخبت بالسين

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وهما بمعنى والمقصود الزجر من الغضب، وفي رواية «فصحت» من الصياح وهو رفع الصوت.

قوله: «فأنكرت أن تراجعني» أي تراودني في القول وتناظرني فيه وتناقشني، وفي رواية: «فقلت لها: وما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي: عجبًا لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع». ووقع في رواية أخرى: «فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا لهن بذلك حقًا علينا من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا، وكان بيني وبين امرأتي كلام فأغلظت لي»، وفي رواية: «فقمت إليها بقضيب فضربتها به، فقالت: يا عجبًا لك يا ابن الخطاب».

قوله: «تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبي ﷺ يراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل»: وفي رواية قالت: تقول لي هذا وابنتك تؤذي رسول الله ﷺ، وفي رواية الطيالسي: «فقلت: متى كنت تدخلين في أمورنا؟ فقالت: يا ابن الخطاب، ما يستطيع أحد أن يكلمك وابنتك تكلم رسول الله ﷺ حتى يظل غضبان».

قوله: «فقلت لها قد خاب» كذا في أكثر الروايات، وجاء في رواية عقيل: «فقلت: قد جاءت من فعلت ذلك بعظيم» وهو الصواب في هذه الرواية التي فيها «بعظيم» وأما غيرها فالصحيح «خاب» بدليل عطف خسر عليه.

قوله: «ثم جمعت عليَّ ثيابي» أبي لبستها جميعها.

قوله: «أفتامنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي». بنصب تهلكي بأن مضمرة بعد فاء السببية في سياق الاستفهام، وفي رواية قال: «فقلت: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله».

قوله: «لا تستكثري النبي ﷺ» أي لا تطلبي منه الكثير، و«سليني ما بدا لك». أي ظهر لك.

قوله: «جارتك» أي ضرتك، وعائشة كانت جارتها على الحقيقة، ويمكن حمل اللفظ على المعنيين، والعرب يطلق على الضرة جارة، وكان ابن سيرين يكره تسميتها ضرة، ويقول: إنها لا تضر ولا تنفع ولا تذهب من رزق الأخرى بشيء وإنما هي جارة، وقال القرطبي: اختار عمر تسميتها جارة أدبًا منه أن يضاف لفظ الضرر إلى أحد من أمهات المؤمنين.

وقوله في الرواية التي في التفسير من رواية عبيد بن حنين: «قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجبًا لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء، حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وازواجه، فأخذتني والله أخذًا كسرتني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها». فقوله: «كسرتني» أي: أخذتني بلسانها أخذًا دفعني عن مقصدي وكلامي، وفي رواية لابن سعد: فقالت أم سلمة: إي والله إنا لنكلمه، فإن تحمل ذلك فهو أولى به، وإن نهانا عنه كان أطوع عندنا منك. قال عمر: فندمت على كلامي لهن. وقد أخرج المصنف في تفسير سورة البقرة من حديث أنس عن عمر قال: «وافقت الله في ثلاث» الحديث، وفيه: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت: لئن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرًا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه فقالت: يا عمر، أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ وهذه المرأة قيل هي زينب بنت جحش وقيل أم سلمة.

قوله: «خابت حفصة وخسرت» خصها بالذكر لكونها ابنته وقد كان قريب عهد بتحذيرها ذلك. ووقع في رواية: «فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة». وكأنه خصهما بالذكر لكونهما كانتا السبب في ذلك.

قوله: «فنكست منصرفًا» أي رجعت إلى ورائي منصرفًا.

قوله: «فإذا هو مضطجع على رمال حصير». الحصير المرمول هو المنسوج، وفي رواية: «على رَمْل» أي رمل حصير، وفي رواية أخرى «على رمال سرير»، ووقع في رواية: «على حصير وقد أثر الحصير في جنبه»، وكأن السرير نسج كما ينسج الحصير وليس بينه وبين جنب رسول الله ﷺ فرش فأثر السرير بنسيجه في جنب رسول الله ﷺ.

قوله: «فقلت وأنا قائم: أطلقت نساءك؟ فرفع إليَّ بصره، فقال: لا، فقلت: الله أكبر». لما جزم الأنصاري لعمر بأن النبي ﷺ طلق نساءه واستفسر عمر من النبي ﷺ عن ذلك فلم يجد له حقيقة كبر تعجبًا من نقل الأنصاري أوكبَّر حامدًا الله تعالى على عدم وقوع الطلاق، وفي حديث أم سلمة عند ابن سعد: «فكبر عمر تكبيرة سمعناها ونحن في بيوتنا فعلمنا أن عمر ساله: أطلقت نساءك؟ فقال: لا، فكبر حتى جاءنا الخبر بعد».

قوله: «غير أَهْبَة ثلاث» جمع إهاب وهو الجلد قبل أن يدبغ، وقيل هو الجلد دبغ أو لم يدبغ.

قوله: «ادع الله فليوسع على أمتك». وفي رواية: «فبكيت، فقال: وما يبكيك؟ فقال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله». وفي رواية ثالثة: «فابتدرت عيناني فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله وصفوته».

قوله: «فجلس وكان متكئًا فقال: «أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟» وفي رواية: أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ومعناه أتشك في أن التوسع في الآخرة خير من

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

التوسع في الدنيا؟

قوله: «إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا». وفي رواية: «ألا ترضى أن نكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»

قوله: «فقلت: يا رسول الله، استغفر لي» أي عما بدر مني في هذا.

قوله: «فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث الذي أفشته حفصة إلى عائشة»، وكان قال ﷺ: ما أنا بداخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن، حين عاتبه الله، من شدة موجدته أي من شدة غضبه.

والعتاب الذي عوتب به ﷺ هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ الآيات.

وقد اختلف في الذي حرم على نفسه وعوتب عليه على أقوال: منها أنه العسل الذي كان يأكله عند حفصة، ومنها أنه جاريته مارية القبطية، ومنها أن زينب رضي الله عنها لم ترض بنصيبها الذي أرسله إليها النبي ﷺ من هدية أهديت إليه، أو من ذبيحة ذبحها، ومنها اجتماع أزواج النبي ﷺ عنده يطلبن منه التوسعة حتى دخل أبو بكر وعمر وأراد كل منهما أن يضرب ابنته.

قال الحافظ في الفتح: ويحتمل أن يكون مجموع هذه الأشياء كان سببًا لاعتزالهن، وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره وكثرة صفحه، وأن ذلك لم يقع منه حتى تكرر منهن موجبه صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله عليهن.

قوله: «فدخل على عائشة، فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة». وكذلك ذكَّره عمر، ولا منافاة في ذلك حيث ذكره عمر عند نزوله من المشربة، وذكرته عائشة عند دخوله عليها.

وفي هذا الحديث من الفوائد الكثير نختصر منها ما يلي:

١- سؤال العالم عن بعض أمور أهله إن كانت فيه سنة تنقل أو حكم يحفظ.

٢- توقير العالم ومهابته، وترقب الأوقات المناسبة لسؤاله.

٣- أن شدة الوطأة على النساء أمر مذموم، وأن الصبر على الزوجات والإغضاء عما يقع منهن في حق الزوج دون ما يكون في حق الله تعالى.

٤- تأديب الرجل ابنته أو قريبته بالقول لأجل إصلاحها لزوجها.

٥- تواضع الطالب للعالم وصبر العالم على الطالب، وتفصيل الكلام للطالب إن كان في التفصيل مصلحة للطالب.

٦- طلب علو الإسناد، حيث حرص ابن عباس على أن يسمع من عمر مباشرة هذه القصة.

٧- طلب العلم والحرص عليه، مع الحرص على تفريغ وقت لطلب المعاش وإصلاح الأهل.

٨- جواز اتخاذ الحاكم بوابًا يمنع من يدخل عليه عند الخلوة، إلا بإذنه.

٩- للإمام أن يحجب عن بطانته وخاصته إذا أصابه هم حتى يذهب غيظه فيخرج إليهم وهو منبسط.

١٠- الرفق بالأصهار والحياء منهم إذا وقع للرجل من أهله ما يدعو إلى معاتبتهم.

١١- السكوت قد يكون أبلغ من الكلام وأفضل في بعض الأحايين.

١٢- مشروعية الاستئذان وإن كان وحده لاحتمال أن يكون على حالة يكره الاطلاع عليه ومشروعية تكرار الاستئذان وأنه لا يزيد على ثلاث.

١٣- أن الاشتغال بالأخرة خير من تعجل نعيم الدنيا والتوسع فيه.

١٤- أن المرء إذا رأى صاحبه مهمومًا استحب له أن يحدثه بما يزيل همه ويطيب نفسه.

١٥- جواز الاستعانة في الوضوء بالصب على المتوضئ، وخدمه الصغير الكبير وإن كان الصغير أشرف نسبًا.

١٦- تذكير الحالف بيمينه إذا وقع منه ما ظاهره النسيان لا سيما من له تعلق به.

١٧- سكنى الغرفة العالية ذات الدرج، واتخاذ الخزانة لأثاث البيت والأمتعة.

١٨- التناوب في مجلس العالم إذا لم يتيسر المواظبة لشاغل شرعي ديني أو دنيوي.

١٩- قبول خبر الواحد ولو كان الآخذ فاضلاً والمأخوذ عنه مفضولاً.

٢٠- رواية الكبير عن الصغير.

٢١- اهتمام الصحابة بالاطلاع على أحوال النبي ﷺ جلَّت أو قلَّتْ.

٢٢- أن الصحابة كانوا في أعلى درجة من رعاية خاطر النبي ﷺ والقلق لما يقلقه والغضب لما يغضبه والهم لما يهمه رضي الله عنهم.

٢٣- أن الرجل الوقور قد يحمله الغضب والحزن على ترك التأني المألوف منه.

٢٤- كراهة سخط النعمة ولو كانت قليلة وذم احتقار ما أنعم الله به.

٢٥- الاستغفار لما يقع من الإنسان من هفوات، وطلب الاستغفار من أولي الفضل.

٢٦- إيثار القناعة وعدم الالتفات إلى ما خص الله به الغير من أمور الدنيا.

٢٧- المعاقبة على إفشاء السر بما يليق بمن أفشاه من العقوبات.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

صدقة المرأة على زوجها وولده

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فعن زينب امرأة عبد الله قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي ﷺ قال: «تَصَدَّقْنَ ولو من حُلِيكن» وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها- فقالت لعبد الله: سَلْ رسول الله ﷺ أيجزئ عني أن أنفق عليك وعلى أيتام في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ، فانطلقت إلى النبي ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال وقلنا: سَلْ رسول الله ﷺ: أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟ فقلنا: لا تخبر بنا. فدخل بلال فسأله فقال: «من هما؟» قال: زينب. قال: «أيُّ الزيانب؟» قال: امرأة عبد الله. فقال نعم، لها أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة».

إعداد/ زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة باب: «الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر» رقم (١٤٦٦)، كما أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري في باب الزكاة على الأقارب برقم (١٤٦٢)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد برقم (١٠٠٠) كما أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد في المسند والدارمي في سننه.

شرح الحديث

قوله: «عن زينب امراة عبد الله» أما زينب فهي بنت معاوية - ويقال بنت عبد الله بن معاوية - بن عتاب بن الأسعد الثقفية، وقيل: اسمها رائطة.

قولها: «كنت في المسجد» في حديث أبي سعيد: كان ذلك في مصلى العيد في أَضْحَى أو فطرٍ أي في عيد الأضحى أو عيد الفطر بعدما صلى رسول الله ﷺ العيد وخطب الناس، بعد ذلك وعظ الرجال وحثهم على الصدقة ثم تحول إلى النساء فوعظهن وحثهن على الصدقة، فقال ﷺ: «يا معشر

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

النســـاء، تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار». فقلن: بم ذلك يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء».

قولها: «فانطلقت إلى النبي ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها جاتي».

قال الحافظ في الفتح: في رواية الطيالسي: «فإذا امرأة من الأنصار يقال لها: زينب» وكذا أخرجه النسائي من طريق أبي معاوية عن الأعمش، وزاد من وجه آخر عن علقمة عن عبد الله قال: «انطلقت امرأة عبد الله يعني ابن مسعود وامرأة أبي مسعود يعني عقبة بن عمرو الأنصاري». ثم قال ابن حجر: قلت: لم يذكر ابن سعد لأبي مسعود امرأة أنصارية سوى هزيلة بنت ثابت بن ثعلبة الخزرجية فلعل لها اسمين، وأوهم من سماها زينب انتقالاً من اسم امرأة عبد الله إلى اسمها.

قولها: «حاجتها حاجتي» أي جاءت تسأل عن مسألتي نفسها فإن لها نفس المسألة.

قولها: «فمر علينا بلال». وفي رواية مسلم: وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة، قالت: فخرج علينا بلال، فكأنه كان عند النبي ﷺ فخرج فمر بها.

قوله: «فقلنا: سَلْ رسول الله ﷺ أيجزئ عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟» وفي رواية مسلم: «فقلنا له- أي لبلال- ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على

للزوجة أن تدفع زكاتها لزوجها الفقير لكن الزوج

من الأخلاق الكريمة أن المرأة لا تحرج

يجوز للمرأة أن تتبرع من أموالها بغير

أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما»؟ أما الأيتام الذين لهما أو في حجورهما فقد بينت رواية الطيالسي أنهم بنو أخيها وبنو أختها، وفي رواية للنسائي: «لإحداهما فضل مال وفي حجرها بنو أخ لها أيتام وللأخرى فضل مال وزوج خفيف ذات اليد (أي وزوج فقير)».

قوله: «ولا تخبر بنا» وفي رواية مسلم: «ولا تخبره من نحن». وفي هذا من الأدب الرفيع والخلق الفاضل للمرأتين إذا كانتا حريصتين على شعور زوجيهما وعدم جرح أحاسيسهما، لأن هذا قد يؤذي الزوج، وتأمل قول ابن مسعود لامرأته لما طلبت منه أن يسأل رسول الله ﷺ مع أنها تريد أن تعرف حكم الشرع في أعمالها لكن قد يفهم منه التعريض بالزوج، فقد قال لها: سليه أنت، وقارن هذا بما يحدث من بعض النساء اليوم من قولها إن زوجي لا ينفق عليَّ وإنه يبخل بماله أو إنه جالس في البيت لا يعمل وأنا التي أنفق على البيت مع أنه قد يكون معذورًا في عدم وجود عمل يكتسب منه معيشة حلالاً أو كسبًا طيبًا.

قوله: «فقال: من هنا؟ قال: زينب». وفي رواية مسلم: «قال: امرأة من الأنصار وزينب» وهذه الرواية أوضح في جواب بلال لأنه سأله: «من هما؟» فالجواب في رواية مسلم عن اثنتين، وفي رواية البخاري عن واحدة، ولعل جواب بلال في رواية البخاري عن واحدة،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

لا يدفعها لزوجته الفقيرة لأنها مسئولة منه

زوجها أمام الرجال وإنما تستر عليه

إذن زوجها وإن أخبرته فذلك يستحب

ولعل جواب بلال في رواية البخاري يراد بها: إحداهما زينب، وكأنه لا يعرف الأخرى، ولعله عرف امرأة ابن مسعود من صوتها.

قوله: «أي الزيانب؟» يسأل رسول الله ﷺ لأن الأمر لا يزال مبهمًا، ففي قول بلال: امرأة من الأنصار وزينب إبهام لكل منهما وكأنه لم يخبر عنهما بناء على توصيتهما.

وقوله: «امرأة عبد الله» أي ابن مسعود، قال النووي: قد يقال في هذا: إنه إخلاف للوعد وإفشاء للسر، وجوابه أنه عارض ذلك جواب رسول الله ﷺ، وجوابه صلوات الله وسلامه عليه واجب محتم لا يجوز تأخيره، ولا يقدم عليه غيره، وقد تقرر أنه إذا تعارضت المصالح بدئ بأهمها. اهـ.

قوله: «لها أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة» أي أجر صلة الرحم وأجر منفعة الصدقة وظاهر هذا القول عدم مشافهة امرأة عبد الله رسول الله بالسؤال وعدم مشافهته إياها بالجواب، لكن حديث أبي سعيد يدل على أنها شافهته بالسؤال وشافهها بالجواب؛ فقالت: يا نبي الله إنك أمرت اليوم بالصدقة وكان عندي حلي لي فأردت أن أتصدق به فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم، فقال النبي ﷺ: «صدق ابن مسعود، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم». وهنا يتبين أن في رواية زينب أنها طلبت من ابن مسعود زوجها أن يسأل رسول الله ﷺ فقال لها: سليه أنت، وفي رواية أبي سعيد أن ابن مسعود أخبرها بالحكم فذهبت تستوثق من رسول الله ﷺ وتسأله عما قال لها زوجها فأخبرها ﷺ: أنه صدق، وفي هذه الرواية إشارة إلى علم ابن مسعود وأنه كان من أفقه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، كيف وقد قال له النبي ﷺ عندما أسلم وطلب من الرسول ﷺ أن يتعلم وعرفرسول اللهﷺ حرصه على العلم قال له: «إنك عليم معلم». [أخرجه أحمد في المسند والفسوي في المعرفة، وقال الذهبي صحيح الإسناد ولكن محقق سير أعلام النبلاء قال: بل حسن].

قال الشوكاني في نيل الأوطار: استدل بهذا الحديث على أنه يجوز للمرأة أن تدفع زكاتها إلى زوجها، وبه قال الشافعي والثوري وصاحبا أبي حنيفة وإحدى الروايتين عن مالك وعن أحمد- زاد صاحب الفتح الرباني: أبا ثور وابن المنذر وأهل الظاهر- قال الشوكاني: وهذا إنما يتم دليلاً بعد تسليم أن هذه الصدقة صدقة واجبة، وبذلك جزم المازري، ويؤيد ذلك قولها: «أيجزئ عني»، وتعقبه القاضي عياض بأن قوله: «ولو من حليكن»، وكون صدقتها كانت من صناعتها يدلان على التطوع، وبه جزم النووي، وتأولوا قولها: «أيجزئ عني» أي في الوقاية من النار كأنها خافت أن صدقتها على زوجها لا يحصل لها المقصود بها، وما أشار إليه من الصناعة احتج به الطحاوي لقول أبي حنيفة: إنها لا تجزئ زكاة المرأة في زوجها. فأخرج- أي

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الطحاوي- من طريق رائطة امرأة ابن مسعود أنها كانت امرأة صناع اليدين، فكانت تنفق عليه وعلى ولده، فهذا يدل على أنها صدقة تطوع، واحتجوا أيضًا على أنها صدقة تطوع بما في البخاري من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال لها: «زوجك وولدك أحق من تصدقت عليهم». قالوا: لأن الولد لا يُعْطَى من الزكاة الواجبة بالإجماع كما نقله ابن المنذر وغيره، وتعقب هذا بأن الذي يمتنع إعطاؤه من الصدقة الواجبة من تلزم المعطي نفقته والأم لا يلزمها نفقة ابنها مع وجود أبيه. ثم قال الشوكاني رحمه الله: والظاهر أنه يجوز للزوجة صرف زكاتها إلى زوجها، أما أولاً فلعدم المانع من ذلك، ومن قال إنه لا يجوز فعليه الدليل، وأما ثانيًا فلأنَّ ترك استفصالِهِ ﷺ لها ينزل منزلة العموم، فلما لم يستفصلها عن الصدقة أتطوع هي أم واجب، فكأنه قال: يجزئ عنك فرضًا كان أم تطوعًا. اهـ.

وقد اختلف في الزوج، هل يجوز له أن يدفع زكاته إلى زوجته؟ فقال ابن المنذر: أجمعوا على أن الرجل لا يعطي زوجته من الزكاة شيئًا لأن نفقتها واجبة عليه، قال العلماء: لأنه إن أعطاها زكاة ماله رجعت إليه فكأنه لم يخرج الزكاة، وكذلك أولاده، فكل من تلزمه نفقتهم من الأصول والفروع فإن في إعطائهم الزكاة إما ردًا على نفسه وتخفيف النفقة الواجبة عليه وهذه التي قال العلماء: كأنه لم يخرجها أو أعطاها لنفسه، وإما إغناءً لهم ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني. والله أعلم.

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم:

١- الحث على صلة الرحم وأن أحق الناس بالمعروف هم القرابة وذوو الرحم قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾.

٢- جواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها، فإن امرأة ابن مسعود أرادت أن تتصدق بحليها كماجاء في الحديث، ولم ينكر عليها زوجها عدم استئذانه في ذلك، ولم يبين لها الرسول ﷺ أنه لا يجوز لها أن تتصدق إلا بإذن زوجها.

٣- عظة النساء وحثهن على الصدقة تخصيصًا لهن بموعظة بعد موعظة الرجال.

٤- ترغيب ولي الأمر للرجال والنساء في فعل الخير ودعوة الجميع إلى ذلك.

٥- التحدث مع النساء عند أمن الفتنة، فإن لم تؤمن الفتنة فلا يجوز ذلك.

٦- التخويف من المؤاخذة بالذنوب وما يتوقع بسببها من العذاب، فإن النبي ﷺ لما حث النساء على الصدقة خوفهن من النار وبين لهن سبب دخولها بل سبب أنهن أكثر أهل النار من كثرة اللعن والسب، فإن المسلم عمومًا رجلاً كان أم امرأة منهي عن أن يكون سبابًا ولا لعانًا ولا طعانًا بل يجب أن يكون عفيف اللسان يربا بنفسه عن السفه في القول فضلاً عن الفحش، وكذلك كفران العشير وهو نوع من كفران النعم، وقد جاء مفسرًا في حديث آخر: «إذا أحسن إليها الدهر ثم أساء إليها مرة لقالت ما رأيت منك خيرًا قط»، وهو ما نسميه بنكران الجميل وإظهار القبيح، والله المستعان.

٧- فتيا العالم مع وجود من هو أعلم منه، إذ أن ابن مسعود أصدر الفتوى لزوجته مع

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وجود رسول الله ﷺ، وذلك في حديث أبي سعيد الخدري «زعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم»، ثم أقر رسول الله ﷺ ابن مسعود على فتواه.

٨- طلب الترقي في تحمل العلم: لأن امرأة ابن مسعود لم تقنع بقول ابن مسعود، وذهبت تستفتي رسول الله ﷺ، وهذا يُشْبِهُهُ ما يطلق عليه الآن «طلب علو الإسناد».

٩- الحرص على الأيتام وحسن تربيتهم والإنفاق عليهم، وأن الإنفاق عليهم من الأعمال التي يثاب عليها الإنسان ولو كان الأيتام أولادًا للمنفق وذلك واضح في حديث زينب امرأة ابن مسعود، وحديث أبي سعيد، وكذلك في حديث أم سلمة عندما سألت النبي ﷺ عن إنفاقها على أولاد أبي سلمة فقالت: «قلت: يا رسول الله، هل لي أجر في بني أبي سلمة أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بني؟» فقال: نعم لك فيهم أجر ما أنفقت عليهم. فهم أبناؤنا وهم أيتام أبي سلمة رضي الله عنه، ولها أجر في إنفاقها عليهم.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن ينفعنا والمسلمين بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

صفة رسول الله ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين وآله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجَلْ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح بها أعينًا عميا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في موضعين أولهما في كتاب البيوع باب «كراهية السَّخب في الأسواق» برقم (٢١٢٥)، وثانيهما في كتاب التفسير باب: «إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا» برقم (٤٨٣٨) كما أخرجه أيضًا في الأدب المفرد، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٧٤/٢، برقم (٦٦٢٢).

راوي الحديث

هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سعد بن سهم.

قال الإمام الذهبي: الإمام الحبر العابد صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو نصر القرشي السهمي، وأمه هي رائطة بنت الحجاج بن منبه السهمية، وليس أبوه أكبر منه إلا بإحدى عشرة سنة أو نحوها. ثم قال: وقد أسلم قبل أبيه فيما بلغنا، ويقال: كان اسمه العاص، فلما أسلم غيره النبي بعبد الله.

وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ علمًا جمًا يبلغ ما أسند سبعمائة حديث، اتفق له الشيخان على سبعة وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين، وقد روي أيضًا عن أبي بكر وعمر ومعاذ، وسراقة بن مالك وأبيه عمرو وعبد الرحمن بن عوف وأبي الدرداء وطائفة، وعن أهل الكتاب، وأدمن النظر في كتبهم، واعتنى بذلك.

روى أحمد بإسناد منقطع عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نِعْم أهْلُ البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله». ورُوي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: جمعت القرآن فقرأته في ليلة، فقال رسول

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

في التوراة

إعداد

زكريا حسيني

الله ﷺ: «اقرأه في شهر». قلت: يا رسول الله، دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: «اقرأه في عشرين». قلت: دعني أستمتع، اقرأه في سبع ليالٍ». قلت: دعني أستمتع. قال: فأبى. [رواه النسائي، وأصله في الصحيحين]

قال الذهبي: وصح أن رسول الله ﷺ تنزل معه إلى ثلاث ليالٍ، ونهاه أن يقرأه في أقل من ثلاث. أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

ثم قال الذهبي: هذا السيد العابد الصاحب كان يقول لما شاخ (أي كبرتْ سنه): ليتني قبلت رخصته ﷺ، وكذلك قال له عليه السلام في الصوم، ومازال يناقصه حتى قال له: «صُمْ يومًا وأفطر يومًا، صوم أخي داود عليه السلام». وأخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثًا مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب. وكانت له صحيفة كتبها عن رسول الله ﷺ كان يسميها: الصادقة.

شرح الحديث

أولا: المفردات:

أجل: حرف جواب كَنَعَمْ

شاهدًا: الذي يؤدي الشهادة أي شهد لأمته أو يشهد على الأمم السابقة، والشاهد: الدليل.

مبشرًا: المُبشِّرُ الذي يعد بالثواب وبالخير المفرح.

نذيرًا: أي منذرًا ومعلمًا ومحذرًا الناس عذاب الله ومخوفهم إياه.

حرزًا: الحرز الحصن أو المكان المنيع يُلجأ إليه.

الأميين: أي العرب.

فظ: الفظ: الجافي المسيء، أو سيئ الخلق.

غليظ: الغليظ القاسي.

سخاب: السَّخَبُ والصَّخَبُ: الضجة واضطراب الأصوات للخصام.

يدفع بالسيئة السيئة: لا يعامل المسيء بإساءته بل يحسن إليه.

يعفو ويغفر: العفو عدم المؤاخذة على الذنب، والمغفرة ستر الذنوب ومحوها.

الملة العوجاء: أي ملة الكفر والشرك.

أعينا عميا: أي الأعين التي عميت من تشربها للباطل والكفر والشرك.

آذانًا صمًا: أي التي درجت على سماع الباطل واللغو واللهو.

قلوبًا غلفًا: أي التي لا تعقل الحق ولا تأخذ به.

ثانيا: معنى الحديث:

لقد كان الصحابة والتابعون حريصين على معرفة وصف رسول الله ﷺ في الكتب السابقة بعد معرفتهم لصفته صلوات الله وسلامه عليه في القرآن الكريم، وذلك مما يزيد في إيمانهم وحبهم لنبيهم ﷺ ولإقامة الحجة على أهل الكتاب الذين بشرت كتبهم نبي الإسلام نبي آخر الزمان، فكانوا يسألون من كان عنده علم من الكتب السابقة عما نيط من بشارة رسول الله ﷺ أو وصف له، ومن ذلك سؤال عطاء بن يسار رحمة الله عليه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وذلك أن عبد الله بن عمرو كان يقرأ التوراة، فأخبره أن رسول الله ﷺ موصوف في التوراة ببعض ما وصف به في القرآن، ولقد وصف ﷺ في القرآن بأوصاف كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي جاء بها وصف رسول الله ﷺ، أما في التوراة فقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم وصفه بانه شاهد يشهد لأمته ويشفع لهم أو شاهد على الأمم السابقة أن رسلهم قد بلغوهم، ومبشرًا للمؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيرًا وجنة عرضها السماوات والأرض، ونذيرًا للكافرين بأن لهم عذابًا أليمًا وعذابًا عظيمًا وعذابًا مهينًا خالدين فيه أبدًا، وأنه حرز أي حصن للعرب، وأمان لهم من العذاب في الآخرة والخسف في الدنيا، ثم قال الله عز وجل له: أنت «عبدي ورسولي»، وبهذين الوصفين وصف في القرآن الكريم، فقد وصف بالعبودية في أشرف المقامات كالإسراء وإنزال الكتاب عليهم وما ناداه الله تعالى إلا بوصف النبوة أو الرسالة على خلاف ما جاء من نداء غيره من الرسل، فكلٌ قد نودي باسمه، وسماه الله تعالى المتوكل أي الذي حقق صفة التوكل على الله عز وجل على حقيقتها، ثم نفى عنه الفظاظة والغلظة وهذا يستلزم أنه رءوف رحيم، حتى بغير المسلمين، فقد كان حريصًا على دخول الناس في الإسلام من أجل نجاتهم من النار وفوزهم بالجنة، كما نفى عنه الصخب في الأسواق، ونفي الصخب لا ينفي دخول السوق ولا الاتجار بها ولكن المقصود الصخب الذي فيه اختلاف ومنازعات وكذب وتزوير وغش وترويج للسلع بالحلف الكاذب، ثم وصف ﷺ بانه لا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يدفعها بالحسنة كما أمره ربه تبارك وتعالى، وقد أوصى ﷺ أمته كما جاء في الحديث: «واتبع السيئة الحسنة تمحها...»، وإنما سيماه العفو والصفح أو العفو والمغفرة، ولقد كان ﷺ لا يعاقب على السيئة ولكن يعفو ويصفح، ولا سيما ما كان في حقه، وما غضب لنفسه ولا انتقم قط إلا أن تنتهك حرمات الله عز وجل فإنه حينئذ لا يقوم لغضبه شيء كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. ثم قال في حديثه كما جاء في التوراة: ولن يغبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء، والملة العوجاء هي ملة الكفر والشرك والجاهلية، فيها عبادة غير الله تعالى وتوجه إلى الأصنام والأوثان استغاثة واستعاذة وتوكلاً ودعاء وتوسلاً وتبتلاً، إلى غير ذلك، وإقامتها تقويمها حتى يصل إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، والهداية إلى دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، ولقد فُسِّر إقامة الملة العوجاء بقول: لا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد، وعهد الإخلاص وميثاق الإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى فإذا قال الناس: لا إله إلا الله فقد وحدوا الله تعالى فانفتحت أعينهم على الحق وكذلك الأعين والقلوب، فلا ترى إلا الحق ولا تسمع غير الحق، ولا تعقل سوى الحق، فتحيى لله وبالله متوكلة على الله.

هذا، ولقد جاء هذا الحديث عن عبد الله بن سلام أيضًا يرويه عنه عطاء بن يسار أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة في باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، وقال عقبه: قال عطاء بن يسار: وأخبرني أبو واقد الليثي أنه سمع كعبًا يقول مثل ما قال ابن سلام .وأخرج الدارمي أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل كعب الأحبار: كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟ فقال كعب: نجده محمد ابن عبد الله، يولد بمكة، ويهاجر إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولا صخاب في الأسواق، ولا يكافئ بالسيئة السيئة، لكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون، يحمدون الله في كل سراء وضراء، ويكبرون الله على كل نجد، يوضئون أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم، يَصُفُّون في صلواتهم كما يَصُفُّون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدوي النحل، يسمع مناديهم في جو السماء، ثم إن الدارمي ساق روايتين أخريين عن كعب تختلف الفاظهما عن ذلك اختلافًا يسيرًا، وهي متقاربة المعنى، لكننا نجد في روايات كعب الثلاث وصف أمة محمد ﷺ بعد وصفه، فلقد جاء وصفهم أنهم

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

حمادون أي كثيرو الحمد لله رب العالمين، فهم يحمدون الله على السراء والضراء ويحمدونه في كل منزلة، إن أصابتهم سراءُ شكروا الله فحمدوه، وإن أصابتهم ضراء صبروا على أقدار الله فحمدوه، بل إنهم يحمدون الله تعالى في صلواتهم فمن صلى الفرائض حمد الله في كل ركعة من صلواته فحمد الله سبع عشرة مرة، فإذا حافظ على ثنتي عشرة ركعة وثلاث الوتر فهذه خمس عشرة تحميدة تضاف إلى سبع عشرة فيكون العدد اثنتين وثلاثين تحميدة، فإذا حمدوا الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين فهذه خمس وستون ومائة تحميدة تضاف إلى ثنتين وثلاثين لتصبح سبعا وتسعين ومائة تحميدة في اليوم، هذه المرتبة بخلاف الطارئة في السراء والضراء، فلذلك استحقت الأمة هذا الوصف أنهم الحمادون، ويكبرون الله تعالى على كل نجد أو على كل شرف أي على كل مرتفع، وذلك جاء في السنة أنهم كانوا إذا علَوا شرفًا كبروا وإذا نزلوا واديًا سبحوا، ثم وصفوا بوصف آخر وهو أنهم يوضئون أطرافهم، والوضوء للأطراف للوجه واليدين والرأس والرجلين، ويأتزرون في أوساطهم، وهذا من الستر أي يسترون أوساطهم أو أنصافهم كما جاء في رواية أخرى لكعب الأحبار، ثم وصفوا بوصف آخر وهو أنهم يَصُفُّون في صلواتهم كما يصفون في قتالهم، أما صف الصلاة فيطلب منهم تسوية الصفوف، ولقد ورد أن رسول الله ﷺ ما كان يدخل في الصلاة إلا بعد أن يتأكد من تسوية الصفوف خلفه، وأما صف القتال، فقد قال الله تعالى في سورة سماها سورة الصف لذكر صف القتال فيها قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، ولقد جمع الله لهم بين الشدة في القتال وبين الصلاة في القرآن الكريم، كما بين أن ذلك وصفهم في التوراة والإنجيل، حيث قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

ثم جاء الوصف بعد ذلك بأنهم لهم دوي في مساجدهم بذكر الله تعالى وقراءة القرآن مثل دوي النحل، ووصفوا أخيرًا بأن لهم مناديًا ينادي بالصلاة، وهذا جاء في التوراة، توراة موسى عليه الصلام والسلام، ومعلوم أن اليهود كان لهم بوق يعلنون به عن صلاتهم، وبعدهم النصارى فلهم جرس ينادون به لصلاتهم، وأما هذه الأمة لهم مؤذن ينادي بالصلاة، وصوته يسمع في جو السماء.

ثالثًا: من فوائد الحديث:

١- أن رسولنا محمدًا ﷺ رسول الله حقًا، وأن ذلك ثابت بالكتب السابقة.

٢- أن الله عز وجل أخبر عن وصف رسوله محمد ﷺ في التوراة والإنجيل.

٣- أن القرآن حق من عند الله، وأنه جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب السابقة ومهيمنًا عليها.

٤- أن أحبار اليهود وعلماء النصارى محجوجون بكتبهم التي جاء النص فيها على نبوة محمد ﷺ وأنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه.

٥- أن أحبار اليهود وعلماء النصارى يعرفون أن محمدًا حق، وأن القرآن حق، وأن الإسلام حق، كما يعرفون أبناءهم، وأنهم يكتمون حقًا هم يعلمونه.

٦- أن هذه الأمة- أمة محمد ﷺ- خير أمة أُخرجت للناس، وأنهم موصوفون بأعز الأوصاف وأحسنها في الكتب السابقة، فمن انتقصها حقها من الأمم السابقة فقد كذبوا رسلهم ووحي الله تعالى إليهم.

نسأل الله تعالى أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

هدي النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

عن أم سلمة قالت: إن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: «إنما أنا بشرٌ وإنه ياتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فاحسبُ أنه صادق فاقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فلياخذها أو ليتركها».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في ستة مواضع من صحيحه:

في كتاب المظالم، باب «إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه» برقم (٢٤٥٨)، وفي كتاب الشهادات باب «من أقام البينة بعد اليمين» برقم (٢٦٨٠)، وفي كتاب الحيل برقم (٦٩٦٧)، وفي كتاب الأحكام باب موعظة الإمام للخصوم برقم (٧١٦٩)، وفي باب «من قُضي له بحق أخيه فلا ياخذه» برقم (7181)، وفي باب «القضاء في كثير المال وقليله» برقم (٧١٨٥)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الأقضية باب «بيان أن حكم الحاكم لا يغير الباطن» برقم (٤٤٧٥).

وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب القضاء باب «في قضاء القاضي إذا أخطأ» برقم (٣٥٨٣)، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب الأحكام باب «ما جاء في التشديد على من يُقضي له بشيء ليس له أن ياخذه» برقم (١٣٣٩)، وأخرجه الإمام النسائي في الصغرى في كتاب آداب القضاة باب «الحكم بالظاهر» برقم (٥٤٠٣)، وباب «ما يقطع القضاء» برقم (٥٤٢٤)، أخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب الأحكام، باب «قضية الحاكم لا تُحل حرامًا ولا تحرم حلالاً» برقم (٢٣١٧)، وبرقم (٢٣١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٨٣٧٥)، ومن حديث أم سلمة رضي الله عنها بأرقام (٢٥٥٤٦)، (٢٦٣٧١)، (٢٦٤٩٧)، (٢٦٥٠٥)، (٢٦٥٩٦)، ط. دار الحديث.

رواية الحديث

قال الذهبي رحمه الله: السيدة المحجبة الطاهرة، هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، سيف الله،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

في القضاء

إعداد
زكريا حسيني

وبنت عم أبي جهل بن هشام.

من المهاجرات الأول، كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح، دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبًا، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين، عُمِّرتْ حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد رضي الله عنه، فحزنت لذلك حزنًا شديدًا، وغشي عليها، لم تلبث بعده إلا يسيرًا، وانتقلت إلى الله.

ولها أولاد صحابيون؛ عمر، وسلمة، وزينب، ثم قال الذهبي: وبعضهم أرخ وفاتها في سنة تسع وخمسين فوهم، والظاهر أن وفاتها في سنة إحدى وستين. رضي الله عنها.

شرح الحديث

قوله: «سمع خصومة»، وفي رواية: «سمع جَلَبَةَ خصام» والجَلَبَةُ: اختلاط الأصوات، وفي رواية لمسلم: «جلبة خصم»، والخَصْمُ: اسم مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمثنى مذكرًا ومؤنثًا، ويجوز جمعه كما في هذه الرواية، وتثنيته كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾. قال الحافظ في الفتح: فأما الخصوم فوقع التصريح بأنهما كانا اثنين كما جاء في رواية أبي داود: «أتى رسول الله ﷺ رجلان يختصمان». وأما الخصومة فقد جاء في رواية عبد الله بن رافع أنها كانت في «مواريث لهما».

قوله: «بباب حجرته»، وفي رواية لمسلم: «عند بابه» وفي أخرى: «بباب أم سلمة».

قوله: «إنما أنا بشر»: أي كواحد من البشر في عدم علم الغيب، وإنما أتى به ردًا على من زعم أن من كان رسولاً فإنه يعلم كل غيب حتى لا يخفى عليه المظلوم.

قوله: «وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض»، وفي رواية الثوري في (ترك الحيل): «وإنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض». ومثله في رواية لمسلم، وألحن بمعنى أبلغ لأنه من لحَنَ بمعنى فطن وعلى وزنه، والمراد أنه إن كان أفطن كان قادرًا على أن يكون أبلغ في حجته من الآخر.

قوله: «فأحسب أنه صادق». وفي رواية معمر: «فأظنه صادقًا». أي وربما كان في نفس الأمر كاذبًا.

قوله: «فأقضي له بذلك». وفي رواية: «فأقضي له عليه على نحو مما أسمع». وفي أخرى: «على نحو ما أسمع». وفي رواية عبد الله بن رافع: «إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل عليَّ فيه».

قوله: «فمن قضيت له بحق مسلم». وفي رواية مالك ومعمر: «فمن قضيت له بشيء من حق أخيه». وفي رواية الثوري: «فمن قضيت له من أخيه شيئًا». ووقع عند أبي داود عن محمد بن كثير شيخ البخاري فيه: «فمن قضيت له بقضية أراها يقطع بها قطعة ظلمًا فإنما يقطع له بها قطعة من نار إسْطَامًا يأتي بها في عنقه يوم القيامة». والإسْطَامُ: القطعة، فكأنه جاء بها تأكيدًا.

قوله: «فإنما هي قطعة من النار»: أي الذي قضيت له به بحسب الظاهر إذا كان في الباطن

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ونفس الأمر لا يستحقه فهو عليه حرام يئول به إلى النار.

قوله: «فلياخذ أو ليتركها». وفي رواية يونس: «فليحملها أو ليذرها». وفي رواية مالك: «فلا ياخذه».

نقل الحافظ في الفتح عن ابن التين قوله: هو خطاب للمقضي له، ومعناه أنه أعلم من نفسه، هل هو محق أو مبطل، فإن كان محقًا فلياخذ، وإن كان مبطلاً فليترك، فإن الحكم لا ينقل الأصل عما كان عليه. وهذا ليس تخييرًا في الأخذ أو الترك ولكنه على سبيل التهديد، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

وقد تضمن هذا الحديث أمورًا عظيمة هي:

أولاً: بشرية الرسول ﷺ وأنه ليس ملكًا ولا من جنس غير البشر، وقد جاء ذلك صريحًا في كتاب الله تعالى كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ «الكهف: ١١٠».

وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ «الأعراف: ١٨٨».

وغير ذلك من الآيات، وإن كان صلوات الله وسلامه عليه متميز بخصائص تميزه عن بقية البشر صلوات الله وسلامه عليه كالرسالة والنبوة والتبشير والإنذار وغير ذلك من الخصائص الثابتة له ﷺ.

ولقد بين ﷺ في هذا الحديث وأمثاله ونبه على أنه بشر لا يعلم بواطن الأمور ولا من الغيب إلا ما أطلعه الله تعالى عليه، وأنه يجوز عليه ﷺ في أمور الأحكام ما يجوز على البشر، وأنه يحكم بين الناس بالظاهر، والله يتولى السرائر، فيحكم بالبينة وباليمين ونحو ذلك من أحكام الظاهر مع إمكان كون الأمر بخلاف ذلك في الباطن، وأنه ﷺ إنما كلف الحكم بالظاهر وذلك كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». وفي حديث المتلاعنين قال ﷺ: «لولا الإيمان لكان لي ولها شأن».

ولو شاء الله تعالى لأطلعه على أمر الخصمين في الباطن وحقيقة الأمر فيحكم بيقين الوحي من غير أن يحتاج إلى بينة أو يمين، لكن لما كانت الأمة مأمورة باتباعه والاقتداء به في أقواله وأفعاله وأحكامه أجرى الله تعالى أحكامه على الظاهر الذي يستوي فيه هو وغيره ليصح الاقتداء به وتطيب نفوس العباد للانقياد للأحكام الظاهرة من غير نظر إلى الباطن، والعلم عند الله تعالى.

وإذا كان النبي ﷺ وجميع الأنبياء لا يعلمون الغيب، فكيف يصح لغير الأنبياء ادعاء ذلك، وهل يحصل من علم مدّعيه إلا التخرص واتباع الظن؛ أو التكهن وهو أيضًا ظن ومعلوم أن الظن أكذب الحديث، وأما علم صحيح متيقن متبينٌ فلا سبيل إليه، فليخسأ كل مدّعٍ للغيب ممن يزعمون ما يسمى بالكشف أو غيرهم مما يوقعون العامة في أوهام ليسطوا على أموالهم فياكلونها بالباطل ويخربون عقائدهم بإيهامهم أنهم يملكون لهم نفعًا أو ضرًا، فيقعونهم في الشرك بالله تعالى، فإن الله تعالى قد استأثر بعلم الغيب فقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾، وقال النبي ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

قال الحافظ في الفتح بعد أن شرح الحديث:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

(تنبيه): زاد عبد الله بن رافع في آخر الحديث: «فبكى الرجلان، وقال كل منهما للآخر حقي لك، فقال لهما النبي ﷺ: «أما إذا فعلتما فاقتسما وتوخيا الحق، ثم استهما ثم تحالا».

وفي الحديث أن من خاصم في باطل حتى استحق به في الظاهر شيئًا هو محرم عليه في الباطن فهو آثم، وذلك لاقتطاعه من حق أخيه بالكذب والبلاغة في الكلام، وفيه أيضًا أن من ادعى مالا ولم تكن له بينة فحلف المدعى عليه وحكم الحاكم ببراءة الحالف أنه لا يبرأ في الباطن، وفيه أنّ من احتال لأمر باطل باي نوع من أنواع الحيل حتى يصير في الظاهر حقًا ويحكم له به أنه لا يحل له تناوله في الباطن ولا يسقط عنه الإثم بالحكم، وفيه أن المجتهد قد يخطئ، فيردُّ بذلك على من زعم أن كل مجتهد مصيب، وفيه أن المجتهد إذا أخطأ فإنه لا يلحقه إثم بل يؤجر، وفيه أن النبي ﷺ كان يقضي بالاجتهاد وفيما لم ينزل عليه فيه شيء، وخالف في ذلك قوم، وهذا الحديث من أصرح ما يحتج به عليهم كذا قال الحافظ في الفتح.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وفي هذا الحديث دلالة لمذهب مالك والشافعي وأحمد وجماهير علماء المسلمين وفقهاء الأمصار من الصحابة والتابعين فمن بعدهم أن حكم الحاكم لا يحيل الباطن ولا يحل حرامًا، فإذا شهد شاهدًا زور لإنسان، بمال فحكم به الحاكم لم يحل للمحكوم له ذلك المال، ولو شهدا عليه بقتل لم يحل للولي قتله مع علمه بكذبهما، وإن شهدا بالزور أنه طلق امرأته لم يحل لمن علم بكذبهما أن يتزوجها بعد حكم القاضي بالطلاق، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى يحل حكم الحاكم الفروج دون الأموال، فقال يحل نكاح المذكورة، وهذا مخالف لهذا الحديث الصحيح ولإجماع من قبله، ومخالف لقاعدة وافق هو وغيره عليها؛ وهي أن الأبضاع أولى بالاحتياط من الأموال، والله أعلم. اهـ.

وإذا كان رسول الله ﷺ يحذر أصحاب الألسنة ممن يزورون الباطل ويجيدون الكلام بحيث يُلَبِّسون على القضاة الأمر فيكون أبلغ أو ألحن من خصمه فيحصل على مال حرام أو غير ذلك من الحقوق فإن هذا التحذير أولى به أولئك الذين يعملون بمهنة المحاماة، فإن الواحد منهم يعلم- غالبًا- أن ليس لموكله حق فيزور الكلام وينمقه حتى يكسب القضية، وللأسف تقاس مهارة المحامي بجودته في تغيير الحقائق والتلبيس على القضاة، ويفرض مبلغًا كبيرًا من المال مقابل أن يحصل على براءة الجاني وذلك بالبحث في ثغرات القانون البشري، فليتق الله كل مسلم وليحذر عقاب الله تعالى، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإن شهادة الزور وقول الزور من الكبائر بل من الموبقات التي توبق صاحبها وتورده نار جهنم، وحقوق العباد يجب أن تؤدى إليهم، ولا يحل لمسلم أن يقتطع من حق أخيه شيئًا، ولا يغترن من يجيد تنميق الكلام وتزويره بالقول الباطل، فإن البلاغة في القول لا تحل حرامًا ولا تحرم حلالاً، والعجب أن بعض هؤلاء يستمرئ الكذب، والزور حتى يكاد يصدق نفسه، ويوهم غيره أنه صادق وهو من أكذب خلق الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يهدي قلوبنا وأن يجنبنا والمسلمين الزلل ومزالق الألسنة والغش والخداع، وأن يثبت قلوبنا على دينه، وأن يلهمنا رشدنا وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

أعمال توجب سخط الله عز وجل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم؛ رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا، فصدقه رجل» ثم قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧].

إعداد

زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في خمسة مواضع من صحيحه بأرقام [٢٣٥٨ - ٢٣٦٩ - ٢٦٧٢ - ٧٢١٢ - ٧٤٤٦] كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٠٨)، وأخرجه أبو داود في البيوع باب منع الماء برقم (٣٤٧٤)، والنسائي في البيوع باب الحلف الواجب للخديعة (٤٤٦٧)، وابن ماجه في التجارات باب ما جاء في كراهية الأيمان في الشراء برقم (٢٢٠٧) وفي كتاب الجهاد باب الوفاء بالبيعة برقم (٢٨٧٠) وأحمد في المسند برقم (٧٤٤٢)، وبرقم (١٠٢٢٦) ط مؤسسة الرسالة.

شرح الحديث

قوله: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة»: تعددت روايات حديث أبي هريرة بزيادة لفظة ونقص أخرى، ولكن رواية صحيح مسلم جمعت الألفاظ كلها وهي: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم». فجمع عقوبات أربع وهي: عدم تكليم الله لهم يوم القيامة، وعدم النظر إليهم، وعدم تزكيتهم، وإثبات العذاب الأليم لهم.

وأما الثلاثة المذكورون في هذا الحديث فهم:

١ - رجل يملك فضل ماء بطريق أو بفلاة أي صحراء، والمقصود بطريق في الصحراء يمنع هذا الماء من ابن سبيل.

٢ - رجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنياه إن أعطاه ما يريد أي من أمر الدنيا وعرضها وفى له، وإن لم يعطه ما يريده لم يفِ له.

٣ - رجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لقد أعطي بها كذا وكذا فصدقه فأخذها ولم يُعْطِ بها».

وهناك حديث آخر لأبي هريرة رضي الله عنه أيضا جاء فيه أن الثلاثة هم:

١ - شيخ زان، والمقصود بالشيخ من كبرت سنه، فإنه يكون أبعد من التفكير في المعصية.

٢ - مَلِك كذاب، أي حاكم يكذب على رعيته، وليس بحاجة إلى الكذب.

٣ - عائل مستكبر، فالعائل أي الفقير لا يملك أسباب الكبر والخيلاء فليس عنده ما يدفعه إليهما.

وهناك حديث أبي ذر رضي الله عنه فيه

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ثلاثة هم:

١ ـ المسبل، أي الذي يسبل إزاره أو قميصه خيلاء وعجبا وكبرًا كما قيده بعض العلماء.

٢ ـ المنان، وجاء في رواية أنه الذي لا يُعطي شيئًا إلا منَّه.

٣ ـ المنفِّق سلعته بالحلف الكاذب، وفي رواية بالحلف الفاجر.

فتحصل من الأحاديث الثلاثة تسعة أصناف يستحقون هذه العقوبات الأربع فلنقف على العقوبات ومعانيها ثم نذكر بشيء من التفصيل هؤلاء الأصناف التسعة.

العقوبة الأولى:

لا يكلمهم الله: يُحْرَمون كلام الله تعالى وهذا نوع عقوبة، فإن الله تعالى يكلم أهل الإيمان الصالحين كلامًا يسرهم كما جاء في الحديث: «اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا».

وقيل: لا يكلمهم بكلام أهل الخيرات الذين يظهر لهم الرضى بل يكلمهم بكلام أهل السخط والغضب، بل يُعرِض عنهم إعراضا، وقال جمهور المفسرين في تفسير الآية من سورة آل عمران: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، وكفى بها عقوبة فإن الإنسان طبع على أن يُسَرَّ بتكليم من هو أعلى منه رتبة من البشر وقد يزهو على غيره بذلك، فما بالك بتكليم رب العالمين مالك الملك ومالك يوم الدين، يا له من شرف عظيم، ويا حسرة من حرم هذا الكلام وأعرض عنه رب الناس.

العقوبة الثانية:

لا ينظر الله إليهم: أي لا ينظر إليهم فيرحمهم، فحيث نفى ربنا النظر إلى أحد من عباده أو نفاه رسوله ﷺ فإن هذا النفي يجعله نوعًا من العقوبة، أما المؤمنون الصالحون فإنهم يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، وينظر إليهم ربهم فيرحمهم وكفى بذلك عزًا للمؤمنين ونعيمًا في الآخرة، وكفى بالعاصي والفاسق حرمانًا من ذلك.

العقوبة الثالثة:

لا يزكيهم: أي لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، أو لا يثني عليهم، ولا شك أن تطهير العبد من ذنوبه أو الثناء عليه يعد منقبة ومنزلة يتبوؤها بفضل الله تعالى عليه ورحمته، فإذا حرمها فهذا من العقوبات التي يعاقبها العبد وهي من آثار غضب الله تعالى عليه وجلب العذاب الأليم.

العقوبة الرابعة:

لهم عذاب أليم: أما العذاب فهو كل ما يشق على الإنسان ويعييه، وأصل العذاب في كلام العرب من «العَذْب» وهو المنع، نقل النووي عن الواحدي قوله: يقال عذبته عذبًا إذا منعته، وسمي الماء عذبًا لأنه يمنع العطش، وسمي العذاب عذابًا لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه، ويمنع غيره من مثل فعله، والله أعلم، والأليم أي المؤلم.

قال الواحدي: هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه.

الأصناف التسعة الذين ورد ذكرهم في الأحاديث الثلاثة

الأول: رجل يملك فضل ماء بطريق أو بفلاة يمنع ماءه هذا من ابن السبيل، وابن السبيل إذا احتاج إلى الماء وجب بذله إليه، فمن كان عنده فضل ماء فمنعه من ابن السبيل المحتاج إليه فلا شك في تغليظ تحريم ما فعل وعظم قبحه، لأنه إذا كان من يمنع فضل الماء الماشية عاصيًا فكيف بمن يمنعه الآدمي المحترم؟ فلو كان ابن السبيل غير محترم كالحربي والمرتد إذا أصر على الكفر لم يجب بذل الماء إليه، وقد جاء في إحدى روايات البخاري: «ورجل منع فضل مائه، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك». وكأن البئر ليست من عمل يده إذ هو لم يحفرها، أو أنه حفرها، ولكن لم تكن له يدٌ في نبع الماء منها، فلذلك يقال له: «ما لم تعمل يداك»، ثم إن نص هذا الحديث يدل على أن صاحب البئر أو الماء أحق بأصله من غيره، وأما الفضل وهو الزائد عن الحاجة- فليس أولى به، بل يجب عليه بذله لابن السبيل ولا يجوز له منعه.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الثاني: رجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنياه، وهذا الذي يبايع الأمير لا يبايعه إلا من أجل عرض من أعراض الدنيا لم ينظر في بيعته إلى مصالح المسلمين العامة بل نظر في بيعته إلى مصلحته الخاصة به من قرابة أو صداقة أو ولاء لفريق أو حزب معين وهو يعلم أن غيره أولى بالإمارة منه، فذلك مستحق للعقوبة المذكورة والوعيد الشديد لغشه المسلمين وإمامهم، ومن أوصافه أنه إذا حقق الإمام المبايع له ما يريد وَفَّى له بالبيعة، وإذا لم يحقق له غرضه نكث بيعته، فيؤدي نكثه البيعة إلى فتن بين المسلمين، لا سيما إن كان ممن يقتدى به في تصرفاته وأفعاله، بل إن الذي يطلب الإمامة وهو ليس أهلاً لها فإنه يضر بنفسه، ومجتمعه ويغش نفسه ويغش الناس، والنبي ﷺ بين أنها أمانة وسيسأل عنها العبد يوم القيامة لأنه سيسأل عن رعيته ويحاسب على أمانته فيهم، فمن طلبها على علم وأمانة أعين عليها، ومن طلبها خاليًا من الصدق والعلم والأمانة وُكِل إليها كما بين ذلك خير البشر وسيدهم ﷺ.

قال الحافظ في الفتح: وفي الحديث وعيد شديد في نكث البيعة، والخروج على الإمام لما في ذلك من تفرق الكلمة، ولما في الوفاء من تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء، والأصل في مبايعة الإمام أن يبايعه على أن يعمل بالحق ويقيم الحدود ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فمن جعل مبايعته لمال يعطاه دون ملاحظة المقصود في الأصل فقد خسر خسرانًا مبينًا ودخل في الوعيد المذكور، وحاق به إن لم يتجاوز الله عنه، وفيه أيضًا أن كل عمل لا يقصد به وجه الله وأريد به عرض الدنيا فهو فاسد وصاحبه آثم. اهـ.

الثالث: رجل أقام سلعته بعد العصر فحلف بالله لقد اعطى بها كذا وكذا- فصدقه فأخذها- ولم يُعطِ بها، والمقصود أن صاحب السلعة يحلف بالله كاذبًا ليقتطع مال أخيه المسلم، ثم تحديد الحلف بوقت ما بعد العصر، فهذا جمع ثلاثة منهيات بعضها أشد من بعض، أولها: الكذب في أنه أخذ السلعة بثمن دفعه فيها هو كذا، كما جاء في رواية مصرحًا به «أخذها بكذا»، ولم يكلفه أحد أن يكذب قائلا: قد اشتريتها بكذا، وثانيها: أنه حلف مؤكدًا هذا الكذب، والكذب حرام بأصله بدون يمين، فإذا أضيفت إليه يمين الكاذب ازداد جُرمًا، ولقد جاء في الرواية التي معنا أنه قال في حلفه: «والله الذي لا إله غيره». وفي الحلف صدقًا تعظيم لله عز وجل، فإن حلف بالله كذبًا دل على استهانته بهذه اليمين، الثالث: أنه جمع إلى الكذب واليمين كونهما بعد العصر، وتخصيص هذا الوقت بتعظيم الإثم فيه لأن الله تعالى عظم شأن هذا الوقت بأن جعل الملائكة تجتمع فيه «ملائكة الليل وملائكة النهار». وهو وقت ختام أعمال اليوم، والأعمال بخواتيمها، فغلظت العقوبة فيه لئلا يقدم عليها متجرئًا، لأن من تجرأ على المعصية فيه اعتادها في غيره، وكان السلف يحلفون بعد العصر.

الرابع: الشيخ الزاني، وهو الرجل كبير السن، وهذا لكمال عقله وتمام معرفته بالحلال والحرام، بالإضافة إلى ضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء واختلال دواعيه عنده، فإنه يملك ما يريحه من دواعي الحلال في ذلك ويخلي باله منه، فكيف بالزنا المحرم أصلاً، وإنما يدعو لذلك الشباب والحرارة الغريزية وقلة المعرفة وغلبة الشهوة لضعف العقل وصغر السن، فهذه جريمة تقع ممن لا يظن أنها تقع منه، وإلا فالزنا محرم على كل حال.

الخامس: الملك الكذاب، فإن الإنسان قد يكذب ويداهن ويصانع بالكذب وشبهه من يحذره ويخشى أذاه ومعاتبته، أو يطلب بذلك عنده منزلة أو منفعة، والإمام غني عن الكذب مطلقًا فإنه لا يخشى أحدًا من رعيته ولا يحتاج إلى مداهنته ومصانعته فهذا التزم المعصية مع بعدها عنه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان أحدٌ لا يعذر في كذب.

السادس: العائل أي الفقير- المستكبر، قد عدم المال والثروة التي هي سبب في الفخر

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

والخيلاء والتكبر والارتفاع عن القرناء، فالثري يرى غيره من الناس محتاجًا إليه طامعًا فيه وهذا فقير قد عدم أسباب احتياج الناس إليه، فَلِمَ يستكبر ويحتقر غيره؟ فلِمَ يبق سبب لتكبره واختياله إلا الاستخفاف بحق الله تعالى.

السابع: المسبل إزاره، أي المرخي له، الجارُّ طرفه خيلاء كما جاء مصرحًا به في الحديث الآخر: «لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء». وهذا التقييد بالجر خيلاء يخصص عموم المسبل إزاره، ويدل على أن المراد بالوعيد من جره خيلاء، وقال بعض العلماء: الإسبال من غير خيلاء محرم، وأما إذا كان على سبيل الخيلاء فهو الكبيرة التي وردت في هذا الحديث وغيره؛ أنه لا يكلمه الله ولا ينظر إليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم، وأما من سقط رداؤه رغمًا عنه وبدون قصد فلا يدخل في هذا الوعيد، فإن الرسول ﷺ رخص في ذلك لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقال: «لست منهم». ولقد نقل النووي عن ابن جرير الطبري وغيره القول: وذكر إسبال الإزار وحده لأنه كان عامة لباسهم، وحكم غيره من القميص وغيره حكمه، قال: قلت وقد جاء ذلك مبينًا منصوصًا عليه من كلام رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بإسناد حسن عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

الثامن: المنان وهو الذي يمن على الناس بعطاياه، وجاء في رواية: «الذي لا يعطي شيئًا إلا مَنَّه، والذي يعطي غيره من مال الله الذي استخلفه فيه يجب أن يحمد الله تعالى أن خصه بهذا المال، وجعله منفقًا منه فجعل يده هي العليا وهي خير من اليد السفلى، ثم وفقه أن يجد من يعطيه وينفق عليه من مال الله، فهذا كله توفيق من الله تعالى، لكنه بدلاً من أن يحمد الله تعالى على عطائه وتوفيقه يريد أن يحمد نفسه وكذا يريد أن يحمده الناس فيمن عليهم بعطاياه وكأنه هو الذي رزق نفسه هذا المال ومن ثم يرزق غيره، فالحق أن الرزاق هو الله، والمنة لله وحده، قال تعالى: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾، وقال: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾، وقديمًا قال قارون عندما دعي للإنفاق من المال الذي آتاه الله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾.

التاسع: المنفِّق سلعتَه بالحلف الكاذب: وفي رواية بالحلف الفاجر، أما المنفق فهو بتشديد الفاء مكسورة، فأما الحلف فبكسر اللام وقد تسكن، وتنفيق السلعة وترويجها بالحلف الكاذب لا شك أنه كبيرة من الكبائر، ومما ابتليت به الأمة، فقلَّ أن تجد تاجرًا صادقًا في بيعه أو في تجارته، مع أن النبي ﷺ بين ذلك لنا أتم البيان وأوضحه، فلقد صح عنه ﷺ أنه قال: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء». أخرجه الترمذي برقم (١٢٠٩).

ورواه ابن ماجه بلفظ: «التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة». وروى الترمذي بسنده عن رفاعة أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال: «يا معشر التجار»، فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا إلا من اتقى الله وبر وصدق». وعن عبد الرحمن بن شِبْل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن التجار هم الفجار». قالوا: يا رسول الله، أليس قد أحل الله البيع؟ قال: «بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويُحَدِّثون فيكذبون». رواه الإمام أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد.

[صحيح الترغيب والترهيب]

نسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا ونفوسنا وأسواقنا ومجتمعاتنا من كل مخالفة ومن كل فساد، وأن يردنا إلى دينه ردًا جميلاً، وأن يصلح ذات بين المسلمين ويؤلف قلوبهم ويوحد صفوفهم، والحمد لله أولاً وآخرًا.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

الاعتكاف والعشر

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى وفي الآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة نبينا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه واتباعه إلى يوم الدين، وبعد..

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوَل من رمضان، واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط فاعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، فقام النبي ﷺ خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «من كان اعتكف مع النبي ﷺ فليرجع فإني أُرِيتُ ليلة القدر وإني نُسِّيتها، وإنها في العشر الأواخر في وتر، وإني رأيت كأني أسجد في طين وماء»، وكان سقف المسجد جريد النخل، وما نرى في السماء شيئا، فجاءت قزعة فأمطرنا، فصلى بنا النبي ﷺ حتى رأيت أثر الطين على جبهة رسول الله ﷺ وأرنبته، تصديق رؤياه.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في ثمانية مواضع من صحيحه، مختصرًا في بعضها، وبطوله في البعض الآخر، وهي: في كتاب الأذان: ثلاثة منها بالأرقام (٦٦٩، ٨١٣، ٨٣٦) وموضعان في كتاب فضل ليلة القدر برقمي (٢٠١٦، ٢٠١٨) وثلاثة مواضع في كتاب الاعتكاف بالأرقام (٢٠٢٧، ٢٠٣٦، ٢٠٤٠)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر برقم (١١٦٧)، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الصلاة باب فيمن قال ليلة إحدى وعشرين برقم (١٣٨٢) والإمام النسائي في كتاب الصلاة باب ترك مسح الجبهة بعد التسليم برقم (١٣٥٧)، والإمام ابن ماجة في كتاب الصيام باب في ليلة القدر برقم (١٧٦٦) مختصرًا.

شرح الحديث

الاعتكاف: هو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى بنية مخصوصة على صفة مخصوصة، وهو عبارة عن التفرغ للعبادة والتجرد لها من شواغل الدنيا وأعمالها، وتصفية القلب مراقبة لله تعالى.

وهو من أشرف الأعمال وأحبها إلى الله تعالى إذا كان عن إخلاص، فإذا انضم إليه الصوم ازداد المؤمن قربا من الله تعالى لما يحدثه الصوم ابتغاء وجه الله تعالى من طهارة القلوب وصفاء النفوس، ولذا كان أفضل الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان ليتعرض المؤمن لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الأواخر

إعداد
زكريا حسيني

قال أبو عمر بن عبد البر: فما أجمع عليه العلماء من ذلك: أن الاعتكاف جائز الدهر كله (أي في كل وقت) إلا الأيام التي نهى رسول الله ﷺ عن صيامها، فإنها موضع اختلاف، لاختلافهم في جواز الاعتكاف بغير صوم، كما أجمعوا أن سنة الاعتكاف المندوب إليها شهر رمضان كله أو بعضه، وأجمعوا كذلك أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد، لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧] ا.هـ الاستذكار (٢٧٣/١٠).

ثم إن العلماء اختلفوا في المسجد الذي يصح فيه الاعتكاف على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة، روى ذلك عن حذيفة بن اليمان وسعيد بن المسيب، ومن حجتهما في ذلك: أن الآية نزلت على النبي ﷺ وهو معتكف في مسجده، فكان القصد والإشارة إلى نوع ذلك المسجد مما بناه نبي، وكذلك استدل لهما بحديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...».

القول الثاني: لا اعتكاف إلا في مسجد تجمع فيه الجمعة؛ لأن الإشارة في الآية عندهم إلى ذلك الجنس من المساجد، قال ابن عبد البر: روى هذا القول عن علي بن أبي طالب وابن مسعود، وبه قال عروة بن الزبير والحكم بن عيينة وحماد والزهري أبو جعفر محمد بن علي.

القول الثالث: الاعتكاف في كل مسجد جائز، قال ابن عبد البر: روى هذا القول عن سعيد بن جبير وأبي قلابة وإبراهيم النخعي وهمام بن الحارث وأبي سلمة بن عبد الرحمن وأبي الأحوص والشعبي. ثم قال: وهو قول الشافعي وأبي حنيفة والثوري وهو أحد قولي مالك، وبه يقول ابن علية، وداود والطبري. قال: وحجتهم حمل الآية على عمومها في كل مسجد.

قال النووي في المجموع: ووجه الدلالة من الآية لاشتراط المسجد أنه لو صح الاعتكاف في غير المسجد لم يخص تحريم المباشرة بالاعتكاف في المسجد لأنها منافية للاعتكاف، فعلم أن المعنى بيان أن الاعتكاف إنما يكون في المساجد، وإذا ثبت جوازه في المساجد صح في كل مسجد، ولا يقبل تخصيص من خصصه ببعضها بلا دليل، ولم يصح في التخصيص شيء صريح.

الاعتكاف في المساجد الثلاثة

من نذر الاعتكاف في أحد المساجد الثلاثة (المسجد الحرام - ومسجد النبي ﷺ - والمسجد الأقصى) لم يجزئه في غيرها، وذلك لفضل العبادة فيها على غيرها فتتعين بالتعيين، وله شد الرحال إلى المسجد الذي عينه من الثلاثة. وأما من نذر أن يعتكف أو يصلي في مسجد معين من غير الثلاثة، فإنه يجزئه الاعتكاف أو الصلاة في أي مسجد، ولا يلزمه أن يعتكف أو يصلي في المسجد الذي عينه.

ما يشترط للاعتكاف

قال العلماء: يشترط للاعتكاف: الإسلام والعقل والبلوغ أو التمييز، وكونه في المسجد ونية الاعتكاف، وهذه الشروط متفق عليها، والصوم والطهارة من الجنابة والحيض والنفاس، وإذن الزوج لزوجته.

ويستحب للمعتكف التشاغل على قدر الاستطاعة ليلا ونهارًا بالصلاة وتلاوة القرآن والاستغفار وسائر أنواع العبادات.

ما يفسد الاعتكاف

ويفسد الاعتكاف بالجماع، والحيض والنفاس، كما يفسد بالخروج من المسجد بغير عذر شرعي، والأعذار المبيحة لخروج المعتكف من

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

المسجد هي: الخروج لصلاة الجمعة، ولحاجة طبيعية كالبول والغائط، ولضرورة كانهدام المسجد، كما يفسد الاعتكاف بذهاب العقل بجنون أو سكر.

ما يباح للمعتكف

١ ـ خروجه لتوديع أهله إذا زاروه في معتكفه، لأن النبي ﷺ خرج من معتكفه ليقلب صفية بنت حيي رضي الله عنها عند ما زارته في معتكفه. [الحديث بطوله في البخاري ومسلم وأبي داود]

٢ ـ ترجيل شعره وحلق رأسه وتقليم أظفاره وتنظيف البدن، ولبس أحسن الثياب والتطيب بالطيب. كما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغسل رأس رسول الله ﷺ وترجله في حجرتها وهو في معتكفه (كان ﷺ يدني لها رأسه فتغسله وترجل شعره وهي حائض وهو في معتكفه) كما في البخاري ومسلم.

وقت دخول المعتكف والخروج منه

الاعتكاف المطلق يدخل فيه المعتكف بحسب ما ينوي ويخرج منه عند انتهاء المدة، أما من نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان فإنه يدخل معتكفه قبل غروب الشمس من ليلة إحدى وعشرين أو ليلة عشرين. ويخرج من معتكفه بعد غروب الشمس آخر يوم من رمضان، وقد استحب بعض العلماء ومنهم الإمام مالك بن أنس أن يخرج من معتكفه إلى صلاة العيد؛ ليصل عبادة بعبادة.

وقوله: «اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأول واعتكفنا معه» هكذا في هذه الرواية بزيادة العشر الأول، وفي أكثر الروايات بدأ بالعشر الأوسط، كما زيد في هذه الرواية أن جبريل أتاه في المرتين أي بعد العشر الأول، ثم بعد العشر الأوسط فقال له: «إن الذي تطلب أمامك». أي قدامك. والعشر المراد بها الليالي وحقها أن توصف بمؤنث، لكنها وصفت بمذكر على إرادة الوقت أو الزمان، أو التقدير الثلث كأنه قال: الليالي التي هي الثلث الأول، والثلث الأوسط من الشهر، وفي رواية محمد بن إبراهيم: كان يجاور، والمجاورة: المقصود بها الاعتكاف، وفي رواية لمسلم: «اعتكف العشر الأوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر قبل أن تُبَانَ له، فلما انقضين أمر بالبناء فقوض، ثم أبينت له أنها في العشر الأواخر فأمر بالبناء فأعيد».

قوله: «فقام النبي ﷺ خطيبا صبيحة عشرين من رمضان». وفي رواية مالك في أبواب الاعتكاف: «حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه». قال الحافظ في الفتح: وظاهره يخالف رواية الباب (أي روايتنا هذه) ومقتضاه أن خطبته وقعت في أول اليوم الحادي والعشرين، وعلى هذا يكون أول ليالي اعتكافه الأخير ليلة اثنتين وعشرين، وهو مغاير لقوله في آخر الحديث في رواية أخرى: «فأبصرت عيناي رسول الله ﷺ وعلى جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين» فإنه ظاهر في أن الخطبة كانت في صبح اليوم العشرين، ووقوع المطر كان في ليلة إحدى وعشرين وهو الموافق لبقية الطرق، وعلى هذا فكان قوله في رواية مالك المشار إليها: «وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها» أي من الصبح الذي قبلها، ويكون إضافة الصبح إليها تَجَوُّز، ويؤيد هذا التأويل ما جاء في رواية أخرى: «فإذا كان حين يمسي من عشرين ليلة تمضي ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه» وهذا في غاية الإيضاح، كما يؤيده أيضا قوله ﷺ: «من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر» لأنه لا يتم ذلك إلا بإدخال الليلة الأولى. والله أعلم.

قوله: «فإني أريت ليلة القدر»: أُريتُ بضم أوله على البناء للمفعول، وهي من رأى العلمية القلبية أي أُعْلِمْتُ بها، أو من الرؤية البصرية، أي أُرِيَ علامتها فعرفها.

قوله: «وإني نسيتها»: أي نَسِيها هو ﷺ من غير واسطة، وفي رواية «أُنْسِيتُها» وفي أخرى «نُسِّيتها» وهي بمعنى «أنسيتها» أي أنساه غيره إياها. ولقد بين حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في الصحيح سبب نسيانها قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فتلاحى فلانٌ وفلانٌ فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

قوله: «وإنها في العشر الأواخر في وتر»: وفي رواية أخرى: «فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر»، وفي رواية ثالثة: «فالتمسوها» وذلك يفيد البحث والتحري عنها في العشر الأواخر وأنها في أوتار العشر الأواخر. وفي حديث ابن عباس: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى». قال الحافظ في الفتح: وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافا كثيرًا، وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولا، كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة يوم الجمعة، وقد اشتركتا في إخفاء كل منهما ليقع الجد في طلبهما، ثم قال بعد أن ساق سبعة وأربعين قولا: وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الأخير، وأنها تنتقل كما يفهم من الأحاديث، وأرجاها أوتار العشر، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين على ما في حديث أبي سعيد وعبد الله بن أنيس، وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين، قال العلماء: الحكمة في إخفائها ليحصل الاجتهاد في التماسها، بخلاف ما لو عينت لها ليلة لاقتصر عليها كما تقدم نحوه في ساعة الجمعة.

قوله: «وإني رأيت كأني أسجد في طين وماء» وفي رواية الكشميهني «أن أسجد» أي رأى النبي ﷺ في منامه (ورؤيا الأنبياء حق) رأى أنه يسجد في ماء وطين.

قوله: «قَزَعة» بفتح القاف والزاي أي قطعة رقيقة من سحاب.

قوله: «فأُمْطِرنا» وفي رواية «فَمَطَرَت» بفتح الميم والطاء، وفي رواية «فاستهلت السماء فَأَمْطَرَت». حتى سال سقف المسجد وفي رواية «فوكف المسجد» أي نزل الماء من سقفه.

قوله: «فصلى بنا رسول الله ﷺ حتى رأيت أثر الطين على جبهة رسول الله ﷺ وأرنبته تصديق رؤياهُ». أي صلى النبي ﷺ بالصحابة الذين كانوا معه صبح اليوم الحادي والعشرين وقد نزل المطر فسجد صلوات الله وسلامه عليه في الطين فيقول أبو سعيد رضي الله عنه حتى رأيت أثر الطين على جبهة رسول الله وأرنبته أي أرنبة أنفه والأرنبة الجزء الأعلى من الأنف.

وقول أبي سعيد رضي الله عنه: «تصديق رؤياه» أي أن أبا سعيد رأى أثر الطين على جبين رسول الله ﷺ وعلى أنفه، وذلك لأن النبي ﷺ لم يمسح أثر الطين الذي على وجهه، بل أبقاه حتى يراه الناس، وذلك لتصديق رؤياه، ولاشك أن ذلك من أعلام نبوته صلوات الله وسلامه عليه.

ولقد كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها، وذلك واضح من الأحاديث التي تضمنت ذلك ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحْيى ليله وأيقظ أهله». أي أنه ﷺ كان يسهر الليل فيحييه بالطاعة ويحيي نفسه بسهره فيه لأن النوم أخو الموْت. وقوله: «أيقظ أهله» أي للصلاة، وقد روى الترمذي من حديث زينب بنت أم سلمة «لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحدًا من أهله يطيق القيام إلا أقامه»، وهذا يشعر باهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بالعبادة والاجتهاد فيها ولا سيما في العشر الأواخر، بل كان يوقظ أهله ويقيمهم حتى يجتهدوا في العبادة، وذلك كله ليتحروا جميعا ليلة القدر ويلتمسوها لعلهم يوافقونها أو يوفقون لها فيغتنمون فضلها؛ ذلك الفضل المبين في قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر:٣-٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان:٣]، وكذلك ورد في فضلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، وتحري هذه الليلة في الوتر من العشر الأواخر عبادة كما بوب

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بـــــه الإمام البخاري في صحيحه، وقد قال الحافظ في الفتح: في هذه الترجمة إشارة إلى رجحان كون ليلة القدر منحصرة في رمضان ثم في العشر الأخير منه ثم في أوتاره لا في ليلة معينة منه بعينها، وهذا هو الذي يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها.

علامات ليلة القدر

قال الحافظ في الفتح: وقد ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي، منها في صحيح مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها»، وفي رواية أحمد من حديثه: «مثل الطست» ونحوه لأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه وزاد: «صافية» ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، ولابن خزيمة من حديثه مرفوعا: «ليلة القدر طلقة لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة»، ولأحمد من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعا: «إنها صافية بلجة كأن فيها قمرًا ساطعًا، ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد، ولا يحل لكوكب يُرْمَى به فيها، ومن أماراتها أن الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع، مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ». قال: ولابن أبي حاتم من طريق الضحاك: «يقبل الله التوبة فيها من كل تائب، وتفتح فيها أبواب السماء، وهي من غروب الشمس إلى طلوعها».

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم:

١ ـ حرص النبي ﷺ على العبادة وتحري ليلة القدر.

٢ ـ اجتهاده صلوات الله وسلامه عليه من أول رمضان واعتكافه العشر الأول لالتماس ليلة القدر.

٣ ـ شدة حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الاقتداء به ﷺ ومتابعتهم له، فإنهم قد اعتكفوا معه من أول الشهر.

٤ ـ سرعة استجابة الرسول ﷺ، فإنه لما جاءه جبريل وأخبره أن الذي يطلب (وهو ليلة القدر) أمامه اعتكف العشر الأوسط ولم يسأل جبريل عن موعد ما أمامه ولكنه بادر باستئناف الاعتكاف.

٥ ـ الصبر على الطاعة كان ديدن النبي ﷺ وأصحابه، لأنه لما قال له جبريل: «إن الذي تطلب أمامك»، فما كان منه ﷺ إلا أن استأنف اعتكافه، ومعه الصحابة رضي الله عنهم.

٦ ـ حرص النبي ﷺ على تبليغ أمته الخير؛ وذلك يتمثل في قيامه خطيبا في أصحابه صبيحة اليوم العشرين ليبين لهم ما أخبره به جبريل من تحري ليلة القدر في العشر الأواخر.

٧ ـ أن النسيان جائز في حقه ﷺ، ولا نقص عليه في ذلك لا سيما فيما لم يؤذن له في تبليغه، وقد يكون في ذلك مصلحة شرعية كما في السهو في الصلاة.

٨ ـ أن من الرؤيا ما يقع تعبيره مطابقا في الواقع لما رآه النائم.

٩ ـ أن رؤيا الأنبياء حق، وأن الأحكام الشرعية ترتب عليها، بخلاف غيرهم.

١٠ ـ جواز السجود في الطين، وذلك لفعل النبي ﷺ.

١١ ـ تواضع النبي ﷺ، وتحقيقه لعبودية ربه عز وجل.

١٢ ـ وقوع علامة من علامات النبوة ودلائلها، وذلك أن السماء لم يكن فيها سحاب عندما أخبر النبي ﷺ، ولكن جاءت قزعة أي قطعة من السحاب فأمطرت فصدقت رؤيا رسول الله ﷺ.

إلى غير ذلك من الفوائد الجمة والعلم الغزير الذي يؤخذ من مجموع روايات هذا الحديث الذي هو من جوامع كلمه ﷺ.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومن المسلمين جميعا الصيام والقيام والاعتكاف، وأن يوفقنا لقيام ليلة القدر، وأن يجعل كل أعمالنا إيمانا واحتسابا، وأن يُخْلِصَ له سبحانه أعمالنا وأقوالنا وتروكنا وصمتنا، وأن يثبت قلوبنا على الحق وعلى الصراط المستقيم حتى نلقاه وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

منزلة أصحاب

الحمد لله وحده، حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أرسله الله رحمة للعالمين وهاديا إلى صراط الله المستقيم وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادَةُ أحدِهم يمينَهُ، ويمينُه شهادَتَه».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أربعة مواضع من صحيحه في كتاب الشهادات وكتاب المناقب وكتاب الرقائق وكتاب الإيمان، كما أخرجه الإمام مسلم في المناقب وكذا أخرجه الإمام الترمذي في المناقب والنسائي في السنن الكبرى وابن ماجه في الأحكام والإمام أحمد في المسند.

أحاديث أخرى في الموضوع نفسه:

١ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَهُ». أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

٢ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عُمُرَه». أخرجه ابن ماجه وحسنه الألباني.

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». رواه الطبراني وحسنه الألباني، ورواه الخطيب البغدادي عن أنس رضي الله عنه.

٤ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ذكر أصحابي فامسكوا وإذا ذكرت النجوم فامسكوا وإذا ذكر القَدَرُ فامسكوا» رواه الطبراني، ورواه ابن عدي في الكامل عن ابن مسعود وابن عمرو وثوبان.

٥ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فَيُفْتَحُ لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فَيُفْتَحُ لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فَيُفْتَح لهم». أخرجه البخاري ومسلم.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

رسول الله صلى الله عليه وسلم

إعداد
زكريا حسيني

٦ ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماءَ ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبْتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». أخرجه مسلم في صحيحه.

٧ ـ عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذكَرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا، قال النبي ﷺ: «إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفُون، ويظهر فيهم السمن» (أي تسمن أجسادهم) متفق عليه. وفي رواية «خيركم قرني» وفي رواية لمسلم «إن خيركم قرني».

شرح الحديث

تعريف الصحابي:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الصحابي اختلافًا كبيرًا، ولكن من أجمع التعاريف ما ذكره ابن حجر في الإصابة قال: أصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي هو كل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز، ومن راه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ثم قال ابن حجر رحمه الله تعالى: وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين، كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل وغيرهما. اهـ.

[نقله صاحب الباعث الحثيث عن الإصابة]

قال أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين، قال: وكان المراد بهذا ـ إن صح عنه ـ راجع إلى المحكي عن الأصوليين. [علوم الحديث]

بم يعرف الصحابي؟

قال ابن الصلاح: ثم إن كون الواحد منهم صحابيًا تارة يعرف بالتواتر، وتارة بالاستفاضة القاصرة عن التواتر، وتارة بأن يُرْوَى عن آحاد الصحابة أنه صحابي، وتارة بقوله وإخباره عن نفسه ـ بعد ثبوت عدالته ـ أنه صحابي. [علوم الحديث]

وأضاف ابن حجر في الإصابة قوله: ويشترط لقبول هذا أن يكون في المدة الممكنة، وأقصاها ـ مائة سنة بعد وفاة النبي ﷺ، وكذا أضاف قوله: أن يروى عن أحد التابعين أن فلانا له صحبة.

عدالة الصحابة:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في «الباعث الحثيث اختصار علوم الحديث»: والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، لما أثنى الله ـ عز وجل ـ عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل. اهـ

أما ما جاء في كتاب الله عز وجل في شأن أصحاب النبي ﷺ والثناء عليهم فهو كثير إجمالا وتفصيلا وتصريحا وتلميحًا فمن ذلك:

١ ـ قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] قال أبو عمرو بن الصلاح: قيل: اتفق المفسرون على أنه وارد في أصحاب رسول الله ﷺ.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] قال ابن الصلاح: وهذا خطاب مع الموجودين حينئذ.

٣ ـ وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٤].

٥ ـ وقال عز وجل: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٨٨-٨٩].

٦ ـ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

٧ ـ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

٨ ـ وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

٩ ـ وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦].

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧].

١١ ـ وقال تعالى: ﴿... لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠].

١٢ ـ وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:٨-١٠].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عقب الآية الثالثة من هذه الآيات (١٠): وما أحسن ما استنبطه الإمام مالك من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له نصيب في مال الفيء لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وأما ثبوت عدالة أصحاب النبي ﷺ في السنة والثناء عليهم فهو كثير وكثير جدًا وقد أوردنا في أول الموضوع سبعة أحاديث فيها التحذير من تنقص الصحابة أو سبهم، ونضيف هنا بعض أقوال الصحابة أنفسهم في هذا الشأن، فمن ذلك:

١ ـ ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

رأوا سيئًا فهو عند الله سيء» [ح رقم ٣٦٠٠].

٢ ـ ما رواه الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون ويحدثون». [ح رقم ١٧٤١١].

٣ ـ ما رواه الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة عن عائشة رضي الله عنها: «أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوهم» وفي رواية قالت لعروة: «يا ابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد فسبوهم». [ح رقم ١٧٣٨]

٤ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره».

[أخرجه الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة برقم ١٥]

هذا وما ورد عن التابعين وتابعي التابعين أكثر من أن يُحصى في هذا الشأن.

عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في عقيدة أهل السنة والجماعة في صحابة الرسول ﷺ: إن أهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، وقد ثبت بقول الرسول ﷺ أنهم خير القرون، وأن المدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا، ثم إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنة تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة النبي ﷺ فهم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفَّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين؟ إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما مَنَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، إنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها.

[انتهى من مجموع الفتاوى جـ٣ ص١٥٥-١٥٦]

فأهل السنة والجماعة يقبلون ما جاء في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله ﷺ مؤمنين به فيحبون أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، ويقدمون من أنفق من قبل الفتح وقاتل في سبيل الله على من أنفق من بعد وقاتل، ويعلمون أنَّ (كلا وعد الله الحسنى)، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال لهم: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» [كما جاء ذلك في صحيح مسلم]، ويؤمنون بأنه لن يدخل النار أحد ممن بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة [كما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه]، ويشهدون بالجنة لمن شهد لهم رسول الله ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم ممن عينهم رسول الله ﷺ، كما يؤمن أهل السنة والجماعة أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق، ثم ذو النورين عثمان، ثم أبو السبطين علي رضي الله عنهم أجمعين، كما أنه من عقيدة أهل السنة والجماعة الإمساك وعدم الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. كذلك من معتقدهم؛ حب أصحاب النبي ﷺ كلهم، لا يفرطون في حبهم ولا يغلون، ولا يتبرأون من أحد منهم، ويبغضون من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا يذكرونهم إلا بخير، فحبهم دين وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

وفي ذلك يقول أبو زرعة الرازي ـ رحمه الله ـ:

(إذا رأيت الرجل يتنقص أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة) اهـ. الكفاية في علم الرواية.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

من يطعن في الصحابة

قال الإمام ابن كثير في «الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث»:

وقول المعتزلة: (الصحابة عدول إلا من قاتل عليًا) قول باطل مرذول مردود. وقد ثبت في صحيح البخاري عن الرسول ﷺ أنه قال عن ابن ابنته الحسن بن علي - وكان معه على المنبر - «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

ثم قال ابن كثير: وأما طوائف الروافض وجهلهم وقلة عقلهم، ودعاويهم أن الصحابة كفروا إلا سبعة عشر صحابيًا، وسمُّوهم، فهو من الهذيان بلا دليل إلا مجرد الرأي الفاسد عن ذهن بارد، وهوًى متبع، وهو أقل من أن يردَّ، والبرهان على خلافه أظهر وأشهر، مما عُلِمَ من امتثالهم - أي الصحابة - أوامره بعده عليه الصلاة والسلام، وفتحهم الأقاليم والآفاق، وتبليغهم عنه الكتاب والسنة، وهدايتهم الناس إلى طريق الجنة، ومواظبتهم على الصلوات والزكوات وأنواع القربات في سائر الأحيان والأوقات، مع الشجاعة والبراعة، والكرم والإيثار، والأخلاق الجميلة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة، ولا يكون أحد مثلهم في ذلك، فرضي الله عنهم أجمعين، ولعن من يتهم الصادق ويصدق الكاذبين، آمين يا رب العالمين.

تنقص بعض المعاصرين للصحابة

وبعد: فإن كلام العلماء من أهل الحق في ذلك كثير وذكره يطول، وفي هذا القدر كفاية لمن أراد الله له الهداية وسدده ووفقه.

فهل يسوغ لأحد بعد أن عرف هذه النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، بل أما أجمعت عليه أمة الإسلام - إلا من لا عبرة بخلافه - نقول: هل يسوغ لأحد بعد ذلك أن يطعن أو يغمز خير الخلق بعد الأنبياء فيشارك بذلك الروافض الذين فاقوا اليهود والنصارى في هذا الشأن، متعلقًا ببعض الأحاديث التي ينبغي لمن أوردها وأراد أن يفهمها أن يضعها بجوار النصوص الكثيرة السالفة الذكر في فضائل الصحابة؟ وذلك حتى يفهمها فهمًا صحيحًا كالذي أراد أن يعيد النظر في تعريف الصحابي، وعدالة الصحابة، وجواز انتقاد الصحابة بناء على ما قرأه من حديث في مسند أحمد، وآخر في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني وهو قوله ﷺ: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه» وفي الحديث الآخر: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أموت أبدًا». والحديثان يتفقان مع حديث حذيفة الذي يخبر فيه أن الرسول ﷺ أعلمه بأسماء المنافقين، فلما علم بذلك عمر استحلف حذيفة أن يخبره «هل أنا منهم؟» وأن الصحابة كانوا يخشون على أنفسهم النفاق، وكذلك الأحاديث التي فيها من يذادون عن الحوض فيقول النبي ﷺ: «يا رب أصحابي» فيقال له: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» فيقول ﷺ: «ألا فسحقًا ألا فسحقًا»، وكذلك لما أعلم الله نبيه بالمنافقين قال عمر وغيره من الصحابة: ألا نقتلهم؟ فيقول ﷺ: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه» فالمنافقون كانوا فيما يبدو للناس من أصحاب النبي ﷺ لأنهم يصلون معه في مسجده، ولكنهم كانوا إذا أتت الشدائد يظهر أمرهم باختلاق الأعذار، فالمقصود إذن في هذه النصوص بمن لا يرى النبي ﷺ من أصحابه أولئك المنافقون الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ويتمنون لو وجدوا أي مطعن أو فرصة للقضاء على الإسلام وأهله.

فهل يليق بمسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه أن يشارك أهل الباطل من أعداء الإسلام وأعداء السنة بأن يطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، فإن الطعن فيهم إنما هو طعن في الكتاب والسنة لأن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين نقلوا لنا القرآن والسنة، والطعن في الناقل طعن في المنقول بل قال بعض العلماء إنه طعن في ذات الله عز وجل، الذي تكفل بحفظ كتابه، فاختار هؤلاء الأصحاب لحفظ الكتاب والدين ونقله لمن بعدهم من التابعين.

نسأل الله تعالى أن يهدينا وإخواننا المسلمين صراطه المستقيم وأن يجنبنا الأهواء والبدع، وأن يحمينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يباعد بيننا وبين عقائد أهل الباطل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

الحج عن الغير

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على المصطفى المبعوث رحمة وهداية للناس أجمعين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد..

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أردف النبي ﷺ الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلا وضيئًا، فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ، فطفق الفضل ينظر إليها، وأعجبه حسنها، فالتفت النبي ﷺ والفضل ينظر إليها، فأخلف بيده فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها، فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: «نعم».

إعداد/ زكريا حسيني

أولا: تخريج الحديث

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في أربعة مواضع، أولها: في كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله برقم (١٥١٣). والثاني في كتاب جزاء الصيد، باب: الحج عمن لا يستطيع أن يثبت على الراحلة برقم (١٨٥٤) وباب حج المرأة عن الرجل برقم (١٨٥٥). والثالث في كتاب: المغازي، باب: حجة الوداع برقم (٤٣٩٩) والرابع في كتاب الاستئذان، باب: قول الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ برقم (٦٢٢٨).

وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح في كتاب الحج باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما او للموت برقم (١٣٣٤) وبرقم (١٣٣٥)، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب المناسك باب الرجل يحج عن غيره برقم (١٨٠٩) وأخرجه الإمام الترمذي في جامعه في كتاب الحج، باب: ما جاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت برقم (٩٢٨)، والإمام النسائي في سننه، في كتاب: مناسك الحج، باب: حج المرأة عن الرجل برقم (٢٦٤٢)، والإمام ابن ماجه في سننه في كتاب المناسك، باب: الحج عن الحي إذا لم يستطع برقم (٢٩٠٧) والإمام مالك في الموطأ في كتاب الحج، باب: الحج عمن يحج عنه، والإمام أحمد في المسند بالأرقام [١/٧٦، ١٥٧، ٢١٢، ٢١٩، ٢٥١، ٣٢٩، ٣٤٦، ٣٥٩] والإمام الدارمي في سننه في كتاب المناسك.

ثانيا: أحاديث في الموضوع نفسه

منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول: لبيك عن شُبْرُمة. قال: «ومن شبرمة؟» قال: أخ لي - أو قريب لي - فقال:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

«حجت عن نفسك؟» قال: لا، قال: «فحج عن نفسك ثم حج عن شبرمة». [أخرجه ابو داود في المناسك باب الرجل يحج عن غيره، وابن ماجه في المناسك وابن حبان في صحيحه] ومنها حديث أبي رزين العقيلي قال: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن، قال: «احجج عن أبيك واعتمر». [أخرجه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي وابن ماجه] ومنها حديث بريدة قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي ماتت ولم تحج، أفأحج عنها؟، قال: «نعم حجي عنها» أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومنها حديث ابن عباس أن امرأة سألت النبي ﷺ عن أبيها مات ولم يحج، قال: «حجي عن أبيك». [أخرجه النسائي]

ومنها حديث حصين بن عوف قال: قلت يا رسول الله: إن أبي أدركه الحج ولا يستطيع الحج إلا معترضا، فَصَمَتَ ساعة، ثم قال: «حُجَّ عن أبيك». [أخرجه ابن ماجه]

ثالثا: شرح الحديث

(أ) تعريف بالفضل بن عباس رضي الله عنهما:

هو الفضل بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد ويقال: أبو العباس المدني ابن عم رسول الله ﷺ، وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية وكان شقيق عبد الله بن عباس، روى عنه أخوه عبد الله وغيره، غزا مع رسول الله ﷺ مكة وحنينًا، وثبت معه يومئذ حين ولى الناس، وشهد معه حجة الوداع وأردفه رسول الله ﷺ. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ زوجه وأمهر عنه، وكان فيمن غَسَّلَ النبي ﷺ وولي دفنه، مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(ب) مفردات الحديث:

الرديف: الراكب خلف الراكب.

خثعم: اسم قبيلة مشهورة.

الوضيء: حسن الوجه جميل الصورة.

عَجُزُ الراحلة: مؤخرها.

فأخلف يده: أدارها من خلفه.

الذقن: مجتمع اللحيين من أسفلهما، العظم أسفل الفم.

لا يستطيع أن يستوي: أي لا يستطيع أن يثبت على الراحلة لشيخوخته وكبر سنه.

فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ أي: فهل يجزئ عنه أن أحج عنه؟.

(جـ) معنى الحديث وفقهه:

في هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي سُقناها مشروعية الحج عن الغير، قال الحافظ في الفتح: واستدل الكوفيون بعمومه على جواز أن يحج الإنسان عن غيره وإن لم يحج عن نفسه، وخالفهم الجمهور فخصوه بمن حج عن نفسه واستدلوا بحديث ابن عباس فيمن سمعه النبي ﷺ يقول: «لبيك عن شُبْرُمَة» فقال: «أحججت عن نفسك؟» قال: لا، قال: «هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمة». قال الحافظ: واستُدل به على أن الاستطاعة تكون بالغير كما تكون بالنفس، وعكس بعض المالكية فقال: من لم يستطع بنفسه لم يلاقه الوجوب. وأجابوا عن حديث الباب بأن ذلك وقع من السائل على سبيل التبرع وليس في شيء من طرقه تصريح بالوجوب. وبانها عبادة بدنية فلا تصح النيابة فيها كالصلاة، وقد نقل الطبري وغيره الإجماع على أن النيابة لا تدخل في الصلاة، ثم قال الحافظ ابن حجر: وأجيب بأن قياس الحج على الصلاة لا يصح؛ لأن عبادة الحج مالية بدنية معًا فلا يترجح إلحاقها بالصلاة على إلحاقها بالزكاة. وقال عياض: لا حجة للمخالف في حديث الباب؛ لأن قوله: «إن فريضة الله على عباده في الحج...» معناه: إن إلزام الله عباده بالحج. وتعقب أيضا بأن في بعض طرقه التصريح بالسؤال

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

عن الإجزاء فيتم الاستدلال. وفي بعض طرق مسلم «إن أبي عليه فريضة الله في الحج» ولأحمد في رواية «والحج مكتوب عليه». وادعى بعضهم أن هذا الحديث مخصوص به أبو الخثعمية والخثعمية، كما خُص سالم مولى أبي حذيفة برضاعه في حال الكبر، قال ابن عبد البر: وممن قال بذلك مالك وأصحابه، وهو مروي عن عبد الله بن الزبير وعكرمة وعطاء والضحاك، قال الحافظ ابن حجر: وتعقب بأن الأصل عدم الخصوصية وقد قال ﷺ للمرأة الجهنية: «اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»، قال: وادعى آخرون منهم أن ذلك خاص بالابن يحج عن أبيه ولا يخفى أنه جمود. اهـ. وكذلك يرده حديث من لبى عن شبرمة بقوله: أخ لي أو قريب لي.

عمن تكون النيابة في حج الفريضة؟؟

قال الحافظ في الفتح: واتفق من أجاز النيابة في الحج على أنها لا تجزئ في الفرض إلا عن موت أو عطب فلا يدخل المريض؛ لأنه يرجى برؤه، ولا المجنون؛ لأنه يرجى إفاقته، ولا المحبوس؛ لأنه يرجى خلاصه ولا الفقير؛ لأنه يرجى استغناؤه، والله أعلم. وأما في النافلة فلا يشترط الموت والعطب، والله أعلم.

هل يلزم المحرَم للمرأة في حج الفريضة؟

قال أبو عمر ابن عبد البر: وقد زعم بعض أصحابنا أن في هذا الحديث دليلا على أن للمرأة أن تحج وإن لم يكن معها ذو محرم؛ لأن رسول الله ﷺ قال للمرأة الخثعمية: «حجي عن أبيك» ولم يقل: إن كان معك محرم. ثم قال: وهذا ليس بالقوي من الدليل؛ لأن العلم ما نطق به لا ما سكت عنه، وقد قال ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر إلا مع ذي محرم أو زوج». [رواه مسلم من حديث ابن عمر]. ورواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر أيضًا: «لا تسافر المرأة ثلاثا إلا ومعها ذو محرم».

من الفوائد في هذا الحديث

١ ـ ركوب شخصين على دابة إذا كانت الدابة تطيق ذلك، قال ابن عبد البر: هذا مما لا خلاف في جوازه.

٢ ـ إباحة الارتداف؛ فإن رسول الله ﷺ أردف الفضل، كما أردف عبد الله بن عبّاس وأردف معاذ بن جبل وغيرهم.

٣ ـ تواضع الرسول ﷺ، قال ابن عبد البر: وأفعال الرسول ﷺ كلها سُنَنٌ مرغوب فيها يحسن التأسي بها على كل حال، ومنها جميل الارتداف بالجليل من الرجال.

٤ ـ بيان ما رُكِّبَ في الآدميين من الشهوات وما يخشى من نظر الرجال إلى النساء والنساء إلى الرجال، قال ابن عبد البر: وكان الفضل بن عباس من أجمل الشبان في زمانه، ووقع في رواية الطبري في آخر الحديث قوله ﷺ: «رأيت غلاما حدثا وجارية حدثة فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان».

٥ ـ أن على العالم والإمام أن يغير من المنكر كل ما يمكنه بحسب ما يقدر عليه إذا رآه، وليس عليه ذلك فيما غاب عنه.

٦ ـ فيه دليل على أنه يجب على الإمام أن يحول بين الرجال والنساء اللواتي لا يُؤمَن عليهن ولا منهن الفتنة، وأن يمنعهن من الخروج والمشي في الحواضر والأسواق وحيث ينظرن إلى الرجال وينظر الرجال إليهن، أفاده ابن عبد البر وروى حديث أسامة بن زيد «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه]

٧ ـ منزلة الفضل بن العباس رضي الله عنهما من النبي ﷺ.

٨ ـ تحريم النظر إلى الأجنبيات ووجوب غض البصر عنهن، قال الحافظ في الفتح: قال عياض: وزعم بعضهم أنه غير واجب إلا عند خشية الفتنة، قال: وعندي أن فعله ﷺ إذ غطى وجه الفضل أبلغ من القول. ثم قال: لعل الفضل لم ينظر نظرًا ينكر، بل خشي عليه أن يئول إلى ذلك.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

٩ ـ جواز كلام المرأة وسماع صوتها للأجانب عند الضرورة كالاستفتاء عن العلم.

١٠ ـ بر الوالدين والاعتناء بأمرهما والقيام بمصالحهما من قضاء دين وخدمة ونفقة وغير ذلك من أمور الدين والدنيا.

١١ ـ قال ابن العربي: حديث الخثعمية أصل متفق على صحته في الحج خارج عن القاعدة المستقرة في الشريعة من أن ليس للإنسان إلا ما سعى رفقا من الله تعالى في استدراك ما فرط فيه المرء بولده وماله.

١٢ ـ فيه صحة حج المرأة عن الرجل والرجل عن المرأة، خلافا لمن منع حج المرأة عن الرجل معللا أن حج المرأة غالبا ما يعتريه النقص وأنها تلبس ولا يلبس، فقد أباح النبي ﷺ للمرأة السائلة أن تحج عن أبيها.

١٣ ـ فيه جواز أن يعرض الرجل ابنته على الرجل الصالح؛ وذلك لما جاء في رواية أبي يعلى لهذا الحديث بإسناد قوي ـ كما قال ابن حجر ـ عن ابن عباس عن الفضل بن عباس قال: كنت ردف النبي ﷺ وأعرابي معه بنت له حسناء فجعل الأعرابي يعرضها لرسول الله ﷺ رجاء أن يتزوجها، وجعلت التفت إليها، ويأخذ النبي ﷺ برأسي فيلويه...».

الاستئجار على الحج

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: في الحج عن الميت أو المعضوب بمال يأخذه، فإما أن يكون المال الذي يأخذه نفقة فهذا جائز بلا خلاف، وإما أن يكون أجرة على الحج أو جعلا، فهذا فيه نزاع بين الفقهاء، فمن أصحاب الشافعي من استحب ذلك وقال: هو من أطيب المكاسب؛ لأنه يعمل صالحًا ويأكل طيبًا، والمنصوص عن أحمد أنه قال: لا أعرف في السلف من كان يعمل هذا، وعده بدعة، وكرهه، ولم يكره إلا الإجارة والجعالة، قلت ـ القائل ابن تيمية ـ: حقيقة الأمر في ذلك أن الحاج يستحب له ذلك إذا كان مقصوده أحد شيئين: الإحسان إلى المحجوج عنه بإبراء ذمته في الفرض وهذا بمنزلة قضاء دينه كما جاء ذلك في عدة أحاديث.

فإن كان مقصود الحاج قضاء هذا الدين الواجب عن هذا فهذا محسن إليه، والله يحب المحسنين فيكون مستحبًا، وذلك يكون الباعث عليه إما رحم بينهما وإما مودة وصداقة أو إحسان له عليه يكافئه به ويأخذ من المال ما يستعين به على أداء الحج عنه بمقدار الكفاية، وكذا لو وصّى بحجة مستحبة وأحب إيصالها إليه. ولهذا جوزنا نفقة الحج بلا نزاع.

والموضع الثاني: إذا كان الرجل مؤثرًا أن يحج محبة للحج وشوقًا إلى المشاعر، وهو عاجز فيستعين بالمال المحجوج به على الحج، وهذا قد يعطى المال ليحج به لا عن أحد، كما يعطى المجاهد المال يغزو به، فلا شبهة فيه، فيكون لهذا أجر الحج ببدنه ولهذا أجر الحج بماله، كما في الجهاد فإنه «من جهز غازيًا فقد غزا»، وقد يعطى المال ليحج به عن غيره، وهذا أيضا إنما يأخذ ما ينفقه في الحج كما لا يأخذ إلا ما ينفقه في الغزو. قال: فهاتان صورتان مستحبتان، وهما الجائزتان من أن يأخذ نفقة الحج ويرد الفضل ـ أي الزيادة ـ.

وأما إذا كان قصده الاكتساب بذلك فهو صورة الإجارة والجعالة، والصواب أن هذا ليس مستحبًا، وإن قيل بجوازه؛ لأن العمل المعمول للدنيا ليس بعمل صالح في نفسه إذا لم يقصد به إلا المال فيكون من نوع المباحات، ومن أراد الدنيا بعمل الآخرة فليس له في الآخرة من خلاق. [انتهى بتصرف واختصار من مجموع الفتاوى جـ٢٦ ص١٤ وما بعدها]

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

رضاع الكبير

إعداد
زكريا حسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وبعد:

أخرج أبو داود في سننه عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: أَنَّ أَبَا حُذَيْفَةَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ كَانَ تَبَنَّى سَالِمًا وَأَنْكَحَهُ ابْنَةَ أَخِيهِ هِنْدَ بِنْتَ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهو مَوْلًى لِامْرَأَةٍ مِنَ الأنصار، كما تَبَنَّى رسولُ اللهِ ﷺ زيدًا، وكان مَنْ تَبَنَّى رَجُلاً في الجَاهِلِيَّةِ دَعَاهُ النَّاسُ إِلَيه وَوَرِثَ مِيرَاثَهُ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في ذَلِكَ: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [الاحزاب: ٥]، فَرُدُّوا إلى آبَائِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُعْلَمْ لَهُ أَبٌ كَانَ مَوْلًى وَأَخًا في الدِّينِ، فَجَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ بْنِ عَمْرٍو القُرَشِيِّ ثُمَّ العَامِرِيِّ وَهِيَ امْرَأَةُ أبي حُذَيْفَةَ، فَقَالَتْ: يَا رسولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا فَكَانَ يَأْوِي مَعِي وَمَعَ أبي حُذَيْفَةَ في بَيْتٍ وَاحِدٍ وَيَرَانِي فُضُلًا، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَدْ عَلِمْتَ فَكَيْفَ تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ لَهَا النبيُّ ﷺ: «أَرْضِعِيهِ» فَأَرْضَعَتْهُ خَمْسَ رَضَعَاتٍ، فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَبِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ تَأْمُرُ بَنَاتِ أَخَوَاتِهَا وَبَنَاتِ إِخْوَانِهَا أَنْ يُرْضِعْنَ مَنْ أَحَبَّتْ عَائِشَةُ أَنْ يَرَاهَا وَيَدْخُلَ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا خَمْسَ رَضَعَاتٍ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهَا. وَأَبَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُدْخِلْنَ عَلَيْهِنَّ بِتِلْكَ الرَّضَاعَةِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى يُرْضَعَ في المَهْدِ. وقُلْنَ لِعَائِشَةَ: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي، لَعَلَّهَا كَانَتْ رُخْصَةً مِنَ النبيِّ ﷺ لِسَالِمٍ دُونَ النَّاسِ.

وأخرج هذا الحديث من حديث عروة بن الزبير الإمام مالك في الموطأ في كتاب الرضاع، وعنه الإمام الشافعي في الأم، ولقد رُوي هذا الحديث مختصرًا بحذف بعض ألفاظه، وبسياق دون هذا السياق، فقد أخرجه الإمام البخاري في المغازي وفي النكاح، والإمام مسلم في الرضاع، والنسائي في كتاب النكاح، باب رضاع الكبير، وابن ماجه في النكاح باب رضاع الكبير وهؤلاء ثلاثتهم أخرجوه من حديث القاسم عن عائشة، وأخرج الخبر في إباء (أي رفض) سائر أزواج النبي ﷺ فعل ما فعلته عائشة رضي الله عنهن أجمعين، على أن ذلك كان رخصة لسالم وحده؛ مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ. وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/٢٥٥، ٢٦٩، ٢٧٠)، والدارمي وعبد الرزاق عن عائشة رضي الله عنها.

شرح الحديث

قوله: «إن أبا حذيفة تبنى سالمًا» التبني معروف، وهو أن يلحق الرجل بنفسه ابنا ليس له، وقد كان في الجاهلية قبل الإسلام يُلحق الرجل بنفسه الابن ويعده من أبنائه حتى إنهما ليتوارثان، فأبطل الإسلام ذلك، وأمر أن يُردّ كل رجل إلى أبيه، وأن يُدّعى به، والذي لا يُعْلَمُ له أب يصير من موالي الشخص ومن إخوانه في الدين.

قوله: «وأنكحه ابنة أخيه» هذا الفعل من أبي حذيفة دليل على تبنيه سالمًا وشدة عنايته به. على أن العربي كان يفرق

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

في المعاملة بين المولى وغيره، فأبو حذيفة عملا منه بالتبني زوَّجَ سالمًا ابنة أخيه ولم يأنف من ذلك لأنه عده ابنه على الحقيقة، ولو كان يعده مولى ما زوجه ابنة أخيه كما هي عادة العرب في جاهليتهم.

قوله: «فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو امرأة أبي حذيفة فقالت: يا رسول الله، إنا كنا نرى سالمًا ولدًا وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد ويراني فُضُلاً، وقد أنزل الله تعالى فيهم ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟» فأما قولها: كنا نرى سالمًا ولدًا فلأنهم تبنوه، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد. وفي رواية: وليس لنا إلا بيت واحد، وقولها: ويراني فُضُلاً: أي متبذلة في ثياب مهنتها، أو في ثوب واحد لا إزار تحته.

قوله: «أرضعيه». وفي رواية: «أرضعيه حتى يدخل عليك». وفي رواية: «أرضعيه تحرمي عليه». وفي رواية أخرى لما قالت: يا رسول الله، إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم وهو حليفه، فقال النبي ﷺ: «أرضعيه». فقالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير، فتبسَّم رسول الله ﷺ، وقال: «قد علمت أنه كبير». وفي رواية أخرى: أن أم سلمة رضي الله عنها قالت لعائشة رضي الله عنها: إنه يدخل عليك الغُلامُ الأيْفَعُ الذي ما أحب أن يدخل عليَّ، فقالت عائشة رضي الله عنها: أما لك في رسول الله أسوة؟ إن امرأة أبي حذيفة قالت: يا رسول الله، إن سالمًا يدخل عليَّ وهو رجل، وفي نفس أبي حذيفة منه شيء، فقال رسول الله ﷺ: «أرضعيه حتى يدخل عليك». والغلام الأيفع في قول أم سلمة: أي الغلام الذي لم يبلغ الحلم.

مذاهب العلماء في رضاع الكبير

قال أبو عمر بن عبد البر: وهو مذهب عائشة من بين أزواج النبي ﷺ، أي أن القول بهذا الحديث وهو حديث سالم مولى ابي حذيفة، أخذت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال: حملت عائشة حديثها هذا في سالم على العموم، فكانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر وبنات إخوانها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحبت أن يدخل عليها.

قال: ورأى غيرها هذا الحديث خصوصًا في سالم- أي خاصًا به لا يقاس عليه غيره.

ثم قال رحمه الله تعالى: واختلف العلماء في ذلك كاختلاف أمهات المؤمنين:

- فذهب إلى القول بأن رضاعة الكبير تحرم كل من: الليث بن سعد، وعطاء بن أبي رباح وابن علية، قال الشوكاني وحكاه النووي عن داود الظاهري، وإليه ذهب ابن حزم، وقال أيضًا: وهو مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما حكاه عنه ابن حزم، وأما ابن عبد البر فأنكر الرواية عنه وقال: لا يصح.

ونقل ابن عبد البر عن مصنف عبد الرزاق عن ابن جريج قال: سمعت عطاءً يُسأل: قال له رجل: سقتني امرأة من لبنها بعد ما كنت رجلاً، أفأنكحها؟ قال: لا، قلت: ذلك رأيك؟ قال: نعم.

قال أبو عمر عقب ذلك: هكذا يكون رضاع الكبير- كما ذكر عطاءً- يحلب له اللبن ويسقاه، وأما أن تلقمه ثديها كما يصنع بالطفل فلا؛ لأن ذلك لا ينبغي عند أهل العلم.

ثم قال: وقد أجمع أهل العلم على التحريم بما يشربه الغلام الرضيع من لبن المرأة وإن لم يمصه من ثديها، وإنما اختلفوا في السعوط به وفي الحُقنة والوَجُور وفي جُبْنٍ يصنع له منه: (الوَجُورُ: الدواء يصب في الحلق).

وهؤلاء- القائلون بالتحريم برضاع الكبير- عمدتهم حديث عائشة رضي الله عنها الذي معنا.

ولقد ذكر عبد الرزاق في مصنفه عن ابن أبي مليكة بعد أن ساق حديث القاسم عن عائشة رضي الله عنها: فَمَكَثْتُ سنةً أو قريبًا منها لا أحدث به رهبة له، ثم لقيت القاسم، فقلت له: لقد حدثتني حديثًا ما حدثت به بعد، فقال: ما هو؟ فأخبرته، فقال: حدِّث به عني فإن عائشة أخبرتنيه.

قال ابن عبد البر: هذا يدل على أنه حديث ترك قديمًا، ولم يُعْمَلْ به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومه، بل تلقوه بالخصوص.

من لم ير رضاع الكبير من العلماء

ثم قال: وممن قال: إن رضاع الكبير ليس بشيء: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وأبو هريرة، وابن عباس، وسائر أمهات المؤمنين غير عائشة، وجمهور التابعين وجماعة فقهاء الأمصار منهم مالك وابن أبي ذئب وابن أبي ليلى وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد والطبري. اهـ.

واستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، كما استدلوا بأحاديث وآثار، منها:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي رجلٌ فقال: من هذا؟ قلت: أخي من الرضاعة. قال: يا عائشة انْظُرْنَ مَنْ إخْوانُكُنَّ فإنَّما الرَّضاعَةُ مِن المجاعَةِ.

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه]

٢- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يُحَرِّمُ من الرَّضاع إلاَّ مَا فَتقَ الأمعَاءَ وكان في الثَّدْيِ، وكان قبل الفطَامِ».

[أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه]

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رضاع إلا ما كان في الحولين».

[رواه الدارقطني]

٤- عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا رضاع بعد انفصال ولا يُتم بعد احتلام».

[رواه أبو داود الطيالسي في مسنده]

٥- وعن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه: «لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم». أخرجه أبو داود.

٦- روى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن رجلاً سأل أبا موسى الأشعري فقال: إني مصصت عن امرأتي من ثديها لبنًا، فذهب في بطني، فقال أبو موسى: لا أراها إلا قد حرمت عليك، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: انظر ماذا تفتي به الرجل؟ فقال أبو موسى: فماذا تقول أنت؟ فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لا رضاعة إلا ما كان في الحولين، فقال أبو موسى: يا أهل الكوفة لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحبر بين أظهركم.

٧- جاء رجل إلى عبد الله بن عمر يسأله عن رضاعة الكبير، فقال عبد الله بن عمر: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال: إني كانت لي وليدة وكنت أطؤها، فعمدت امرأتي إليها فأرضعتها، فدخلت عليها، فقالت: دونك، فقد والله أرضعتها، فقال عمر: أوجعها وأْتِ جاريتك، فإنما الرضاعة رضاعة الصغير. [أخرجه مالك في الموطأ]

قال أبو عمر بن عبد البر: قد ذكرنا أنَّ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب كانا لا يريان رضاعة الكبير شيئًا، فيمن ذكرنا من الصحابة في هذا الباب، وقال أيضًا: وقد ذكرنا أن أبا موسى رجع إلى قول ابن مسعود في هذه المسألة من رضاع الكبير، ولولا أنه بانَ له أنَّ الحقَّ في قول ابن مسعود ما رجع إليه، ولا يزال الناس بخير ما انصرفوا إلى الحق إذا بان لهم.

[اهـ من الاستذكار بتصرف]

ولقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد مناظرة بين القائلين برضاع الكبير وبين القائلين بالحولين وأطال فيها ونحن نورد هنا ما تلخص من هذه المناظرة: قال المتعلقون بحديث عائشة بخصوص قصة سالم مولى أبي حذيفة:

هذا الحديث رواه من الصحابة أمهات المؤمنين، وسهلة بنت سهيل، وهي من المهاجرات، وزينب بنت أم سلمة وهي ربيبة النبي ﷺ، ورواه من التابعين القاسم بن محمد وعروة بن الزبير وحميد بن نافع، ورواه عن هؤلاء الزهري وابن أبي مليكة وعبد الرحمن بن القاسم ويحيى بن سعيد الأنصاري وربيعة، ثم رواه عن هؤلاء أيوب السختياني وسفيان الثوري وابن عيينة وشعبة ومالك وابن جريج وشعيب ويونس وجعفر بن ربيعة ومعمر وسليمان بن بلال وغيرهم، قال الشوكاني بعد أن نقل هذا الكلام: وهؤلاء هم أئمة الحديث المرجوع إليهم في أعصارهم، ثم رواه عنهم الجم الغفير والعدد الكثير، وقد قال بعض أهل العلم: إن هذه السنة بلغت طرقها نصاب التواتر. [اهـ من نيل الأوطار]

ذكر ابن القيم بعد ذلك ردود القائلين بثبوت التحريم برضاع الكبير على أصحاب الحولين مفندين لأدلتهم، وفي آخرها قال: قالوا: وقد صح عنها أنها كانت تدخل عليها الكبير إذا أرضعته الرضاع المحرم أخت من أخواتها، ونحن نشهد بشهادة الله، ونقطع قطعًا نلقاه به يوم القيامة، أن أم المؤمنين لم تكن لتبيح ستر رسول الله ﷺ بحيث ينتهكه من لا يحل له انتهاكه، ولم يكن الله عز وجل ليبيح ذلك على يد الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات، وقد عصم الله تعالى هذا الجناب الكريم والحمى المنيع والشرف الرفيع أتم عصمة، وصانهُ أعظم صيانة، وتولى صيانته وحمايته والذَّبَّ عنه بنفسه ووحيه وكلامه. إلى آخر كلامهم.

ثم ذكر رحمه الله تعالى أن القائلين بالحولين اختلفوا في حديث سهلة هذا على ثلاثة مسالك:

أحدها: أنه منسوخ، وهذا مسلك كثير منهم، قال: ولم يأتوا على النسخ بحجة سوى الدعوى، فإنهم لا يمكنهم إثبات التاريخ المعلوم التأخر بينه وبين تلك الأحاديث، ولو قلب أصحاب هذا القول عليهم الدعوى، وادعوا

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

نسخ تلك الأحاديث بحديث سهلة لكانت نظير دعواهم.

المسلك الثاني: أنه مخصوص بسالم دون من عداه، وهذا مسلك أم سلمة رضي الله عنها ومن معها من نساء النبي ﷺ ومن تبعهن، قال: وهذا المسلك أقوى مما قبله- أي أن مسلك التخصيص أقوى من مسلك النسخ- ثم ذكر أقوال أصحاب هذا القول إلى أن قال:

قالوا: ويتعين هذا المسلك لأنا لو لم نسلكه لَزِمَنَا أحد مسلكين، ولابد منهما، إما نسخ هذا الحديث بالأحاديث الدالة على اعتبار الصغر في التحريم، وإما نسخها به، ولا سبيل إلى واحد من الأمرين لعدم العلم بالتاريخ، ولعدم تحقق المعارضة ولإمكان العمل بالأحاديث كلها.

ثم قال رحمه الله تعالى فيما أورده من ردود أصحاب الحولين: وأما حديث الستر المصون والحرمة العظيمة والحمى المنيع، فرضي الله عن أم المؤمنين، فإنها وإن رأت أن هذا الرضاع يثبت المحرمية، فسائر أزواج النبي ﷺ يخالفنها في ذلك، ولا يرين دخول هذا الستر المصون والحمى المنيع بهذه الرضاعة، فهي مسألة اجتهاد، وأحد الحزبين مأجور أجرًا واحدًا، والآخر مأجور أجرين، وأسعدهما بالأجرين من أصاب حكم الله عز وجل ورسوله ﷺ في هذه الواقعة.

فكلٌ من المُدْخِل للستر المصون بهذه الرضاعة، والمانع من الدخول فائز بالأجر، مجتهد في مرضاة الله وطاعة رسوله وتنفيذ حكمه، ولهما أسوة بالنبيين الكريمين- داود وسليمان- اللذين أثنى الله عليهما بالحكمة والعلم، وخص بفهم الحكومة أحدهما.

المسلك الثالث: أن حديث سهلة ليس بمنسوخ، ولا مخصوص، ولا عام في حق كل أحد، وإنما هو رخصة للحاجة لمن لا يستغني عن دخوله على المرأة، ويشق احتجابها عنه، كحال سالم مع امرأة أبي حذيفة، فمثل هذا الكبير إذا أرضعته للحاجة أثر رضاعه، وأما من عداه فلا يؤثر إلا رضاع الصغير، وهذا مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، والأحاديث النافية للرضاع في الكبير إما مطلقة فتقيد بحديث سهلة، أو عامة في الأحوال فتخصص هذه الحال من عمومها، وهذا أولى من النسخ ودعوى التخصيص بشخص بعينه، وأقرب إلى العمل بجميع الأحاديث من الجانبين وقواعد الشرع تشهد له، والله الموفق. [انظر: من زاد المعاد (٥/)]

ويظهر فائدة الأخذ بقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مثل الحالات التي تقوم فيها أسرة بتربية طفل يتيم أو نحوه ثم يعسر عليهم بعد ذلك الاحتجاب عنه وقد تربى معهم كواحد من أولاد الأسرة، فحينئذ يرتضع هذا الغلام ويصبح محرمًا يدخل بلا حرج عليه ولا على للأسرة، والله المستعان.

وبعد، فهذه أحكام شريعتنا بيضاء ناصعة، ليلها كنهارها، كما تَرَكَنَا عليها رسولُ الله ﷺ، نرى فيها الطهر والعفاف، وتحري الحق والبحث عن الصواب بكل طريق، وقد علمت أخي المسلم قول بعض علمائنا كابن عبد البر: وهكذا يكون رضاع الكبير بأن تحلب المرأة لبنها في كوب ويشربه، لا أن تلقمه ثديها كما يفعل بالصغير، ولقد قال أيضًا في شرح كلمة «فُضُل» وقال ابن وهب: فُضُلٌ: مكشوفة الرأس والصدر. وقيل: الفُضُل التي عليها ثوب واحد ولا إزار تحته، قال: وهذا أصح إن شاء الله تعالى، لأن انكشاف الصدر لا يجوز أن يضاف إلى ذوي الدين عند ذي محرم ولا غيره، لأن الحرة عورة (مجتمع على ذلك منها) إلا وجهها وكفيها.

فالعجب ممن ينطلي عليه تشكيك أعداء الإسلام وما يلقونه من شبهات حول ديننا الحنيف دين العفة والطهر والنقاء، أولئك الذين لا يعرفون فضيلةً ولا حياءً ولا سترًا بل يعيشون متكشفين مختلطًا رجالهم بنسائهم كالأنعام أو كالحيوانات الضالة، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، ثم يتهجمون على ديننا وهم لا يعقلون، والعيب ليس فيهم، لكن العيب فيمن ينساق وراءهم من جهلة المسلمين الذين لا يميزون بين حق وباطل ولا بين هدى وضلال، أو ينطلي عليهم أقوال الروافض الذين اتخذوا من سب الصحابة دينًا ولا سيما خيارهم كالصديق والفاروق وابنتيهما كأمثال هؤلاء المستهزئين السافرين الذين يقولون: إذن؛ من كان عنده سائق أو خادم فلترضعه امرأته ويدخل عليها!! ونحن بدورنا نسأل هؤلاء: وهل عندكم ستر أو حجاب بين نسائكم وبين خدمكم أو سائقيكم؟! ولكن البهتان والإفك والزور له أهله الذين لا يعرفون حياءً ثم يتهكمون بأهل الحياء والفضيلة والستر.

والحمد لله رب العالمين

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



الطلاق السني والطلاق البدعي

أولا: الطلاق في الحيض

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول اللَّه ﷺ، فسأل عمرُ بن الخطاب رسولَ اللَّه ﷺ عن ذلك فقال رسول اللَّه ﷺ: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لْيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في تسعة مواضع بالأرقام (٤٩٠٨- ٥٢٥١- ٥٢٥٢- ٥٢٥٣- ٥٢٥٨- ٥٢٦٤- ٥٣٣٢- ٥٣٣٣- ٧١٦٠)، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح برقم (١/١٤٧١ - ١٤)، وأخرجه أبو داود في الطلاق برقم (٢١٧٩)، والترمذي في الطلاق برقمي (١١٧٥- ١١٧٦)، والنسائي في الطلاق بالأرقام (من ٣٤١٨ إلى ٣٤٢٩)، وابن ماجه في الطلاق برقم (٢٠١٩)، ومالك في الموطأ كما في الاستذكار برقم (١١٧٦) حـ١٨ ص٨، ومن طريقه أخرجه الشافعي في «الأم» وفي «المسند»، وأحمد (٢/٦٣)، والدارمي (٢/١٦٠)، والبيهقي.

شرح الحديث:

قال الحافظ ابن حجر: وقد قسم الفقهاء الطلاق إلى سني وبدعي، وإلى قسم ثالث لا وصف له، فالأول: ما تقدم من أنه «يطلقها طاهرًا من غير جماع»، والثاني: أن يطلق في الحيض أو في طهر جامعها فيه ولم يتبين أمرها أَحَمَلَتْ أم لا، ومنهم من أضاف له أن يزيد على طلقة، (أي أن يطلق طلقتين أو ثلاثًا في وقت واحد ومجلس واحد)، ومنهم من أضاف الخلع، والثالث: تطليق الصغيرة والآيسة والحامل التي قربت ولادتها، وكذا إذا وقع السؤال منها (أي طلبت الطلاق) بشرط أن تكون عالمة بالأمر، وكذا إذا وقع الخلع بسؤالها وقلنا إنه طلاق.

قال رحمه الله تعالى: ويستثنى من تحريم طلاق الحائض صور، منها: ما لو كانت حاملاً ورأت الدم وقلنا: الحامل تحيض، فلا يكون طلاقها بدعيًا ولا سيما إن وقع بقرب الولادة، ومنها إذا طلق الحاكم على المولى واتفق وقوع ذلك في الحيض، وكذا في صورة الحكمين إذا تعين ذلك طريقًا لرفع الشقاق وكذلك الخلع، والله أعلم.

قوله: «أنه طلق امرأته»: وفي مسلم من رواية الليث عن نافع: «أن ابن عمر طلق امرأة له»، وعنده من رواية عبيد الله بن عمر عن

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

نافع عن ابن عمر «طلقت امرأتي» قال النووي: اسمها آمنة بنت غِفَار. وقيل غير ذلك.

وقوله: «وهي حائض». وفي رواية ابن أصبغ: «أنه طلق امرأته وهي في دمها حائض»، وعند البيهقي: «أنه طلق امرأته في حيضها». أي طلقها في الحيض.

قوله: «على عهد رسول الله ﷺ» كذا في رواية مالك عند البخاري، ومثله عند مسلم من رواية أبي الزبير، قال الحافظ في الفتح: وأكثر الرواة لم يذكروا ذلك استغناءً بما في الخبر أن عمر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فاستلزم أن ذلك وقع في عهده، وعند مسلم في رواية الليث زيادة «تطليقة واحدة»، قال مسلم في آخره: «وجَوَّد الليث في قوله: «تطليقة واحدة». اهـ.

وكذلك روى مسلم عن محمد بن سيرين قال: مكثت عشرين سنة يحدثني من لا أتهم أن ابن عمر طلق امرأته ثلاثًا وهي حائض، فأُمِرَ أن يراجعها، فجعلت لا أتهمهم ولا أعرف الحديث (أي وجهه) حتى لقيت أبا غلاب يونسَ بن جبير الباهلي، وكان ذا ثبت، فحدثني أنه سأل ابن عمر، فحدثه أنه طلق امرأته تطليقة وهي حائض، فأمر أن يُرْجِعَها. قال: قلت: أفَحُسِبَتْ عليه ؟ قال: فمه، أوَ إن عجز واستحمق؟.

وأخرجه الدارقطني والبيهقي من طريق الشعبي قال: «طلق ابن عمر امرأته وهي حائض واحدة»، ومن طريق عطاء الخراساني عن الحسن عن ابن عمر أنه «طلق امرأته تطليقة وهي حائض».

قوله: «فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك». وفي رواية ابن أبي ذئب عن نافع «فأتى عمر النبي ﷺ فذكر له ذلك». أخرجه الدارقطني، وكذا ساقه المصنف من رواية قتادة، وعند مسلم من رواية يونس بن عبيد، وكذا في رواية طاووس، وكذا في رواية الشعبي، وزاد فيه الزهري كما في كتاب التفسير عن سالم أن ابن عمر أخبره.. فتغيظ فيه رسول الله ﷺ، قال الحافظ في الفتح: ولم أرَ هذه الزيادة في رواية غير سالم، وهو أجَلُّ من روى الحديث عن ابن عمر، وفيه إشعار بأن الطلاق في الحيض كان تقدم النهي عنه، وإلا لم يقع التغيظ على أمر لم يسبق النهي عنه. ولا يعكر على ذلك مبادرة عمر بالسؤال عن ذلك لاحتمال أن يكون عرف حكم الطلاق في الحيض وأنه منهي عنه ولم يعرف ماذا يصنع من وقع له ذلك. قال ابن العربي: سؤال عمر يحتمل أنهم لم يروا قبلها مثلها فسأل ليعلم، ويحتمل أن يكون لما رأى في القرآن قوله تعالى: ««فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ»»، وقوله تعالى: ««يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»» أراد أن يعلم أن هذا قرءٌ أم لا؟ ويحتمل أن يكون سمع من النبي ﷺ النهي فجاء ليسأل عن الحكم بعد ذلك، وقال ابن دقيق العيد: وتغيظ النبي ﷺ؛ إما لأن المعنى الذي يقتضي المنع كان ظاهرًا فكان مقتضى الحال التثبت (أي التريُّث) في ذلك، أو لأنه كان ينبغي مشاورة النبي ﷺ في ذلك إذا عزم عليه.

قوله ﷺ: «مره فليراجعها» قال ابن دقيق العيد: يتعلق به مسألة أصولية، وهي: أن الأمر بالأمر بالشيء هل هو أمر بذلك أم لا؟ ثم نقل ابن حجر في الفتح المسألة عن ابن الحاجب والخلاف في ذلك، وملخص المسألة كما أنهاها الحافظ في الفتح كما يلي:

تنقسم المسألة إلى صورتين:

١- إذا أمر الشارع مكلفًا أن يأمر غيره من المكلفين بأمر، كان الأمر بالأمر بالشيء أمرًا به، ويكون دور المأمور الأول مجرد التبليغ،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ويجب على من يأمره امتثال الأمر، فإن لم يمتثله كان عاصيًا.

ومن أمثلة ذلك:

أ- قول النبي ﷺ لمالك بن الحويرث وأصحابه: «مروهم بصلاة كذا في حين كذا..».

ب- قول النبي ﷺ لرسول ابنته: «مرها فلتصبر ولتحتسب». ونظائره كثيرة.

٢- وإذا أمر الشارع مكلفًا أن يأمر غير مكلف بأمر فلا يكون ذلك أمرًا للمأمور الثاني. فإن امتثله فحسن، وإن لم يمتثله فلا حرج عليه، ومثله إذا كان الآمر غير الشارع.

ومن أمثلته:

قول النبي ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين».

هل المراجعة واجبة؟

قال الحافظ واختلف في وجوب المراجعة، فذهب إلى وجوبها مالك وهو رواية عن أحمد، وذهب الجمهور إلى أنها مستحبة، وهو المشهور عن أحمد، واحتج الجمهور بأن ابتداء النكاح لا يجب فاستدامته كذلك لا تجب، قال: لكن صحح صاحب الهداية من الحنفية أنها واجبة، قال: والحجة لمن قال بالوجوب ورود الأمر بها، ولأن الطلاق لما كان محرمًا في الحيض كانت استدامة النكاح فيه واجبة، قال: فلو تمادى الذي طلق في الحيض حتى طهرت (فهل يجبر على الرجعة؟) قال مالك وأكثر أصحابه يجبر على الرجعة أيضًا، وقال أشهب منهم - أي من المالكية- إذا طهرت انتهى الأمر بالرجعة، واتفقوا على أنها إذا انقضت عدتها فلا رجعة حينئذ، وكذا لو طلقها في طهر قد مسها فيه لا يؤمر بمراجعتها، كذا نقله ابن بطال وغيره. لكن الخلاف فيه ثابت قد حكاه بعض الشافعية، واتفقوا على أنه لو طلق قبل الدخول وهي حائض لم يؤمر بالمراجعة إلا ما نقل عن زفر فطرد الباب.

قوله ﷺ: «ثم ليمسكها» أي يستمر بها في عصمته.

قوله ﷺ: «حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر» كذا في معظم الروايات، وفي رواية محمد بن عبد الرحمن عن سالم بلفظ: «مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملاً»، قال الحافظ في الفتح: وقد اختلف في الحكمة في ذلك.

قيل: الحكمة فيه أن لا تصير الرجعة لغرض الطلاق، فإذا أمسكها زمانًا يحل له فيه طلاقها ظهرت فائدة الرجعة، لأنه قد يطول مقامه معها، فقد يجامعها فيذهب ما في نفسه من سبب طلاقها فيمسكها.

وقيل: إن الطهر الذي يلي الحيض الذي طلقها فيه كقرء واحد، فلو طلقها فيه لكان كمن طلق في الحيض، وهو ممنوع من الطلاق في الحيض، فلزم أن يتأخر إلى الطهر الثاني.

كذلك اختلف العلماء في جواز تطليقها في الطهر الذي يلي الحيضة التي طلق فيها؛ والحق أنه مأمور بإمساكها في هذا الطهر، ممنوع من طلاقها فيه فكيف يباح له أن يطلق فيه؟

قوله ﷺ: «ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس». وفي رواية أيوب: «ثم يطلقها قبل أن يمسها». وفي رواية عبيد الله بن عمر: «فإذا طهرت فليطلقها قبل أن يجامعها أو يمسكها». ونحوه في رواية الليث، وفي رواية الزهري عن سالم: «فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسها». وهذه الروايات يفسر بعضها بعضًا، وفي رواية محمد بن عبد الرحمن عن سالم: «ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملاً»، وتمسك بهذه الزيادة من استثنى من تحريم الطلاق في طهر

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

جامع فيه ما إذا ظهر الحمل فإنه لا يحرم.

والحكمة فيه أنه إذا ظهر الحمل فقد أقدم على ذلك على بصيرة فلا يندم على الطلاق، وأيضًا فإن زمن الحمل زمن الرغبة في الوطء فإقدامه على الطلاق فيه يدل على عدم رغبته فيها.

ثم قال الحافظ: والحاصل أن الأحكام المترتبة على الحيض نوعان؛ الأول: يشرع بانقطاع الدم كصحة الغسل والصوم وترتُّب الصلاة في الذمة، والثاني لا يشرع إلا بالغسل كصحة الصلاة والطواف وجواز اللبث في المسجد، فهل الطلاق من النوع الأول فيصح بمجرد انقطاع الدم؟ أو الثاني فلا يصح إلا بعد الغسل؟ قولان للعلماء.

المراد بالأقراء

قوله: «فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» أي أذن الله أن تطلق لها النساء، وهذا بيان لمراد الآية وهي قوله تعالى: ««يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ»» قال الحافظ: واستدل به - أي بهذا الحديث- من ذهب إلى أن الأقراء الأطهار، وذلك للأمر بطلاقها في الطُّهر، وقوله: ««فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ»» أي وقت ابتداء عدتهن، وقد جعل الله للمطلقة تربص ثلاثة قروء، فلما نهى عن الطلاق في الحيض، وبيّن أن الطلاق في الطهر هو الطلاق المأذون فيه علم أن الأقراء هي الأطهار. قاله ابن عبدالبر.

هل يقع الطلاق في الحيض؟

قال الإمام ابن القيم: الخلاف في وقوع الطلاق المحرم لم يزل ثابتًا بين السلف والخلف. أي بين علماء الأمة منذ عهد السلف إلى يومنا هذا.

وقد اختلف علماء المسلمين في هذه المسألة على قولين مشهورين؛ الأول: يقع الطلاق في الحيض وهو قول جمهور الفقهاء، قال ابن عبد البر: وعلى هذا فقهاء الأمصار، وجمهور علماء المسلمين وإن كان الطلاق عندهم جميعهم في الحيض مكروهًا بدعةً غير سنةٍ، وقد استدل الجمهور لوقوع الطلاق بأدلة منها:

١- قول النبي ﷺ لما سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن عبد الله ابنه: «مره فليراجعها...» فهذا أمر بالرجعة قالوا: والرجعة لا تكون إلا عن طلاق معتبر.

٢- في رواية أنس بن سيرين لهذا الحديث قال أنس بن سيرين لابن عمر: تُحْتُسَبُ؟ قال ابن عمر: فمه؟

قالوا: أي اسكت فإنها تحتسب. لأن «مه» اسم فعل أمر بمعنى اكفف، أو تكون استفهامية، فيكون استفهامًا إنكاريًا. أي فماذا تكون إن لم تحتسب.

٣- وفي رواية لمسلم: قال: قلت لابن عمر: أفيحسب بها؟ قال: ما يمنعه ؟ أرأيت إن عجز واستحمق؟

٤- وفي رواية لأحمد في المسند قال: قلت لابن عمر: أفتحتسب طلاقها ذلك طلاقًا؟ قال: نعم، أرأيت إن عجز واستحمق؟

٥- كذلك مما استدلوا به من حديث النظر: ما قرره ابن عبد البر وغير واحد من أهل العلم: قال ابن عبد البر: ألا ترى أن الله عز وجل قال في المطلقات: ««وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ»» [البقرة: ٢٢٨]، يعني في العدة، وهذا لا يستقيم أن يكون مثله في الزوجات غير المطلقات.

القول الثاني: عدم وقوع الطلاق في الحيض، وممن قال بذلك أبو محمد بن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية ونقله عنه تلميذه ابن القيم وناقش قول الجمهور، وانتصر

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

للقول بعدم وقوع الطلاق في الحيض، وقد استدلوا بأدلة، منها:

١- ما رواه أبو داود بالسند الصحيح الثابت أن أبا الزبير سمع عبد الرحمن بن أيمن يسأل ابن عمر، قال أبو الزبير: وأنا أسمع: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضًا ؟ فقال: طلّق ابن عمر امرأته حائضًا على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، قال عبد الله: فردها (أي رسول الله ﷺ) عليَّ ولم يرَها شيئًا.

٢- ما رواه ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعمش أنّ ابن مسعود رضي الله عنه قال: من طلق كما أمره الله فقد بين الله له، ومن خالف فإنا لا نطيق خلافه.

٣- وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضًا: من أتى الأمر على وجهه فقد بين الله تعالى له، وإلا فوالله ما لنا طاقة بكل ما تحدثون.

٤- ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد». وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». قالوا: وهذا صريح أن الطلاق المحرَّم الذي ليس عليه أمره ﷺ مردود باطل. فكيف يقال: إنه صحيح لازم نافذ ؟ فأين هذا من الحكم برده؟

٥- واحتجوا أيضًا من حيث النظر؛ بأن النكاح المتيقن لا يزول إلا بيقين مثله من كتاب أو سنة أو إجماع متيقن، فإذا وجد واحد من هذه الثلاثة رفع به حكم النكاح، ولا سبيل إلى ذلك.

٦- واحتجوا أيضًا بأن الطلاق لو كان يقع في الحيض فلماذا رده الرسول ﷺ ؟ وما الفرق حينئذ بينه وبين الطلاق في الطهر ؟

٧ . واحتجوا أيضا بقول ابن عمر: «أرأيت» فإنه لو ثبت لدى ابن عمر رضي الله عنهما أنه احتسبها طلقة ما رد السائل إلى الرأي بقوله: «أرأيت» فإن ابن عمر كان أبعد الناس عن الرأي، بل كان أعظم الناس تمسكا بسنن رسول الله ﷺ.

وبعد، فإنك - أخي المسلم - ترى اجتهاد الفريقين.

ولقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (زاد المعاد) في إيراد أقوال كل من الفريقين وأدلتهما ومناقشة كل فريق لأدلة الآخر، والغرض من ذلك كله بيان اجتهاد فقهاء الأمة لأمر الله ورسوله، وتحري الحق والصواب حتى تكون الفتوى موافقة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله وما ورد عن السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة الهدى رحمهم الله جميعًا ورضي عنهم، وألحقنا بهم.

وإذا كانت الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال، فإن أحوال الأمة في أمس الحاجة لمثل هذه الاجتهادات، ففي السعة تكون الفتوى على قول الجمهور في مثل هذه المسألة، وإذا ضاقت السبل، وانسدت المخارج أمام المفتي في قضية من قضايا هذا الطلاق، فلا بأس أن يفتي بالقول الآخر وسيكون له فيه سلف، فيكون الميزان حينئذ- كما قال بعض العلماء- قول الجمهور بمثابة العزيمة، وقول ابن حزم ومن معه من قبيل الرخصة، والله أعلم، وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

سب النبي الأمين صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الخلق، سيد ولد آدم، حامل لواء الحمد، نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه، الذين جاهدوا معه، وبلغوا رسالة الله للناس، رضي الله عنهم أجمعين.

وبعد:

«عن ابن عباس رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ أَعْمَى كانت له أُمُّ وَلَدٍ كانت تَشْتِمُ النبيَّ ﷺ وَتَقَعُ فيه، فَيَنْهَاهَا فلا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فلا تَنْزَجِرُ! قال: فلما كان ذاتَ ليلةٍ جعلتْ تَقَعُ في النَّبيِّ ﷺ وتشتمه، فأخذ المِغْوَل فوضعه في بطنها واتكأ عليه فقتلها فوقع بين رِجْلَيْهَا طِفلٌ، فَلَطَخَتْ ما هنالك بالدَّم ! فَلمَّا أصبحَ ذُكِرَ ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجمع الناس فقال: «أَنْشُدُ اللَّهَ رجلاً فَعَلَ ما فَعَلَ، لي عليه حقٌّ إلاَّ قامَ». فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يَتَزَلْزَلُ حتى قعد بين يَدَيِ النبيِّ ﷺ ، فقال: يا رسولَ اللَّه، أنا صاحِبُهَا، كانت تَشْتِمُكَ وتقعُ فيك فأَنْهَاها فلا تَنْتَهي، وأزْجُرُها فلا تَنْزَجِرُ، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقةً، فلما كان البارحةَ جعلت تشتُمكَ وتقعُ فيك، فأخذتُ المِغْوَلَ فوضعته في بطنها، واتكأتُ عليها حتى قتلتها ! فقال النبي ﷺ : «ألا اشْهَدُوا أنَّ دَمَها هَدرٌ».

هذا الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب رسول الله ﷺ برقم (٤٣٦١)، وأخرجه الإمام النسائي في سننه في كتاب المحاربة باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ برقم (٤٠٧٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٨٠٤٤)، والدارقطني والطبراني في الكبير، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٩٢/٥) برقم (١٢٥١) وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

شرح ألفاظ الحديث

«أُمُّ وَلَدٍ»: أي غير مسلمة ولذلك كانت تجترئ على ذلك الأمر الشنيع.

«تقع فيه»: أي تَعيبه وتذمه؛ يقال: وقع فيه أي عابَه وذمَّه.

«فلا تنزجر»: أي: فلا تمتنع.

«فأخذ المِغْوَل» بكسر الميم وسكون الغين المعجمة؛ شِبْهُ سيفٍ قصير يشتمل به الرجلُ تحتَ ثيابِه فيُغَطِّيه، وقيل حديدةٌ دقيقةٌ لها حدٌّ ماضٍ، وقيل هو سَوْطٌ في جوفه سيف دقيق يشده الفاتِكُ على وَسَطِه ليغتالَ به الناسَ، وقد جاء في بعض نسخ أبي داود «المعول» بالعين المهملة، وهو آلة حديدية تستعمل في الحفر.

«واتكأ عليها»: أي تحامل عليها.

«فوقع بين رجليها طفل» لعله كان ولدًا لها، والظاهر أنه لم يمت.

«فَلَطَخَتْ» أي لوَّثَتْ.

«ما هناك» أي من الفراش.

«ذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ » أي ذُكِرَ ذلك القَتْلُ.

«فقال: أَنْشُدُ اللَّهَ رجلاً» أي أساله بالله وأُقْسِمُ عليه.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

سب لجميع المسلمين

إعداد
زكريا حسيني

«لي عليه حق»: أي يجب عليه طاعتي وإجابة دعوتي.

«يَتَزَلْزَلُ»: وفي النسائي «يدلدل». وكلاهما بمعنى يتحرك ويضطرب في مِشْيته.

«قعد بين يدي النبي ﷺ»: أي قعد أمام النبي ﷺ.

«مثل اللؤلؤتين» في الحسن والبهاءِ وصفاء اللون.

«أَلاَ اشْهَدُوا أنَّ دَمَهَا هَدَرٌ»: ألاَ بالتخفيف أداة تنبيه، وإهدار دمها، أي إبطاله، وأنه لا قصاص عليه في قتلها. قال السندي في شرحه على سنن النسائي: لعل النبي ﷺ علم بالوحي صدق قوله. واعتذار السندي هنا بقوله (لعل النبي ﷺ علم بالوحي صدق قوله لبيان أن لا يجوز لآحاد الناس فعل هذا الرجل الأعمى لأن هذا من وظائف إمام المسلمين).

أقوال العلماء في قتل من سَبَّ رسول الله ﷺ

قال السندي رحمه الله: في الحديث دليل على أن الذمي إذا لم يكف لسانه عن الله ورسوله فلا ذمة له، فيحل قتله.

قال المنذري: فيه أن سَابَّ رسول الله ﷺ يُقتل، وقد قيل: إنه لا خلاف في أن سابه من المسلمين يجب قتله، وإنما الخلاف إذا كان ذميًا، فقال الشافعي: يقتل وتبرأ منه الذمة، وقال أبو حنيفة: لا يقتل؛ ما هم عليه من الشرك أعظمُ (أي أنَّ الشرك أعظم من سب النبي ﷺ) وقال مالك: مَنْ شَتَمَ النبيَّ ﷺ من اليهود والنصارى قُتل، إلاَّ أن يسلم. انتهى كلام المنذري. نقلاً عن عون المعبود.

ولقد روى أبو داود أيضًا من حديث عليّ رضي الله عنه: «أن يَهُودِيَّة كانت تشتم رسول الله ﷺ وتقع فيها فخنقها رجلٌ حتى ماتتْ فأبطل رسول الله ﷺ دمها»، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء تحت رقم (١٢٥١) ٥/٩١، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ويشهد له حديث ابن عباس رضي الله عنهما - الذي معنا.

قال صاحب عون المعبود: فيه دليل على أنه يقتل من يشتم النبي ﷺ. ثم قال: وقد نقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سبَّ النبي ﷺ وجب قتله. وقال الخطابي: لا أعلم خلافًا في وجوب قتله إذا كان مسلمًا. وقال ابن بطال: اختلف العلماء في من سبَّ النبي ﷺ، فأما أهل العهد والذمة كاليهود فقال ابن القاسم عن مالك: يقتل من سبه ﷺ منهم إلا أن يسلم، وأما المسلم فيُقتل من غير استتابة. ونقل ابن المنذر عن الليث والشافعي وأحمد وإسحاق مثله في حق اليهودي ونحوه. وروى عن الأوزاعي ومالك في المسلم أنها ردة يستتاب منها، وعن الكوفيين إن كان ذميًا عُزِّرَ وإن كان مسلمًا فهي ردة.

موقف اليهود من النبي محمد ﷺ

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كان اليهود أول من أظهروا الحقد والحسد لرسول الله ﷺ، ومع أن النبي ﷺ، عاهدهم ووادعهم، وكان المنتظر من أمثالهم أن يكونوا أول من يصدقه ويتبعه، وقد كانوا يستفتحون به على المشركين، ويخبرونهم أنه أظلهم زمان آخر الأنبياء، وأنهم إن ظهر فسوف يتبعونه ويقاتلونهم معه، وهم يعرفون ذلك؛ يعرفون أن محمدًا حق وأن الإسلام حق كما يعرفون أبناءهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، ولقد جاءهم الأمر من الله عز وجل أن يؤمنوا به، وأن يفوا بعهده ليوفي بعهدهم، ونهاهم أن يكونوا أول كافر به، لكن هيهات، فإن قلوبهم قد امتلأت بالحسد عليه ﷺ، وكانوا حقًا أول من كفر بمحمد ودين محمد صلوات الله وسلامه عليه، ولم يكتفوا بالكفر به، بل حاولوا قتله بكل ما يستطيعون،

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وبكل ما أوتوا من قوة ومن مكر ودهاء وكيد للإسلام ولنبي الإسلام.

موقف بني قينقاع من الرسول ﷺ

فأول قبائل اليهود نقضًا للعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ هم بنو قينقاع وذلك في شوال من السنة الثانية من الهجرة بعد غزوة بدر مباشرة، فحاربهم الرسول ﷺ، فنزلوا على حكمه، وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أبيٍّ - وكانوا حلفاءه - فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات.

موقف بني النضير مع النبي ﷺ

ثم نقض بنو النضير العهد، وقد أرادوا الغدر برسول ﷺ عندما خرج إليهم يستعين بهم في دية رجلين من بني عامر قتلهما عمرو بن أمية على سبيل الخطأ، وكان بين بني عامر وبني النضير عقد وحلف، فلما أتاهم يستعينهم قالوا: نعم، ثم خلا بعضهم ببعض وعزموا على قتله ﷺ بإلقاء صخرة على رأسه وهو جالس بجوار جدار من جدرهم، فأوحى الله تعالى إليه بذلك، فقام منصرفًا، ثم حاصرهم وأجلاهم إلى خيبر والشام.

وفي رواية لابن مردويه: أن اليهود بعد غزوة بدر كاتبتهم قريش، فأجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك، ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك، ففعل ﷺ، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع وصبحهم بالكتائب فحصرهم ثم أجلاهم.

موقف بني قريظة من الرسول ﷺ

تمالأت قريظة مع قريش على رسول الله ﷺ، وتحزبت مع الأحزاب، مُجْمِعةً على قتاله وقتال من معه من المسلمين، ناقضة عهدها مع رسول الله ﷺ، وذلك في غزوة الأحزاب، فما كان من النبي ﷺ إلا أن توجه إليهم بأمر من الله تعالى، حين نزل جبريل على النبي ﷺ مخبرًا إياه أن الملائكة لم تضع أسلحتها، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا يؤذن في الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلاَّ في بني قريظة.

موقف يهود خيبر معه ﷺ

كان يهود خيبر من أكبر المحرضين للمشركين الوثنيين على قتال رسول الله ﷺ، بل كانوا من أهم الأسباب في تجميع الأحزاب للقضاء على الإسلام ونبي الإسلام، فلذلك بعدما استقر أمر رسول الله ﷺ بالمدينة وهدأت أحوال المسلمين بها تهيأ النبي ﷺ وتوجه إلى خيبر، لتأديبهم بسبب نقضهم العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ.

ولقد بيّن القرآن الكريم موقف اليهود من الإسلام والمسلمين في أكثر من آية منه، ومن أجمعها قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣]، هذا موقف اليهود من الإسلام ونبي الإسلام عند ظهوره، وبداية انتشار دينه.

فما موقف أعداء الإسلام اليوم؟

لقد تفنن أعداء الإسلام في كل مكان باتهام الإسلام بأنه دين الإرهاب، وذلك يرجع إلى إساءة ربما صدرت من بعض المنتمين إلى هذا الدين! وهؤلاء الأعداء؛ ألا يعرفون عن الإسلام إلاَّ هذه التصرفات التي يتبرأ منها الإسلام وأهله؟ إنهم صموا آذانهم وأغلقوا عقولهم وتغابَوْا - وهم يظهرون للناس أنهم أهل العقل والذكاء والفهم - عن أن يتعرفوا على الإسلام وسماحته، وأنه الدين الحق الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لعباده، وأنهم - أعداء هذا الدين - ما نهضوا ولا عرفوا تطورًا ولا رقيًا إلا باقتباسهم من هذا الدين ما جعلهم يصلون إلى ما وصلوا إليه من رقي ورفعة.

ثم تجرأ أعداء الإسلام على نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، فصوروه بصور لا تليق بأراذل الناس وسفهائهم فضلاً عن المؤمنين الصالحين، وفضلاً عن رسل الله وأنبيائه الذين هم خير البشر، بل خير الخلق.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

سبب جرأة أعداء الإسلام على نبي الإسلام

إن هذه الجرأة إنما نشأت وظهرت بسبب ضعف المسلمين وجهل الكثير منهم بهذا الدين الحق، الذي قال الله جل جلاله فيه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾. بل إن كثيرًا من المسلمين انبهروا بما عليه أعداء الإسلام من زخرف الحياة الدنيا، فنظروا إلى الدين على أنه أمرٌ هامشي، لا يهتمون به إلا بعد أن يفرغوا من أمور الدنيا، ولو علموا أن سعادتهم في الدنيا والآخرة إنما هي في نسبتهم إلى هذا الدين وتمسكهم به، لتمسكوا به وعَضُّوا عليه بالنواجذ، ولم يفرطوا في شيء منه أبدًا.

سبُّ النبي ﷺ سبٌّ لجميع المسلمين وطعن في دينهم

معلوم أن رسل الله عليهم صلوات الله وتسليماته يأتون برسالات الله ليبلغوها إلى أقوامهم، فهم واسطة بين الله وبين عباده، فمن سبَّ نبيًا من الأنبياء فقد طعن في رسالته، ولا شك أن الطعن في الرسول والرسالة طعن في المرسل - سبحانه - وبذلك نستطيع أن نعرف لماذا أهدر النبي ﷺ دم اليهودية التي آذته وسبته، وإذا كان المشرك لا يعرف لله عز وجل حقًا ولا يرجو له وقارًا فلا يستغرب منه سبُّ لنبيٍّ من الأنبياء، أما اليهود فإنهم أهل كتاب، أرسل الله تعالى إليهم رسولاً وأنزل عليهم كتابًا، وفي كتابهم تعظيم شأن هذا النبي، فمن آذاه أو سبه فإنما يكفر بما عنده من العلم، ويكتم الحق وهو يعلم.

وحينما يسب الكفار المعاصرون نبي الإسلام فإن هذا السب والاستهزاء والسخرية إنما هو طعن في دين الإسلام وسبٌّ للمسلمين جميعًا الذين يدينون بدين الإسلام، لذلك وجب على المسلمين أن يهبوا دفاعًا عن أنفسهم وعن دينهم وعن نبيهم.

قال شيخ الإسلام في «الصارم المسلول»: وضرر السبِّ في الحقيقة إنما يعود إلى الأمة بفساد دينها وذل عصمتها وإهانة مستمسكها، وإلاَّ فالرسول صلوات الله وسلامه عليه في نفسه لا يتضرر بذلك. اهـ. (ص٤٤٣).

واجب الأمة تجاه نبيها ﷺ

يجب على كل مسلم من المسلمين تجاه نبيه ﷺ ما يأتي:

١- التعزير والتوقير، والذب عن سنته ﷺ، والتعزير كما في التفسير تأييده بالمعونة والنصرة ولا يكون ذلك إلا باتباع سنته.

٢- تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه.

٣- حبه ﷺ، وتقديم محبته على النفس والوالد والولد والناس أجمعين، ويظهر ذلك في اتباعه والاقتداء به وحده.

٤- الحذر من الاستهزاء بشيء من سنته، أو ردّ شيء منها بالعقل.

٥- محبة آل بيته وأزواجه وأصحابه، والتقرب إلى الله تعالى بحبهم.

٦- بيان حال من يطعن في صحابته أو أهل بيته.

٧- تربية أبناء المسلمين على محبة رسول الله ﷺ والاقتداء به، وتعريفهم حقوقه ﷺ على الأمة.

٨- التخلق بأخلاقه ﷺ، والاقتداء به في سلوكه.

٩- التعرف على سيرته ﷺ وجهاده من أجل تبليغ رسالة ربه.

١٠- وعلى العلماء أن يعملوا على:

أ- إحياء سنته ﷺ في نفوس الناس.

ب- التمييز بين الصحيح والضعيف مما يُنقل عنه من سنته.

جـ- التحذير من البدع في الدين التي أساءت إلى الإسلام.

د- التحذير من الغلو فيه ﷺ، بل ينزل منزلته التي أنزله الله تعالى إياها.

هـ- الرد على الشبهات والأباطيل التي يثيرها أعداء الإسلام وتفنيدها.

١١- على الأمة الإسلامية أن تتصدى للإعلام الغربي واليهودي، والرد على ما يثيرونه من شبهات حول الإسلام ونبي الإسلام.

١٢- وعلى الأمة أيضًا أن تُعنى عناية فائقة بالدعوة إلى الإسلام، ودعم الدعاة ليقوموا بواجبهم تجاه الدين.

نسأل الله تعالى أن يرد كيد الأعداء وأن يبطل مكرهم، وأن يعز دينه ويعلي كلمته، وأن يوفق المسلمين للدفاع عن دينهم، والذود عن نبيهم، والذب عن سنته ﷺ، وأن يجمع كلمتهم على الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الطلاق السُّني والطلاق البدعي

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، نحمده تعالى ونشكره، ونتوب إليه ونستغفره، ونصلي ونسلم على خير خلق الله محمد بن عبد الله صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين، وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم! فأمضاه عليهم».



هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق باب طلاق الثلاث برقم (١٤٧٢/١٥، ١٦، ١٧)، ورواه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٨٧٥)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه بالأرقام (١١٣٣٦، ١١٣٣٧، ١١٣٣٨)، وأخرجه النسائي برقم (٣٤٣٥) في كتاب الطلاق باب «طلاق الثلاث المتفرقة قبل الدخول بالزوجة»، وأبو داود برقم (٢٢٠٠) في كتاب الطلاق باب «نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث»، وكذا أخرجه الطبراني والدارقطني والبيهقي.

شرح ألفاظ الحديث

قوله: «كانت لهم فيه أناة» أي مهلة، وبقية استمتاع لانتظار المراجعة.

وقوله: «تتابع الناس في الطلاق» جاء في بعض روايات الحديث: «فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق» تتابع بتاءين بعدهما ألف وبعد الألف باء، أي أكثروا من إيقاع الطلاق الثلاث، وقال الإمام النووي في شرح مسلم: «هو بالياء رواية الجمهور، وضبطه بعضهم بالباء الموحدة وهما بمعنى (أي بمعنى واحد)، قال: لكن بالمثناة يستعمل في الشر وبالموحدة يستعمل في الخير والشر، فالمثناة هنا أجود.

اختلاف الفقهاء في العمل بهذا الحديث

القول الأول:

قول جمهور فقهاء الأمة وهو وقوع الطلاق الثلاث في «فم واحد» أي بلفظ: (أنت طالق ثلاثًا)، أو في مجلس واحد، أي بلفظ: (أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق)، وحجتهم في ذلك ما استدلوا به وأورده ابن عبد البر في كتاب الاستذكار على النحو التالي:

١- عن مالك أنه بلغه أن رجلاً قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إني طلقت امرأتي مائة تطليقة، فماذا ترى عليّ؟ فقال له ابن عباس: طلقتْ منك لثلاث، وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هُزُوًا. (قال محقق الاستذكار: وأخرجه عبد الرزاق في المصنف، والبيهقي في السنن، وانظر المحلّى).

٢- عن مالك أنه بلغه أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: إني طلقت امرأتي ثماني تطليقات، فقال ابن مسعود: فماذا قيل لك؟ قال: قيل لي إنها قد بانت مني، فقال ابن مسعود: صدقوا؛ من

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

طلق كما أمره الله فقد بين الله له، ومن لبس على نفسه لبسًا جعلنا لبسته ملصقًا به، لا تلبسوا على أنفسكم ونتحمله عنكم، هو كما يقولون. (انظر تخريج الأثر السابق فإن هذا مثله).

٣- أورد ابن عبد البر ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن ابن عباس: أتاه رجل فقال: إن عمي طلق امرأته ثلاثًا، فقال: إن عمك عصى الله، فأندمه الله ولم يجعل له مخرجًا.

٤- وأورد عنه أيضًا بسنده عن أنس قال: كان عمر إذا أُتي برجل يطلق امرأته ثلاثًا في مجلس واحد أوجعه ضربًا، وفرق بينهما.

٥- وأورد عنه أيضًا بسنده إلى عمران بن حصين أنه سئل عن رجل طلق امرأته ثلاثًا في مجلس، قال: عصى ربه وحرمت عليه.

٦- وكذا أورد عن ابن عمر قال: من طلق امرأته ثلاثًا فقد عصى ربه، وبانت منه امرأته، ثم قال أبو عمر بن عبد البر: لا أعلم لهؤلاء الصحابة مخالفًا إلا ما خلا ذكره عن ابن عباس وهو شيء لم يروه عنه إلا طاووس، وسائر أصحابه رووه عنه خلافه.

٧- ثم أورد ما رواه عبد الرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة بسنديهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء، قال: يكفيه من ذلك رأس الجوزاء (أي ثلاث).

ثم قال أبو عمر: فهذا سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وغيرهم يروون عن ابن عباس في طلاق الثلاث المجتمعات، أنهن لازمات واقعات، قال: وذلك دليل واضح على وَهْي رواية طاووس عنه، وضعفها حين روى عنه في طلاق الثلاث المجتمعات أنها كانت تعد واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدر من خلافة عمر، ثم قال: ما كان لابن عباس ليخالف رسول الله ﷺ والخليفتين إلى رأي نفسه، ورواية طاووس وهم وغلط، لم يعرج عليها أحد من فقهاء الأمصار بالحجاز والعراق والمغرب والمشرق والشام.

وممن قال بذلك؛ أي أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة تلزم موقعها، ولا تحل له امرأته حتى تنكح زوجًا غيره الأئمة الأربعة، وأصحابهم والثوري وابن أبي ليلى والأوزاعي والليث بن سعد وعثمان البتي

إعداد/ زكريا حسيني

وإسحاق بن راهويه وغيرهم.

قال ابن عبد البر: وما أعلم أحدًا من أهل السنة قال بغير ذلك إلا الحجاج بن أرطاة، ومحمد بن إسحاق، وكلاهما ليس بفقيه ولا حجة فيما قاله.

القول الثاني: (عدم وقوع الطلاق الثلاث) حكاه ابن حزم، قال ابن القيم في زاد المعاد: حكي للإمام أحمد فأنكره، وقال: هو قول الرافضة، قال ابن عبد البر: ولم يقل به من أهل السنة إلا الحجاج بن أرطاة.

وهو أنها لا تقع شيئًا، بل ترد لأنها بدعة محرمة، والبدعة مردودة لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ثم قال ابن القيم: وقد اعترف أبو محمد بن حزم بأنها لو كانت بدعة محرمة لوجب أن ترد وتبطل.

القول الثالث:

أنه يقع به طلقة واحدة رجعية، قال ابن القيم: وهذا ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما، ذكره أبو داود عنه، قال الإمام أحمد: وهذا مذهب ابن إسحاق: يقول: خالف السنة فيرد إلى السنة، وهو قول طاووس وعكرمة، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أيد ابن القيم هذا القول وانتصر له، وذهب إليه الشوكاني.

واحتج القائلون بهذا القول بالنص والقياس، فأما النص فأحاديث منها:

١- حديث ابن عباس الذي معنا والذي رواه عنه طاووس أن أبا الصهباء قال لابن عباس: ألم تعلم أن الثلاث كانت تجعل واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، وصدرًا من إمارة عمر ؟ قال: نعم، وقد سبق تخريجه في صدر المقال.

٢- ما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: طلق عبدُ يزيدَ - أبو ركانة وإخوته- أمَّ ركانة، ونكح امرأة من مزينة، فجاءت النبي ﷺ فقالت: ما يغني عني إلا كما تغني هذه الشعرة - لشعرة أخذتها من رأسها، ففرق بيني وبينه، فأخذت النبي ﷺ حَمِيَّة، فدعا بركانة وإخوته، ثم قال

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

لجلسائه: «ألا ترون أن فلانًا يشبه منه كذا وكذا من عبد يزيد، وفلانًا منه كذا وكذا ؟ قالوا: نعم، قال النبي ﷺ لعبد يزيد: «طلقها» ففعل، ثم قال: «راجع امرأتك أمَّ ركانة وإخوته»، فقال: إني طلقتها ثلاثًا يا رسول الله، قال: «قد علمت، راجعها» وتلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

[هذا لفظ ابي داود]

٣- وعند أحمد في المسند: «طلق ركانة بن عبد يزيد أخو بني المطلب امرأته في مجلس واحد، فحزن عليها حزنًا شديدًا، قال: فساله رسول الله ﷺ: كيف طلقتها؟» فقال: طلقتها ثلاثًا، فقال: «في مجلس واحد؟» قال: نعم، قال: «فإنما تلك واحدة فارجعها إن شئت». قال: فراجعها، فكان ابن عباس يرى أنما الطلاق عند كل طهر.

٤- ما أخرجه النسائي من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا، فقام غضبان ثم قال: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم!!» حتى قام رجل وقال: يا رسول الله، ألا أقتله ؟

قال الشيخ أحمد شاكر: نقل الشوكاني عن ابن كثير أنه قال: «إسناده جيد». وقال ابن حجر في «بلوغ المرام»: «رواته موثقون»، وقال في فتح الباري: «ورجاله ثقات، لكن محمود بن لبيد ولد في عهد النبي ﷺ ولم يثبت له منه سماع».

وأما القياس: فإنهم قالوا: قد تقدم أن جمع الثلاث محرم وبدعة، والبدعة مردودة؛ لأنها ليست على أمر رسول الله ﷺ، قالوا: وسائر ما تقدم في بيان التحريم يدل على عدم وقوعها جملة، قالوا: ولو لم يكن معنا إلا قوله تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ [النور: ٨]، قالوا: وكذلك كل ما يعتبر له التكرار من حلف أو إقرار أو شهادة أو تسبيح أو تحميد أو تكبير، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «تحلفون خمسين يمينًا، وتستحقون دم صاحبكم».

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في إعلام الموقعين (ج٣ ص٣٣): وما كان مرة بعد مرة لم يملك المكلف إيقاع مراته كلها جملة واحدة كاللعان، فإنه لو قال: «أشهد بالله أربع شهادات إني لمن الصادقين»، كان مرة واحدة، ولو حلف في القسامة وقال: «أقسم بالله خمسين يمينًا أن هذا قاتله»، كان ذلك يمينًا واحدة، ولو قال المقر بالزنا: «أنا أقر أربع مرات أني زنيت»، كان مرة واحدة؛ فمن يعتبر الأربع لا يجعل ذلك إلا إقرارًا واحدًا، وقال النبي ﷺ: «من قال في يومه: سبحان الله وبحمده مائة مرة حُطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر». فلو قال: «سبحان الله وبحمده مائة مرة» لم يحصل له هذا الثواب حتى يقولها مرة بعد مرة، وكذلك قوله: «من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمده ثلاثًا وثلاثين، وكبره ثلاثًا وثلاثين». الحديث، لا يكون عاملاً به حتى يقول ذلك مرة بعد مرة، ولا يجمع الكل بلفظ واحد، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾، وهكذا قوله ﷺ في الحديث: «الاستئذان ثلاث مرات، فإن أذن لك وإلا فارجع»، لو قال الرجل ثلاث مرات هكذا كانت مرة واحدة، حتى يستأذن مرة بعد مرة. وهذا كما أنه في الأقوال والألفاظ، فكذلك هو في الأفعال سواء؛ كقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، إنما هو مرة بعد مرة، إلى أن قال: وهذه النصوص المذكورة وقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ كلها من باب واحد ومن مشكاة واحدة، والأحاديث المذكورة تفسر المراد من قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ فهذا كتاب الله وهذه سنة رسول الله ﷺ، وهذه لغة العرب، وهذا عرف التخاطب، وهذا خليفة رسول الله ﷺ والصحابة كلهم معه في عصره وثلاث سنين من عصر عمر على هذا المذهب؛ فلو عدهم العاد بأسمائهم واحدًا واحدًا لوجد أنهم كانوا يرون الثلاث واحدة، إما بفتوى وإما بإقرار عليها، ولو فرض فيهم من لم يكن يرى ذلك فإنه لم يكن منكرًا للفتوى به، بل كانوا ما بين مفت ومقر بفتيا وساكت غير منكر.

القول الرابع: يقع الثلاث على المدخول بها، وتقع واحدة على غير المدخول بها، وذاهب إلى هذا الحسن البصري وإسحاق بن راهويه، وقد استدل أصحاب هذا القول برواية طاووس عن أبي الصهباء أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: أما علمت أن الرجل كان إذا طلق امرأته ثلاثًا قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدرًا من إمارة عمر ؟ قال ابن عباس: بلى، كان الرجل إذا طلق امرأته ثلاثًا قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدرًا من إمارة عمر، فلما أن رأى عمر الناس قد

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

تتابعوا فيها قال: أجيزوهن عليهم. رواه أبو داود.

والجمهور لم يفرق بين المدخول بها وغير المدخول، وهذا الحديث فيه التنصيص على غير المدخول بها، وهو مخالف لعامة الروايات للحديث نفسه، بالإضافة إلى أنه يرويه أيوب عن قوم مجهولين عن طاووس، فلا حجة فيه.

هذا، ولقد كتب العلامة الشيخ أحمد شاكر بحثًا في نظام الطلاق في الإسلام، وأفاض في الكلام حول وقوع الطلاق الثلاث، وقرر أن الخلاف بين التابعين فمن بعدهم في ذلك ونحوه إنما هو في تكرار الطلاق: قال رحمه الله تعالى: أعني أن يطلق الرجل امرأته مرة ثم يطلقها أخرى ثم ثالثة، وأعني أيضًا: أن موضوع الخلاف هو: هل المعتدة يلحقها الطلاق ؟ أي إذا طلقها المرة الأولى فصارت معتدة، ثم طلقها الثانية في العدة؛ فهل تكون طلقة واقعة ويكون قد طلقها طلقتين ؟ فإذا ألحق بهما الثالثة وهي لا تزال في عدتها الأولى؛ هل تكون طلقة واقعة أيضًا ويكون قد أوقع جميع الطلقات التي له عليها وأبانها وبت طلاقها؟ أو أن المعتدة لا يلحقها طلاق ؟ فإذا طلقها الطلقة الأولى كانت مطلقة منه، وهي في عدتها، لا يملك عليها إلا ما أذن به الله: ﴿إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ إن ندم على الفراق راجعها فأمسكها، وإن أصر على الطلاق فليدعها حتى تنقضي عدتها ثم يسرحها بإحسان من غير مُضارة، ثم هو بالنسبة إليها بعد ذلك إن رغب في عودتها حكمه حكم غيره من الرجال: خاطبٌ من الخُطَّاب، ثم قال رحمه الله: هذا هو موضع الخلاف على التحقيق، وأما كلمة: «أنت طالق ثلاثًا» ونحوها فإنما هي محال، وإنما هي تلاعب بالألفاظ، بل هي تلاعب بالعقول والأفهام !! ولا يعقل أن تكون موضع خلاف بين الأئمة من التابعين فمن بعدهم.

ولقد أطال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تقرير ما ذهب إليه، فساق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقال بعد سردها والحديث عنها: وليس المقصود من الطلاق اللهو واللعب حتى يزعم الرجل لنفسه أنه يملك الطلاق كما يشاء، وكيف شاء ومتى شاء، وأنه إن شاء أبان المرأة بتة، وإن شاء جعلها معتدة يملك عليها الرجعة، كلا، ثم كلا، بل تشريع منظم دقيق من لدن حكيم عليم، شرعه لعباده رحمة بهم، وعلاجًا شافيًا لما يكون في الأسرة بين الزوجين من شقاق وضرار، ورسم قواعده وحد حدوده بميزان العدالة الصحيحة التامة، ونهى عن تجاوزها، وتوعد على ذلك، ولهذا تجد في آيات الطلاق تكرار ذكر حدود الله، والنهي عن تعديها وعن المضارة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾.

وبعد هذا العرض لأقوال العلماء في وقوع الطلاق الثلاث؛ يقول الرجل لامرأته: «أنت طالق ثلاثًا»، أو بقوله: «أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق»، نرى أن القول الراجح في هذه المسألة هو قول الجمهور، وهذا لا يمنع الحاكم أو القاضي أن يأخذ بالقول المرجوح وهو القول الثالث الذي ذهب إليه شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وقال به بعض العلماء مثل الشوكاني، ونرى أن المحصلة النهائية لكلام العلامة أحمد شاكر توافق ما قال به هؤلاء، ولا ينبغي أن يشنع على من يأخذ بهذا ولا أن يعد مبتدعًا كما يحلو لبعض من كتب في الطلاق إذ أن القول الفقهي وإن كان مرجوحًا فله وجه من الصحة، ولا مانع من الأخذ به في بعض الأحوال والأماكن والأزمان، ولقد وضع ابن القيم هذه المسألة تحت عنوان: تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، من كتابه إعلام الموقعين، كما أن زماننا هذا قد تهاون الناس فيه بالطلاق - وذلك لجهل كثير من المسلمين بأحكام دينهم - فيوقعون أنفسهم في الحرج، وربما شتت أُسرٌ، وتقطعت روابط بسبب التعجل في الطلاق، فإن كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رأى تأديب الناس بإيقاع الطلاق الثلاث عليهم وإلزامهم بما ألزموا به أنفسهم، فإنما كان يؤدب أناسًا رأى فيهم أن في إلزامهم ما ألزموا به أنفسهم زجرًا لهم ومانعًا من التعجل في أمر جعل الله لهم فيه فسحة، فلكل زمان أهله وحكامه الذين يوقعون بأهل زمانهم ما يناسبهم.

فنسأل الله تعالى أن يلهم عامة المسلمين رشدهم وأن يوفق علماءهم وأمراءهم لما فيه صالح العباد والبلاد، وأن يرزقنا والمسلمين العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

في أنواع من الطلاق

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المتقين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النكاحُ والطَّلاقُ والرَّجْعَةُ».

هذا الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق باب (في الطلاق على الهزل) برقم (٢١٩٤)، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الطلاق باب «ما جاء في الجدِّ والهزل في الطلاق، برقم (١١٨٤)، وكذا أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الطلاق باب «من طلق أو نكح أو راجع لاعبا» برقم (٢٠٣٩)، وحَسَّنَهُ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٢٧).

٢ ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تَجَاوَزَ لي عَن أُمَّتي الخَطَأَ والنِّسْيَانَ وما اسْتُكْرِهُوا عَلَيه». أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الطلاق باب (طلاق المكره والناسي) برقم (٢٠٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٧٣١).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ «إن الله تعالى وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق باب (طلاق المكره والناسي) برقم (٢٠٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٨٣٦).

٣ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق» أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/٢٧٦، وأبو داود (٢١٩٣) في باب الطلاق على غلط، وابن ماجه في طلاق المكره والناسي برقم (٢٠٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٥٢٥).

٤ ـ وذكر البخاري في صحيحه تعليقا؛ عن علي رضي الله عنه أنه قال لعمر رضي الله عنه: ألم تَعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ رُفِعَ عن ثَلاثٍ: عن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يدرك وعن النائم حتى يستيقظ».

٥ ـ وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وإن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم».

شرح الأحاديث

تضمنت هذه النصوص مجموعة من أنواع الطلاق التي يوقعها الناس، وقد ابتلي بها كثير من المسلمين ولا سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه استعمال الطلاق؛ حتى إن كثيرًا من المسلمين يَحلُّون مشاكلهم بالطلاق فيقعون في مشكلة قد لا يكون لها

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

حل، فيعالج مشكلة بمشكلة هي أكبر منها، فحينئذ يكون (كالمستجير من الرمضاء بالنار).

فلنعش مع هذه النصوص واحدًا واحدًا لنعرف النوع الذي تضمنه أو الأنواع، وحكم الطلاق فيه.

النوع الأول: طلاق الهازل

وهو المستفاد من حديث أبي هريرة «ثلاثٌ جِدُّهُن جِدٌ وهزلهنَّ جدٌ؛ النكاح والطلاق والرجعة» وفي رواية: «والعتاق» بدل «الرجعة» وفي رواية «واليمين» بدل الرجعة أيضا، وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: ثلاثة لا لعب فيها: الطلاق والعتاق والنكاح».

والهازل: هو المازح، الذي يلعب، فيتلفظ بالطلاق لاعبا أو مستهزئا ولا يقصد المعنى، ومثل له بعض العلماء بأن تقول الزوجة لزوجها في معرض دلالٍ أو ملاعبةٍ أو استهزاءٍ: طلقني، فيقول لها لاعبًا أو مستهزئًا: طلقتك، أو أنت طالق، أو قال لها طلقتك مائة تطليقة أو نحو ذلك.

حكم وقوعه:

الجمهور من فقهاء الأمة ومحدثيها على وقوع طلاق الهازل؛ قال ابن قدامة في المغني: إن صريح الطلاق لا يحتاج إلى نية، بل يقع من غير قصد، ولا خلاف في ذلك سواء قصد المزح أو الجد. قال ابن المنذر: أجمع من أحفظ عنه من أهل العلم على أن جد الطلاق وهزله سواء. اهـ وقال الخطابي في معالم السنن: اتفق عامة أهل العلم على أن صريح لفظ الطلاق إذا جرى على لسان البالغ العاقل فإنه مؤاخذ به، ولا ينفعه أن يقول: كنت لاعبًا أو هازلا، أو لم أنو به طلاقًا أو ما أشبه ذلك من الأمور. اهـ.

وأدلة الجمهور في ذلك:

(أ) الحديث الذي معنا: ثلاث جدهن جد وهزلن جد؛ النكاح والطلاق والرجعة».

(ب) وكذلك قالوا: إن الهازل يكفر لو نطق بالكفر قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥،٦٦].

النوع الثاني: طلاق المكرَه:

والمُكْرَهُ هو الذي يحمله غيره على فعلٍ أو قولٍ مهددًا إياه إن لم يفعل أو يقل بقتل أو بإلحاق ضررٍ محقق، مع قدرة المكْرِهِ على تنفيذ ما هَدَّدَ به، ومع عدم قدرة المكرَه على دفع ما هُدِّدَ به بهرب أو استغاثة أو مقاومة.

حكم طلاق المكره:

اختلف الفقهاء في طلاق المكره؛ فجمهور فقهاء الأمة على أنه لا يقع، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وداود بن علي، وقد استدل القائلون بعدم وقوع طلاق المكره بما يلي:

١ ـ حديث أبي ذر الذي معنا، وكذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

٢ ـ كذا استدلوا بالحديث الثالث الذي معنا وهو حديث عائشة رضي الله عنها: «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق» وفي رواية «في غِلاق» قال أبو داود بعد أن ساق الحديث: الغلاق أظنه الغضب، وفسره أبو عبيد وغيره بأنه الإكراه. وفسره غيرهما بالجنون، وقيل: هو نهي عن إيقاع الطلقات الثلاث دفعة واحدة، فيغلق عليه الطلاق حتى لا يبقى منه شيء. كغلق الرهن. حكاه أبو عبيد الهروي. قاله ابن القيم في زاد المعاد، ثم قال: قال شيخنا [يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله]: وحقيقة الإغلاق: أن يغلق على الرجل قلبه، فلا يقصد الكلام أو لا يعلم به كأنه انغلق عليه قصده وإرادته، قال: ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون ومن زال عقله بسكر أو غضب، وكل من لا قصد له ولا معرفة له بما قال. اهـ

[زاد المعاد ٥/٢١٥]

٣ ـ كذا استدلوا بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في عدم وقوع طلاق المكره، فمن ذلك:

(أ) ما ورد عن عمر: أن رجلا تدلى بحبل ليشتار عسلا (أي ليخرجه من خليته) فجاءت امرأته فقالت: لأقطعن الحبل أو لتطلقني، فناشدها الله فأبت، فطلقها، فلما ظهر أتى عمر

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بن الخطاب رضي الله عنه فذكر ذلك له، فقال له: ارجع إلى امرأتك فإن هذا ليس بطلاق.

[أورد هذا الأثر ابن حزم في المحلى]

(ب) ما روي عن عمر أنه قال: ليس الرجل بأمين على نفسه إذا أخفته أو ضربته أو أوثقته.

(جـ) ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: طلاق السكران والمستكره غير جائز.

٤ ـ أن المكره على النطق بالكفر لا يكفر بذلك لقوله تعالى: ﴿.. إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ..﴾ [النحل: ١٠٦]، فكذلك لا يقع طلاقه، ما دام مكرها على ذلك.

٥ ـ أن المكره على الإسلام لا يصح منه الإسلام، فكذلك لا يصح طلاقه بجامع عدم الاختيار في كل.

ويرى الحنفية وهو قول أبي قلابة والشعبي والنخعي والزهري والثوري أن طلاق المكره يقع، واستدلوا بأدلة هي:

١ ـ روى الغازي بن جبلة عن صفوان بن عمران الأصم عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلا جلست امرأته على صدره وجعلت السكين على حلقه وقالت له: طلقني أو لأذبحنك فناشدها فأبت فطلقها ثلاثا، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «لا قيلولة في الطلاق». [رواه سعيد بن منصور في سننه].

والقيلولة هنا بمعنى الرفع والنسخ، وقد نفي رفع الطلاق ونسخه إذا كان واقعا عن إكراه فدل ذلك على وقوع طلاق المكره.

٢ ـ روى عطاء بن عجلا عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كل الطلاق جائز إلا طلاق المعتوه والمغلوب على عقله».

[ذكره ابن القيم في زاد المعاد ولم يعزه لأحد من أصحاب الكتب]

٣ ـ روى سعيد بن منصور في سننه عن عمرو بن شراحيل المعافري أن امرأة استلت سيفا فوضعته على بطن زوجها وقالت له: والله لأُنفِذَنَّك أولَتُطَلِّقَنِّي، فطلقها ثلاثا، فرفع ذلك إلي عمر بن الخطاب فامضى طلاقها.

٤ ـ روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: كل الطلاق جائز إلا طلاق المعتوه.

٥ ـ وقالوا: إن المكره بالغ عاقل وقد تلفظ بالطلاق عالما بما يقول مُؤْثِرًا له على ما هدد به، وهذا علامة على اختياره، وبناء على ذلك يقع طلاقه.

ولقد أجاب الجمهور على أدلة أصحاب القول الثاني وفندوها على النحو التالي:

أولا: حديث الغازي بن جبلة فيه ثلاث علل ـ كما قال ابن القيم ـ ضعف صفوان ابن عمرو، ولين الغازي بن جبلة، وتدليس بقية الراوي عنه، فمثل هذا لا يحتج به.

قال ابن حزم: وهذا خبر في غاية السقوط.

ثانيا: حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال ابن القيم: هو من رواية عطاء بن عجلان وضعفه مشهور، وقد رمي بالكذب، قال ابن حزم: وهذا الخبر شر من الأول.

ثالثا: أثر عمر: قال عنه ابن القيم: الصحيح عنه خلافه كما تقدم (أي في أدلة الجمهور) ولا يعلم معاصرة المعافري لعمر، وفرج بن فضالة فيه ضعف فلا حجة فيه.

رابعًا: أثر علي: قال ابن القيم: الذي رواه الناس عن علي خلاف ذلك، فعن الحسن أن علي بن أبي طالب كان لا يجيز طلاق المكره.

النوع الثالث: طلاق الغضبان

وهو مستفاد من الحديث الثالث، حديث عائشة رضي الله عنها «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق» وفي رواية «في غِلاق» وقد فسر الإغلاق بالغضب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وذكر أبو داود رحمه الله بعد أن ساق الحديث أنه يظن أنه الغضب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ـ كما نقله عنه ابن القيم في زاد المعاد ـ: حقيقة الإغلاق أن يغلق على الرجل قلبه فلا يقصد الكلام أو لا يعلم به، كأنه انغلق عليه قصده وإرادته، ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون، ومن زال عقله بسكر أو غضب، وكلُّ من لا قصد له ولا معرفة له بما قال.

ولقد ذكر ابن القيم أن الغضب على ثلاثة أقسام:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الأول: الغضب الشديد الذي يزول معه العقل فلا يشعر صاحبه بما قال، وهذا لا يقع طلاقه بلا نزاع.

الثاني: الغضب الخفيف الذي يكون في مبادئه بحيث لا يمنع صاحبه من تصور ما يقول ولا يمنعه من قصده، فهذا يقع طلاقه.

الثالث: الغضب المتوسط الذي يستحكم به ويشتد، ولكن لا يزيل عقله بالكلية بل يحول بينه وبين نيته بحيث يندم على ما فرط منه إذا زال عنه الغضب، فهذا محل نظر، قال: وعدم الوقوع في هذه الحال قوي متجه.

النوع الرابع: طلاق السكران

السكر على نوعين:

أولهما: ما كان بغير إرادة من صاحبه - كأن يشرب شيئا لا يظن أنه مسكر فإذا به يسكره، أو أن يُكْرَه على الشرب من مسكر.

وهذا طلاقه لا يقع باتفاق العلماء.

والثاني: المتعدي بسكره - أي أنه شرب المسكر بعلمه وبإرادته من غير إكراه من أحد، وهذا فيه خلاف بين العلماء على قولين:

الأول: قول جمهور الفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة وهو قول سعيد ابن المسيب وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وغيرهم، وروي عن علي وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم.

واستدل هؤلاء على وقوع طلاق السكران المتعدي بسكره بما يلي:

١ - أن السكران هو الذي تسبب في ذهاب عقله بتناول المسكر عمدًا فوجب أن يتحمل وزر سكره وعلى ذلك يقع طلاقه.

٢ - أنه اختار تناول المسكر عمدًا، وهذا يقوم مقام إرادته لفظ الطلاق، فيجب زجره بإيقاع الطلاق عليه عقوبة له.

٣ - أن الصحابة أقاموه مقام الصاحي في كلامه، فإنهم قالوا: إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى، وحد المفتري ثمانون، فجعلوه كالصاحي عقوبة له.

٤ - كذلك استدلوا بحديث: «لا قيلولة في الطلاق» وقد تقدم أنه لا حجة فيه.

٥ - واستدلوا أيضا بحديث: «كل طلاق جائز إلا طلاق المعتوه» وقد تقدم أيضا أنه ضعيف، إلى غير ذلك من الأدلة، وقد ساقها ابن القيم - رحمه الله تعالى - وعقب عليها بقوله: وليس في شيء منها حجة أصلا ثم فندها واحدًا واحدًا.

القول الثاني:

أن طلاق السكران الذي تعمد شرب المسكر لا يقع؛ وبهذا القول قال الطحاوي وزفر من الأحناف، وهو قول للشافعي والمزني، ورواية عن مالك، وأحمد في رواية عنه، كما أنه اختيار ابن تيمية وابن القيم وابن حزم، وصح عن عثمان رضي الله عنه.

وقد استدل أصحاب هذا القول بعدم وقوع الطلاق بما يلي:

١ - قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] فجعل سبحانه قول السكران غير معتبر.

٢ - ما صح أن رسول الله ﷺ أمر بالمقر بالزنا أن يستنكه (أي تشم رائحة فمه) ليعتبر قوله أو يلغى.

٣ - ما جاء في صحيح البخاري في قصة حمزة بن عبد المطلب لما عقر بعيريْ عليٍّ، فجاء النبي ﷺ ووقف عليه يلومه. فَصَعُدَ فيه النظر وصوَّبه وهو سكران، ثم قال هل أنتم إلا عبيد لأبي، فرجع النبي ﷺ. وهذا القول لو قاله غير سكران لكان ردة وكفرًا، ولم يؤاخذ بذلك حمزة فدل على أن طلاق السكران لا يقع.

٤ - أن السكران كالمجنون، كل منهما فاقد العقل الذي هو مناط التكليف، وفاقد العقل لا طلاق له.

٥ - أن السكران قدَّر له الشرعُ عقوبةً محددة، وهي جلده أربعين أو ثمانين جلدة، فيجب الاقتصار عليها ولا تجوز الزيادة عنها بإيقاع الطلاق عليه، لأن هذا يكون زيادة في التشريع أولا، ثم إنه قد يتسبب في إيقاع عقوبة على من لا ذنب له من زوجة وأولاد، والله عز وجل يقول: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٨].

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

إلى غير ذلك من الأدلة العقلية التي ترجح هذا القول. ولا شك أن هذا هو القول الراجح. والله أعلم.

النوع الخامس: طلاق من يحدث نفسه بالطلاق

وهو مستفاد من الحديث الخامس، حديث أبي هريرة: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم».

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: تضمنت هذه السنة أن ما لم ينطق به اللسان من طلاق أو عتاق أو يمين أو نذر عفوٌ غير لازم بالنية والقصد، قال: وهذا قول الجمهور، وفي المسألة قولان أخران:

أحدهما: التوقف فيها، قال عبد الرزاق عن معمر: سئل ابن سيرين عمن طلق في نفسه، فقال: أليس قد علم الله ما في نفسك؟ قال: بلى، قال: فلا أقول فيها شيئًا.

الثاني: وقوعه إذا جزم عليه، وهذا رواية أشهب عن مالك، وروي عن الزهري، وحجة هذا القول:

١ - قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

٢ - أن من كفر في نفسه فهو كفر.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾.

٤ - أن المصر على المعصية فاسق مؤاخذ وإن لم يفعلها.

٥ - أن أعمال القلوب في الثواب والعقاب كأعمال الجوارح، ولهذا يثاب على الحب والبغض والموالاة والمعاداة في الله، وعلى التوكل والرضى والعزم على الطاعة، ويعاقب على الكبر والحسد والعُجبِ والشك والرياء وظن السوء بالأبرياء.

قال ابن القيم - رحمه الله - ولا حجة في شيء من هذا على وقوع الطلاق والعتاق بمجرد النية من غير تلفظ، ثم فند حجج القائلين بوقوع الطلاق حجة حجة فيما ملخصه:

١ - حديث الأعمال بالنيَّات حجة عليهم؛ لأنه أخبر أن العمل مع النية هو المعتبر، لا النية وحدها.

٢ - أما من اعتقد الكفر بقلبه أو شك فهو كافر لزوال الإيمان الذي هو عقد القلب مع الإقرار، فإذا زال العقد الجازم كان نفس زواله كفرًا، كالعلم والجهل وكل نقيضين إذا زال أحدهما حل محله الآخر، ولا يجتمعان.

٣ - وأما الآية فليس فيها أن المحاسبة بما يخفيه العبد إلزامه بأحكامه بالشرع، وإنما فيها محاسبته بما يبديه أو يخفيه من أعمال، ثم هو مغفور له أو معذب. فأين هذا من وقوع الطلاق بالنية؟

٤ - وأما أنَّ المصر على المعصية فاسق مؤاخذ، فهذا إنما هو فيمن فعل المعصية ثم أصر عليها، فهذا عمل اتصل به العزم على معاودته، فهذا هو المصر، وأما من عزم على المعصية ولم يعملها، فهو بين أمرين؛ إما أن لا تكتب عليه، وإما أن تكتب له حسنة إذا تركها لله عز وجل.

٥ - وأما الثواب والعقاب على أعمال القلوب فحق، والقرآن والسنة مملوآن به، ولكن وقوع الطلاق والعتاق بالنية من غير تلفظ أمر خارج عن الثواب والعقاب، ولا تلازم بين الأمرين، فإن ما يعاقب عليه من أعمال القلوب هو معاصٍ قلبية يستحق العقوبة عليها، إذ هي منافية لعبودية القلب، وهي أمور اختيارية يمكن اجتنابها فيستحق العقوبة على فعلها، وهي أسماء لمعاني مسمياتها قائمة بالقلب، وأما الطلاق والعتاق فاسمان قائمان باللسان أو ما ناب عنه من إشارة أو كتابة، وليسا اسمين لما في القلب مجردًا عن النطق.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا الرشد، وأن يفقهنا في الدين، وأن يرزقنا وجميع المسلمين العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

كسوف الشمس بين علماء الشريعة وعلماء الفلك

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: انْكَسَفَتِ الشمسُ يومَ ماتَ إبراهيمُ فقال الناس: انْكَسَفَتْ لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ».

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: خَسَفَت الشمسُ في عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الشَّمْسَ والْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله، لا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا، وتَصَدَّقُوا» ثم قال: «يَا أُمَّةَ محمد، واللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خَسَفَتِ الشمسُ فقام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود، ما رأيته قط يفعله، وقال: «هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُم شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ».

الحديث الأول: حديث المغيرة أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه **أولها** في كتاب الكسوف باب الصلاة في كسوف الشمس رقم (١٠٤٣) **والثاني** في باب الدعاء في الخسوف من نفس الكتاب برقم (١٠٦٠)، **وثالثها** في كتاب الأدب باب من سَمَّى بأسماء الأنبياء برقم (٦١٩٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الكسوف باب النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة برقم (٩١٥)، وعزاه في تحفة الأشراف للنسائي في الكبرى (الصلاة ٣/٨٠٦).

والحديث الثاني حديث عائشة أخرجه

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

البخاري أيضا في صحيحه في كتاب الكسوف بارقام: (١٠٤٤ ـ ١٠٤٦ ـ ١٠٤٧ ـ ١٠٥٠ ـ ١٠٥٦ ـ ١٠٥٨ ـ ١٠٦٤ ـ ١٠٦٥ ـ ١٠٦٦) كما أخرجه في مواضع متعددة منها: (١٢١٢ ـ ٣٢٠٣ ـ ٤٦٢٤ ـ ٥٢٢١ ـ ٦٦٣١) وأخرجه مسلم برقم (٩٠١) في كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف، وأخرجه النسائي في كتاب الكسوف برقم (١٤٧٥).

وأما حديث أبي موسى، وهو الحديث الثالث، فأخرجه البخاري في كتاب الكسوف باب الذكر في الكسوف برقم (١٠٥٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الكسوف أيضا باب النداء بصلاة الكسوف برقم (٩١٢)، كما أخرجه النسائي في كتاب الكسوف باب الأمر بالاستغفار في الكسوف برقم (١٥٠٤).

هذا وقد ورد الكسوف في الصحيحين وفي غيرهما من كتب السنن والمسانيد والمستدركات ودواوين الإسلام عن عدد من الصحابة غير هؤلاء الثلاثة، منهم: أبو بكرة، وأبو مسعود الأنصاري، وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وجابر بن عبد الله، وعبد الرحمن بن سمرة والنعمان بن بشير، وسمرة بن جندب، وابن مسعود، وقبيصة الهلالي، وأبي بن كعب وعلي. هذا العدد من الصحابة وردت عنهم صلاة الكسوف، وكيف صلاها رسول الله ﷺ، وماذا قال في خطبة الكسوف وكيف علم الناس توحيد الله عز وجل وردهم إلى الله في جميع أمورهم، وكيف يفزعون إلى الصلاة والذكر والتسبيح والتكبير والتهليل، كما وردت أحاديث أخرى في الشمس وأين تذهب في غروبها.

شرح بعض الألفاظ في الأحاديث الثلاثة

قوله: «انكسفت الشمس» وفي بعض الروايات «كسفت» وفي بعضها الآخر «خسفت»: أما كسفت فمعناه: ذهب ضوؤها واحتجبت، قال في المعجم الوسيط: «احتجاب نور الشمس أو نقصانه بوقوع القمر بينها وبين الأرض. وأما خسفت فمعناه: ذهب نورها أو نقص. قال الحافظ في الفتح: والمشهور في استعمال الفقهاء أن الكسوف للشمس، والخسوف للقمر، واختاره ثعلب (من أئمة اللغة)، وذكر الجوهري أنه أفصح، وقيل: يتعين ذلك، وحكى عياض عن بعضهم عكسه، وغَلَّطَهُ لثبوته بالخاء في القمر في القرآن، وقيل: يقال بهما في كل منهما. أي بالكسوف والخسوف للشمس وكذلك للقمر، قال: وبه جاءت الأحاديث، ولا شك أن مدلول الكسوف غير مدلول الخسوف من حيث اللغة؛ لأن الكسوف هو التغير إلى سواد، والخسوف هو النقصان أو الذل، فإن قيل في الشمس كسفت أو خسفت لأنها تتغير ويلحقها النقص ساغ، وكذلك القمر، ولا يلزم من ذلك أن الكسوف والخسوف مترادفان، وقيل في التفريق بين الكسوف والخسوف أن يكون بالكاف في الابتداء وبالخاء في الانتهاء، وقيل بالكاف لذهاب جميع الضوء (أي ما يسمي بالكلي)، وبالخاء لبعضه، وقيل بالخاء لذهاب كل اللون وبالكاف لتغيره. اهـ من فتح الباري بتصرف (جـ٢/ ح١٠٤٧).

قوله: «يوم مات إبراهيم» أي تصادف ذلك في اليوم الذي مات فيه إبراهيم ابن النبي ﷺ، قال الحافظ ابن حجر: وقد ذكر جمهور أهل السِّيَر أنه مات السنة العاشرة من الهجرة، وقيل: مات سنة تسع.

قوله ﷺ: «آيتان من آيات الله» أي علامتان من الدلائل على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته، أو على تخويف العباد من بأس الله وسطوته، ويؤيده قول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] وكذا قوله ﷺ كما في حديث أبي موسى: «يخوف الله بها عباده».

قوله: «لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»: كان أهل الجاهلية إذا كسفت الشمس أو خسف القمر قالوا: إنما حدث ذلك بسبب موت عظيم من عظماء أهل الأرض، فبين النبي ﷺ أن ذلك من آيات الله تعالى ولا تعلق للشمس ولا للقمر بالتأثير في الأرض ولا في أهل الأرض، وإذا

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

كانت الشمس من أكبر الكواكب وهي لا تملك نفعًا ولا ضرًا فما دونها أولى بذلك كما كان أهل الجاهلية يعتقدون نزول المطر بتاثير الكواكب والأنواء. كما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بالله كافر بالكوكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا فهو كافر بالله مؤمن بالكوكب». وهنا ينفي النبي ﷺ أن يحدث الكسوف أو الخسوف لموت أحد ولو كان ابنه ﷺ، قال الحافظ في الفتح: قوله (ولا لحياته): استُشْكِلت هذه الزيادة، لأن السياق إنما ورد في حق من ظن أن ذلك لموت إبراهيم، ولم يذكروا الحياة، والجواب: أن ذكر الحياة مع الموت نفي أن يكون كل منهما سببًا في الكسوف، حتى لا يُتوهم أن نفي كونه سببًا للموت لا ينفي كونه سببا للإيجاد، فعمم الشارع النفي لدفع هذا التوهم.

قوله: «فإذا رأيتموهما» أي إذا رأيتم كسوف كل منهما، ولا يفهم من ذلك وقوع كسوفهما معا في وقت واحد فإن ذلك مُحَالٌ إلا أن يشاء الله. وفيه دليل على مشروعية الصلاة في خسوف القمر.

قوله في الحديث الثاني: «والله ما من أحد أغير من الله»: فيه القسم لتأكيد الخبر وإن كان السامع غير شاكٍ، وقوله: «ما من أحد أغير» «ما» حجازية و«مِنْ» زائدة وأحد اسم «ما» و«أغير» منصوب خبرها، ويجوز في «أغير» الرفع على أن «ما» تميمية فلا تعمل.

وأما غيرة الله تعالى وبلوغها الذروة فذلك ثابت في غير ما حديث، من ذلك حديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفِح عنه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجَبُون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المِدْحَةُ من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة».

[البخاري ٦٨٤٦، ٧٤١٦ ـ مسلم ١٤٩٩]

وقوله: «يا أمة محمد»: فيه معنى الإشفاق أولا، ثم فيه مبالغة في التواضع عند الوعظ ليكون أقرب إلى انتفاع من يسمعه.

وقوله: «أن يزني عبده أو تَزني أمته»: قال الحافظ في الفتح: لعل تخصيص العبد والأمة بالذكر رعاية لحسن الأدب مع الله تعالى لتنزهه سبحانه عن الزوجة والأهل ممن تتعلق بهم الغيرة غالبًا.

وقوله: «لو تعلمون ما أعلم»: أي من عظيم قدرة الله تعالى وانتقامه من أهل الكفر والمعاصي، وقيل معناه: لو دام علمكم كما دام علمي، لأن علمه متواصل بخلاف غيره، وقيل معناه: لو علمتم من سعة رحمة الله تعالى وحلمه وغير ذلك ما أعلم لبكيتم على ما فاتكم من ذلك.

وقوله في الحديث الثالث: «يخوف الله بها عباده» قال الحافظ في الفتح: فيه رد على من يزعم من أهل الهيئة أن الكسوف أمر عادي لا يتأخر ولا يتقدم، إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف، ويصير بمنزلة الجزر والمد في البحر، وقد رَدَّ عليهم ذلك ابن العربي وغير واحد من أهل العلم بما في حديث أبي موسى حيث قال: «فقام فزعًا يخشى أن تكون الساعة» قالوا (أي العلماء): فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع، ولو كان بالحساب لم يكن للأمر بالعتق والصدقة والصلاة والذكر معنى، فإن ظاهر الأحاديث أن ذلك يفيد التخويف. وأن كل ما ذكر من أنواع الطاعة يرجى أن يدفع به ما يخشى من أثر ذلك الكسوف، وقد وقع في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب آخر غير ما يزعمه أهل الهيئة وهو ما أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم بلفظ «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله، وأن الله إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له» وقد استشكل الغزالي هذه

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الزيادة وقال: إنها لم تثبت فيجب تكذيب ناقلها، قال: ولو صحت لكان تاويلها أهون من مكابرة امور قطعية لا تصادم أصلا من أصول الشريعة. قال ابن بزيزة: هذا عجب منه، كيف يسلم دعوى الفلاسفة ويزعم أنها لا تصادم الشريعة؟ مع أنها مبنية على أن العالم كُريٌّ الشكل وظاهر الشرع يعطي خلاف ذلك، والثابت من قواعد الشريعة أن الكسوف أثر لإرادة الله الفاعل المختار، فيخلق في هذين الجرمين النور متى شاء والظلمة متى شاء من غير توقف على سبب أو ربط باقتراب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

ولقد شهد العالم كله الكسوف الكلي الذي حدث في مصر في منطقة السلوم شمالي البلاد، جاء الباحثون والراصدون من كثير من أنحاء العالم، ورأوا تحول النور إلى ظلمة في لحظات، فهل اعتبر أهل العلم وهل ادكر أهل الحسابات الفلكية؟ هل تفكر أحد في قدرة الله تعالى؟ هل ازداد المؤمنون إيمانًا؟ والله عز وجل ذكر علم النبات بعد إنزال المطر من السماء، وعلم الجبال، واختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام، ثم عقَّب على ذلك بأن العلماء وحدهم هم الذين يخشون الله تعالى حق الخشية فقال تعالى في سورة فاطر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

فالأصل أن العلم؛ أي علم من العلوم يؤدي إلى خشية الله تعالى ورد الأمر إليه وحده.

والحديث الذي رده الغزالي قد أثبته غير واحد من أهل العلم، وهو ثابت من حيث المعنى أيضا؛ لأن النورية والإضاءة من عالم الجمال الحسي، فإذا تجلت صفة الجلال انطمست الأنوار لهيبته، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] اهـ. كلام ابن بزيزة.

ثم قال ابن حجر: ويؤيد هذا الحديث ما رويناه عن طاووس أنه نظر إلى الشمس وقد انكسفت فبكى حتى كاد يموت وقال: هي أخوف لله منا. وقال ابن دقيق العيد: ربما يعتقد بعضهم أن الذي يذكره أهل الحساب ينافي قوله: «يخوف الله بها عباده» وليس بشيء؛ لأن لله أفعالا على حسب العادة، وأفعالا خارجة عن ذلك، وقدرته حاكمة على كل سبب فله أن يقطع ما يشاء من الأسباب والمسببات بعضها عن بعض، وإذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرة الله تعالى على خرق العادة، وأنه يفعل ما يشاء، إذا وقع أمر غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد، وذلك لا يمنع أن يكون هناك أسباب تجري عليها العادة إلى أن يشاء الله خرقها. وحاصله أن الذي يذكره أهل الحساب حقا في نفس الأمر لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله تعالى. اهـ

بين علم الشريعة وعلم الفلك

ولقد نقلنا ما قاله علماء المسلمين قديما حول هذه القضية، فابن حجر من علماء القرن الثامن وأوائل التاسع الهجري، وقد نقل عن ابن العربي المالكي وهو من علماء القرن السادس الهجري وشيخه الغزالي وهو من علماء القرن الخامس الهجري، والكلام عن كروية الأرض وعن أن قرص القمر يحجب قرص الشمس عند الكسوف، وأن الأرض تحجب قرص الشمس عن القمر فيحدث خسوف القمر، إلى غير ذلك مما يُدعى أنه من العلم الحديث بينما الكلام فيه قديم، كما رأيت أيها الأخ المسلم، لكن كثيرا من المسلمين لمَّا قل علمهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم بهرتهم الدراسات الحديثة حول ظاهرة الكسوف

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

والخسوف، والأمر كما ترى ليس بجديد، ولكن الجديد تأثر أبناء المسلمين بما يقال حول هذه الظواهر حتى رأينا من يصرح بأن هذه الظواهر لم تكن معلومة عند السابقين، فلذلك اتخذوا لها صلاة، فلقد سأل بعض المذيعين بعض الباحثين بعد تفسير ظاهرة الكسوف - علميا كما يزعمون - سأل قائلا: إذن لماذا عملوا للكسوف صلاة؟ هكذا يفكر أبناء المسلمين في هذا العصر، وهكذا يتساءلون!! ويأتي الجواب على هذا التساؤل بأسوأ مما ورد في السؤال، وهو قول الباحثة: لأنهم كانوا لا يعرفون تفسير هذه الظواهر علميا.

ونحن بدورنا نتساءل: من الذي عمل للكسوف صلاة؟ هل اخترعها قدامى الفقهاء من المسلمين؟ أو أنها جاءت بفكر من بعض المفكرين؟!!

إن الذي سن لنا صلاة الكسوف والخسوف هو الذي سن لنا صلاة الاستسقاء وهو الذي سن لها صلاة العيدين، إنه رسول الله ﷺ أعلم الخلق بربه وأخشاهم له وأتقاهم على الإطلاق، فلقد صح عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «والله إني لأعلمكم بالله وأتقاكم له وأخشاكم له».

والله تبارك وتعالى قال في كتابه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

ولقد مضى في حديث عائشة الذي معنا كيف صلى بالناس صلاة الكسوف، وكيف خطب، وماذا قال في خطبته، والأحاديث في ذلك كثيرة كما أشرنا تبين كيفية صلاة الكسوف، وما أمر به رسول الله ﷺ الناس من الفزع إلى ذكر الله والتسبيح والتهليل والتكبير، والاستغفار، والتصدق، وما بينه بعد ذلك من غيرة الله تعالى أن تنتهك محارمه، وذلك كله بعد ما بين ﷺ أن الشمس والقمر من دلائل قدرة الله وتوحيده وعظمته.

ولكننا رأينا الآن من يصرح في الصحف: أن المصائب التي تصيب المسلمين، والبلايا التي تحل بهم لا علاقة لها بالمعاصي والذنوب، بل من أبناء المسلمين من يصرح بأن الظواهر الطبيعية من كسوف وخسوف وزلازل وأعاصير لا دخل لله فيها، تعالى الله عما يقول الجاهلون والظالمون علوًا كبيرًا.

صلاة الكسوف

يسن للمسلمين صلاة الكسوف ركعتين، وهي مشروعة حضرًا وسفرًا للرجال والنساء والصبيان كالجمعة والعيدين، وإنما لم تجب لحديث الأعرابي الذي سأل رسول الله ﷺ: «هل عليَّ غيرها؟» أي الصلوات الخمس، قال: «لا: إلا أن تطوع».

وقيل في حكمة مشروعيتها: إن الشمس من أكبر نعم الله تعالى على خلقه، وعليها تتوقف حياة الكائنات، وكسوفها يشعر بأنها قابلة للزوال، بل فيه إعلام بأن العالم كله علويه وسفليه في قبضة إله قدير، قادر على إذهابه في لحظة، والصلاة في هذه الحالة إظهار للتذلل والخضوع لله القوي القاهر، وذلك من محاسن دين الإسلام الذي جاء بالتوحيد الخالص ونبذ عبادة الأوثان، ومنها الشمس والقمر وغيرهما من العوالم.

وتُصلى صلاة الكسوف جماعة أو فرادى، سرًا أو جهرًا، بخطبة أو بلا خطبة، وفعلها في مسجد الجمعة والجماعة أفضل، ولا يشترط لها إذن الإمام، وتشرع بلا أذان ولا إقامة، ويندب أن ينادى لها «الصلاة جامعة» كما أمر النبي ﷺ بذلك.

وكيفيتها المختارة الراجحة هي الواردة في حديث عائشة: ركعتان، في كل ركعة ركوعان وسجودان، وقبل كل من الركوعين قراءة، ويسن فيها تطويل القراءة والركوع والسجود.

نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين رشدهم وأن يفقههم في دينهم، وأن يعلي شأنهم، وأن يعز الإسلام وأهله، ويرد ضال المسلمين إلى الصراط المستقيم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

من الإعجاز العلمي في

التداوي بألبان الإبل وأبوالها

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه. وبعد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم ناس من عُكْلٍ أو عُرَيْنَةَ، فاجتوَوُوا المدينة، فأمرهم النبي ﷺ بلِقَاحٍ، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها، فانطلقوا، فلما صَحُّوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستَاقُوا النَّعَم، فجاء الخبر في أول النهار، فبعث في آثارهم، فلما ارتفع النهارُ جيء بهم، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسُمِّرَتْ أعْيُنُهم وأُلْقُوا في الحرَّة، يَسْتَسْقُون فلا يُسْقَوْنَ.

قال أبو قِلابَةَ: فهؤلاء سَرَقُوا، وقتلُوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا اللَّه ورسوله.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بالأرقام: [٢٣٣، ١٥٠١، ٣٠١٨، ٤١٩٢، ٤١٩٣، ٤٦١٠، ٥٦٨٥، ٥٦٨٦، ٥٧٥٧، ٦٨٠٢، ٦٨٠٣، ٦٨٠٤، ٦٨٠٥، ٦٨٩٩]. كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحدود من صحيحه برقم [١٦٧١/٩ - ١٤]، وأخرجه الإمام أبو داود برقم (٤٣٦٤)، والإمام الترمذي في الطب برقم (٢٠٤٢)، والإمام النسائي في المحاربة بالأرقام (٤٠٢٩ - ٤٠٤٨)، والإمام ابن ماجه في الطب برقم (٣٥٠٣)، والإمام أحمد في المسند [١٩٢/١، ١٠٧/٣، ١٦١، ١٧٧، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٧٠].

شرح الحديث

قول أنس رضي الله عنه: «قدم أناس» أي على رسول الله ﷺ.

قوله: «من عُكْلٍ أو عُرَيْنة» قال الحافظ في الفتح: الشك من حماد، ثم ساق الروايات التي بها شك، والروايات التي اقتصرت على إحداهما، ثم قال: وفي المغازي: «من عكل وعرينة» بالواو العاطفة، وهو الصواب، ويؤيده ما رواه أبو عَوَانة والطبري من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس قال: كانوا أربعة من عرينة وثلاثة من عكل، ولا يخالف هذا ما عند المصنف في الجهاد، وفي الديات عن أبي قلابة عن أنس: «أن رهطًا من عكل ثمانية» لاحتمال أن يكون الثامن من غير القبيلتين وكان من أتباعهم فلم ينسب، وزعم ابن التين تبعًا للداودي أن عرينة هي عكل، وهو غلط، بل هما قبيلتان متغايرتان، عكل من عدنان وعرينة من قحطان، وقد روي أن قدومهم كان في سنة ست من الهجرة بعد غزوة (ذي قَرَد) أو بعد الحديبية، والله أعلم. انتهى من الفتح باختصار.

قوله: «فاجْتَوَوُا المدينة». قال ابن فارس: يقال: اجتويت البلاد إذا كرهتها وإن كنت في نعمة، قال: ومن هذا الجَوَى وهو داء القلب. وقال ابن الأثير في النهاية: اجْتَوَوا أي أصابهم الجَوَى، وهو المرض

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الطب النبوي

إعداد
زكريا حسيني

وداء الجوف إذا تطاول. ونقل ابن حجر عن ابن العربي: الجوى داء يأخذ من الوباء، قال ابن حجر: وفي رواية أخرى هي رواية أبي رجاء: «استوخموا المدينة». وهو بمعنى «اجتووا»، وللمصنف في كتاب الطب: «إن ناسًا كان بهم سقم قالوا: يا رسول الله، آونا وأطعمنا، فلما صحوا قالوا: إن المدينة وخمة».

والظاهر أنهم قدموا سِقَامًا فلما صَحُّوا من السُّقم كرهوا الإقامة بالمدينة لوخمها، فأما السقم الذي كان بهم فهو الهزال الشديد والجهد، فعند أبي عوانة: «كان بهم هزال شديد»، وعنده أيضًا: «مصفرة الوانهم»، وأما الوخم الذي شكوا منه بعد أن صحت أجسامهم فهو من حمى المدينة كما عند أحمد من حديث أنس، ووقع عند مسلم من رواية معاوية بن قرة عن أنس: «وقع بالمدينة المُوْمُ» أي البِرْسَام (وهو سريان معرب) أطلق على اختلال العقل، وعلى ورم الرأس، وعلى ورم الصدر، والمراد هنا الأخير، فعند أبي عوانة في هذه القصة: «فعظمت بطونهم».

قوله: «فأمرهم بلِقَاحٍ»، وللبخاري في رواية قتادة: «فأمرهم أن يلحقوا براعية»، وله عن حماد: «فأمر لهم بلِقَاح». وفي رواية أيوب أنهم قالوا: «يا رسول الله أبْغِنا رِسْلاً» أي اطلب لنا لبنًا، قال: ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالذود».

واللِّقَاحُ: جمع لِقْحَة؛ وهي النوق ذات الألبان، قال الحافظ: قال أبو عمرو: يُقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر، ثم هي لبون. وظاهر ما مضى أن اللقاح كانت لرسول الله ﷺ، وصرح بذلك في كتاب المحاربين: «إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله ﷺ»، وللبخاري في رواية أخرى في كتاب المحاربين: «فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة والجمع بينهما: أن إبل الصدقة كانت ترعى خارج المدينة، وصادف بعث النبي ﷺ بلقاحه إلى المرعى طلب هؤلاء النفر الخروج إلى الصحراء لشرب ألبان الإبل فأمرهم أن يخرجوا مع راعيه فخرجوا معه ففعلوا ما فعلوا».

قوله: «وأن يشربوا»: أي وأمرهم أن يشربوا، وللبخاري في رواية أبي رجاء: «فاخرجوا فاشربوا من ألبانها وأبوالها» بصيغة الأمر، وفي رواية شعبة عن قتادة: «فرخص لهم أن يأتوا الصدقة فيشربوا». فأما شربهم ألبان الصدقة فلأنهم من أبناء السبيل، وأما شربهم لبن لِقاح النبي ﷺ فبإذنه المذكور.

قال الحافظ في الفتح: وأما شربهم البول فاحتج به من قال بطهارته، أما من الإبل، فبهذا الحديث، وأما من مأكول اللحم فبالقياس عليه. اهـ.

قوله: «فلما صحوا» في السياق حذف تقديره: «فشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحوا».

قوله: «واستاقوا النَّعَم» من السَّوْقِ وهو السير العنيف.

قوله: «فجاء الخبر»، وفي رواية وهيب عن أيوب «الصَّريخُ» وهو فعيل بمعنى الفاعل أي أنه صرخ بالإعلام بما وقع منهم، وهذا الصارخ أحد الراعيين كما ثبت في صحيح أبي عوانة من رواية معاوية بن قرة عن أنس: «فقتلوا أحد الراعيين وجاء الآخر قد جزع فقال: قد قتلوا صاحبي وذهبوا بالإبل».

قوله: «فبعث في آثارهم». زاد في رواية الأوزاعي «الطلب»، وفي حديث سلمة بن الأكوع: «خيلاً من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري»، وفي رواية النسائي: «فبعث في طلبهم قافة» جمع قائف وهو الذي يقفو الأثر ويقتصه.

قوله: «فلما ارتفع» فيه حذف تقديره فأُدْرِكوا في ذلك اليوم فأُخِذوا، فلما ارتفع النهار جيء بهم إلى رسول الله ﷺ أُسارَى.

قوله: «فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم»، وفي معظم الروايات فقطع أيديهم وأرجلهم، وللبخاري: ولم

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

يحسمهم، أي يكون قطع منهم بالنار ليقطع الدم بل تركه ينزف.

قوله: «وسُمِرَتْ أعينهم» بتشديد الميم، وفي رواية أبي رجاء: «وسَمَرَ» بتخفيف الميم، وروايات البخاري كلها بالراء، وأما مسلم ففي رواية عبد العزيز عنده: «سَمَلَ» باللام، قال الخطابي: والسَّمْلُ فقءُ العين بأي شيء كان.

قوله: «وألقوا بالحرة» هي أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة، وقد القوا فيها لأنها بالقرب من المكان الذي فعلوا فيه فعْلتهم.

قوله: «يَسْتَسقُون فلا يُسْقَوْن». زاد ابن وهب: «حتى ماتوا»، وفي رواية أبي رجاء: «ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا»، وفي رواية شعبة عن قتادة: «يَعَضُّون الحجارة»، وفي الطب قال أنس: «فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت».

ثم ساق ابن حجر أقوال القائلين بنسخ المثلة والنهي عنها، وأقوال القائلين بأن النبي ﷺ إنما فعل بهم ذلك لأنهم كذلك فعلوا بالراعي أو الرِّعاء.

قوله: «قال أبو قلابة: فهؤلاء سرقوا» لأنهم أخذوا اللقاح من حرز مثلها.

قوله: «وقتلوا» أي الرعاء أو الراعي.

قوله: «وحاربوا الله ورسوله»، ثبت عند أحمد من رواية حميد عن أنس في أصل الحديث: «وهربوا محاربين».

قال الحافظ في الفتح: وفي الحديث غير ما تقدم:

١- قدوم الوفود على الإمام.

٢- نظره في مصالحهم.

٣- مشروعية الطب والتداوي بالبان الإبل وأبوالها.

٤- وأن كل جسد يُطَبُّ بما اعتاده.

٥- قتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة.

٦- المماثلة في القصاص وليس ذلك من المثلة المنهي عنها.

٧- جواز استعمال أبناء السبيل إبل الصدقة في الشرب وغيره.

٨- العمل بقول القائف، وللعرب في ذلك المعرفة التامة.

التداوي بألبان الإبل

هذا، وقد عنون الإمام ابن القيم في زاد المعاد لهذا الحديث بقوله: «فصل في هديه ﷺ في داء الاستسقاء وعلاجه، ثم ساق الحديث برواية الصحيحين، ثم قال: والدليل على أن هذا المرض كان الاستسقاء ما رواه مسلم في صحيحه في هذا الحديث أنهم قالوا: إنا اجتوينا المدينة، فعظمت بطوننا، وارتهشت أعضاؤنا، وذكر تمام الحديث. ولقد بحثت في صحيح مسلم فلم أجد هذا اللفظ، وإنما لفظ «اصفرت ألوانهم وعظمت بطونهم» كما سبق بيانه في رواية النسائي وعند أبي عوانة كما وضحه الحافظ في الفتح.

ونقل ابن القيم عن الرازي قوله: لبن اللقاح يشفي أوجاع الكبد، وفساد المزاج، ونقل عن الإسرائيلي قوله: «لبن اللِّقاح أرقُّ الألبان، وأكثرها مائية وحدَّةً، وأقلها غذاءً، فلذلك صار أقواها على تلطيف الفضول وإطلاق البطن، وتفتيح السدود، ويدل على ذلك ملوحته اليسيرة التي فيه لإفراط حرارة حيوانية بالطبع، ولذلك صار أحض الألبان بتطرية الكبد، وتفتيح سددها، وتحليل صلابة الطحال إذا كان حديثًا، والنفع من الاستسقاء خاصة إذا استعمل لحرارته التي يخرج بها من الضرع، مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان، فإن ذلك مما يزيد في ملوحته، وتقطيعه الفضول وإطلاق البطن.

ثم نقل عن صاحب القانون (ابن سينا): ولا يلتفت إلى ما يقال، من أن طبيعة اللبن مضادة لعلاج الاستسقاء. قال: واعلم أن لبن النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفق، وما فيه من خاصية، وأن هذا اللبن شديد المنفعة، فلو أن إنسانًا أقام عليه بدل الماء والطعام شُفِيَ به، وقد جرب هذا في قوم دُفِعوا إلى بلاد العرب، فقادتهم الضرورة إلى ذلك فعوفوا، وأنفع الأبوال: بول الجمل الأعرابي، وهو النجيب. اهـ.

من الأبحاث الطبية الحديثة.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

في مقال بجريدة الاتحاد في عددها ٩٥١٥ بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٢٤ تتناول دراسة الدكتور محمد مراد في مجال الطب والصحة إلى أنه في الماضي استخدم العرب حليب الإبل في معالجة الكثير من الأمراض ومنها: أمراض المعدة، والأمعاء، والاستسقاء، وأمراض الكبد، وخاصة اليرقان، وتليف الكبد، وأمراض الربو وضيق التنفس، ومرض السكرى، كما استخدم لمعالجة الضعف الجنسي، كما أنه يساعد على نمو العظام عند الأطفال، ويقوي عضلة القلب، وجاء في دراسته أن أبوال الإبل استخدمت - كمادة مطهرة للجروح والقروح، ولنمو الشعر ولتقويته، وتكاثره ومنع تساقطه، وكذا لمعالجة مرض القرع والقشرة. إلخ.

وأشارت دراسات أخرى للباحث «محمد أوهاج» أنه توصل إلى أن بول الإبل يشفي من طائفة من أمراض الجهاز الهضمي، وعلى رأسها التهاب الكبد.ويقول الباحث «محمد أوهاج»: إن التحاليل المخبرية تدل على أن بول الجمل يحتوي على تركيز عالٍ من البوتاسيوم والبولينا والبروتينات الزلالية، والأزمولارتي وكميات قليلة من حمض البوريك والصوديوم والكرياتين، وأوضح الباحث أن الذي دعاه إلى تقصي خصائص بول الإبل العلاجية هو أنه رأى أفراد قبيلة يشربون ذلك البول حينما يصابون باضطرابات هضمية، واستعان ببعض الأطباء لدراسة البول الإبلي فأتوا بمجموعة من المرضى وسقوهم ذلك البول لمدة شهرين وكانت النتيجة أن معظمهم تخلصوا من الأمراض التي كانوا يعانون منها، أي أنه ثبت علميا أن بول الإبل مفيد إذا شُرِبَ على الريق، كما توصل «أوهاج» إلى أن بول الإبل يمنع تساقط الشعر.

وهناك دراسات للدكتور عبد العاطي كامل رئيس بحوث الألبان بمركز البحوث الزراعية التابع لوزارة الزراعة أثبت فيها أن ألبان الإبل تحتوي على كمية فائقة من فيتامين «ج» وهو الأمر الذي يجعل لألبان الإبل أهمية عظيمة لسكان المناطق الصحراوية التي لا توجد فيها الخضروات الورقية الطازجة والفواكه، كما أشار الدكتور عبد العاطي كامل إلى أن معدلات الفيتامينات والمعادن في ألبان الإبل تتفوق على مثيلاتها في ألبان البقر والغنم حتى تصل إلى ثلاثة أضعاف ما في البقر والغنم، بل وتصل إلى ضعف ونصف ما في ألبان الأمهات من النساء.

وثَمَّ دراسة لعميد كلية المختبرات الطبية بجامعة الجزيرة السودانية البروفيسور أحمد عبد الله أحمداني كشف فيها عن تجربة علمية باستخدام (بول الإبل) لعلاج أمراض الاستسقاء وأورام الكبد أثبتت نجاحها لعلاج المرضى المصابين بتلك الأمراض.

وهناك دراسات كثيرة في كثير من البلاد منها في السعودية حتى توصلت الدكتورة أحلام العوضي إلى استخدام بول الإبل في علاج الأمراض الجلدية، وفي اكتشاف آخر توصلت إلى علاج يكافح الأمراض وهو عبارة عن سلالات بكتيرية معزولة من بول الإبل، وهناك مجموعة من الباحثات السعوديات بكلية البنات بجدة تشرف عليهن الدكتورة أحلام العوضي، وأثبتت دراسة لإحدى الباحثات التي تشرف عليها الدكتورة العوضي: أن بول الإبل يحتوي على عدد من العوامل العلاجية كمضادات حيوية (البكتريا الموجودة به، والملوحة واليوريا).

وفي دراسة مصرية أشارت إلى أن ألبان الإبل هي أفضل غذاء للمخ والأعصاب وللوقاية من السكر والكوليسترول.

وأوضح باحثون في كلية الطب البيطري بجامعة القاهرة أن حليب النوق يحتوي على بروتينات تشبه في عملها هرمون الأنسولين المنظم لسكر الدم إلى جانب العديد من الأملاح المعدنية المفيدة كالفسفور والمنجنيز والحديد والبوتاسيوم، ونبه الباحثون إلى أن لحليب الإبل خصائص طبية كثيرة تجعله مناسبًا لعلاج أمراض الاستسقاء واليرقان ومشكلات الطحال والسل والربو والأنيميا والبواسير، وتحسين وظائف الكبد وأمراض الربو ومرض السكري وعلاج نزلات البرد والنزلات الشعبية إضافة إلى قرحة المعدة والسرطان وأمراض

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الكبد والتهاباته.

موقف بعض المسلمين من الطب النبوي

لقد اعتاد كثير من المسلمين وخاصة منهم من تربى تربية غربية أو شرقية - اعتادوا على التنكر لما ينسب إلى دين الإسلام ونبي الإسلام ولا سيما في المجالات الطبية وغيرها، ومع وجود هذه الأبحاث والدراسات، فإن بعض المسلمين لا يزالون يعيشون بمنأى عنها وعن تصديق الرسول ﷺ، فكتب بعضهم يقول: النبي لم يبعث طبيبا وإنما بعث هاديا، وهذه بلا شك كلمة حق ولكن أريد بها باطل، أريد بها رد ما ثبت عن النبي ﷺ من كلام في الطب، وأيد الكاتب كلامه بقوله: يكفينا قول الرسول: «أنتم أعلم بشئون دنياكم». وهنا يتضح ما رمى إليه هذا الكاتب وقد صرح بأن الذين يذهبون إلى التداوي بألبان الإبل وأبوالها أناس خرافيون، يلجأون إلى الخرافة، والكاتب ليس وحده في ذلك وإنما نسمع ونقرأ بين الحين والحين من يردد هذا الكلام ويحاول أن ينتصر له، وينضم إلى أولئك بعض الأطباء؛ ومن يتكلم في ذلك من الأطباء؛ فهو أحد صنفين: إما مشفق على نفسه من انقطاع الرزق بانصراف المرضى عنه، وإما حرصًا على المهنة وعدم تكديرها بشيء خارج عنها فيما يزعم، ولقد رأيت عددًا من الأطباء يذهبون للتداوي بألبان الإبل وأبوالها، فبعضهم يذهب على استحياء، ويتكتم على الخبر لا يريد أن يعرف زملاؤه عنه شيئا، فأحدهم قال لي: إن زميله أشار عليه بعد أن اكتشف ورمًا في الكبد أن يذهب ليبحث عن التداوي بالألبان والأبوال، ولكنه كان متحرجا في أن يشير عليه بذلك ولقد رأيت في رحلتي الأخيرة إلى منطقة مطروح أكثر من مائة وعشرين مريضا يترددون على صاحب مزرعة الإبل التي نشرب فيها اللبن والبول، وهم من جميع فئات الشعب منهم ثلاثة أطباء أحدهم مدير مستشفى مركزي بإحدى محافظات مصر، ومنهم لواءات شرطة ولواءات جيش ومهندسون ومن كل الفئات.

ولكن من تربوا على المكابرة، وردّ كل ما جاء عن النبي ﷺ يصفونهم بأنهم مخرفون ويستنكرون هذا الدواء، بل إنهم ينكرون أن يكون القرآن شفاءً للأبدان، قائلين إن القرآن نزل هداية، والمراد بالشفاء فيه الهداية من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى... إلخ، وهؤلاء الذين ينكرون شفاء القرآن للأبدان، وينكرون ما ورد عن النبي ﷺ في الطب ويزعمون أن القرآن ما أنزل إلا للهداية وكذلك النبي ما أرسل إلا لهداية الناس، نقول لهم ليتكم اهتديتم في حياتكم بهدي القرآن وبهدي رسول الله ﷺ لكنهم في واد والقرآن والسنة في واد آخر، وأما أن القرآن فيه شفاء للأبدان فهذا ثابت بالقرآن والسنة، وأما أن النبي ﷺ أوصى بادوية وأشفية فهذا ثابت في الصحيحين وكتب السنن والمسانيد ودواوين الإسلام، كالتداوي بألبان الإبل وأبوالها، وبالحبة السوداء، وبالتلبينة، وبالحجامة، والكحل والإثمد، والمنّ، والقسط الهندي، وإطفاء الحمى بالماء، إلى غير ذلك.

لكن قومنا اعتادوا ألا يصدقوا شيئا إلا إذا جاء من الغرب أو الشرق أي من الإفرنج، فيثقون فيه ويعملون به، وكان رسولنا ﷺ أمرنا ألا نصدقه إلا إذا صدقه الغرب، فلو علمنا وفهمنا أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى، ولكن غيره إنما يتكلم بالتجارب والظنون، ثم إننا لو علمنا أن الغرب إنما أخذ عنا هذه العلوم وعمل على تطويرها، وأن الأصل عندنا لوثقنا فيما عندنا وعلمنا أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل، وأفدنا منه، بدلا من البدائل الكيماوية التي تدمر حياتنا وأجسامنا وأصبح ضررها أكثر من نفعها، إن ديننا هو الحق وكلام ربنا حق وسنة نبينا حق، وماذا بعد الحق إلا الضلال!!

نسأل الله تعالى أن يوفقنا والمسلمين لما يحب ويرضى وأن يردنا إلى دينه ردًا جميلا، وأن يهدي ضال المسلمين إلى صراطه المستقيم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

من الإعجاز العلمي في الطب النبوي

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «في الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ من كل دَاءٍ إلاَّ السَّام». قال ابن شهاب: والسام الموت، والحبة السوداء الشونيز.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب «الحبة السوداء» برقم (٥٦٨٨)، كما أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها برقم (٥٦٨٧)، وأخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة في كتاب السلام باب التداوي بالحبة السوداء برقم (٢٢١٥)، وأخرجه الإمام الترمذي عن أبي هريرة أيضًا في كتاب الطب باب ما جاء في الحبة السوداء برقم (٢٢١٥)، وأخرجه الإمام الترمذي عن أبي هريرة أيضًا في كتاب الطب باب ما جاء في الحبة السوداء برقم (٢٠٤١) وقال: وفي الباب عن بريدة وابن عمر وعائشة، وابن عمر بالأرقام (٣٤٤٧- ٣٤٤٩- ٣٤٤٨)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة برقم (٧٢٨٧)، قال محقق المسند: وأخرجه الحميدي (١١٠٧)، كما أخرجه الإمام أحمد من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه، ومن حديث عائشة رضي الله عنها.

شرح الحديث

قوله: «في الحبة السوداء»، وفي رواية مسلم: «إن في الحبة السوداء شفاءً». وفي رواية أحمد في المسند: «عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاءً من كل داء».

وقد فسر الحبة السوداء ابن شهاب «بالشُّونِيز». قال ابن حجر: وتفسير الحبة السوداء بالشونيز لشهرة الشونيز عندهم إذ ذاك، وأما الآن فالأمر بالعكس، والحبة السوداء أشهر عند أهل هذا العصر من الشونيز بكثير، وتفسيرها بالشونيز هو الأكثر والأشهر. قال ابن حجر: ونقل إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» عن الحسن البصري أنها الخردل، وحكى أبو عبيد الهروي في «الغريبين» أنها البُطْمُ، واسم شجرتها «الضَّرْوُ»، وقال الجوهري: هو صمغ شجرة تدعى الكمكما تجلب من اليمن، ورائحتها طيبة وتستعمل في البخور، قال الحافظ: قلت: وليست المراد هنا جزمًا، ونقل عن القرطبي قوله: تفسيرها بالشونيز أولى من وجهين: الأول أنه قول الأكثر، والثاني: كثرة منافعها بخلاف الخردل والبُطْم.

قوله: «من كل داء»: هذا أوسع من أن تستعمل على وجه واحد، وكيفية واحدة، بل تستعمل مفردة أي وحدها بلا إضافة، ومركبة بإضافتها إلى غيرها من المواد، ومسحوقة، وقد تستعمل أكلاً، وشربًا، وسَعُوطًا، وضمادًا، وغير ذلك.

قال الحافظ في الفتح: وقيل إن قوله «كل داء» تقديره: يقبل العلاج بها، فإنها تنفع من الأمراض الباردة، وأما الحارة فلا، نعم قد تدخل في بعض الأمراض الحارة اليابسة بالْعَرَض فتوصل قوى الأدوية الرطبة الباردة إليها بسرعة تنفيذها. ثم قال: قال أهل العلم بالطب: إن طبع الحبة السوداء حارٌّ يابسٌ، وهي مذهبة للنفخ، نافعة من حمى الرَّبع، والبلغم، مُفتحة للسدد والريح، مجففة لبلة المعدة، وإذا دقت وعجنت بالعسل وشربت بالماء الحار أذابت الحصاة وأدرت البول والطمث واللبن، وفيها جلاء وتقطيع، وإذا شرب منها وزن مثقال بماء أفاد من ضيق النفس، والضماد بها ينفع من الصداع البارد، وإذا طبخت بخل وتمضمض

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

«الحبة السوداء شفاء من كل داء»

إعداد
زكريا حسيني

بها نفعت من وجع الأسنان، وقد ذكر ابن البيطار وغيره ممن صنف في المفردات هذا الذي ذكرته في منافعها وأكثر منه.

وقال الخطابي في أعلام الحديث: وهذا من عموم اللفظ الذي يراد به الخصوص [يعني قوله: «من كل داء» إذ ليس يجتمع في شيء من النبات والشجر جميع القوى التي تقابل الطبائع كلها في معالجة الأدواء على اختلافها وتباين طبائعها، وإنما أراد أنه شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة. اهـ.

وقال أبو بكر بن العربي: العسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون دواءً من كل داءٍ من الحبة السوداء، ومع ذلك فإن من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسل لتأذى به، فإن كان المراد بقوله في العسل: «فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ» الأكثر الأغلب، فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى.

وقال غيره: كان النبي ﷺ يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض، فلعل قوله في الحبة السوداء وافق مرض من مزاجه بارد، فيكون معنى قوله: «شفاءً من كل داء». أي من هذا الجنس الذي وقع القول فيه، والتخصيص بالحبية شائع كثير والله أعلم. ثم قال الحافظ: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: تكلم الناس في هذا الحديث وخصوا عمومه، وردوه إلى قول أهل الطب والتجربة، ولا خفاء بغلط قائل هذا، لأنا إذا صدقنا أهل الطب- ووافق علمهم غالبًا إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظن غالب- فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى، وكلامه أولى بالقبول من كلامهم. انتهى.

وقد تقدم توجيه حمله على عمومه بأن يكون المراد بذلك ما هو أعم من الإفراد والتركيب، ولا محذور في ذلك ولا خروج عن ظاهر الحديث، والله أعلم. اهـ. من الفتح.

وقال صاحب تحفة الأحوذي بعد أن ساق قول الخطابي، وساق بعده كلامًا للطيبي هو قوله: ونظيره قوله تعالى في حق بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] في إطلاق العموم وإرادة الخصوص. انتهى. وقيل: هي باقية على عمومها، وأجيب عن قول الخطابي بقول الشاعر:

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد

وأما قول الطيبي، ففيه أن الآيتين يمنع حملهما على العموم عند كل أحد على ما هو معلوم، وأما أحاديث الباب فحملها على العموم متعين لقوله ﷺ فيها: «إلا السام». كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٢، ٣]. اهـ.

ولقد سبق هؤلاء العلماء ابن القيم رحمه الله تعالى، فذكر في زاد المعاد - الجزء الرابع- الحبة السوداء والحديث الوارد فيها، وعدد منافعها وكيفيات استعمالها، فذكر الذي نقلناه عن فتح الباري وزيادة، وكان الحافظ نقل عنه بعض ما كتبه بشأن الحبة السوداء والأمراض التي تعالجها وتداويها ويُبْرأ منها بإذن الله تعالى.

الحبة السوداء عند الأطباء القدامى والمحدثين

أولاً: عند القدامى:

في بحث أعداه الدكتور/ حسام عرفة تحت الحبة السوداء ذات الأيادي البيضاء يقول: حين أزاح اللورد «كارتر» الستار عن كشفه الأثري المهم، وهو مقبرة الملك الفرعوني «توت عنخ آمون»، لم يكن يعلم ماهية الزيت الأسود اللون الذي وجد ضمن مقتنيات هذا الملك الشاب، والذي عرف فيما بعد بزيت «حبة البركة» أو «الحبة السوداء».

عرف المصريون القدماء نبات حبة البركة، ولكن لم يعرف على وجه التحديد كيف استخدموه في حياتهم اليومية، وكانوا يعرفونها باسم «شنتت»، إلا أن اكتشاف زيت هذا النبات ضمن مقتنيات أحد ملوكهم يدل بصورة قاطعة على مدى أهمية هذا النبات في هذه الفترة.

ويشير العهد القديم في سفر «أشعياء» إلى أهمية حبة البركة والطرق المتبعة حينئذ للحصول على الزيت، وقد عرف العبرانيون النبات الذي كان ينمو بصورة واسعة في مصر وسوريا، باسم «كيتساه».

وكتب «ديسكوريدس» وهو طبيب يوناني شهير عاش في القرن الأول الميلادي - أن «بذور» حبة البركة كانت تستخدم في علاج الصداع واحتقان الأنف وآلام الأسنان، بالإضافة إلى استخدامها لطرد الديدان، كذلك استخدمت كمدر للبول واللبن.

أما في التراث الإسلامي فقد ورد حديث في

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام». قلت: وما السام؟ قال: الموت.

وقد كتب البيروني وهو من علماء المسلمين (١٠٤٨م - ٩٧٣هـ) عن الأصل الهندي لهذا النبات ومدى قيمته الغذائية والصحية، وتحتل حبة البركة في الطب اليوناني - العربي - الذي وضع أسسه «هيبوقراتس» و«جالن» و«ابن سينا» مكانة كبيرة؛ حيث كانت لها أهمية كبيرة في علاج أمراض الكبد والجهاز الهضمي، وفي كتابه الشهير «القانون في الطب»، يرى ابن سينا أن حبة البركة يمكن أن تحفز الطاقة وتساعد على التغلب على الإرهاق والإجهاد.

ما هي حبة البركة؟

هي عشب نباتي ينمو سنويًا في منطقة البحر الأبيض المتوسط، ولكنه يزرع في مناطق عديدة أخرى في شمال أفريقيا وآسيا والجزيرة العربية.

ثانيا: في الدراسات الحديثة:

لقد ظهر حديثًا من خلال الدراسات والأبحاث التي أجريت على الحبة السوداء أنها تلعب دورًا هامًا في تقوية الجهاز المناعي في جسم الإنسان، ولما كانت قدرة الجسم على مجابهة الأمراض مرتبطة بقوة الجهاز المناعي، فإن الحبة السوداء بتقويتها للجهاز المناعي تشكل شفاءً لكل الأدواء، وهي تفيد في علاج الأمراض بما فيها السرطانات والإيدز والأمراض المستعصية التي تصيب الإنسان.

الفوائد العلاجية للحبة السوداء كانت للأسباب الآتية

-الزيت الطيار الموجود في الحبة السوداء يحتوي على مادة (النيجلون) وهي مضادة للهستامين، ومنها يظهر فائدة الحبة السوداء في علاج الربو بتوسيع الشعب، وفي علاج ارتفاع ضغط الدم بتوسيع الأوعية الدموية، وفي علاج بعض الأمراض الهضمية بإزالة التشنجات المعدية والمعوية.

-تحتوي الحبة السوداء على مواد لها صفة الصادات؛ توقف نمو الجراثيم، ولا تسمح بالنمو في وسط غذائي يحتوي على الحبة السوداء.

-استخلص من الحبة السوداء صبغة لها خواص مسكنة ومنومة لطيفة، ومن هنا ظهرت فائدة الحبة السوداء كدواء مسكن؛ خاصة في تسكين آلام الأسنان بالغرغرة، وفائدتها كمنوم خفيف يمكن استخدامه للأطفال.

-تحتوي الحبة السوداء على زيت إيتيري يجعلها تفيد في حالات المغص المعوي كطارد للغازات.

-أثبتت الدارسات الحديثة أن الحبة السوداء تنشط جهاز المناعة في جسم الإنسان بزيادة نسبة التائيات المناعية مقارنة مع التائيات المثبطة، ومن هنا كانت فائدة الحبة السوداء في مكافحة الأمراض بشكل عام، والأمراض الفيروسية بشكل خاص.

الأمراض التي تعالجها حبة البركة (الحبة السوداء)

تساقط الشعر - الصداع - الأرق- للقمل وبيضه- للدوخة وآلام الأذن- للقراع والثعلبة- للقوباء- لأمراض النساء والولادة- للأسنان وآلام اللوز والحنجرة- لحب الشباب- للأمراض الجلدية- للثاليل- للبهاق والبرص- لسرعة التئام الكسور- للكدمات والرضوض- لمرض السكر- لارتفاع ضغط الدم- لإذابة الكوليسترول في الدم- للالتهابات الكلوية- لتفتيت الحصوة وطردها- لعسر التبول- لمنع التبول اللاإرادي- للاستسقاء- لالتهابات الكبد- للحمى الشوكية- للمرارة وحصوتها- للطحال- لأمراض الصدر والبرد- للقلب والدورة الدموية- للمغص المعوي- للإسهال- للقيء والغثيان- للغازات والتقلصات- للحموضة- للقولون- لأمراض العيون- للأميبا- للبلهارسيا- لطرد الديدان- للعقم- للبروستاتا- للقرحة- للسرطان- للضعف الجنسي- للضعف العام- لفتح الشهية للطعام- لعلاج الخمول والكسل- للتنشيط الذهني وسرعة الحفظ- لعلاج الإيدز.

هذا، وكيفية استعمال الحبة السوداء موجودة في الكتب الخاصة بالأعشاب، والله تعالى هو الشافي.

ويذكر الدكتور / حسام عرفة أن أكثر من ١٥٠ بحثًا، تم نشره مؤخرًا في الدوريات العلمية المختلفة عن فوائد استخدام حبة البركة، والتي تؤكد على الفوائد العديدة التي ذكرها القدماء عن هذا النبات، ويأتي معظم هذه الأبحاث من أوربا وتحديدًا النمسا وألمانيا، والتي تأتي في مقدمة الدول الداعية لإحياء طب الأعشاب كطب بديل، وهكذا ظهرت حبة البركة في مستحضرات طبية متنوعة بين أقراص وكبسولات وأشربة وزيوت في العديد من الدول الأوربية، وكذلك الولايات المتحدة، هذا بالإضافة إلى بلدان العالم العربي والإسلامي.

طريقة عملها:

عكف العلماء منذ زمن على معرفة كيفية عمل الحبة السوداء وخاصة دورها في عملية التئام الجروح، والذي استدعى معرفة مكونات البذور، والتي وُجِد أنها تحتوي على العديد من الفيتامينات والمعادن والبروتينيات النباتية، بالإضافة إلى بعض الأحماض الدهنية غير المشبعة.

الجدير بالذكر، أن كثيرًا من الزيوت النباتية ومنها زيت حبة البركة تحتوي على العديد من الأحماض الدهنية الأساسية والمهمة لصحة الجلد والشعر والأغشية المخاطية، وكذلك عملية ضبط مستوى الدم وإنتاج الهرمونات بالجسم وغيرها من الوظائف الحيوية المهمة.

كما تحتوي حبة البركة على مادة «النيجيللون»، وهي مادة بلّورية تم استخلاصها لأول مرة في عام ١٩٢٩، ويعد النيجيللون هو أحد مضادات الأكسدة

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الطبيعية مثل فتيامين «ج» و«أ»، وكذلك الجلوتاثيون، والتي تلعب دورًا أساسيًا في حماية الجسم ضد مخاطر ما يسمى بالشوارد الحرةfree radicals وهناك العديد من الأبحاث التي نشرت مؤخرًا عن دور الحماية الذي يلعبه النيجيللون في حماية الجسم من مخاطر العديد من المواد الغريبة xenobiotics.

استخدامات الحبة السوداء

١- **مصدر للطاقة:** حيث وجد أن حبة البركة تساعد على الاحتفاظ بحرارة الجسم الطبيعية، خاصة وأن طبيعة الغذاء الغربية والمسيطرة الآن على العادات الغذائية في بلدان العالم المختلفة، مثل: تناول الأيس كريم والزبادي والبيتزا والجبن والهامبرجر وغيرها، تستهلك الكثير من طاقتنا الحيوية، مما يؤدي لظهور الكثير من الأمراض.

٢- **الرضاعة:** تساعد حبة البركة على إدرار اللبن، كذلك تعد مصدرًا غذائيًا مهمًا للأم والطفل على السواء.

٣- **المناعة:** أثبتت بعض الدراسات التأثير المُحفِّز لحبة البركة على جهاز المناعة؛ مما يفسر معنى «شفاء من كل داء».

٤- **الطفل:** تحتوي بذور حبة البركة على حمض الأرجينين، وهو حمض مهم وضروري لنمو الطفل.

٥- **الشيخوخة:** تعد الحبة السوداء غذاءً صحيًا مهمًا ومفيدًا لكبار السن؛ نظر لاحتوائها على مواد غذائية متعددة ومتنوعة.

وبعد: فإنه مع وجود الدراسات والبحوث الطبية الحديثة التي تُجْرَى حول ما أرشد إليه النبي ﷺ، هذه البحوث تجرى في الشرق تارة وفي الغرب أخرى، ويبحث فيها المتخصصون في الطب والعلوم الكيميائية والحيوية، والعالم يبهر بما ثبت عن النبي ﷺ.

أقول: مع وجود تلك البحوث إلا أن هناك من المسلمين من لا تزال عقولهم - التي يعبدونها - من دون الله تملي عليهم أن كل قديم إنما هو خرافة وجري وراء الخرافة، بل لا يستحي من وصف ما جاء عن النبي ﷺ بالقذارة، ولم يستح من وصف حجاب المرأة بل وصف دعاء الله تعالى بالطقوس الشكلية، ووصف من يتمسكون بدينهم أنهم يتمسكون بالنفاق وعدم الإتقان والبلطجة اللفظية والسلوكية.

إن الخلط بين ما ثبت عن رسول الهدى ﷺ وبين الأباطيل التي أحدثها الجهلة والمبتدعة من التبرك بالقبور وأصحابها وترابها، وزيت القنديل، هذا الخلط دليل على قلة العلم وعدم المعرفة، كما أن الخلط بين ما ثبت عن النبي ﷺ وبين ما يدعيه من يتخصص في المعالجة بالأعشاب، هذا الخلط أيضًا دليل على البعد عن معرفة الصحيح من السقيم ومعرفة الحق من الباطل، وكون بعض الناس يوهم أنه يعالج بالطب النبوي ويفتح عيادة للنصب وينسب هذا للطب النبوي، لا يعيب الطب النبوي ولا يلغيه من قاموس الطب، بل الإعجاز العلمي في الطب النبوي يقوم به باحثون في الطب الحديث ويستخرجون منه المواد العلمية والمواد الفعالة.

ولقد اعترف من يعيب الطب النبوي ويصفه بأنه من اختراع النصابين المُحْدثين، بأن بعض الأطباء المعاصرين حولوا مهنة الطب إلى نصب لابتزاز أموال الناس، وهو ليس من اختراع أحد، إنما سجله من سجل أحاديث الإيمان والإسلام والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والنكاح والطلاق، والمعاملات، إنه باسم الطب في دواوين السنة، وليس مهنة يمتهنها النصابون، أما النصابون فإنهم في كل واد يهيمون، منهم الأطباء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ومنهم المهندسون والمحامون والمدرسون والمحاسبون والصناع والتجار وفي كل مهنة تجدهم يا من تشفق على الأمة من النصب فتنكر ما ثبت عن النبي ﷺ، وهل أنكر أحد ما وصل إليه الطب الحديث؟ وهل قارن أحد بين طب رسول الله ﷺ وطب غيره، إن الناس يلجأون إلى الطب القديم فيما لم يجدوا له علاجًا عند الأطباء المحدثين، أو تعجزهم النفقات لإجراء جراحة عند الأطباء المحدثين، وهل طلب أحد إغلاق المستشفيات والصيدليات وشركات الأدوية ليحل محلها التداوي بالأعشاب؟! إن هذا لشيء عجاب!! إن شركات الأدوية تنتج الآن مجموعة من العلاجات النباتية والعشبية وتفخر الشركة بأن تكتب على منتجها أنه نبات طبيعي، وتفخر بأن تعلن أن منتجاتها من الأعشاب الطبية!! فمتى يفيق قومنا ويستيقظون؟ الظاهر أنهم لن يستيقظوا إلا إذا جاءتهم التعليمات من أوربا أو أمريكا بتغيير ما هم عليه، ويومئذ يسمونه طبًا حديثًا ويلهثون وراءه لأنه جاءهم من الغرب.

يا من تدعي الإصلاح!! اتق الله تعالى في نفسك ولا تخلط الأمور بعضها ببعض، ولا تقل على الله ورسوله بغير علم، وماذا صنع لك أهل النقاب والحجاب والجلباب والأدعية والبكاء، هل ترى أن هؤلاء هم سبب التخلف الذي نحن فيه، إن التخلف جاءنا من ترك ديننا وجهلنا به، والدليل على ذلك أن السابقين من المسلمين لما تمسكوا بدينهم وعرفوه حق المعرفة سادوا الدنيا وعلموا أهل الأرض وكانوا أساتذة العالم، فلما تركوا الدين وعملوا بالبدع والخرافات أصابنا ما أصابنا. فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونسأل الله الهداية للجميع، والحمد لله أولاً وآخرًا..والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

من الإعجاز العلمي في الطب النبوي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وبعد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: احتجم رسول الله ﷺ، حجمه أبو طيبة فأمر له بصاعين من طعام، وكلم أهله فوضعوا عنه من خراجه، وقال: «إنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الحِجَامَةُ، أَوْ هُوَ مِنْ أَمْثَلِ دَوائِكم». [متفق عليه واللفظ لمسلم]

هذا الحديث أخرجه البخاري في ستة مواضع من صحيحه بالأرقام [٢١٠٢، ٢٢١٠، ٢٢٧٧، ٢٢٨٠، ٢٢٨١، ٥٦٩٦]، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم [١٥٧٧- ٦٢، ٦٣، ٦٤]، وأبو داود والترمذي وابن ماجه ومالك في الموطأ وأحمد في المسند.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنْ كَانَ فِي شَيءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُم - أَوْ يَكُونُ فِي شَيءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُم خَيرٌ ففي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ». متفق عليه واللفظ للبخاري.

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب بالأرقام [٥٦٨٣ - ٥٦٩٧ - ٥٧٠٢ - ٥٧٠٤] كما أخرجه مسلم في صحيحه برقم [٢٢٠٥/٧٠، ٧١] وابن ماجه وأحمد في المسند.

أحاديث أخرى في الحجامة

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مررت ليلة أسري بي بملإ من الملائكة إلا قالوا: يا محمد مر أمتك بالحجامة».

[أخرجه ابن ماجه، وأخرجه الترمذي عن ابن مسعود وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٦٧١]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما مررت ليلة أسري بي بملإ من الملائكة إلا كلهم يقول لي: عليك يا محمد بالحجامة».

[أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٦٧٢]

وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يحتجم على هامته وبين كتفيه، ويقول: «من أهراق من هذه الدماء فلا يضره ألا يتداوى بشيء لشيء».

[أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٩٢٦)]

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «كان يحتجم في الأخدعين والكاهل، وكان يحتجم لسبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين».

[أخرجه الترمذي والحاكم، وأخرجه الطبراني في الكبير والحاكم عن ابن عباس وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٩٢٧)]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «كان يحتجم في رأسه، ويسميها أم مغيث».

[أخرجه الخطيب البغدادي وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٩٢٨)]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة، وإحدى وعشرين كان له شفاءً من كل داء».

[أخرجه أبو داود والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٩٦٨)]

معنى الحجامة

قال في المعجم الوسيط: الحجامة هي امتصاص الدم بالمحجم، والمحجم: أداة الحجم أي

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الحجامة

إعداد
زكريا حسيني

المشرط الذي يستعمل في الحجم، وهو أيضًا القارورة التي يجمع فيها دم الحجامة. راجع أيضًا لسان العرب.

الحجامة في الطب الإسلامي

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: أما منافع الحجامة: فإنها تنقي سطح البدن اكثر من الفصد، والفصد لأعماق البدن افضل، والحجامة تستخرج الدم من نواحي الجلد. قال: والتحقيق في أمرها وأمر الفصد أنهما يختلفان باختلاف الزمان والمكان والأسنان (الأعمار) والأمزجة: فالبلاد الحارة، والأزمنة الحارة، والأمزجة الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج؛ الحجامة فيها انفع من الفصد بكثير، فإن الدم ينضج ويرق ويخرج إلى سطح الجسد الداخل، فتخرج الحجامة ما لا يخرجه الفصد، وقد نص الأطباء على أن البلاد الحارة الحجامة فيها انفع من الفصد. [والفصد هو إخراج الدم من وريد الإنسان بواسطة إبرة فيكون من أعماق الجسم] بخلاف الحجامة التي تكون بتشريط سطح الجلد.

ثم نقل ابن القيم عن صاحب كتاب القانون (في الطب) قوله: ويؤمر باستعمال الحجامة لا في أول الشهر؛ لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت، ولا في آخره؛ لأنها تكون قد نقصت، بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها لتزيد النور في جرم القمر.

ثم ذكر بعد ذلك منافع الفصد فقال: فصد الباسليق[1] ينفع من حرارة الكبد والطحال والأورام الكائنة فيهما من الدم، وينفع من أورام الرئة، وينفع من الشوصة[2] وذات الجنب[3] وجميع الأمراض الدموية العارضة في أسفل الركبة إلى الورك.

وفصد الأكحل[4] ينفع من الامتلاء العارض في جميع البدن إذا كان دمويًا، وكذلك إذا كان الدم قد فسد في جميع البدن.

وفصد القيفال[5] ينفع من العلل العارضة في الرأس والرقبة من كثرة الدم أو فساده.

وفصد الوجبين[6] ينفع من وجع الطحال، والربو، والبهر، ووجع الجبين.

ثم ذكر بعد ذلك منافع الحجامة فقال: الحجامة على الكاهل[7] تنفع من وجع المنكب والحلق.

والحجامة على الأخدعين[8] تنفع من أمراض الرأس، وأجزائه: كالوجه والأسنان والأذنين والعينين، والأنف والحلق إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم أو فساده، أو عنهما جميعًا، وقد أشار إلى ذلك حديث أنس المتقدم.

ثم قال ابن القيم: واختلف الأطباء في الحجامة على نقرة القفا، وهي (القَمْحَدُورة)؛ فطائفة منهم استحسنتها، وقالت: إنها تنفع من جحظ العين، والنتوء العارض فيها، وكثير من أمراضها، ومن ثقل الحاجبين والجفن، وممن كرهها صاحب القانون، وقال: إنها تورث النسيان حقا، كما قال سيدنا ومولانا وصاحب شريعتنا ﷺ، فإن مؤخر الدماغ موضع الحفظ، والحجامة تذهبه. اهـ. قال ابن القيم: وردّ عليه آخرون وقالوا: الحديث لا يثبت، وإن ثبت فالحجامة إنما تضعف مؤخر الدماغ إذا استعملت لغير ضرورة، فاما إذا استعملت لغلبة الدم عليه، فإنها نافعة له طبًا وشرعًا، فقد ثبت أن النبي ﷺ احتجم في عدة أماكن من قفاه بحسب ما اقتضاه الحال في ذلك، واحتجم في غير القفا بحسب ما دعت إليه حاجته.

أوقات الحجامة

سبق أن سقنا حديث أنس وحديث أبي هريرة وحديث ابن عباس رضي الله عنهم، وفي هذه الأحاديث أن الحجامة تستحب في الأيام السابع عشر والتاسع عشر والحادي والعشرين.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه الأحاديث موافقة لما أجمع عليه الأطباء؛ أن الحجامة في

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

النصف الثاني وما يليه من الربع الثالث من أرباعه انفع من أوله وآخره، وإذا استعملت عند الحاجة إليها نفعت أي وقت كان من الشهر من أوله أو آخره. ثم نقل عن حنبل قال: كان أبو عبد الله أحمد بن حنبل يحتجم أيّ وقت هاج به الدم. وأيّ ساعة كانت. قال: وقال صاحب «القانون» أوقاتها في النهار: الساعة الثانية أو الثالثة (أي في الصباح لأن وقت الظهر في الساعة السادسة منه). قال: ويجب توقيها بعد الحمام إلا فيمن دمه غليظ، فيجب أن يستحم، ثم يستجم ساعة، ثم يحتجم. اهـ.

ثم قال: وتكره عندهم الحجامة على الشبع، فإنها ربما أورثت سُدَدًا وأمراضًا رديئة، لا سيما إذا كان الغذاء رديئًا غليظًا، وفي أثر: «الحجامة على الريق دواء، وعلى الشبع داء، وفي السابع عشر شفاء».

واختيار هذه الأوقات للحجامة، فيما إذا كانت على سبيل الاحتياط للصحة وحفظًا لها، وللتحرز من الأذى، وأما في مداواة الأمراض فحيثما وُجد الاحتياج إليها وجب استعمالها.

من فقه الأحاديث الواردة في الحجامة

قال ابن القيم في الزاد: وفي ضمن هذه الأحاديث المتقدمة استحباب التداوي، واستحباب الحجامة، وأنها تكون في الموضع الذي يقتضيه الحال، وجواز احتجام المُحْرِم، وإن ال إلى قطع شيء من الشعر، فإن ذلك جائز، وفي وجوب الفدية عليه نظر، وجواز احتجام الصائم فإن في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ «احتجم وهو صائم» ولكن هل يفطر بذلك أم لا؟ مسألة أخرى، وفيها دليل على استئجار الطبيب وغيره من غير عقد إجارة، بل يعطيه أجرة المثل، أو ما يرضيه، وفيها دليل على جواز التكسب بصناعة الحجامة، وفيها دليل على جواز ضرب الرجل الخَرَاجَ على عبده كل يوم شيئًا معلومًا بقدر طاقته، وأن للعبد أن يتصرف في ما زاد على خَرَاجِه.

الحجامة في الطب الحديث

يقول الدكتور أمير صالح رئيس الجمعية الأمريكية للعلوم التقليدية والحاصل على البورد الأمريكي في العلاج الطبيعي، والذي يعمل حاليًا مستشارًا للعلاج الطبيعي والطب البديل بالمستشفى السعودي الألماني، وهو من أبرز الأطباء المسلمين الذين اهتموا بالطب البديل ولا سيما ما ورد في الطب النبوي ، (وذلك في الحوار الذي أجرته معه في المدينة المنورة: أحلام علي)

يقول: عندما كنت أدرس في أصول الفقه قرأت كلمة «حجامة» فأثارت رغبتي في معرفة هذا النوع من العلاج، ولكن هذا لم يخرج إلى حيز التنفيذ إلا عندما سافرت إلى أمريكا، ووجدتهم يدرسونها في جامعاتهم ضمن مناهج الطب البديل، فشعرت بغيرة على ديننا، وأحسست باننا نحن المسلمين مقصرون جدًا في إحياء هذه السنة.

ثم ذكر أنه أعد بحثًا عن الحجامة ضمن البحوث التي طلبت منه عندما بدأ في دراسة الدكتوراه ما بين جامعة شيكاغو وجامعة القاهرة، وفي بحثه دوّن بابًا عن الحجامة عند الإغريق والفراعنة والصينيين، وفي الإسلام، ولما كتب الأحاديث التي في الصحيحين وغيرهما اندهش أساتذته الأمريكان من الثراء الطبي الخاص بالحجامة في الطب النبوي، ثم يعقب على ذلك بقوله: فمن يصدق أن العلاج بالحجامة يتم تدريسه في أمريكا كفرع مهم في مناهج الطب عندهم يسمونه cupping therapy، ومن المؤسف بل المحزن أن نرى أطباء عربًا ومسلمين ينكرون هذا النوع من العلاج، في الوقت الذي أصبح علاجًا نافعًا للعديد من الأمراض الخطيرة في معظم عواصم العالم.

ثم يقول: وعمل الحجامة يتم من خلال أربع طرق:

أولها: إثارة مناطق الألم وتنبيهها.

الحجامة على الريق دواء، وعلى الشبع

يجب أن تكون هناك وقفة ولو معنوية لأطباء

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ثانيها: تنبيه المناطق العصبية التي لها اتصال بالجلد.

ثالثها: استخدام ردود فعل، حيث يتم التنبيه في أماكن معينة في الجلد فيحدث ذلك ردود فعل في الأعضاء الداخلية مثل تنبيه الغدد وتنبيه إفرازات الجهاز الهضمي.

رابعها: استخدام خارطة الإبر الصينية.

وفي إجابة له على سؤال حول وجود علاقة بين العلاج بالحجامة والعلاج بالإبر الصينية يقول: نستطيع أن نقول: إن الحجامة هي الأصل، والصينيون كانوا يستخدمون هذه الوسيلة في العلاج، وكانوا يجرونها على شكل جرح طولي، ثم تقلصت من الجرح الطولي إلى جروح صغيرة (خدوش) ثم تقلصت إلى وخز بالأبر.

وفي إجابة على سؤال آخر حول اعتراف الغرب بأن العلاج بالحجامة والعسل وغير ذلك مصدره الطب النبوي يقول: الغرب يعترف بأنها طب صيني، لأن الصينيين نسبوا كل العلاجات القديمة لهم (علاجات الطب البديل) حتى العلاج بالأعشاب، مثلهم في ذلك مثل الغرب الذي سرق موروثات المسلمين في الطب للزهراوي وابن سينا وابن النفيس وغيرهم وفي سائر العلوم الأخرى، لذا يجب أن تكون هناك وقفة ولو معنوية لأطباء المسلمين لإحياء هذه السنة واسترداد تراثنا الطبي.

الأمراض التي تعالجها الحجامة

يقول الدكتور أمير صالح: الحجامة تؤدي بإذن الله تعالى إلى تحسن واضح في وظائف الكبد، ومرض السكر وعلاج ضغط الدم المرتفع، والصداع النصفي، وعلاج كثير من الأمراض الجلدية، وحساسية الصدر (الربو)، كما أنني حققت خطوات مهمة في علاج الأطفال الذين يعانون من شلل مخي، وكذلك الشلل النصفي وشلل الوجه؛ حيث سجلت تحسنًا ملحوظًا في حالات عديدة، كذلك تعالج زيادة الكوليسترول في الدم، والنقرس، والخمول، وتعمل على تحسين كرات الدم الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية، وأمراض النساء والولادة.

ثم يختم حديثه في الحوار الذي أجري معه بنصيحة يقدمها للأطباء والحجامين والمرضى قائلاً:

أولاً: للأطباء: أن يقوموا بهذا العمل ولا يدعوه لغيرهم فهم أحق الناس به، وليتذكروا جميعًا قول ابن قدامة المقدسي في كتابه «منهاج القاصدين»: [قرية بلا حجام أثم أهلها]، لأنه وضعها ضمن فروض الكفاية، **وأحذر كل من قرأ وريقات عنها أو سمع شريطًا أن يجري الحجامة؛ لأن جسد الإنسان أمانة سيسأل عنه من يجترئ عليه.**

ثانيًا: للحجامين: كما هو معلوم في الفقه: من يشتهر عنه الطب فهو ضامن، فلذلك من يتصدى لأمور الطب وهو ليس بطبيب فعليه أن يتحمل العضو التالف أو النفس المزهقة، وإن كان ولابد فعلى الحجام أن يتصدى للأمراض البسيطة، وأن يستخدم أدوات معقمة ولمرة واحدة فقط، وأن يستخدم المشرط الطبي المعقم ويرتدي القفازين حماية لنفسه من أمراض الدم، ويتخلص من الدم الخارج طبقًا لقوانين البيئة في التخلص من النفايات الطبية، إذ «لا ضرر ولا ضرار».

ثالثًا: للمرضى أقول: تذكروا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]. اتبعوا سنة النبي ﷺ ففيها الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

وفي دراسات أخرى وأبحاث علمية نشر بعضها على النت جاء فيها ما يلي:

أثر الحجامة على الكبد

الكبد هو المسئول عن إنتاج البروتين اللازم لاستمرار الحياة والنمو، مما يؤدي إلى التغلب على الالتهابات الكبدية التي تصيبه، وصد كل الأمراض التي قد تصيبه، ذلك بالإضافة إلى

داء وفي السابع عشر شفاء

المسلمين لإحياء هذه السنة واسترداد تراثنا الطبي

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ارتفاع توتر وريد الباب وما ينشأ عنه من مشكلات كثيرة وخطيرة.

يقول الأستاذ الدكتور/ أحمد غياث جبقجي الأخصائي بالجراحة العصبية المجهرية (من هولندا): إن تطبيق الحجامة، كما أوصيَ بها هو مدخل صريح وواضح إلى الصحة والعافية التامة.. يمد الإنسان بقدرة وطاقة عظمى عن طريق فتح أو تنظيف الأوعية الدموية الدقيقة التي يركد داخلها الدم ويشكل ترسبًا على جدرانها، وهذا من الأسباب المؤدية لأمراض الشقيقة (الصداع النصفي) والقلب والكبد وغيرها من أمراض هذا العصر. اهـ.

أثر الحجامة على المناعة

عملية الحجامة تزيد من قوة جهاز المناعة لزيادة نشاط الجملة الشبكية البطانية، كما أن التروية الدموية الجيدة للنسيج والأعضاء من شأنها رفع مناعة الجسم بسبب كثرة تعرض العامل الممرض لعناصر جهاز المناعة، إن الانترفيرون أسرع خط دفاعي يتم تكوينه وإفرازه بعد تعرض الجسم لأي فيروس.

يقول البروفيسور (كانتل): إن الكريات البيض تستطيع إنتاج الانترفيرون بمعدل يزيد على عشرة أضعاف مما تنتجه خلايا الجسم. اهـ.

ومعلوم أن الحجامة تحافظ على الكريات البيض وتنشط إنتاجها مما يساعد على تحرير الانترفيرون بكميات كافية لمواجهة الفيروس الكبدي أو الخلايا السرطانية.

أثر الحجامة على القلب والخثرات الدموية

إننا في هذا العصر، وفي كل يوم نسمع عن الموت الفجائي والشلل، وهذا يعزى إلى حدوث الجلطات، والتي هي عبارة عن تجمع من الكريات الحمر والبيض والألياف ترتص عند تفرعات الشرايين لتشكل بوغة أو كيس، وسبب حدوثها الرئيس هو ارتفاع ضغط الدم، ولعملية الحجامة دور كبير في الوقاية منها، فالحجامة كما جاء في بعض الأحاديث تقي من تبيغ الدم، ومعنى (تبيغ الدم) التهيج والزيادة، وهذا الوصف ينطبق أيضًا على ارتفاع التوتر الشرياني وفرط الكريات الحمر الحقيقي.

وبعد، فما يزال بعض الأطباء المسلمين يتنكرون لما جاء في الطب النبوي، ويصفونه بالخرافة، وأن من يلجأ إلى التداوي به خرافي، وبعضهم يتشدق ويستدل لتنكره بحديث: «أنتم أعلم بأمور دنياكم». نافيًا جملة ما جاء في الإسلام من أمور الدنيا، فإن شرع الله تعالى لم يهمل شيئًا لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة، بل قال ربنا سبحانه: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»، وقال عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم:٣)، بل يتبجح بعضهم ويقول: إن الوصفات الطبية التي وصفها رسول الله ﷺ لم يصفها على أنها وحي، وإنما وصفها على أنه حكيم من حكماء زمانه عرف التجربة فيها فوصفها، ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف:٥). ولقد قال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عندما سأله عن كتابة كل ما يقول: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق». فكل ما صح عنه ﷺ حق وصدق ووحي، وأما غيره فمهما بلغ من التخصص فإنما علمه تجارب وظنون، ونحن نصدق الأطباء فيما يقولون، فتصديقنا نبينا ﷺ أولى، وقبول ما جاء به من عند ربه أحق.

والله المستعان وعليه التكلان، والحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

---

(١) الباسليق: وريد في الذراع عند المرفق.
(٢) الشوصة: وجع في البطن من ريح أو اختلاج العرق.
(٣) ذات الجنب: التهاب في الغشاء المحيط بالرئة.
(٤) الأكحل: وريد في وسط الذراع يفصد أو يحقن.
(٥) القيفال: وريد في الجانب الوحشي من العضد.
(٦) الوجدان: عرقان في العنق يقطعهما الذابح في الذبيحة.
(٧) الكاهل: ما بين كتفي الإنسان.
(٨) الأخدعان: عرقان في جانب العنق.

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

صدِّيقُ الأُمةِ وبَابُ الرَّيانَ

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ". فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدْعَى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: "نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر".

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في أربعة مواضع؛ أولها في كتاب الصوم باب الريان للصائمين برقم (١٨٩٧)، وفي كتاب الجهاد والسير باب فضل النفقة في سبيل الله برقم (٢٨٤١)، وفي كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة برقم (٣٢١٦)، وفي كتاب الفضائل في مناقب أبي بكر برقم (٣٦٦٦)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب من جمع الصدقة وأعمال البر برقم (١٠٢٧)، وأخرجه الإمام الترمذي في جامعه في المناقب باب «رجاؤه ﷺ أن يكون أبو بكر ممن يدعى من جميع أبواب الجنة برقم (٣٦٧٤)، وأخرجه النسائي في سننه في الصيام برقم (٢٢٤٠)، وفي الزكاة برقم (٢٤٤١)، وفي الجهاد برقم (٣١٣٧)، كما أخرجه الدارمي في سننه في كتاب الجهاد برقم (٢٤٠٣)، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في الجهاد برقم (١٠١٢)، وكذا الإمام أحمد في المسند (٢/٢٦٨)، ورقمه في المسند - ط دار الرسالة - (٧٦٣٣).

شرح الحديث

أولاً: صديق الأمة رضي الله عنه:

هو على المشهور: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، يجتمع مع النبي ﷺ في مُرَّةَ بن كَعْب، وعدد آبائهما إلى مُرَّة سواء. (فكل منهما آباؤه إلى مرة ستة). ويكنى أبوه: أبا قحافة، وأما أمه فهي: سلمى بنت صخر بن مالك بن عامر بن عمرو المذكور وكنيتها أم الخير، أسلمت وهاجرت، وذلك معدود من مناقبه، لأنه انتظم له إسلام أبويه وجميع أولاده.

ومن أسمائه أيضًا رضي الله عنه عتيق، واختلف هل هو اسمٌ أصليٌّ له، أو قيل له ذلك لأنه ليس في نسبه ما يعاب به، أو لقدمه في الخير وسبقه إلى الإسلام، أو قيل له ذلك لحسنه، أو لأن أمه كان لا يعيش لها ولد، فلما وُلِدَ استقبلت به الكعبة فقالت: «اللهم هذا عتيقك من الموت، أو لأن النبي ﷺ بشره بأن الله تعالى أعتقه من النار، وقد ورد في هذا القول الأخير حديث عن عائشة أم المؤمنين بنت الصديق رضي الله عنها عند الترمذي، وآخر عن عبد الله بن الزبير عند البزار وصححه ابن حبان وزاد فيه: «وان اسمه قبل ذلك «عد الله بن عثمان»، ولم يختلف في كنيته التي عرف بها واشتهر وكذا لقبه

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فهو معروف بهما (أبو بكر - الصديق)، ولقد لقب بالصِّدِّيق لسبقه إلى تصديق النبي ﷺ، وقيل: كان ابتداء تسميته بذلك صبيحة الإسراء. وروى الطبراني من حديث عليٍّ رضي الله عنه: «أنه كان يحلف أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق». قال الحافظ: رجاله ثقات. اهـ. من الفتح.

بعض مناقب الصديق

مناقب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كثيرة جدًا لا يمكن إحصاؤها إلا في مجلدات كبيرة، لا يتسع لها مثل هذا المقال، وهذه المناقب لا يجحدها إلا مبتدع مبغض لأصحاب رسول الله ﷺ، ولقد بيَّن رسول الله ﷺ أن حُبَّ أصحابه من حُبِّه ﷺ، وبغضهم من بغضه، ونحن نشهد الله تعالى أننا نحب رسول الله ﷺ ونحب أصحابه جميعًا وننزلهم المنزلة اللائقة بهم، ونبغض كل من يبغض رسول الله ﷺ ويبغض أصحابه، والحق أنه لا يبغض الصحابة إلا مكذب بالقرآن الكريم وبسنة النبي ﷺ أو متأول للقرآن تأولاً غير سائغ ولا مقبول ولا معقول. كما أننا ندين لله عز وجل بأن الصديق رضي الله عنه خير الأمة بعد رسولها ﷺ، بل هو خير الناس بعد الأنبياء، وقد ورد بذلك نصوص صحيحة صريحة، ولنذكر هنا بعض النصوص في مناقب الصديق رضي الله عنه، وسنقتصر على الصحيح المسند منها، بل على بعضه فقط لأن المقام لا يتسع لذكر الصحيح كله وغيره أكثر منه بكثير، فمن ذلك:

١- قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصبًا رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إنه ليس من الناس أحدٌ أمَنُّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذًا من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنَّ خُلَّة الإسلام أفضل سُدُّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر». أخرجه البخاري وأحمد والنسائي وابن أبي عاصم في السنة.

٢- قول النبي ﷺ: سدُّوا الأبواب إلا باب أبي بكر:

عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: «خطب رسول الله ﷺ الناسَ وقال: «إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله». قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلَمَنا، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ أمَنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في

إعداد

زكريا حسيني

المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر». [متفق عليه، وأخرجه كذلك الترمذي وأحمد وابن أبي عاصم]

٣- الصديق رضي الله عنه أحب الناس إلى رسول الله ﷺ:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم مَن؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعدَّ رجالاً. [متفق عليه، وكذا أخرجه الترمذي والنسائي وابن أبي عاصم وأحمد في فضائل الصحابة]

٤- أسبقية الصديق رضي الله عنه إلى الإسلام:

عن عمار رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعْبُد وامرأتان وأبو بكر. أخرجه البخاري.

٥- شهادة النبي ﷺ بتصديق أبي بكر له حين كذبه الناس:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر». فسلَّم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» (ثلاثًا)، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقال: لا، فأتى إلى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظْلَمَ (مرتين) فقال النبي ﷺ: «إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر صدقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟» (مرتين)، فما أوذي بعدها.

[أخرجه البخاري وأحمد في فضائل الصحابة]

٦- شهادة النبي ﷺ لأبي بكر بالصديقية:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فَرَجَفَ بهم، فقال: «اثْبُتْ أُحُدُ، فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان». [أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد في فضائل الصحابة]

٧- دفاع الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ:

عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ؛ قال: بينا النبي ﷺ

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [غافر: ٢٨]، [رواه البخاري وأحمد في المسند]

٨- صحبته لرسول الله ﷺ في الهجرة:

قال الله تعالى: ﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما». [أخرجه البخاري ومسلم والترمذي]

٩- من بشارات النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا . قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا . قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة». [أخرجه الإمام مسلم]

١٠- علو منزلة الصديق رضي الله عنه في الجنة:

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الدرجات العلى ليُرَوْنَ من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما».

[أخرجه الإمام أحمد في المسند وفي فضائل الصحابة]

١١- الصديق رضي الله عنه من الذين استجابوا لله وللرسول من بعدما أصابهم القرح:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم؛ الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: «من يذهب في إثرهم؟» فانتدب منهم سبعون رجلاً، كان فيهم أبو بكر والزبير.

[أخرجه الشيخان]

١٢- جبريل وميكائيل يقاتلان مع الصديق وعلي رضي الله عنهما:

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل وإسرافيل ملَكٌ عظيم يشهد القتال، أو قال: يشهد الصف». [أخرجه الإمام أحمد في المسند والحاكم وغيرهما]

١٣- الرسول ﷺ ينفي الخيلاء عن الصديق رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جرَّ ثوبه خيلاءَ لم ينظر الله إليه يوم القيامة». فقال أبو بكر: إن أحد شِقَّيْ ثوبي يسترخي إن لم أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: «إنك لست تصنع ذلك خيلاء». [أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي وأحمد]

١٤- تقديم النبي ﷺ أبا بكر ليصلي بالناس:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: مرض النبي ﷺ، فاشتد مرضه، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» . فقالت عائشة رضي الله عنها: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس . قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فعادت . فقال: «مري أبا بكر فليصلِّ بالناس فإنكن صواحب يوسف». فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ . [متفق عليه]

١٥- إشارة من الرسول ﷺ باستخلاف أبي بكر:

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أتتْ امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه . قالت: أرأيت يا رسول الله إن جئت ولم أجدْكَ - كأنها تقول الموت - قال: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر».

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتُب كتابًا فإني أخاف أن يتمنَّى مُتمنٍ ويقول قائلٌ: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». [أخرجه مسلم وأحمد]

١٦- شهادة الصحابة رضي الله عنهم بخيرية أبي بكر وأفضليته:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم.

[أخرجه البخاري وأحمد في فضائل الصحابة]

١٧- شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذلك:

عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر، قلت ثم من؟ قال: ثم عمر . وخشيت أن يقول: عثمان، فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

[أخرجه البخاري وأبو داود وابن أبي عاصم في السنة وابن أبي شيبة في المصنف]

هذا مختصرٌ شديدُ الاختصار لمناقب الصديق رضي الله عنه، وهناك من الأحاديث الصحاح الكثير، والذي لا يمكن أن نستوعبه في هذا المقال، ومن أراد المزيد فليرجع إلى دواوين السنة، وما كتب عن أصحاب رسول الله ﷺ، مثل الإصابة، وأسد الغابة، وغيرهما مما كتب في تاريخ

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الخلفاء حتى يقف على بعض الفضائل التي تميز بها هذا الخليفة الراشد الذي هو صديق هذه الأمة، ونحن نعلم أن درجة الصديقين تأتي بعد الأنبياء وقبل الشهداء، فهل يسوغ لمسلم يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله واليوم الآخر أن يطعن أو يسب الصديق رضي الله عنه؟

فإذا سَبَّ أحدنا الصحابة أو لَعَنَهُمْ أوْ كَفَّرهُم فعلى من نترضَّى؟ ومن المسلمُ إذا كَفَرُوا هُمْ؟ أأشباه البشر في هذا الزمان الذين يريدون أن يثبتوا العصمة لأئمتهم ونواب أئمتهم؟

أتنتقص أصحاب رسول الله ﷺ ونثبت العصمة للأئمة والآيات، إن هذا لشيء عجابٌ.

نسأل الله العصمة من الزلل وأن يحفظ علينا ديننا وعقولنا، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه.

ثانياً: باب الريان:

بين النبي ﷺ أن أبواب الجنة مخصص كل باب منها لأهل عمل من الأعمال، ومن تلك الأبواب باب الريان الذي يدخل منه الصائمون كما جاء في الحديث الذي معنا، وكما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى في صحيحهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحدٌ». وأخرجه الترمذي وزاد فيه: «ومن دخله لم يظمأ أبدًا». وفي رواية النسائي وابن خزيمة زيادة: «من دخل شرب، ومن شرب لا يظمأ أبدًا».

وهذا بيان من الرسول ﷺ للصائمين الذين يظمأون نهارهم ابتغاء رضوان الله تعالى فإن الله تعالى يرضى عنهم فيخصهم بذلك الباب الذي يسمى «باب الريان» مقابل ظمئهم الذي تجشموه في الدنيا، فيكافأون بريّ وامتلاء من الماء، وليس كالري في الدنيا ولا الامتلاء فيها، بل هو ري مميز بأنه لا ظمأ بعده أبدًا، قال القرطبي: اكتفى بذكر الري عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه، وقال الحافظ في الفتح: أو لأنه أشق على الصائم من الجوع.

أبو بكر في الجنة وإن رغمت أنوف

والمسلم إنما يأتي بهذه العبادات ابتغاء ثواب الله عز وجل والفوز بالجنة، وانظر حال الصديق رضي الله عنه عندما سمع من النبي ﷺ هذا الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه وسؤاله رسول الله ﷺ: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فيطمع الصديق رضي الله عنه أن تدعوه خزنة كل باب من أبواب الجنة الثمانية، وفي هذا تصور لتنافس هؤلاء الخزنة على العاملين الصالحات في الدنيا من المؤمنين، فيطمع كل خزنة باب في دخول هؤلاء من بابهم، ويجيب النبي ﷺ أبا بكر الجواب الشافي الذي يُطَمْئِنُ فؤادهُ رضي الله وفؤاد كل مؤمن: «نعم» أي يُدْعَى المؤمن من تلك الأبواب جميعها، ثم يبشره رسول الله ﷺ بقوله: «وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر». قال الحافظ في الفتح: قال العلماء: الرجاء من الله ومن نبيه واقع، وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ووقع في حديث ابن عباس عند ابن حبان في نحو هذا الحديث التصريح بالوقوع لأبي بكر ولفظه: «قال أجَلْ وأنت هو يا أبا بكر». قال: وفي الحديث من الفوائد إشعارٌ بقلة من يُدْعَى من تلك الأبواب كلها، وفيه إشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها، لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات كلها، بخلاف التطوعات فقل من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فدخوله يكون من باب واحد، ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه، والله أعلم.

ولا يعارض هذا ما أخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه: «من توضأ ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله...» الحديث، وفيه: «فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء» لأن هذا يحمل على أنها تفتح له على سبيل التكريم، ثم عند دخوله لا يدخل إلا من باب واحد كما تقدم، والله أعلم.

وفي الحديث أيضًا من الفوائد: أن من أكثر من شيء عُرِفَ به، وأن أعمال البر قل أن تجتمع جميعها لشخص واحد على السواء، وأن الملائكة يحبون صالحي بني آدم ويفرحون بهم، وأن الإنفاق كلما كان أكثر كان أفضل، وأن تمني الخير في الدنيا والآخرة مطلوب، والعلم عند الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجمع لنا أبواب الخير، وأن يرزقنا الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وأن يتقبل منا جميع أعمالنا وأن يجعلها خالصة لوجهه، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن يرد عاصيهم إلى حظيرة الطاعة لله ولرسوله، وأن يجعلنا من أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية والطائفة المنصورة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

عمر بن الخطاب؛ حِصْنٌ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وبعد:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا؛ كما قاله. قال: إنك عليه - أو عليها - لجريء، قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي، قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال: أيكسر أم يُفتح؟ قال: يكسر، قال: إذن لا يغلق أبدًا، قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط، قال: شقيق- الراوي عن حذيفة- فهبنا أن نسأل حذيفة، فأمَرْنا مسروقًا فساله فقال: الباب عمر.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في خمسة مواضع؛ في الصلاة برقم (٥٢٥)، وفي الزكاة برقم (١٤٣٥)، وفي الصوم برقم (١٨٩٥)، وفي المناقب برقم (٣٥٨٦)، وفي الفتن برقم (٧٠٩٦) كما أخرجه الإمام مسلم (١٤٤)، والترمذي (٢٢٥٨)، وابن ماجه (٣٩٥٥)، وأحمد (٥/٤٠١، ٤٠٢).

أولاً: التعريف بعمر بن الخطاب رضي الله عنه

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء بعدها تحتانية، ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بفتح الراء بعدها زاي وآخره مهملة، ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، يجتمع مع النبي ﷺ في كعب، وعدد ما بينهما من الآباء إلى كعب متفاوت بواحد فعدد ما بين النبي ﷺ وكعب سبعة آباء، وما بين عمر وكعب ثمانية آباء، بخلاف أبي بكر رضي الله عنه فعدد آبائه متساوٍ مع عدد آباء الرسول ﷺ، وأم عمر هي: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، ابنة عم أبي جهل والحارث ابني هشام بن المغيرة، ووقع عند ابن منده أنها بنت هشام أخت أبي جهل وهو تصحيف، نبه عليه ابن عبد البر وغيره.

وهو أبو حفص القرشي العدوي، قال الحافظ في الفتح: أما كنيته فجاء في السيرة لابن إسحاق أن النبي ﷺ كناه بها، وكانت حفصة رضي الله عنها أكبر أولاده، وأما لقبه فهو الفاروق باتفاق، فقيل: أول من لقبه به النبي ﷺ. رواه أبو جعفر بن أبي شيبة في تاريخه عن ابن عباس عن عمر، ورواه ابن سعد من حديث عائشة، وقيل: أهل الكتاب، أخرجه ابن سعد عن الزهري، وقيل جبريل رواه البغوي، وهو ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين.

ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة (قبل الهجرة بأربعين سنة)، كان

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

للمسلمين من الفتن

إعداد
زكريا حسيني

في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم وكانت إليه السفارة فيهم، وكان عند مبعث النبي ﷺ شديدًا على الإسلام والمسلمين، ثم دخل في الإسلام قبل الهجرة بخمس سنين، فكان إسلامه عزًا وقوة للمسلمين، وفرجًا من الضيق كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر». وهاجر وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وبويع له بالخلافة يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنهما سنة ١٣ هجرية بعهد منه، فكان يضرب به المثل في العدل، وفي أيامه تم فتح الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر، وهو أول من أرّخ بالتاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون من قبل بالوقائع، وهو أول من دون الدواوين، وكان يطوف في الأسواق منفردًا، ويعس بالليل، استشهد رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة، قتله غيلة في صلاة الصبح سنة ٢٣ من الهجرة رضي الله عنه وأرضاه، فكانت مدة خلافته عشر سنين.

ثانيًا: بعض مناقب الفاروق عمر

أما مناقب الفاروق رضي الله عنه فهي كثيرة، حفلت بها الصحاح والمسانيد من كتب السنن، ونحن لا نستطيع حصرها في هذا المقال، ولذا فإننا سنتقصر على بعضها، ولا سيما الصحيح منها، فمن ذلك:

١- من بشارات النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة»، ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: «افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»، فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم قال: «الله المستعان».

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد في المسند]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند النبي ﷺ إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غَيْرَتَهُ فوليت مدبرًا». فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله.

[أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه وأحمد في المسند]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرُّمَيْصَاءِ امرأةِ أبي طلحة، وسمعت خَشْفَةً فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك». فقال عمر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أعليك أغار.

[أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في المسند]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أُحُدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله، وقال: اثبتْ أُحُدُ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان».

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي وأحمد في المسند]

٢- عمر العبقري رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دَلْوٌ فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبًا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن». [متفق عليه]. وفي الصحيحين ومسند أحمد مثله عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٣- دين عمر رضي الله عنه السابغ:

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيت الناس عُرِضُوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدين».

٤- علم عمر رضي الله عنه الغزير:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم شربت - يعني اللبن - حتى أنظر إلى الريِّ يجري في ظفري - أو في أظفاري - ثم ناولت عمر» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم». [أخرجه الشيخان والترمذي وأحمد في المسند]

قال الحافظ في الفتح: والمراد بالعلم هنا العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر، واتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان، فمدة أبي بكر كانت قصيرة لم تكثر فيها الفتوح التي هي أعظم أسباب الاختلاف، ومع ذلك ساس عمر فيها الناس- مع طول مدته- لم يخالفه أحد، ثم ازدادت اتساعًا في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء فنشأت من ثم الفتن، إلى أن أفضى الأمر إلى قتله رضي الله عنه، واستخلف عليٌّ رضي الله عنه فما ازداد الأمر إلا اختلافًا والفتن إلا انتشارًا، والله المستعان. اهـ. بتصرف.

٥- عمر رضي الله عنه الملهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناسٌ مُحَدَّثون فإن يك في أمتي أحدٌ فإنه عمر». [أخرجه البخاري، وأخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها]

هذا، وقد روى الترمذي في معنى هذا الحديث حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه». وقال عقبه: وفي الباب عن الفضل بن عباس وأبي ذر وأبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح غريب.

كان رسول الله ﷺ يثني على عمر فيصفه بأنه

إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

٦- من موافقات عمر رضي الله عنه لربه عز وجل:

عن أنس قال: قال عمر: «وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وآية الحجاب. قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾. فنزلت هذه الآية. [أخرجه البخاري، وأخرجه الترمذي مختصرًا، وكذا ابن ماجه، وأخرجه الإمام أحمد]

قال الحافظ في الفتح: وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غيرها، من مشهورها قصة أَسْرَى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح، وقد صحح الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ما نزل بالناس أمر قطُّ فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر. وهذا دالٌ على كثرة موافقته.

٧- هيبة عمر رضي الله عنه:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر قُمْنَ فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يا رسولَ اللهِ، فقال النبي ﷺ: «عَجِبتُ من هؤلاء اللائي كنَّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب». قال عمر: فأنت أحق أن يَهَبْنَ يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بـــاب مـــغلق بين المسلمـــين وبين الفتن

فكان الوحي ينزل بتـأييـده رضي الله عنه

نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إيهًا يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجك». [متفق عليه]

٨- رضا الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم عن عمر:

عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر رضي الله عنه جعل يألم فقال له ابن عباس - وكأنه يجزعه-: يا أمير المؤمنين، ولا كان ذلك، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقت وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقت وهو عنك راض، ثم صحبت صَحَبتهُمْ فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون، قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإن ذلك مَنٌّ مِنَ الله تعالى مَنَّ به عليَّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك مَنٌّ من الله جل ذكره مَنَّ به عليَّ، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك ومن أجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه. [أخرجه البخاري] وقوله: «يُجَزِّعُه» أي: يزيل عنه الجزع، مثل يُمرِّضه أي يحاول إزالة المرض عنه، وقوله: «طِلاع الأرض» أي ملء الأرض. والمراد هنا: ما يطلع عليها ويشرف فوقها من المال.

٩- ثناء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب - وقد وُضِعَ على سريره - فإذا رجلٌ من خلفي قد وضع مِرْفَقَهُ على مَنْكِبي يقول: يرحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيرًا مما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو الله أن يجعلك معهما، فالْتَفَتُّ فإذا عليُّ بن أبي طالب». [متفق عليه]

١٠- فضل إسلام عمر على المسلمين:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. [أخرجه البخاري]

١١- التزام عمر رضي الله عنه كتاب الله وعدم مجاوزته إياه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عيينة عليه قال: هيْ يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجَزْلَ ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله تعالى. [أخرجه البخاري]

١٢- شهادة رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر بمشاركتهما إياه في الإيمان بالغيب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة- قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر- وأخذ الذئب شاةً فتبعها الراعي فقال له الذئب: من لها يوم السبعُ يوم لا راعي لها غيري؟ قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر». قال أبو سلمة بن عبد الرحمن - الراوي عن أبي هريرة - وما هما يومئذ في القوم.

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد]

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

١٢- الصحابة يعدون حب أبي بكر وعمر من حب الله ورسوله ويتمنون صحبتهما في الجنة:

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها؟» قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، قال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

[متفق عليه، وأخرجه أحمد في المسند مختصرًا]

هذه بعض النصوص الصحيحة الصريحة في فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيرها كثير جدًا، لا يمكن أن تجمع في مقال كما قدمنا، هذا مع دخوله رضي الله عنه في الآيات الكثيرات التي تحدثنا عن فضل أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، وأن الله تعالى وعدهم الجنة، فإن لم يكونوا أهل الجنة بصحبتهم نبيهم وجهادهم معه ومن بعده لنشر الإسلام في الأرض شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا فمن يكونون أهلاً لجنة الله تعالى التي أعدت للمتقين؟ وإن لم يكونوا هم المتقون، فمن المتقون؟ هل من جاء بعدهم، أو المتقون هم الذين يتنقصونهم من متاعيس الروافض؟ كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وقال رسول الله ﷺ: «خركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». [متفق عليه]

وهذه النصوص العامة في فضائل الصحابة، والخاصة في كل واحد منهم على حدة لا ينكرها إلا من كان في قلبه مرضٌ وحقد على الإسلام وأهله- كالروافض الذين اتخذوا - بغض الصحابة وسبهم - ولا سيما خيارهم دينا.

ثالثًا: شرح الحديث (حديث سؤال عمر عن الفتن)

قوله: «التي تموج كموج البحر» أي الفتنة التي تضطرب مثل اضطراب البحر عند هيجانه، وكنى بذلك عن شدة المنازعة وكثرة المخاصمة وما ينشأ عن ذلك.

قوله: «يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها». قال الحافظ في الفتح: زاد في رواية ربعي: «تعرض الفتن على القلوب فأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يصير أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة، وأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى يصير أسود كالكوز منكوسًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وحدثته أن بينها وبينه بابًا مغلقًا».

قوله: «إن بينك وبينها بابًا مغلقًا» أي لا يخرج منها شيء في حياتك.

قوله: «قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يكسر، قال ذلك أحرى أن لا يغلق». زاد في الصيام: «ذاك أجدر أن لا يغلق إلى يوم القيامة»، وإنما قال ذلك عمر رضي الله عنه اعتمادًا على ما عنده من النصوص الصريحة في وقوع الفتن في هذه الأمة ووقوع البأس بينهم إلى يوم القيامة. قال الحافظ في الفتح: وقد وافق حذيفة على معنى روايته هذه أبو ذر، فروى الطبري بسند رجاله ثقات أنه: لقي عمر فأخذ بيده فغمزها، فقال له أبو ذر: أرسل يدي يا قُفْلَ الفتنة. إلخ الحديث، وفيه أن أبا ذر قال: لا يصيبكم فتنة ما دام فيكم. وأشار إلى عمر رضي الله عنهم، وروى البزار من حديث قدامة بن مظعون عن أخيه عثمان أنه قال لعمر: يا غلق الفتنة، فسأله عن ذلك فقال: مررت ونحن جلوس عند النبي ﷺ فقال: هذا غلق الفتنة، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش.

فإذا كان رسول الله ﷺ يثني على عمر بأنه باب مغلق بين المسلمين وبين الفتن، أو أن بين عمر وبين الفتن بابًا، وأن هذا الباب يكسر بقتل عمر فما أعظمها من تزكية، وما أجله من فضل لعمر.

رضي الله عنهم أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

رَدُّ شُبَهِ الرَّوَافِضِ الحَاقِدِينَ عَلَى ذُو النُّورَيْنِ عُثْمَانَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ

إعداد/ زكريا حسيني

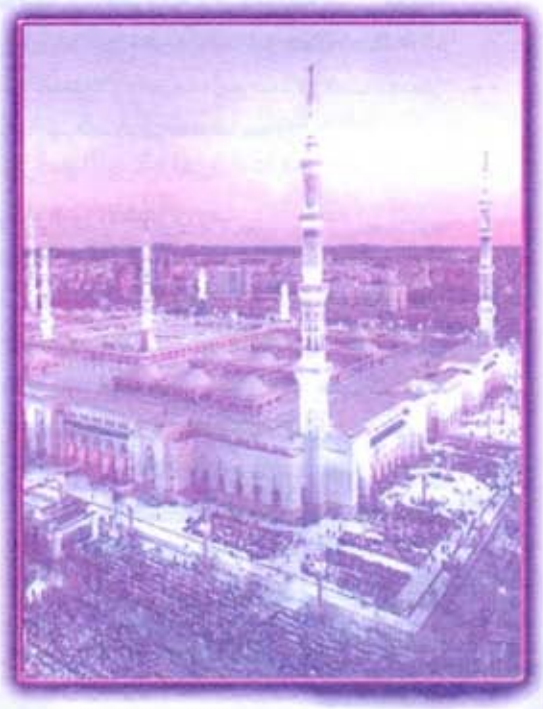

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر وحَجَّ البيت، فرأى قومًا جلوسًا، فقال: مَن هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني: هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أُحد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان؟ قال: نعم. قال: اللَّهُ أكبر. قال ابن عمر: تَعَالَ أبينْ لك، أما فراره يوم أُحُدٍ فأشهدُ أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ مريضةً فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحدٌ ببطن مكة أعز من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان»، فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان». فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري بطوله في موضعين من صحيحه أولهما في كتاب المناقب باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه برقم (٣٦٩٨)، والثاني في كتاب المغازي باب قول الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ...» برقم (٤٠٦٦)، كما أورد أطرافه في الأرقام (٣١٣٠- ٣٧٠٤- ٤٥١٣ - ٤٥١٤ - ٤٦٥٠ - ٤٦٥١- ٧٠٩٥)، كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠١/٢)، وأخرجه أيضًا الإمام الترمذي في المناقب باب (ثلاث اعتراضات اعترض بها المصري) برقم (٣٧٠٦).

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أولاً: ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلمت، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، أمير المؤمنين، وصهر رسول الله ﷺ على ابنتيه رقية ثم أم كلثوم، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وممّن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، أسلم بعد البعثة بقليل، وهو ممن أسلموا بدعوة الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وكان غنيًا شريفًا في الجاهلية وبعدما أسلم، ومن أعظم أعماله تجهيزه جيش العُسْرة بماله، حتى قال النبي ﷺ: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم، ما ضر ابن عفان ما فعل بعد اليوم»، صارت إليه الخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين بمشورة من أصحاب رسول الله ﷺ، افتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز، وخراسان وكرمان وسجستان وقبرص وغيرها، أتم جمع القرآن، وجمع المسلمين على مصحف واحد عندما كادت تحدث بينهم الفتن باختلافهم في القراءة، وشاء الله تعالى أن ينقم عليه بعض المفسدين، فحاصروه في مدينة رسول الله ﷺ، واستشهد وهو يقرأ القرآن صبيحة عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين من الهجرة، رضي الله عنه وأرضاه. فكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة.

ثانيًا: بعض ما ورد في فضائل عثمان رضي الله عنه: عثمان رغم أنف الروافض

لقد ورد في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه أحاديث كثيرة جدًا، فقد أورد الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه في كتاب فضائل الصحابة نحوًا من تسعة وخمسين حديثًا ومائة حديث ما بين صحيح وحسن وضعيف، هذا بالإضافة إلى ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في عموم فضل أصحاب رسول الله ﷺ وهو داخل فيهم بلا شك على رغم أنف الروافض الذين نشأوا وتربوا على سب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، فهم في ذلك شر من اليهود والنصارى، فإنه لم يرد أن اليهود سبوا أصحاب موسى ولا تنقصوا أحدًا منهم، كما أنه لم يرد أن النصارى سبوا أصحاب عيسى ولا تنقصوهم، فالروافض في أمر عجيب تجاه أصحاب رسول الله ﷺ، وأعجب منهم أمر من يهون من سبهم لأصحاب رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين ولعنهم، وتصويرهم بصورة من يتناحرون من أجل السلطة والإمارة، وهم الذين فدوا دين الله ورسول الله ﷺ بأغلى ما يملكون، فدوه بآبائهم وأمهاتهم وبأرواحهم، شهد الله لهم بذلك في كتابه وشهد لهم به رسول الله ﷺ، ونحن سنقتصر على بعض ما ورد في فضائل عثمان بن عفان أمير المؤمنين ولا سيما الصحيح منه، وبالله التوفيق، فمن ذلك:

فضائل عثمان رضي الله عنه

١- ثبوت الهجرتين لذي النورين رضي الله عنه:

نصح عبيد الله بن عدي بن الخيار عثمان رضي الله عنه وهو خليفة للمسلمين، فتشهد عثمان رضي الله عنه ثم قال: أما بعد؛ فإن الله عز وجل بعث محمدًا ﷺ بالحق، فكنتُ ممن استجاب لله ولرسوله، وآمن بما بُعث به محمدٌ ﷺ، ثم هاجرتُ الهجرتين كما قلتَ، ونلتُ صِهْرَ رسول الله ﷺ، وبايعت رسول الله ﷺ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استُخلِفْتُ...» الحديث. [أخرجه الإمام أحمد في المسند مختصرًا هكذا، كما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه مطولاً]

٢- بشارتان لذي النورين رضي الله عنه:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل حائطًا وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، فإذا أبو بكر رضي الله عنه، ثم جاء آخر يستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، فإذا عمر رضي الله عنه، ثم جاء آخر يستأذن فسكت النبي ﷺ هنيهةً ثم قال: «ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»، فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

[أخرجه الشيخان والترمذي، وأحمد]



وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».

[أخرجه مسلم والترمذي وأحمد]

٣- حياء ذي النورين رضي الله عنه:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعثمان بن عفان رضي الله عنه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرْط عائشة (كساؤها التي تتلفع به) فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك». فقضيتُ إليه حاجتي، ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجلٌ حَيِيٌّ، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته». [أخرجه مسلم وأحمد]

٤- الملائكة تستحيي من ذي النورين عثمان رضي الله عنه:

عن عائشة زوج النبي رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تَهْتَشَّ له ولم تباله، ثم دخل عمر عمر فلم تَهْتَشَّ له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك! فقال ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة». [أخرجه الإمام مسلم]

٥- شهادة النبي ﷺ لذي النورين أنه على الهدى والحق:

عن مُرَّةَ بن كعب - ويقال: كعب بن مرة - قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنةً فقرَّبها فمرَّ رجلٌ مُتَقَنِّعٌ فقال: «هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى». فقلت: هذا يا رسول الله؟ وأقبلتُ بوجهه إليه، فقال: «هذا». فإذا هو عثمان رضي الله عنه. [أخرجه الإمام أحمد في المسند وفي فضائل الصحابة وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي وقال عقبه: هذا حديث حسن، وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة]

وعن ابن حَوَالةَ قال: أتيت رسول الله ﷺ، وهو جالسٌ في ظل دَوْمة وعنده كاتب له يملي عليه، فقال: «ألا أكتبك يا ابن حَوَالَة؟» قلت: فيمَ يا رسول الله؟ فاعرض عني وأكب على كاتبه يملي عليه، ثم قال: «أنكتبك يا ابن حَوَالَة؟» قلت: فيم يا رسول الله؟ فاعرض عني وأكبَّ على كاتبه يملي عليه، فنظرت فإذا في الكتاب عمر، فقلت: إن عمر لا يُكْتَبُ إلا في خير، ثم قال: «أنكتبك يا ابن حوالة؟» قلتُ: نعم. فقال: «يا ابن حوالة كيف تفعل في فتن تخرج في أطراف الأرض كأنها صَيَاصي بقَرٍ، قلت: لا أدري ما خار الله لي ورسولُهُ، قال: «وكيف تفعل في أخرى تخرج بعدها كأن الأولى فيها انتفاجة أرنب؟» (أي وثبة أرنب) قلت: لا أدري ما خار الله لي ورسوله، قال ﷺ: «اتبعوا هذا» قال: ورجل مُقَفٍّ حينئذٍ، قال: فانطلقتُ فسعيتُ، وأخذتُ بمَنكِبَيْهِ، فأقبلتُ بوجهه إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذا؟ قال: «نعم». قال: وإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

[أخرجه الإمام أحمد في المسند وفي فضائل الصحابة]

٦- عفاف ذي النورين رضي الله عنه:

عن أبي أمامة بن سهل قال: كنا مع عثمان وهو محصور في الدار، وكان في الدار مَدْخَلٌ، من دخله سمع من على البلاط، فدخله عثمان رضي الله عنه فخرج إلينا وهو متغير لونه فقال: إنهم ليتواعدونني بالقتل آنفًا. قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولِمَ يقتلونني؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كُفْرٌ بعدَ إسلام، أو زنًا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا أحببت أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا قتلت نفسًا، فبمَ يقتلونني؟» [أخرجه الإمام أحمد في المسند وفي فضائل الصحابة وأصحاب السنن الأربعة]



٧- ذو النورين والمبادرة إلى الجنة وما يقرب إليها من عمل:

عن أبي عبد الرحمن - هو السُّلميُّ - أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

«أنشدكم الله، ولا أنشُدُ إلا أصحابَ النبي ﷺ: أَلَسْتُمْ تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من حفر رومة فله الجنةُ فحفرتها؟ أَلَسْتُمْ تعلمون أنه قال: مَن جَهَّز جَيْشَ العُسْرَةِ فله الجنةُ فجهَّزتهُ؟ قال: فصدقوه بما قال». [أخرجه الإمام البخاري تعليقًا، وقال الحافظ: وصله الدارقطني والإسماعيلي وغيرهما]

٨- قصة الاتفاق على بيعة ذي النورين وفيها أن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راضٍ:

أخرج الإمام البخاري في صحيحه القصة بتمامها وفيها مقتل أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وما حدث له من طعن أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة له وهو في الصلاة، إلى أن قال له بعض الصحابة: أوصِ يا أمير المؤمنين، استَخْلِفْ، فقال رضي الله عنه: ما أجدُ أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمَّى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيءٌ - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستَعن به أيُّكم مَا أمِّر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبوءا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفي عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردءُ الإسلام وجُباة المالِ وغيظُ العَدُوِّ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ حواشي أموالهم وتردُّ على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ - إلى أن قال: فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى عليّ، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن بن عوف: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه؟ والله عليه والإسلامُ لينظرنَّ أفضلهم في نفسه؟ فأسكتَ الشيخان. فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدمُ في الإسلام ما قد علمتَ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلنَّ، ولئن أمَّرتُ عثمان لتسمعنَّ ولتطيعنَّ، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، وبايع له عليٌّ، وولَجَ أهلُ الدار فبايعوه.



ثالثًا: شرح الحديث

هذا رجل من أهل مصر ممن تأثروا بفتنة عبد الله بن سبا اليهودي الذي تظاهر بالإسلام، ليدخل في المسلمين ويزرع فيهم الفتن التي تؤدي إلى التفرق والاختلاف، ولا شك أن الخبيث يعرف أن أعظم فتنة إنما هي تشكيك المسلمين في أصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما من ولي الخلافة منهم، فيبحث عن الزلات وعن الخطايا التي يمكن أن تقع من أي بشر، ولم يعصم منها إلا الأنبياء، فيشيعها بين الناس محرضًا على بغض أصحاب رسول الله ﷺ، وفي ذلك من البلاء العظيم الذي يصيب المسلمين، فيسأل هذا الرجل بعدما حجَّ البيت يسأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عما يشيعه أعداء الإسلام عن ذي النورين عثمان رضي الله عنه وهم يهرفون بما لا يعرفون، ثم إنهم لجهلهم بنصوص الكتاب والسنة تنزل الفرية على قلوبهم فتتشربها وكأنها حق لا مرية فيه، ولو ردوه إلى الكتاب والسنة وإلى أهل العلم لعلموه، ولذهب ما يجدونه في صدورهم، يسأل المصري عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن ثلاثة اتهامات اتهم بها عثمان رضي الله عنه أولها: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ فيجيبه عبد الله: نعم، وثانيها: هل تعلم أنه تغيب عن غزوة بدر ولم يشهدها؟ فيجيبه: نعم، وثالثها: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ فيجيبه: نعم، فيكبر الرجل، معلنًا بهذا التكبير عما في قلبه من ضغينة على ذي النورين رضي الله عنه، والله إنه لأمر خطير أن تؤخذ الأمور بظواهرها عن جهل وعدم روية، وذلك

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الذي يتيح لأعداء الإسلام غرس الفتن في قلوب أبناء الإسلام، وأبناء الإسلام في غفلة عن نصوص الكتاب والسنة، ولكن عبد الله بن عمر المعروف بتحري الحق وتحري سنة نبيه ﷺ وهو من أفقه الصحابة وأعقلهم وأشدهم فطنة يبين للرجل ولكل جاهل يبغض أصحاب رسول الله ﷺ وخاصة ذا النورين رضي الله عنه، يبين ابن عمر رضي الله عنهما وجه الحق بنصوص الكتاب والسنة فيما نسب إلى عثمان رضي الله عنه فيقول: تعالَ أبينْ لك: أما الأولى وهي فراره يوم أحد فاشهد أن الله عفا عنه وغفر له، نعم فالله عز وجل قال في شأن هؤلاء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]. وقال ابن عمر في الثانية: وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه». قال ابن حجر رحمه الله: بنت رسول الله ﷺ هي رقية، روى الحاكم في المستدرك بسنده إلى عروة بن الزبير قال: «خلَّفَ رسول الله ﷺ عثمان وأسامة بن زيد على رقية في مرضها لما خرج إلى بدر، فماتت رقية حين وصل زيد بن حارثة بالبشارة، وكان عُمُرُ رقية لما ماتت عشرين سنة، ومعلوم أن رسول الله ﷺ زوج عثمان أم كلثوم بعد موت رقية، ولما ماتت أم كلثوم قال لعثمان: لو كان عندنا ثالثة لزوجناك». كما روي أنه ﷺ قال: «وما زوجته إلا بوحي». وأما الثالثة فقال ابن عمر للرجل في شأنها: وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحدٌ ببطن مكة أعزَّ من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، أي أن رسول الله ﷺ هو الذي بعث عثمان ليعلم قريشًا أنه إنما جاء معتمرًا لا محاربًا، ففي الوقت الذي تغيب فيه عثمان شاع عند المسلمين أن المشركين تعرضوا لحرب المسلمين، فاستعد المسلمون للقتال، وبايعهم رسول الله ﷺ حينئذٍ تحت الشجرة على ألا يفروا، وقيل: بل جاء الخبر أن المشركين قتلوا عثمان رضي الله عنه، فكان ذلك سبب البيعة، كما بين ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال بيده اليمنى: «هذه يد عثمان». فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان». ولا شك أن يد رسول الله ﷺ خير من يد عثمان، بل خير لكل أحد من المسلمين من يده، فيا له من شرف عظيم أن يتولى رسول الله ﷺ البيعة لعثمان نيابة عنه، ثم إن عثمان ليس مقصرًا في ذلك بل كان في مهمة كلفه بها قائده ﷺ.

وفي قول ابن عمر رضي الله عنهما للرجل: اذهب بها الآن معك: أي خذ العذر واقرنه بالجواب حتى لا تكون لك حجة بعد ذلك في ما كنت تعتقد من استحلالك لغيبة عثمان رضي الله عنه.

ونقل ابن حجر عن الطيبي قوله: قال له ابن عمر ذلك تهكمًا به، أي توجهٌ بما تمسكت به فإنه لا ينفعك بعدما بينت لك.

ولا عجب أن يوجد في المسلمين من أمثال هذا الرجل الذي ثبت في حديث آخر أنه سأل ابن عمر عن عثمان فذكر له محاسن عمله ثم قال له ابن عمر: لعلَّ ذلك يسوؤك ؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي رضي الله عنه فذكر له ابن عمر محاسن عمله، فقال ابن عمر للرجل لعل ذلك يسوؤك ؟ قال: أجل، فقال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجْهَدْ على جَهْدِك.

وأمثال هذا الرجل كثيرون الآن، لا يهمهم إلا تتبع الزلات والبحث عن العثرات لإشاعتها بين المسلمين، ولو أن كل مسلم شغل بعيوب نفسه فأصلحها لكان خيرًا له وللناس، أما أن ينشغل بعيوب المسيئين عن عيوب نفسه فذلك هو الضلال والفساد العريض، فما بالك بمن ينشغل بزلات المحسنين الذين تغمر بحار حسناتهم ما بدر منهم من هفوات وزلات، فذلك هو الذي يحلق دين المرء فلا يبقي منه شيئًا.

نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، كما نسأله أن يشفي مرضى المسلمين من أمراضهم التي تتغلغل في قلوبهم، وأن يوحد صفوفهم وأن يؤلف بين قلوبهم ويجمعهم على الحق وحب أهل الحق وعلى رأسهم أصحاب رسول الله ﷺ خير القرون، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. والحمد لله أولاً وآخرًا.

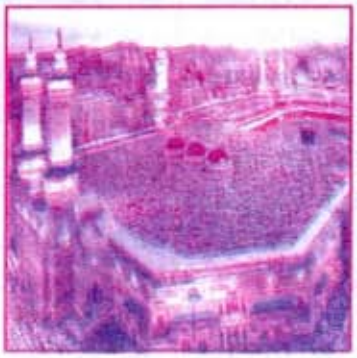

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

منزلة أهل البيت عند أهل السنة والجماعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناسُ غدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين عليُّ بن أبي طالب؟» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «فَأَرْسِلُوا إليه» فأُتيَ به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فَبَرَأَ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال عليٌّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بك رَجُلاً واحدًا خَيرٌ لكَ من أنْ يكونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أربعة مواضع من صحيحه؛ أولها في كتاب الجهاد والسير برقم (٢٩٤٢)، وثانيها في كتاب الجهاد والسير أيضًا برقم (٣٠٠٩)، وثالثها في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ برقم (٣٧٠١)، ورابعها في كتاب المغازي برقم (٤٢١٠)، وكذا أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٤٠٦)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٣٣/١)، وفي فضائل الصحابة برقم (١٠٣٧).

ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

هو علي بن أبي طالب - واسم أبي طالب عبد مناف - بن عبد المطلب - واسم عبد المطلب شيبة - بن هاشم - واسم هاشم عمرو - بن عبد المناف - واسم عبد مناف المغيرة - بن قصي - واسم قصي زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

[فضائل الصحابة للإمام أحمد ج١ ص٥٥٠]

وأم علي هي: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وقيل: هي أول هاشمية ولدت هاشميًا، وقد أسلمت وهاجرت إلى النبي ﷺ وماتت بالمدينة وشهدها النبي ﷺ.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وكان له من الإخوة: طالب وعقيل وجعفر وكانوا أكبر منه، وله أختان: أم هانئ وجُمَانَةُ، قال: وكان عليٌّ أحدَ العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان ممن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وكان رابع الخلفاء الراشدين، وكان رجلاً أدم (أسمر)، أسلم قديمًا وهو ابن سبع سنين، وقيل: ابن ثمان، وقيل غير ذلك. وقيل: إنه أول من أسلم، والصحيح أنه أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلمتْ من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار.

وكان سبب إسلام عليٍّ صغيرًا أنه كان في كفالة رسول الله ﷺ؛ لأنه كان قد أصابتهم سنة مجاعة فأخذه من أبيه فكان عنده، فلما بعثه الله بالحق آمنت خديجة وأهل البيت، ومن جملتهم علي، وكان الإيمان النافع المتعدي نفعه إلى الناس إيمان الصديق رضي الله عنه.

وهاجر علي بعد خروج رسول الله ﷺ من مكة، وكان أمره أن يقضي ديونه ويرد ودائعه، ثم يلحق به،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فامتثل ما أمره به، ثم هاجر، وآخى النبي ﷺ بينه وبين سهل بن حنيف، وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين نفسه، قال ابن كثير: وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح منها شيءٌ لضعف أسانيدها وركة بعض متونها.

وقد شهد علي رضي الله عنه بدرًا وكانت له اليد البيضاء فيها بارز يومئذ فغلب وظهر، وشهد أحدًا وقاتل قتالًا شديدًا وقتل خلقًا كثيرًا من المشركين وغسل عن وجه رسول الله ﷺ الدم الذي كان أصابه من الجراح حين شج في وجهه وكسرت رباعيته، وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب - عمرو بن عبد ود العامري وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، وشهد خيبر وكانت له بها مواقف هائلة، وشهد عمرة القضاء، وفيها قال له النبي ﷺ: «أنت مني وأنا منك». وشهد الفتح وحنينا والطائف، واعتمر مع رسول الله ﷺ من الجعرانة، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك واستخلفه على المدينة، قال له: يا رسول الله، أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي». وبعثه النبي ﷺ أميرًا وحاكمًا على اليمن، ومعه خالد بن الوليد، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجة الوداع إلى مكة وساق معه هديًا، وأهل بإهلال رسول الله ﷺ، ولما مات رسول الله ﷺ كان علي رضي الله عنه من جملة من غسّلهُ وكفنه وولي دفنه.

أولاد علي ومنهم عثمان وأبو بكر وعمر!!

وزوجه النبي ﷺ فاطمة ابنته رضي الله عنها بعد وقعة بدر، فولدت له الحسن والحسين ومحسنًا، وزينب الكبرى، وأم كلثوم، وهذه قد تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه من غير فاطمة: العباس، وجعفر، وعبد الله، وعثمان من زوجته أم البنين، وهؤلاء الأربعة قتلوا في كربلاء مع أخيهم الحسين رضي الله عنهم أجمعين، ومنهم أيضًا عبيد الله وأبو بكر وهما من زوجته ليلى بنت مسعود، وقد قتلا أيضًا بكربلاء، ومنهم عمر من زوجته أم حبيب بنت ربيعة، وعمر هذا قد عُمِّرَ حتى بلغ خمسًا وثمانين سنة، ومنهم أيضًا محمد الأوسط من زوجته أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها وهو في الصلاة؛ إذا قام حملها وإذا سجد وضعها، وأما ابنه محمد الأكبر فهو ابن الحنفية، وهي خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة سباها خالد بن الوليد في خلافة الصديق أيام حروب الردة، فصارت لعلي رضي الله عنه فولدت له محمدًا هذا، ومن الشيعة من يدعي له الإمامة والعصمة، وقد كان من سادات المسلمين؛ ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم، بل ولا من هو أفضل منْ أبيه من الخلفاء الراشدين قبله، ليسوا بواجبي العصمة كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة.

بيعة علي رضي الله عنه لكل من أبي بكر وعمر وعثمان

لما بويع الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة، كان علي رضي الله عنه من جملة من بايعه بالمسجد، وكان بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضًا عليه وأحب الأشياء إليه - ولما توفي الصديق رضي الله عنه وقام عمر في الخلافة بوصية أبي بكر إليه بذلك - كان علي رضي الله عنه من جملة من بايعه، وكان معه يشاوره في الأمور، وقدم معه من جملة سادات الصحابة إلى الشام وشهد خطبته بالجابية، فلما طعن عمر رضي الله عنه وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم علي، ثم خلص منهم بعثمان وعلي، فقدم عثمان على علي رضي الله عنهما سمع علي لعثمان وأطاع، فلما قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين - على المشهور - عدل الناس إلى علي فبايعوه قبل أن يدفن عثمان، وقيل بعد دفنه، وقد امتنع عليّ رضي الله عنه من إجابتهم إلى قبول الإمارة حتى تكرر قولهم له واجتماعهم عليه وإلزامه بذلك، فحينئذ قبل منهم فبايعوه.

قتل أمر المؤمنين علي رضي الله عنه

تولى أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه على كره منه - كما تقدم-، واستمرت الفتن في عهده وكثرت وتلاحقت، حتى تنغصت عليه الأمور، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه، واستفحل أمر أهل الشام، وصالوا وجالوا يمينًا وشمالاً، وهم يزعمون أن الإمرة صارت لمعاوية بعد واقعة التحكيم، التي تم فيها خلع علي من أبي موسى وعمرو بن العاص، وتولية عمرو معاوية عند خلو الإمارة عن أحد، وقد كان أهل الشام يسمون معاوية الأمير بعد التحكيم، وكلما ازداد أهل الشام قوة ازداد أهل العراق ضعفًا، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان؛ أعبدهم وأزهدهم وأعلمهم وأخشاهم لله عز وجل، ومع ذلك خذلوه وتخلوا عنه، حتى كره الحياة وتمنى الموت.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس: أن ثلاثة من الخوارج هم: عبد الرحمن بن عوف - المعروف بن مُلْجَم الحميري ثم الكندي - حليف بني حنيفة المصري، والبُرَكُ بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي، اجتمعوا فتذاكروا قتل عليّ إخوانهم من أهل النهروان، فترحموا عليهم، وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم ! كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ؛ فلو شَرَيْنَا أنفسنا فأتينا أئمة أهل الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا ! فقال ابن مُلْجَم: أما أنا فأكفيكم عليّ بن أبي طالب، وقال البُرَكُ: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا على ذلك، وتواعدوا ليلة السابع عشر من رمضان.

فأما ابن مُلْجَم: فسار إلى الكوفة وأعد عدته واستعان باثنين من إخوانه من الخوارج ووجد تشجيعًا من امرأة خارجية جعلت قتل علي جزءًا من صداقها الذي يصدقها إياه ابن ملجم، فسَمَّ سيفه وكَمَنَ لأمير المؤمنين عند باب المسجد الذي يدخل منه في صلاة الفجر، وضربه على قرنه فسال دمه على لحيته رضي الله عنه، ولقي ربه بعد هذه الضربة.

وأما الآخران فلم يفلحا في قتل صاحبيهما، وحاصل الأمر أن عليًا رضي الله عنه قتل يوم الجمعة سَحَرًا، وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين وأرضاهم. انتهى. ملخصًا من البداية والنهاية.

شرح الحديث

في هذا الحديث بيان لفضيلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فقد وصفه النبي ﷺ بأنه يحبه اللهُ ورسولُه، ويحب اللهَ ورسولَه، وهذه ولا شك منقبة عظيمة له رضي الله عنه، كما أنه يحوي بيانًا لشجاعة عليّ رضي الله عنه، وأنه موفق من الله تعالى في قتال الكفار.

قوله: «لأعطينّ هذه الراية غدًا» قال الحافظ في الفتح: وقع في هذه الرواية اختصار، وهو عند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث بريدة بن الحصيب قال: لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فرجع ولم يفتح له، فلما كان الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له، وقتل محمود بن مسلمة، فقال النبي ﷺ: «لأدفعن لوائي غدًا إلى رجل...» الحديث. والراية بمعنى اللواء، وهو العَلَمُ الذي في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، قال الحافظ: وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفها، ولكن روى أحمد والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «كانت راية رسول الله ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض».

قوله: «فبات الناس يدوكون»: أي يموجون ويخوضون.

وقوله: «فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع». أما برأ: فبوزن: «ضَرَبَ»، ويجوز كسر الراء بوزن «عَلِمَ»، هذا وعند الحاكم عن عليّ نفسه رضي الله عنه قال: «فوضع رأسي في حجره ثم بزق في إلية راحته فدَلَك بها عيني»، وعند البيهقي في الدلائل عن بريدة: «فما وَجِعَها عليّ حتى مضى لسبيله»، أي مات. وعند الطبراني عن علي رضي الله عنه: «فما رَمِدْتُ ولا صَدِعْتُ مُذْ دفع النبي ﷺ إليّ الراية يوم خيبر».

قوله: «فقال عليٌّ يا رسول الله، أقاتلهم» بحذف همزة الاستفهام. أي: أأقاتلهم ؟

قوله: «حتى يكونوا مثلنا» أي حتى يسلموا.

وقوله: «فقال: انْفُذْ على رِسْلِك» أي امض على هِنَتِك وتأنيك.

وقوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام»، استدل به على أن الدعوة شرط في جواز القتال، والخلاف في ذلك مشهور ؛ فبعض الأئمة يرى الدعوة إلى الإسلام شرطًا في جواز القتال، وبعضهم يجيز القتال بدون تقديم الدعوة إلى الإسلام، ويحمل الأمر في هذا الحديث على الاستحباب.

قوله: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا» يؤخذ منه أن تالف الكافر حتى يسلم أفضل وأولى من المبادرة إلى قتله، كما يؤخذ منه أن دعوة الناس بالرفق واللين ليدخلوا في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله هو هدف الدعوة، وإظهار المحبة للناس لتأليفهم، وليس أنه يدعوهم من أجل أن يقيم عليهم الحجة ليدخلوا النار كما قد يتصور من لا فقه له.

قوله: «حُمْرُ النَّعَم» بسكون الميم من «حمر»: جمع أحمر، وبفتح النون والعين من «نَعَم» أي الأنعام وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل: خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل: تقتنيها وتملكها، وكانت مما تتفاخر بها العرب.

رابعًا: بعض ما ورد في فضائل عليٍّ رضي الله عنه

فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كثيرة،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ومناقبه غزيرة ومآثرهُ جمة كبيرة، ولقد وردت نصوص جمة في فضائله رضي الله عنه لا نستطيع استقصاءها في هذا المجال، ولكننا سنقتصر على بعض الصحيح الذي ورد من النصوص في فضائله رضي الله تعالى عنه وعن الصحابة أجمعين، فمن ذلك:

١- إخبار رسول الله ﷺ أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله:

فمن ذلك حديث سهل بن سعد رضي الله عنه الذي سبق ذكره وتخريجه وشرحه.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم وأحمد: «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه». قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فتشاورت لها رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فأعطاه إياها.. الحديث.

و حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «كان عليّ قد تخلف عن رسول الله ﷺ في خيبر، وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ؟ فخرج عليٌّ فلحق بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية - او ليأخذن الراية - غدًا رجلاً يحبه الله ورسوله - أو قال: يحب اللّه ورسوله، يفتح الله عليه فإذا نحن بعلي... الحديث.

[متفق عليه]

وحديث البراء رضي الله عنه في ذلك أيضًا، أخرجه الترمذي، وابن أبي شيبة، وغير ذلك من الأحاديث.

٢- عليٌ رضي الله عنه: لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق:

عن زرّ بن حبيش قال: قال عليّ رضي الله عنه: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليَّ: أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق».

[أخرجه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم]

٣- منزلة علي عند رسول الله ﷺ واختيار أمر الأخرة له ولفاطمة:

عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتي النبي ﷺ بسبي، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم فقال: على مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: «ألا أعلمكما خيرًا مما سألتماني ؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعًا وثلاثين، وتسبحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم». [متفق عليه]

٤- تكنية عليّ بأبي تراب ومداعبة النبي ﷺ له:

قال سهل بن سعد رضي الله عنه: دخل عليٌّ على فاطمة رضي الله عنها، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: «أين ابن عمك؟» قالت: في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح عن ظهره فيقول: «اجلس يا أبا تراب، اجلس يا أبا تراب»، وكان سهل بن سعد يقول: والله ما سماه إلا النبي ﷺ ، وما كان له اسم أحبَّ إليه منه. [أخرجه البخاري برقم ٣٧٠٣]

٥- ذكر محاسن عثمان وعلي رضي الله عنهما يسوء الخوارج:

عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجلٌ إلى ابن عمر رضي الله عنهما، فساله عن عثمان، فذكر من محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم، قال: فأرْغَمَ اللّهُ بأنْفِكَ، ثم ساله عن عليّ، فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ، ثم قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: أجَلْ، قال: فأرغم الله بأنفك، انْطَلِقْ فاجْتَهِدْ على جَهْدِك.

[البخاري وأحمد]

٦- قتال علي للمارقين والمتأولين وبيان أن في قتلهم أجرًا عظيمًا:

عن سويد بن غفلة قال: قال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأنْ أخِرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قومٌ حُدَثاءُ الأسْنانِ سُفَهاءُ الأحلام يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة». [متفق عليه وأخرجه ابو داود والنسائي وأحمد]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعْدِلْ، فقال: «ويلك ومن يَعْدِلُ إذا لم أعْدِلْ، قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكنْ أعْدِلُ». فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

يمرق السهم من الرَّمِيَّة، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضِيِّه - وهو قِدْحُه - فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى إلى قُذَذِه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفَرْثَ والدَّمَ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن عليَّ بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ لذي نعته. متفق عليه.

٧- شهادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن عليًا أقضى الصحابة:

عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: «أقرؤنا أُبَيٌّ وأقضانا عليٌّ، وإنا لندع من قول أُبَيّ، وذاك أنّ أُبيًا يقول: لا أدع شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾».

[أخرجه البخاري وأحمد]

٨- عليٌ رضي الله عنه ومن معه أولى بالحق من معاوية ومن معه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَمْرُق مارقةٌ عند فُرْقةٍ من المسلمين يقتلها أَوْلَى الطائفتين بالحق». [أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد]

وعنه - رضي الله عنه - وكان يحدث عن بناء المسجد فقال: «كنا نحمل لبنةً لبنةً، وعمارٌ لبنتين لبنتين، فقال النبي ﷺ: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن». [أخرجه البخاري وأحمد]

قال الحافظ في الفتح: في هذين الحديثين دلالة واضحة على أن عليًا ومن معه كانوا على الحق، وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم «ومع خطئهم فهم ماجورون لأنهم مجتهدون». والله أعلم.

٩- قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى».

عن سعد بن أبي وقاص أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليًا - أي على المدينة - فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي».

١٠- قول النبي ﷺ لعلي: «أنت مني وأنا منك».

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أنت مني وأنا منك».

أخرجه الترمذي وقال عقبه: وفي الحديث قصة، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأما القصة فأخرجها البخاري بتمامها، وفي نهايتها قال ﷺ لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي». وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا». الحديث.

منهج أهل السنة هو الميزان

والأحاديث في فضائل علي كثيرة جدًا، وأما أنه معصوم فهذا غير صحيح لا هو ولا أحد من ذريته ولا أحد من البشر غير الأنبياء، فإن العصمة لم تثبت إلا للأنبياء فقط، وهذا في مذهب أهل الحق ؛ أهل السنة والجماعة، أما من يدعي العصمة لعلي وبعض ذريته، أو يدعي لهم منزلة فوق منزلة البشر من المؤمنين الصالحين فقوله باطل مردود، إذ لا دليل عليه إلا ترهات وأباطيل اخترعوها من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان، وقد هلكت في عليّ طائفتان؛ أما إحداهما فغَلَتْ فيه وأفرطت حتى جعلته إلهًا يُعبد من دون الله، وهؤلاء شابهوا النصارى في غلوهم في عيسى ابن مريم عليه السلام، وأما الأخرى فكفرته ولعنته وأخرجته من الملة، وخرجوا عليه وأولئك شابهوا اليهود في تفريطهم في حق ابن مريم عليه السلام، واتهام مريم بالزنا، ولكل من الطائفتين خلف على مرّ العصور، فالخوارج الذين كفروا عليًا رضي الله عنه، كفروه متأولين للقرآن الكريم على غير تأويله، والروافض الذين يعبدون عليًا من دون الله ورفعوه وبعض آل بيته فوق مرتبة الأنبياء والمرسلين والملائكة، إنما فعلوا ذلك بناءً على نصوص اخترعوها أو على فهم عجيب معوج لنصوص القرآن الكريم، وهؤلاء أمرهم أعجب من أمر الخوارج إذ أن مذهبهم يتلخص في أن الله عز وجل أنزل كتابه لمدح علي وفاطمة رضي الله عنهما وذريتهما، ولذم الصديق والفاروق، وذي النورين وعائشة وحفصة، والحكم على بقية الصحابة بالردة والكفر بعد رسول الله ﷺ، والحق أن هذا دين يختلف عن دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ من عند ربه.

والحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

رد اعتداء الروافض المنافقين على زوج النبي عائشة أم المؤمنين

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله وحده حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وأزواجه أمهات المؤمنين. والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل. قال: فأتيته فقلت: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة". فقلت: من الرجال؟ فقال: "أبوها". قلت: ثم من؟ قال: "عمر" فَعَدَّ رجالاً. فَسَكَتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضعين من صحيحه؛ أولهما برقم (٣٦٦٢) كتاب فضائل الصحابة في فضائل الصديق (باب لو كنت متخذًا خليلاً) وثانيهما برقم (٤٣٥٨) كتاب المغازي باب غزوة ذات السلاسل، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٣٨٤)، وكذا أخرجه الترمذي برقم (٣٨٨٥)، وأحمد في المسند (٢٠٣/٤)، وأشار الحافظ في الفتح عند شرحه إلى أن ابن خزيمة وابن حبان أخرجاه.

أولا: ترجمة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

هي الصديقة بنت الصديق الأكبر خليفة الرسول ﷺ أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشية التيمية المكية النبوية، أم المؤمنين زوج النبي ﷺ أفقه نساء الأمة على الإطلاق، وأمها: أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أذينة الكنانية. ولدت في الإسلام، وهاجر بها أبواها، وتزوجها النبي ﷺ قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة الكبرى خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنتين عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر، وهي بنت تسع سنين، فروت عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما روت عن أبيها وعن عمر، وعن فاطمة، وعن سعد وحمزة بن عمرو الأسلمي، وجُدَامَةُ بنت وهب، حَدَّثَ عنها أكثر من مائتي شخص من التابعين.

قال الإمام الذهبي: مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين.

وهي ممن ولد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة رضي الله عنها بثماني سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبويَّ إلا وهما يدينان الدين.

ثم قال: لم يتزوج النبي ﷺ بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ، بل ولا في النساء مطلقًا امرأةً أعلم منها، وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أبيها، وهذا مردود، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا، بل نشهد أنها زوجة نبينا في الدنيا

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر؟!، وإن كان للصديقة خديجة شَأْوٌ لا يُلْحَقُ، قال الذهبي: وأنا واقف في أيتهما أفضل، نعم جزمت بأفضلية خديجة عليها لأمور ليس هذا موضعها. اهـ. من السِّيَر.

قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية: كانت وفاتها في هذا العام سنة ثمان وخمسين، وقيل قبله بسنة، وقيل بعده بسنة، والمشهور في رمضان منه، وقيل في شوال، والأشهر ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان، وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلاً، وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر، وكان عمرها يومئذ سبعًا وستين سنة لأنه توفي رسول الله ﷺ وعمرها ثماني عشرة سنة، وكان عمرها عام الهجرة ثماني سنين أو تسع، فالله أعلم. ورضي الله عنها وعن أبيها وعن الصحابة أجمعين. اهـ.

ثانيًا: شرح الحديث

قوله: جيش ذات السَّلاسل: قيل سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، وقيل: لأن بها ماءً يقال له: السلسل، وقيل لأن المكان كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة، وضبطه ابن الأثير بالضم وقال: هو بمعنى السلسال، أي السهل، قال الحافظ في الفتح: وذكر ابن سعد أنها وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، قال: وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة، وقيل كانت سنة سبع، ثم قال الحافظ: وذكر ابن سعد أن جمعًا من قضاعة تجمعوا وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة، فدعا النبي ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواءًا أبيض وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، وذكر ابن إسحاق أن أم عمرو بن العاص كانت من (بَلِيٍّ) وبلي من قضاعة فبعث النبي ﷺ عمرًا يستنفر الناس إلى الإسلام ويستالفهم بذلك.

قوله: «فأتيته». قال الحافظ ابن حجر: وعند البيهقي من طريق علي بن عاصم عن خالد الحذاء في هذه القصة: «قال عمرو: فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده، فأتيته فقعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله من أحبُّ الناس إليك؟» الحديث.

قوله: «فقلت: من الرجال». في رواية قيس عند ابن خزيمة وابن حبان «قلت إني لست أعني النساء إني أعني الرجال، وفي حديث أنس عند ابن حبان أيضًا «سئل رسول الله ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قيل له: ليس عن أهلك نسألك».

قوله: «فقلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب فعد رجالاً» قال الحافظ في الفتح: ووقع في حديث عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة: أي أصحاب النبي ﷺ كان أحب إليه؟ قالت: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قالت عمر، قلت: ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، قلت ثم من؟ فسكتت.

وقول عمرو رضي الله عنه «فعدَّ رجالاً» فيه إبهام، ولعل عليًا يكون من الرجال الذين أبهموا في حديث عمرو قال الحافظ: ومعاذ الله أن تقول الرافضة من إبهام عمرو فيما روى لما كان بينه وبين عليٍّ رضي الله عنهما. فقد كان النعمان بن بشير مع معاوية على عليٍّ ولم يمنعه من التحدث بمنقبة علي رضي الله عنه.

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة عائشة رضي الله عنها، بعد أن ساق هذا الحديث (حديث عمرو بن العاص) الذي معنا: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيبًا، وقد قال: «لو كنت متخذًا خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل» فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته، فمن أبغض حَبِيبَيْ رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله.

وحبه ﷺ لعائشة كان أمرًا مستفيضًا، ألا تراهم كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته؟!!

ثالثًا: بعض ما ورد في فضائل أم المؤمنين عائشة

لقد ورد في فضائل أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ نصوص كثيرة جدًا من الأحاديث النبوية والآثار التي وردت عن الصحابة والتابعين، فقد أورد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أكثر من خمسة وعشرين نصًا في فضائلها رضي الله عنها وأرضاها، بينما سجل الحافظ الذهبي ترجمتها في كتابه العظيم «سير أعلام النبلاء» في سبع وستين صفحة، وهذا نادر في تراجم الصحابة فضلاً عمن بعدهم.

ونحن لا نستطيع أن نستقصي ما ورد في فضائلها رضي الله عنها، وإنما نجتزئ ببعض ما صح من الأخبار في هذا الشأن حتى يقف على ذلك من أراد الله تعالى به خيرًا في الدارين. والله المستعان، فمن ذلك:

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

١ـ فضلها على سائر النساء:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمّل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسيا امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

[متفق عليه]

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». [متفق عليه]

٢ـ عائشة زوج الرسول في الجنة:

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال وهو على منبر الكوفة: «والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة».

[أخرجه الحاكم وقال صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ ذكر فاطمة رضي الله عنها، قالت: فتكلمت أنا، فقال: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟» قلت: بلى والله، قال: «فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة».

[أخرجه البخاري والترمذي وغيرهما]

٣ـ عائشة أول نساء النبي في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما سأله ابن عباس رضي الله عنهما عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس، عائشة وحفصة. قال عمر: فاعتزل النبي ﷺ نساءه شهرًا، فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها، قالت عائشة: فأنزلت آية التخيير ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] قال ﷺ لعائشة: «إني ذاكر لك أمرًا ولا عليك ألا تعجلي حتى تستأمري أبويك»، فلما ذكر لها ﷺ الآية قالت: أفي هذا أستأمر أبويَّ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خير نساءه فاخترن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنها. الحديث بطوله متفق عليه، ولكن ذكرناه مختصرًا نظرًا لطوله، ذاكرين موضع الشاهد منه.

وأخرج مسلم نحوه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفي آخره قالت عائشة رضي الله عنها: لما قال رسول الله ﷺ الآية: أفيك أستشير أبويَّ؟! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا».

٤ـ حديث الإفك ونزول براءة عائشة من فوق سبع سماوات:

حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين بطوله حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، وقصت الخبر حتى قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ - وهي عند أبويها - فسلم ثم جلس - قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ، قلت لأبي: أجب عني رسول الله فيما قال، قال: والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - الله يعلم أني منه بريئة - لتصدقنني، والله لا أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يُتْلَى، ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فأخذ رسول الله ﷺ ما كان يأخذه من البُرحاء، فلما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ سُرِّيَ عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك.. الحديث. وفيه فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ١١-٢٠].

٥- الملك يأتي إلى النبي ﷺ بصورتها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام مرتين، يجئ بك الملك في سرقة من حرير ويقول: هذه امرأتك فأكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه». [متفق عليه]، وفي لفظ مسلم: «أريتك في المنام ثلاث ليال».

٦- جبريل يقرئ عائشة السلام:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام». فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله ﷺ. [متفق عليه]

٧- نزول الوحي على رسول الله ﷺ في لحاف عائشة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن يا أم سلمة: والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان. أو حيث دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحيُ في لحاف امرأة منكن غيرها». [أخرجه البخاري والترمذي]

٨- بركة عائشة رضي الله عنها:

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماءٌ، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا، فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته. [متفق عليه]، وفي رواية للبخاري: قال أسيد بن حضير: جزاك اللهُ خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجًا وجعل فيه للمسلمين بركة.

٩- حب رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها ومنزلتها عنده:

عن عمر رضي الله عنه أنه دخل على حفصة فقال: يا بنية؛ لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها - حبُّ رسول الله ﷺ إياها - يريد عائشة - فقصصتُ على رسول الله ﷺ فتبسَّمَ. [متفق عليه]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غدًا، أين أنا غدًا، يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين سحري ونحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستنُّ به فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن فأعطانيه فقضمته فأعطيته رسول الله فاستن به وهو مستند إلى صدري.

[متفق عليه واللفظ للبخاري]

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

١٠ـ علم عائشة رضي الله عنها:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ما أشكل علينا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا.

[أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح]

عن عروة قال: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا ولا بكذا ولا بقضاء، ولا بطبٍّ منها. فقلت لها: يا خالة: الطب من أين علَّمتِه؟ فقالت: كنت أمرَضُ فينعتُ لي الشيءُ، ويَمْرَضُ المريضُ فينعتُ له، وأسمعُ الناس ينعتُ بعضهم لبعض فأحفظه. [أورده الذهبي في السير ـ وقال محققه: رجاله ثقات وأخرجه أبو نعيم في الحلية..]

١١ـ ثناء ابن عباس رضي الله عنهما عليها:

قال ابن أبي مُلَيْكَةَ: استأذن ابن عباس قبيل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثني عليَّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيتُ، قال: فأنت بخير إن شاء الله تعالى، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليَّ، وددت أني كنت نسيًا منسيًا. [أخرجه البخاري]

هذا بعض ما صح مما ورد في فضائلها رضي الله عنها، وهناك الكثير الذي يضيق المقام عن ذكره من أن الرسول ﷺ كان يداعبها ويسترضيها ويتتبع موضع فمها من الإناء وغير ذلك.

وبعد فهذه بعض الفضائل التي وردت في أم المؤمنين، فنحن نشهد الله أنها أمُّنا لأنها زوجة نبينا في الدنيا والآخرة ولقد قال الإمام النووي: لو حلف رجل أن عائشة أمه فهو صادق وليس حانثًا في يمينه، ولو حلف آخر أن عائشة ليست أمه فهو أيضا صادق وليس حانثًا في يمينه، فأما الأول: فهو مؤمن، وأما الآخر فهو منافق، وعائشة أم المؤمنين وليست أما للمنافقين، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...﴾ [الأحزاب: ٦]، فقارن أيها المسلم بين قول الله تعالى وفتوى النووي وبين من يلعنون عائشة رضي الله عنها، ويفترون الكذب على أهل بيت النبوة ويتمسحون بهم وهم منهم براء، ويفسرون القرآن بأهوائهم ويحاكمون خير الخلق بعد الأنبياء وهم أصحاب رسول الله ﷺ، ويتنقصونهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن الروافض: إنهم اشتغلوا عن عيوب أنفسهم وسيئاتهم بذكر عيوب من إحسانهم يغمر إساءتهم إن وجدت، فهم ـ أي الصحابة قد غفر الله لهم ما بدر منهم. فتبًا لقوم جعلوا دينهم الكذب والنفاق تحت قناع ما يسمونه بالتقية، وأقاموا ملتهم على الطعن في الكتاب والسنة والصحابة، فتبًا لهم ثم تبا لهم.

نسأل الله تعالى أن يرد عنا كيد الخائنين وأن يعلي راية التوحيد، وأن يحفظ علينا ديننا وأن يبارك لنا في القرآن الكريم وفي سنة سيد المرسلين ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



محض الإخلاص في فضائل سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وآله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أَرِقَ رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: «ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة». قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه. فدعا له رسول الله ﷺ، ثم نام.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضعين من صحيحه أولهما في كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله برقم [٢٨٨٥] والثاني في كتاب التمني باب قوله ﷺ «ليت كذا وكذا» برقم [٧٢٣١]. كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه برقم (٢٤١٠)، وأخرجه الإمام الترمذي في المناقب باب مناقب أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه برقم (٣٧٥٦) كما عزاه المزي في التحفة إلى النسائي في الكبرى، وعزاه صاحب المعجم للإمام أحمد في المسند بأرقام (١/٣٩١، ٤٥٠ - ٤/١٢٤).

أولا: ترجمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وهو سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن وُهيب، وقيل: أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الزهري. أبو إسحاق، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، وقيل: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية.

قال صاحب أسد الغابة: أسلم بعد ستة، وقيل بعد أربعة، وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة، روى عنه أنه قال: أسلمت قبل أن تفرض الصلاة، وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد العشرة سادات الصحابة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض.

ثم قال: شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأبلى يوم أحد بلاءً عظيمًا، وهو أول من أراق دما في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في سبيل الله.

وقال أيضا بعد أن ساق بسنده إلى عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: قلت لأبي: يا أبَهْ إني أراك تصنع بهذا الحي من الأنصار شيئا ما تصنعه بغيرهم، فقال: أي بني، هل تجد في نفسك من ذلك شيئا؟ قال: لا، ولكن أعجب من صنيعك! قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق».

قال: وروت عنه ابنته عائشة رحمها الله تعالى أنه رضي الله عنه قال: رأيت في المنام قبل أن أسلم، كأني في ظلمة لا أبصر شيئًا إذ أضاء لي القمر، فاتبعته، فكأني أنظر إلى من سبقني إلى ذلك القمر، فأنظر إلى زيد بن حارثة وإلى علي بن

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أبي طالب، وإلى أبي بكر، وكاني أسالهم: متى انتهيتم إلى هاهنا؟ قالوا: الساعة، وبلغني أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام مستخفيا فلقيته في شِعْب أجياد، وقد صلى العصر، فأسلمت، فما تقدمني أحد غيرهم.

وروى أن سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية فيَّ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] قال: كنت رجلا بارًا بأمي، فلما أسلمتُ، قالت: يا سعد، ما هذا الدين الذي أحدثت؟ لتدعنَّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي. فقال: لا تفعلي يا أمَّهْ فإني لا أدع ديني، قال: فمكثت يوما وليلة لا تأكل - وفي رواية مكثت ثلاثة أيام بلياليهن - حتى جهدت، فقلت: والله لو كانت لك ألف نفس - وفي رواية: مائة نفس - فخرجت نَفْسًا نَفْسًا، ما تركت ديني هذا لشيء، فلما رأت ذلك أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية.

ولما قتل عثمان رضي الله عنه اعتزل سعد رضي الله عنه الفتنة ولم يكن من الطوائف المتحاربة، بل لزم بيته، وأراده ابنه عمر وابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص أن يَدْعُوَ إلى نفسه، بعد قتل عثمان، فلم يفعل وطلب السلامة.

وأورد الذهبي في السير: عن عامر بن سعد أن أباه سعدًا كان في غنم له، فجاء ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه قال: يا أبة: أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يحب العبد التقي الغني الخفي». [أخرجه أحمد ومسلم]

ومن مناقب سعد رضي الله عنه أن فُتِحَ العراق كان على يديّ سعد، وهو كان مقدم الجيوش يوم وقعة القادسية ونصر الله دينه، ونزل سعد بالمدائن، ثم كان أمير الناس يوم جلولاء.

وعن مصعب بن سعد أنه قال: كان رأس أبي في حجري وهو يقضي. (أي عند الموت) فبكيت، فرفع رأسه إليَّ فقال: أيْ بني ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن الله لا يعذبني أبدًا، وإني من أهل الجنة. قال الإمام الذهبي: قلت: صدق والله فهنيئا له.

ثم ساق عن الزهري أن سعد بن أبي وقاص لما احتضر، دعا بِخَلَق جبة صوف، فقال: كفنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر. وقال: وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: لما مات سعد وجيء بسريره فادخل عليها، جعلت تبكي ونقول: بقية أصحاب رسول الله ﷺ. وعن عامر بن سعد قال: كان سعد آخر المهاجرين وفاة.

وقد اختلف في تاريخ وفاته:

فقال المدائني وأبو عبيدة وجماعة: توفي سنة خمس وخمسين، وروى نوح بن يزيد عن إبراهيم بن سعد أن سعدًا مات وهو ابن اثنتين وثمانين سنة في سنة ست وخمسين وقيل سنة سبع، وقال أبو نعيم الملائي: سنة ثمانٍ وخمسين، وتبعه قعنب بن المحرز، قال الإمام الذهبي: والأول هو الصحيح.

ثانيا: شرح الحديث

قول عائشة رضي الله عنها: «أَرِقَ رسول الله ﷺ»: أي سَهِرَ بوزنه ومعناه، وقد جاء في الرواية الأخرى عند البخاري: «كان النبي ﷺ سهر، فلما قدم المدينة قال: ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة». قال الحافظ في الفتح: هكذا في هذه الرواية ولم يبين زمان السهر، وظاهره أن السهر كان قبل القدوم، والقول بعده، وقد جاء في رواية مسلم: «سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة فقال: فذكره، وظاهره أن السهر والقدوم معًا كانا قبل القول، وقد أخرجه النسائي من طريق أبي إسحاق الفزاري عن يحيى بن سعيد بلفظ: «كان رسول الله ﷺ أول ما قدم المدينة يسهر من الليل».

قال الحافظ: وليس المراد بقدومه المدينة أول قدومه إليها من الهجرة، لأن عائشة إذ ذاك لم تكن عنده، وقد أخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن يحيى بن سعيد بلفظ: «أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه، قالت فقلت: ما شأنك يا رسول الله» الحديث، وقد روى الترمذي من طريق عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت: «كان النبي ﷺ يُحْرَسُ حتى نزلت هذه الآية: ﴿واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وإسناده حسن، واختلف في وصله

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وإرساله.

قول سعد رضي الله عنه: «وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه» هذا دليل على أن أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم كانوا حريصين عليه وعلى حياته ويفدونه بارواحهم ومهجهم، ويسعون لراحته صلوات الله وسلامه عليه. وأن الواحد منهم كان يفديه بكل ما يملك بماله ونفسه وولده ووالديه والناس أجمعين.

قول عائشة رضي الله عنها: «فدعا له رسول الله ﷺ» أي لأنه جاء بنفسه من غير أن ينتدب لذلك، وإنما ندب هو نفسه، ولم يطلب منه الرسول ﷺ الحراسة، بل تمناها نبي الله ﷺ فإذا سعد يأتي ليحرس النبي ﷺ ليقع ما تمناه، فلذلك كان مستحقا لأن يدعو له رسول الله ﷺ.

قولها رضي الله عنها: «ثم نام»: أي اطمأنّ رسول الله ﷺ ونام، وفي الرواية الأخرى: «حتى سمعنا غطيطه» أي أن رسول الله ﷺ نام مطمئنًا، وصدور الغطيط منه صلوات الله وسلامه عليه يشعر باطمئنانه وراحة باله.

ولسائل أن يسأل: كيف يتمنى النبي ﷺ وجودَ من يحرسه ويترتب على ذلك اطمئنانه ونومه وراحة باله بالحراسة مع شدة توكله على الله عز وجل؟

والجواب على ذلك أن يقال: إنما كان ذلك منه ﷺ لتستن به أمته ويحسن الاقتداء به في ذلك صلوات الله وسلامه عليه، وقد ظاهر النبي ﷺ بين درعين (أي جمع بينهما) مع أنهم رووا عنه أنه كان إذا اشتد البأس وحمي وطيس الحرب كانوا يتقون به ﷺ فيكون أمام الكل. ويقال أيضا: إن الحراسة من تعاطي الأسباب وتعاطي الأسباب لا ينافي التوكل، لأن التوكل عمل القلب والأخذ بالأسباب عمل البدن، وقد قال إبراهيم عليه السلام: «ولكن ليطمئن قلبي». وقال النبي ﷺ: «اعقلها وتوكل». لمن ساله عن الناقة: أعقلها أم أتوكل؟

ونقل ابن حجر في الفتح أقوال بعض العلماء؛ فقال: قال ابن بطال: نسخ ذلك [حراسة النبي ﷺ] كما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها. وقال القرطبي: ليس في الآية ما ينافي الحراسة، كما أن إعلام الله عز وجل بنصر دينه وإظهاره ما يمنع الأمر بالقتال وإعداد العدد، وعلى هذا فالمراد بالعصمة العصمة من الفتنة والإضلال أو إزهاق الروح. والله أعلم.

قال الحافظ: وتتبع بعضهم أسماء من حرس النبي ﷺ فجمع منهم: سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة والزبير وأبا أيوب، ونكوان بن عبد القيس والأدرع الأسلمي وابن الأدرع واسمه محجن ويقال سلمة، وعباد بن بشر والعباس وأبا ريحانة، وليس كل واحد من هؤلاء حرس النبي ﷺ وحده في الوقائع والغزوات، بل ذكر في مطلق الحرس فأمكن أن يكون خاصًا به كأبي أيوب حين بنائه بصفية رضي الله عنها بعد الرجوع من خيبر، وأمكن أن يكون حرس أهل تلك الغزوة كأنس بن أبي مرثد. والعلم عند الله تعالى.

ومن فوائد الحديث زيادة على ما تقدم:

١ ـ الأخذ بالحذر والاحتراس من العدو.

٢ ـ أن على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل.

٣ ـ الثناء على من تبرع بالخير وتسميته صالحًا.

٤ ـ الدعاء له على سبيل المكافاة على تبرعه بالخير.

ثالثًا: بعض ما ورد في مناقب سعد بن أبي وقاص (١) هو أحد السابقين إلى الإسلام

١ ـ عن سعيد بن المسيب: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: «ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام». [أخرجه البخاري (٣٧٢٧)]

٢ ـ عن عامر بن سعد عن أبيه قال: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام. [أخرجه البخاري (٣٧٢٦)]

قال ابن عبد الهادي المقدسي في «محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص»: وقد اتُّفِقَ على تقدم إسلامه، لكن اختلف؛ هل هو الثالث كما قد صح ذلك عنه، أو هو السابع؟ لكن لا خلاف على أنه أحد السبعة الذين سبقوا الناس إلى الإسلام. وقال ابن الأثير في أسد الغابة: أسلم بعد ستة وقيل بعد أربعة، وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة، روي عنه أنه قال: أسلمت قبل

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أن تفرض الصلاة.

(٢) هو من السابقين إلى الهجرة

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانوا يقرئون الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر. ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ.. الحديث [أخرجه البخاري (٣٩٢٥)]

قال ابن عبد الهادي المقدسي: وقد زعم موسى بن عقبة: عن الزهري أنه إنما هاجر بعد النبي ﷺ. قال ابن كثير: والصواب أنه هاجر قبله. قلت: وهذا ما ثبت عند البخاري.

(٣) هو أول من رمى بسهم في سبيل الله

عن سعد قال: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط. الحديث.

[البخاري (٣٧٢٨)]

قال الحافظ: كان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب، وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، بعث ناسًا من المسلمين إلى رابغ [بلدة على ساحل البحر معروفة] ليلقوا عيرًا لقريش فتراموا بالسهام، فكان سعد أول من رمى بسهم. اهـ

(٤) لم يجمع النبي ﷺ أبويه إلا لسعد رضي الله عنه والزبير رضي الله عنه

١ ـ عن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعدًا يقول: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد. يريد حين قال: «ارم فداك أبي وأمي». [البخاري ٣٧٢٥]

٢ ـ عن عبد الله بن شداد قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: ما رأيت النبي ﷺ يُفَدِّي رجلاً بعد سعد، سمعته يقول: «ارمِ فداك أبي وأمي». [البخاري ٢٩٠٥]

قال الحافظ في الفتح: وفي هذا الحصر (أي الذي في حديث علي رضي الله عنه) نظر لما تقدم في ترجمة الزبير أنه ﷺ جمع له أبويه يوم الخندق، ويجمع بينهما بأن عليًا رضي الله عنه لم يطلع على ذلك، أو مراده بذلك يوم أحد، والله أعلم.

(٥) دعاء الرسول ﷺ له ومحبته إياه

١ ـ عن ثلاثة من ولد سعد كلهم يحدث عن أبيه، أن النبي ﷺ دخل على سعد يعوده بمكة فبكى، قال: «ما يبكيك؟» فقال: قد خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها. كما مات سعد بن خولة. فقال النبي ﷺ: «اللهم اشْفِ سعدًا، اللهم اشْفِ سعدًا، اللهم اشْفِ سعدًا»، قال: يا رسول الله! إن لي مالا كثيرًا، وإنما يرثني ابنتي، أفأوصي بمالي كله؟ قال: «لا». قال: فبالثلثين؟ قال: «لا». قال: فالنصف؟ قال: «لا». قال: فالثلث؟ قال: «الثلث، والثلث كثير... الحديث». [أخرجه مسلم (١٦٢٨) وأحمد في المسند، وهو في البخاري بمعناه عن عامر بن سعد]

٢ ـ عن عائشة بنت سعد أن أباها قال: تشكيت بمكة شكوًا شديدًا فجاءني النبي ﷺ يعودني، ثم ساق الكلام عن الوصية وفي آخر الحديث قال: ثم وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهي وبطني ثم قال: «اللهم اشف سعدًا وأتمم له هجرته». فمازلت أجد برده على كبدي فيما يخال إليَّ حتى الساعة. [البخاري ٥٦٥٩]

٣ ـ وقد روي أن النبي ﷺ قال: «اللهم سدِّدْ سهمه، وأجبْ دعوته، وحببه إلى عبادك».

[أخرجه أبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في تاريخ دمشق]

(٦) موت النبي ﷺ وهو عنه راض

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن وقالوا له: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحدًا أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ فسمَّى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبدَ الرحمن، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له ـ فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعِنْ به أيكم ما أُمِّرَ، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

[البخاري ٣٧٠٠، وأحمد ١/١٥]

(٧) هو أحد العشرة المبشرين بالجنة

١ ـ عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيد بن الجراح في الجنة». [أخرجه أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى وأبو يعلى وابن حبان والبغوي في شرح السنة]

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

٢ ـ وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: كان رسول الله ﷺ عاشر عشرة، فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، والزبير في الجنة، وطلحة في الجنة، وسعد في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة» فقيل له: من التاسع؟ قال: أنا. [أخرجه الإمام احمد وابو داود والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ابي عاصم في السنة، وابن ابي شيبة في المصنف]

(٨) افتخار النبي ﷺ بأنه خاله

عن جابر رضي الله عنه قال: أقبل سعدٌ فقال رسول الله ﷺ: «هذا خالي، فليرني امرؤ خاله». [أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مجالد]، ثم قال عقبه: وكان سعد من بني زهرة، وكانت آمنة أم النبي ﷺ من بني زهرة، لذلك قال النبي ﷺ «هذا خالي».

[وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي]

(٩) سعد مستجاب الدعوة

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنهما، فقالوا: إنه لا يحسن يصلي. فقال سعد: أما أنا فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، صلاتي العشيِّ لا أخرم منها، أركد في الأوليين وأحذف في الأخريين. فقال عمر رضي الله عنه: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فبعث رجالا يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجدًا من مساجد الكوفة إلا قالوا خيرًا. حتى أتوا مسجدًا لبني عبس، فقال رجلٌ يقال له: أبو سعدة: أما إذ نشدتمونا بالله، فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذبا فأطل عمره وأعم بصره، وعرِّضه للفتن، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء في السكك، فإذا سئل كيف أنت؟ يقول: كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. الحديث

[متفق عليه]

(١٠) فراره من الخلافة وعدم تطلعه إليها

ثبت في صحيح مسلم عن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله؛ فجاءه ابنه عمر. فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب. فنزل فقال له: أنزلتَ في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفيَّ». [ح: ٢٩٦٥]

وقال ابن عساكر: وذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاءه، فقال: يا عم، ها هنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر. فقال: أريد من مائة ألف سيفًا واحدًا، إذا ضربت المؤمن به لم يؤذه، ولم يصنع فيه شيئا، وإذا ضربت به الكافر قطع. أو قال: أريد سيفًا يعرف المؤمن من غيره حتى لا يؤذيه.

وبعد؛ فهذا قليل من كثير مما ورد في فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو بلا شك داخل في عموم قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠] إلى غير ذلك من الآيات التي تبين فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ومنزلتهم العظيمة التي لا تدانيها منزلة ولا تعلوها إلا منزلة الأنبياء والمرسلين.

فهل يَعْقِلُ هذا دعاةُ التقريب بين أهل السنة أهل الحق الذين يعرفون قدر أهل البيت وقدر صحابة رسول الله ﷺ، وبين أهل الجحود والنكران الذين انحرفت عقائدهم وضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، إنما يتم التقريب إذا انتهى هؤلاء عن سبهم للصحابة، وعن زعمهم تحريف كتاب الله تعالى، وعن ضلالهم في عقيدتهم في الله عز وجل، ويعرفون لأهل البيت فضلهم فلا يسبونهم ولا ينسبون لهم الأباطيل التي يزعمون أنهم يقدسونهم بها.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يهدي ضال المسلمين إلى الصراط المستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

أمين الأمة أبو عبيدة رضي الله عنه

إعداد
زكريا حسيني



الحمد لله رب العالمين، نحمده حمد الشاكرين، ونشكره شكر العارفين، ونصلي ونسلم على خير خلق الله أجمعين، من أرسله ربه رحمة للعالمين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فعن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سالتنا، وابعث معنا رجلاً أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا، فقال ﷺ: «لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلاً أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ». فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ». فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بثلاثة مواضع أولها في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب «مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه» برقم (٣٧٤٥)، وثانيها في كتاب المغازي باب (قصة أهل نجران) برقمي (٤٣٨٠- ٤٣٨١)، والثالث في كتاب أخبار الآحاد باب «إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام» برقم (٧٢٥٤)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب «فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه» برقم (٢٤٢٠)، وأخرجه أيضًا الترمذي في المناقب برقم (٣٧٥٧)، وأخرجه ابن ماجه في السنة برقم (١٣٥)، وعزاه المزي في الأطراف للنسائي في الكبرى، وأخرجه الإمام أحمد

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

في المسند (٥ / ٤٠١).

أولاً: ترجمة أبي عبيدة رضي الله عنه:

هو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة، أبو عبيدة، اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده، فيقال: ابو عبيدة بن الجراح .

قال ابن كثير رحمه الله: أبو عبيدة بن الجراح الفهري، أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد، وهم: عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن ابن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بن الجراح، أسلموا على يد الصديق رضي الله عنهم أجمعين، ولما هاجر أخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ. وقيل: بينه وبين محمد بن مسلمة، وقال ابن الأثير: وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة أيضًا، وكان يدعى القوي الأمين، وقال الذهبي في السِّير: قال ابن سعد في الطبقات:... عن مالك بن يَخَامِر أنه وصف أبا عبيدة فقال: كان رجلاً نحيفًا معروق الوجه (قليل اللحم) خفيف اللحية طُوَالاً، أحنى أثرم الثنيتين (مكسورهما)، وقال أيضًا: وقد شهد أبو عبيدة بدرًا فقتل يومئذٍ أباه، وأبلى يوم أحد بلاءً حسنًا، ونزع يومئذ الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجنتي رسول الله ﷺ من ضربة أصابته فانقلعت ثنيتاه، فحسن ثغره بذهابهما، حتى قيل: ما رؤي هَتْمٌ قَطُّ أحسن من هَتْم أبي عبيدة، قال ابن كثير: وذلك أنه خاف أن يؤلم رسول الله ﷺ فتحامل على ثنيتيه فسقطتا، فما رؤي أحسن هتمًا منه.

ولقد قال أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- يوم السقيفة: قد رضيت لكم أحَدَ هذين الرجلين: عمر، وأبا عبيدة، أي ليبايعوه خليفة لرسول الله ﷺ ،وقال عمر بن

أبو عبيدة أمين هذه الأمة وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد على يد الصديق رضي الله عنهم

الخطاب- رضي الله عنه-: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت، فإن سُئلتُ عنه قلتُ: استخلفتُ أمينَ اللهِ وأمينَ رسولِه. قال محقق السير: أخرجه ابن سعد والحاكم.

وقد روي عن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنه قال: أخلائي من أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثة: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة.

ولقد كان أبو عبيدة- رضي الله عنه- من قادة الجيوش في عهد رسول الله ﷺ ثم في عهد أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما-، فقد استعمله النبي ﷺ غير مرة، منها المرة التي جاع فيها عسكره، وكانوا ثلاثمائة، فالقى لهم البحر الحوت الذي يقال له العنبر، فقال أبو عبيدة: ميتة! ثم قال: لا، نحن رسل رسول الله، وفي سبيل الله فكلوا، وذكر الحديث وهو في الصحيحين والموطأ والمسند والترمذي والنسائي وابن ماجه.

ولما تفرغ الصديق- رضي الله عنه- من حرب الردة، وحرب مسيلمة الكذاب جهز أمراء الأجناد لفتح الشام، فبعث أبا عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشُرَحْبِيلَ بن حسنة، فتمت وقعة أجنادين بقرب الرملة، ونصر الله المؤمنين فجاءت البشرى والصديق في مرض الموت، ثم لما توفي أبو بكر وتولى عمر الخلافة عزل خالد بن الوليد وولى قيادة الجيوش التي بالشام أبا عبيدة- رضي الله عنه-، ثم لما كان طاعون عمواس توفي فيه أبو عبيدة- رضي الله عنه-، وكانت وفاته سنة ثماني عشرة، وله ثمان وخمسون سنة، قاله أبو حفص الفلاس، وقال: وكان يخضب بالحناء والكتم، وكان له عقيصتان كما نقله الإمام الذهبي في السير، وقال: وقال كذلك في وفاته

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قال عنه أبو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة: لقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر وأبا عبيدة.

جماعة، وانفرد ابن عائذ عن أبي مسهر أنه قرأ في كتاب يزيد بن أبي عبيدة أن أبا عبيدة توفي سنة سبع عشرة.

ثانيا: شرح الحديث:

قوله: «جاء السيد والعاقب صاحبا نجران» قال الحافظ: أما السيد فكان اسمه الأيْهَم، ويقال: شُرَحْبيل، وكان صاحبَ رحالهم ومجتمعهم ورئيسَهم في ذلك، وأما العاقب فاسمه عبد المسيح، وكان صاحبَ مشورتهم، وكان معهم أيضًا أبو الحارث علقمة، وكان أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم، ونجران: بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن، وذكر ابن سعد قال: كان النبي ﷺ كتب إليهم فخرج إليه وفدهم في أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وعند ابن إسحاق أيضًا من حديث كرز بن علقمة أنهم كانوا أربعة وعشرين رجلاً وسرد أسماءهم.

ونقل الحافظ في الفتح قول ابن سعد: دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، فقال ﷺ: إن أنكرتم ما أقول فهَلُمَّ أباهلكم، فانصرفوا على ذلك.

قوله: «يريدان أن يلاعناه» أي يباهلاه، وذكر ابن إسحاق بإسناد مرسل أن ثمانين آية من أول سورة آل عمران نزلت في ذلك، يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ الآية.

قوله: «فقال أحدهما لصاحبه» ذكر أبو نعيم في الصحابة بإسناد له أن القائل ذلك هو السيد، وقال غيره: بل الذي قال ذلك هو العاقب لأنه كان صاحب رأيهم، وفي زيادات يونس بن بكير في المغازي بإسناد له أن الذي قال ذلك شرحبيل أبو مريم.

قوله: «فوالله لئن كان نبيا فلاعنّا»: في رواية الكشميهني: فلاعننا بإظهار النون.

وقوله: «لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا». زاد في رواية ابن مسعود: «أبدًا» وفي مرسل الشعبي عند ابن أبي شيبة أن النبي ﷺ قال: «لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لوتموا على الملاعنة، ولما غدا عليهم أخذ بيد حسن وحسين، وفاطمة تمشي خلفه للملاعنة».

قوله: «قالا: إنا نعطيك ما سألتنا»، ذكر ابن سعد أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك فأسلما، زاد في رواية ابن مسعود: «فأتياه فقالا: لا نلاعنك، ولكن نعطيك ما سألت».

قوله: «رجلاً أمينًا حق أمين». قال الإمام النووي: أما الأمين فهو الثقة المرضي، قال العلماء: والأمانة صفة مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة، لكن النبي ﷺ خص بعضهم بصفات غلبت عليهم وكانوا بها أخص، وقد أورد الترمذي وابن حبان حديث أنس: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرأهم لكتاب الله أُبيٌّ، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، ألا وإن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة».

وقال الحافظ ابن حجر: والأمين هو الثقة الرضي، وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يشعر بأن له مزيدًا في ذلك، لكن خص النبي ﷺ كل واحد من الكبار بفضيلة ووصفه بها، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره، كالحياء لعثمان، والقضاء لعلي، ونحو ذلك.

قوله: «فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ» في رواية الإسماعيلي: «فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ»، وعند المصنف في مناقب أبي عبيدة: «فاشرف له أصحابه»، وعند مسلم: «فاستشرف لها الناس». قال الحافظ: أي تطلعوا للولاية ورغبوا فيها حرصًا على تحصيل الصفة المذكورة، وهي الأمانة، لا على الولاية من حيث هي، وقال

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

النووي: حرصًا على أن يكون هو الأمين الموعود، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح»، وعند المصنف في مناقب أبي عبيدة: «فبعث أبا عبيدة»، وفي رواية أبي يعلى: «قم يا أبا عبيدة، فارسله معهم»، قال الحافظ في الفتح: ووقع في رواية لأبي يعلى من طريق سالم عن أبيه سمعت عمر يقول: ما أحببت الإمارة قط إلا مرة واحدة، فذكر القصة، وقال في الحديث فتعرضت أن تصيبني، فقال: قم يا أبا عبيدة».

من فوائد الحديث (قصة أهل نجران):

قال الحافظ في الفتح: وفي قصة أهل نجران من الفوائد:

١- أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام.

٢- جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته.

٣- مشروعية مباهلة المخالف إذا أصرّ بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء.

٤- مصالحة أهل الذمة على ما يراه الإمام من أصناف المال.

٥- بعث الإمام الرجل العالم الأمين إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام.

٦- في القصة منقبة ظاهرة لأبي عبيدة رضي الله عنه.

ثالثًا: مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

لقد ورد في فضائل أبي عبيدة بن الجراح- رضي الله عنه- من المناقب الكثير مما يخصه بعد دخوله فيما ورد في أصحاب رسول الله ﷺ عمومًا، من قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ولا شك في أن أبا عبيدة من السابقين الأولين، وكذلك قوله

قال عمر رضي الله عنه: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح

لاستخلفته وما شاورت. فإن سئلت عنه قلت: استخلفت أمين الله وأمين رسوله.

تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [الفتح: ٢٩]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وفي السنة أحاديث في فضل الصحابة عمومًا، منها: حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». [متفق عليه]. ومنها حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: سأل رجل رسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ قال: القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث». [أخرجه مسلم].

وعن أبي موسى - رضي الله عنه- قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «مازلتم هاهنا». قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم. قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا مما يرفع رأسه إلى السماء. فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». [أخرجه مسلم].

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

هؤلاء هم الصحابة الذين حملوا الدين وجاهدوا

في الله حق جهاده، ونصروا الله ورسوله

فيكم من صَاحَبَ رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صَاحَبَ أصحابَ رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيُقال: هل فيكم من صَاحَبَ من صَاحَبَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم». [أخرجه البخاري ومسلم]. إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة والتي تدل على فضيلة أصحاب رسول الله ﷺ جملة.

وأما ما يخص أبا عبيدة- رضي الله عنه- فبالإضافة إلى الحديث الذي ذكرناه في بداية حديثنا نكتفي ببعض ما ورد في فضائله ومناقبه رضوان الله تعالى عليه، فمن ذلك:

١- أبو عبيدة أمين هذه الأمة:

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لكل أمة أمينًا وإن أمينا أيتها الأُمَّةُ أبو عبيدة بن الجراح». [أخرجه البخاري ومسلم وأحمد].

٢- أبو عبيدة بن الجراح في الجنة:

عن عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». أخرجه الإمام أحمد في المسند وفي فضائل الصحابة والترمذي

ورواه الترمذي من حديث سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «عشرة في الجنة...»

فذكره، وقال: وسمعت محمدًا يقول: هو أصح من الحديث الأول، أي أن الإمام البخاري - رحمه الله - يرى أن الطريق إلى سعيد بن زيد أصح من الطريق إلى عبدالرحمن.

٣- ثناء الرسول ﷺ على أبي عبيدة رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، نعم الرجل معاذ، نعم الرجل معاذ ابن عمرو بن الجموح». [أخرجه الترمذي، وأحمد في المسند، وغيرهما، وصححه الألباني].

٤- أبو عبيدة من أحب أصحاب النبي ﷺ إليه:

عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة- رضي الله عنها-: أيُّ أصحاب النبي ﷺ كان أحب إليه ؟ قالت: أبو بكر، قلت: ثم مَن ؟ قالت: ثم عمر، قلت: ثم من ؟ قالت: ثم أبو عبيدة بن الجراح، قلت: ثم من ؟ فسكتت. [أخرجه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

هذا، وقد ورد في فضائله من أقوال الصحابة، بل كبار أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، فلقد أثنى عليه أبو بكر، وعمر، وعلي، وعائشة، رضي الله عنهم أجمعين.

فهؤلاء الصحابة قد حملوا الدين، وجاهدوا في الله حق جهاده، ونصروا الله ورسوله، فحفظ الله بهم الملة، فلا يجوز بعد ذلك لمسلم أن يتنقص أحدًا منهم، ولا سيما هؤلاء الجهابذة، الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله عز وجل ليحصلوا على الجنة.

نسأل الله تعالى أن يُلحقنا بهم في دار كرامته، وأن يجمعنا بهم مع نبينا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، وأن يحشرنا تحت لوائه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

مناقب الزبير بن العوام حواري النبي

صلى الله عليه وسلم

إعداد

زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «مَنْ يَاتينا بخبر القوم؟» فقال الزبيرُ: أنا، ثم قال: «مَنْ يَاتينَا بخبر القوم؟» فَقَالَ الزُّبيرُ: أنَا، ثم قال: «مَنْ يَاتينا بخبر القَوم؟» فقال الزبيرُ: أنا، قال: «إنَّ لِكلّ نبيّ حَواريًا، وحَوَارِيَّ الزُّبَيرُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في خمسة مواضع من صحيحه؛ أولها في كتاب الجهاد والسير باب فضل الطليعة برقم (٢٨٤٦)، وباب هل يبعث الطليعة وحده برقم (٢٨٤٧)، وثانيها في كتاب الجهاد والسير باب السير وحده برقم (٢٩٩٧)، وثالثهما في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب الزبير بن العوام برقم (٣٧١٩)، ورابعها في كتاب المغازي باب غزوة الخندق، وهي الأحزاب برقم (٤١١٣)، وخامسها في كتاب أخبار الآحاد باب بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده برقم (٧٢٦١).

وكذا أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما برقم (٢٤١٥).

وأخرجه الإمام الترمذي في جامعه باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه برقم (٣٧٤٥).

وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه في كتاب السنة باب فضل الزبير رضي الله عنه برقم (١٢٢)، كما عزاه الإمام المزي في الأطراف إلى الإمام النسائي في الكبرى في المناقب والسير.

وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/٣٠٧، ٣١٤، ٣٣٨، ٣٦٥).

أولاً: ترجمة الزبير رضي الله عنه

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأسدي، كنيته أبو عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ، فهو ابن عمة رسول الله ﷺ، وابن أخي خديجة بنت خويلد أم المؤمنين وزوج رسول رب العالمين، قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: كانت أمه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب، واكتنى هو بأبي عبد الله بابنه الأكبر فغلبت عليه.

قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة. قاله هشام بن عروة. وقال عروة: أسلم الزبير وهو ابن اثنتي عشرة سنة. رواه أبو الأسود عن عروة، وروى هشام بن عروة عن أبيه: أن الزبير أسلم وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل: أسلم وهو ابن ثماني سنين، وكان إسلامه بعد أبي بكر رضي الله عنه بيسير، وكان رابعًا أو خامسًا في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وإلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود لما آخى بين المهاجرين بمكة، فلما قدم المدينة وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش.

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب: لم يتخلف الزبير عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ. وكان الزبير أول من سل سيفًا في سبيل الله عز وجل. وروى عن سعيد بن المسيب قال: ودعا رسول الله ﷺ بخير، والله لا يضيع دعاءه. وروى أيضًا بسند الزبير بن بكار إلى عروة: أن أول رجل سل سيفه في سبيل الله الزبير، ذلك أنه نفخت نفخة من الشيطان أخذ رسول الله، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي ﷺ بأعلى مكة، فقال النبي ﷺ: «ما لك يا زبير؟» قال: أخبرت أنك أخذت، فصلى عليه النبي ﷺ ودعا له ولسيفه.

مدحه حسان بن ثابت مفضلاً إياه على الجميع فقال:

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِي وَهَدْيِهِ
حَوَارِيُّهُ والقَوْلُ بالفَعلِ يُعْدَلُ
أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وطَرِيقِهِ
فوالي وليّ الحقّ والحقُّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي
يصول إذا ما كان يَوْمٌ مُحَجَّلُ
وإن امرأ كانت صفية أمه
ومِن أسد في بيته لمرٌ فُلُّ
له من رسول الله قربى قريبة
ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذَبَّ الزبير بسيفه
عن المصطفى والله يعطي ويجزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها
بأبيض سباق إلى الموت يُرقل
فما مثله فيهم ،لا كان قبله
وليس بكون الدهر ما دام يذبل

وقال ابن الأثير قبل روايته هذه الأبيات: قيل: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فما يدخل إلى بيته منها درهمًا واحدًا، كان يتصدق بذلك كله، وكذا قال ابن عبد البر، وزاد: وفضله حسان على جميعهم، كما فضل أبو هريرة على الصحابة أجمعين جعفرَ بن أبي طالب.

وقال أيضًا: سمع ابن عمر رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال له: إن كنت ابن الزبير وإلا فلا.

قال ابن الأثير: وشهد الزبير بدرًا - وكان عليه عمامة صفراء معتجرًا بها - فيقال: إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير، أي على صفته، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ أحدًا والخندق والحديبية وخيبر والفتح وحنينًا والطائف، وشهد فتح مصر، وجعله عمر رضي الله عنه في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده، وقال: هم الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

قال ابن عبد البر: ثم شهد الزبير رضي الله عنه الجمل، فقاتل فيه ساعة، فناداه عليّ رضي الله عنه، وانفرد به، فذكّر الزبير أن النبي ﷺ قال له - وقد وجدهما يضحكان-: «أما إنك ستقاتل عليًا وأنت له ظالم». فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتال، فاتبعه ابن جرموز عبد الله فقتله.

أتى قاتل الزبير عليًا برأسه يستأذن عليه فلم يأذن له، وقال للآذن: بشره بالنار، فقال:

أتيت عليًا برأس الزبير
أرجو لديه به الزلفة
فبشر بالنار إذ جئته
فبئس البشارة والتحفة

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وسيان عندي قتل الزبير
وضربه عير بذي الجحفة

وكانت سن الزبير يوم قُتل - رضي الله عنه ورحمه - سبعًا وستين سنة، وقيل: ستًا وستين، وكان الزبير أسمر ربعة معتدل اللحم خفيف اللحية، رضي الله عنه وأرضاه.

ثانيا: شرح الحديث

قوله: «من يأتينا بخبر القوم» يوم الأحزاب، قال الحافظ في الفتح: في رواية وهب بن كيسان عن جابر عند النسائي: «لما اشتد الأمر يوم بني قريظة قال رسول الله ﷺ: «من يأتينا بخبرهم» الحديث، وفيه أن الزبير توجه إلى ذلك ثلاث مرات، ومنه يظهر المراد بالقوم في رواية ابن المنكدر، وأنهم بنو قريظة، لأن الأحزاب من قريش وغيرهم لما جاءوا إلى المدينة، وحفر النبي ﷺ الخندق بلغ المسلمين أن بني قريظة من اليهود نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، ووافقوا قريشًا على حرب المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك يريد أن يعرف حقيقة موقف يهود بني قريظة».

قوله: «إن لكل نبي حواريًا، وحَوَاريّ الزبير». أي خاصتي من أصحابي وناصري، وأمّا ضبط حَوَاريّ فقال الإمام النووي في شرح مسلم: اختلف في ضبطه، فضبطه جماعة من المحققين بفتح الياء كمُصْرِخِيّ، وضبطه أكثرهم بكسرها.

ثالثا: من فوائد الحديث

قال الحافظ في الفتح: في الحديث جواز استعمال التجسس في الجهاد، وفيه منقبة للزبير، وقوة قلبه، وصحة يقينه، وفيه جواز سفر الرجل وحده، وأن النهي عن السفر وحده إنما هو حيث لا تدعو الحاجة إلى ذلك، قال: واستدل به بعض المالكية على أن طليعة اللصوص المحاربين يقتل وإن كان لم يباشر قتلاً ولا سلبًا، قال: وأخذه من هذا الحديث تكلف. والله أعلم.

رابعا: بعض ما ورد من مناقب الزبير رضي الله عنه

أ- الزبير من الذين استجابوا لله ورسوله من بعد ما أصابهم القرح:

عن عائشة رضي الله عنها: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، قال: «من يذهب في إثرهم؟ فانتدب سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير». أخرجه البخاري ومسلم.

ب- شجاعة الزبير رضي الله عنه:

عن هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم، فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكل به رجلاً.

جـ- الرسول ﷺ يُفَدّي الزبير بأبويه:

١- عن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «فداك أبي وأمي». متفق عليه.

٢- عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد. أخرجه أحمد في المسند. أي قال: ارم فداك أبي وأمي.

د- حسن توكل الزبير على ربه وشدة يقينه:

عن عبد الله بن الزبير قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه، فقال: يا بني، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أُراني إلا سأُقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همي لديني، أفترى يبقى ديننا من مالنا شيئًا؟ فقال: يا بني، بع ما لنا فاقضِ ديني، وأوصى بالثلث - وثلثه لبنيه - يعني بني عبد الله بن الزبير - بقول ثلث الثلث - قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بنيّ إن عجزت عن شيء فاستعن عليه بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله. قال: فوالله ما وقعت في كربة من دَيْنه إلا قلت: يا مولى الزبير اقْضِ عنه دينه، فيقضيه.. الحديث. [أخرجه البخاري في

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

كتاب فرض الخمس باب بركة الغازي في ماله حيًا وميتًا مع النبي ﷺ وولاة الأمر].

هـ- ثناء عثمان رضي الله عنه على الزبير:

عن عروة قال: أخبرني مروان بن الحكم قال: أصاب عثمان رضي الله عنه رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رج من قريش قال: استخلف. قال: وقالوه ؟ قال: نعم، قال: ومن؟ فسكت، فدخل عليه رجل آخر - أحسبه الحارث - فقال: استخلف. قال عثمان: وقالوا: فقال: نعم. قال: ومن هو ؟ فسكت. قال: فلعلهم قالوا: الزبير ؟ قال: نعم. قال: أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ. أخرجه البخاري.

و- نزول الملائكة على سيمائه (هيئته) يوم بدر:

قال الإمام الذهبي في السير: قال هشام بن عروة عن أبيه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير. قال محقق السير: نسبة الهيثمي في المجمع إلى الطبراني، وقال: هو مرسل صحيح.

وقال: عن أبي جعفر الباقر رحمه الله، قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزلت الملائكة كذلك.

وقال: وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدّي ابن عمة أحمد ووزيره
عند البلاءِ وفارسُ الشُّقراء
وغداة بدر كان أول فارس
شهد الوغى في اللأمة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصرة
بالحَوْض يوم تالب الأعداء

ز- الزبير يشهد له النبي ﷺ بالشهادة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء، فتحرك، فقال: «اسكن حراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». وكان عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير. [أخرجه مسلم].

ح- الزبير أحد العشرة المشهود لهم بالجنة:

١- عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر». [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه].

٢- وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». [أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ابي عاصم في السنة].

ط- الزبير ممن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض:

عن عمرو بن ميمون قال في حديثه عن قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه قال: لما طعن عمر رضي الله عنه، قالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن. [أخرجه البخاري ومسلم].

هذا قليل من كثير مما ورد في مناقب الزبير، بالإضافة إلى ما ورد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ولا شك أنهم أول من خوطب بهذه الآية، فهم على ذلك خير أمة أخرجت للناس، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾. وكذلك هم أول من خوطب بهذه الآية، فهم الأمة الوسط التي تشهد على الأمم، وقال الله تعالى فيهم أيضًا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾، فاصحاب محمد ﷺ مذكورون في التوراة والإنجيل قبل نزول القرآن، ومن قبل أن يخلقوا، فأي فضل هذا ؟ ومَن مِن البشر نال هذا الفضل غير هؤلاء الصحب الكرام، نسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرة أصحاب نبينا وتحت لوائه، وأن يرزقنا الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

مناقب طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

إعداد/
زكريا حسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وبعد:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إلى شَهِيدٍ يَمْشي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إلى طَلْحَةَ ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ». وفي رواية: «من سَرَّهُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام الترمذي في جامعه في أبواب المناقب باب مناقب أبي محمد طلحة ابن عبيد الله برقم (٣٧٣٩)، وأخرجه الإمام ابن ماجه في السنة باب فضل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه برقم (١٢٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٦) وقد ذكر طرقه وشواهده وعزاه للطيالسي في مسنده، والواحدي في الوسيط والبغوي في التفسير، ثم قال: وبالجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد يرتقي إلى درجة الصحة، وهي وإن اختلفت ألفاظها فالمؤدى واحد، وقد ثَبَّته الحافظ في الفتح (٣٩٨/٨ - ط بولاق)، والله أعلم. كما صححه في صحيح الجامع برقم (٥٩٦٢)، وعزاه للترمذي والحاكم.

أولاً: ترجمة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أبو محمد القرشي التيمي. كذا في أسد الغابة والاستيعاب، وسير أعلام النبلاء. وأمه الحضرمية، اسمها الصعبة بنت عبد الله بن مالك أخت العلاء بن الحضرمي، يعرف بطلحة الخير وطلحة الفيَّاض.

قال الإمام الذهبي: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. ثم قال: قال أبو عبد الله بن منده: كان رجلاً آدم، كثير الشَّعْر، ليس بالجعد القطط ولا بالسَّبْط، حسن الوجه، إذا مشى أسرع، ولا يغير شعره. ثم قال الذهبي: قلت: كان ممن سبق إلى الإسلام، وأوذي في الله. ثم هاجر.

ونقل ابن عبد البر عن الواقدي قوله: بعث رسول الله ﷺ قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسَّسَان الأخبار، ثم رجعا إلى المدينة فقدماها يوم وقعة بدر فلم يشهدها، فكلم رسولَ الله ﷺ في سهمه، فقال: «لك سهمك»، قال: وأجري؟ قال: «وأجرك».

قال ابن الأثير: وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وبايع بيعة الرضوان، وأبلى يوم أحد بلاءً عظيمًا، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه، واتقى عنه النَّبْلَ بيده حتى شُلَّتْ أصبعه، وضُرِبَ على رأسه وحَمَل رسولَ الله ﷺ على ظهره حتى صعد الصخرة. ثم ساق بسنده عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة قال: سماني رسول الله ﷺ يوم أحد: طلحة الخير، ويوم العَشيرة طلحة الفيَّاض، ويوم حنين طلحة الجود. وعند الذهبي، «ويوم خيبر» بدلاً من «يوم حنين».

www.altawhed.net
موقع مسجد التوحيد ببلبيس

من الناس من يمشي بين الناس وهو من أهل الجنة لا يعذب في النار.

أهل الجنة لا نعلمهم والله يعلمهم، ومن هؤلاء طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

قال الإمام الذهبي: وأخرج النسائي عن جابر قال: لما كان يوم أحد، وولى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة فأدركهم المشركون، فقال النبي ﷺ: «مَن للقوم؟» قال طلحة: أنا، قال: «كما أنت». فقال رجل: أنا، قال: «أنت». فقاتل حتى قُتِل، ثم التفتَ فإذا المشركون، فقال: من لهم؟ قال طلحة: أنا، قال: «كما أنت». فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «أنت»، فقاتل حتى قُتِلَ، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله ﷺ طلحة، فقال: «مَن للقوم؟» قال: طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه، فقال: «حَسٍّ» [كلمة تقال عند الألم]، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: بِسْم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون»، ثم ردَّ الله المشركين. قال الذهبي عقبه: رجاله ثقات.

وساق الذهبي أيضًا عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيتُ أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه. ثم روى عن موسى بن طلحة عن أبيه أنه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته: ما لكَ؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فاين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه، فقال لها: رحمك الله، إنك موفقة بنت موفق - وهي أم كلثوم بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها - فلما أصبح دعا بجفان فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى عليٍّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد! أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فاين كنتِ منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي، قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم.

وأورد الذهبي أبياتًا قال: أنشدها الرياضي لرجل من قريش، قال فيها:

أيا سائلي عن خيار العباد
صادفتَ ذا العلم والخبْرَهْ
خيارُ العباد جميعًا قريشٌ
وخَيْرُ قريشٍ ذَوُو الهِجْرَه
وخَيْرُ ذَوِي الهجرة السابقونَ
ثمانيةٌ وحدهم نُصْرَهْ
عليٌّ وعُثمانُ ثم الزُّبيرُ
وطلحةُ واثنانِ مِنْ زُهْرَهْ
وبَرَّانِ قَدْ جَاوَرَا أحمدًا
وجاورَ قبرُهُما قَبْرَهْ
فمَنْ كانَ بَعدَهُمُ فاخرًا
فلا يَذْكُرَنْ بَعْدَهُمْ فَخْرَهْ

قُتِلَ طلحةُ رضي الله عنه يوم الجمل قتله مروان، رماه بسهم في ركبته فنزف حتى مات.

قال ابن الأثير: قال الشعبي: لما قتل طلحة وراه علي مقتولاً جعل يمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيز عليَّ أبا محمد أن أراك مُجَدَّلًا تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عُجَرِي وبُجَرِي، وترحم عليه، وقال: ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وبكى هو وأصحابه عليه، قال: وسمع عليٌّ رجلاً ينشد:

فتًى كان يدنيه الغنى من صديقه
إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فقال: ذاك أبو محمد طلحة بن عبيد الله رحمه الله.

وقال ابن الأثير أيضًا: وروي عن عليٍّ أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة وعثمان والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ «الحجر: ٤٧» فليتأمل الروافض هذا الكلام.

قال الذهبي: وكان قتله في سنة ست وثلاثين في جمادى الآخرة، وقيل: في رجب، وهو ابن اثنتين وستين سنة أو نحوها.

ثانيًا: شرح الحديث

في هذا الحديث شهادة من رسول الله ﷺ لطلحة بالشهادة في سبيل الله، وهي منقبة عظيمة لهذا الصحابي الجليل، كما أنها تعد من أعلام النبوة، فهي معجزة ظاهرة للنبي ﷺ فقد استشهد طلحة يوم الجمل، فأعلم النبي ﷺ من كان حاضرًا من أصحابه أن طلحة كتبت له الشهادة مع أنه على قيد الحياة يمشي على الأرض، فمن أحبَّ من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة، هذا بالإضافة إلى

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الحديث الآخر الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «اهْدَأْ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». ففي هذا الحديث أيضًا بشارة لطلحة مع إخوانه المذكورين بالشهادة، فليهنأ بها طلحة ولتقر بها عينه، ولترغم أنوف من يتنقصون أصحاب رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم، ولتملأ أفواههم بالتراب، وليبشروا بعذاب الله إن كان يغيظهم ذكر هؤلاء السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

ثالثًا: مناقب طلحة رضي الله عنه:

بالإضافة إلى ما سبق في شأن طلحة مما سطره أهل الحق من علماء السنة والجماعة، مما ورد عن الأثبات من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل الأثر في فضائل هذا الصحابي الجليل، وكذا ما ثبت في كتاب الله في شأن هذا الجيل الذي صحب خير البرية ﷺ، فإن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، والله عز وجل قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ «التوبة: ١٠٠».

وهو من الذين مع رسول الله ﷺ والله تعالى يقول: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ «الفتح: ٢٩».

وطلحة صحابي من الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وقال الله تعالى فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ «الفتح: ١٨». وهو من الذين خوطبوا أول من خوطب بقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ «آل عمران: ١١٠».

وهو من أوائل من خوطبوا بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ «البقرة: ١٤٣» وهو ممن وعدهم الله الحسنى كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ «الحديد: ١٠».

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي جاءت في بيان فضل أصحاب النبي ﷺ.

ومما ورد في فضل الصحابة رضي الله عنهم عمومًا قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». «متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه». ومن ذلك أيضًا ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: فيكم مَن صَاحَبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: فيكم من صَاحَبَ أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صَاحَبَ من صَاحَبَ أصحابَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم». «متفق عليه». وغير ذلك من الأحاديث كثير.

يضاف إلى ذلك كله بعض المناقب الخاصة بطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، من ذلك:

أ- ثبات طلحة مع رسول الله ﷺ:

عن أبي عثمان قال: «لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها رسولُ الله ﷺ غيرُ طلحةَ وسعد، عن حديثهما». «متفق عليه».

قال الحافظ في الفتح: «في بعض تلك الأيام». يريد يوم أُحد، وقوله: «عن حديثهما» أي: أنهما حدثا بذلك. وقال: ووقع في فوائد أبي بكر بن المقري من وجه آخر عن معتمر بن سليمان عن أبيه: فقلت لأبي عثمان: وما علمك بذلك؟ قال: هما أخبراني بذلك.

ب- دفاع طلحة عن رسول الله ﷺ:

عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شُلَّتْ. «أخرجه البخاري ٣٧٢٤».

جمع طلحة بين الإسلام والجهاد

الرسول ﷺ بشر طلحة بالجنة، ومع

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

في سبيل الله، فكتب الله له الشهادة.

هذا لم يسلم طلحة من لعن الروافض إياه.

قال الحافظ في الفتح: «التي وقى بها» أي يوم أحد، صرح بذلك عليّ بن مسهر عند الإسماعيلي، وعند الطبراني من طريق موسى بن طلحة عن أبيه أنه أصابه في يده سهمٌ. ومن حديث أنس: «وقى رسول الله ﷺ لما أراد بعض المشركين أن يضربه». وفي رواية عند ابن المبارك في الجهاد عن يعقوب بن إبراهيم عن محمد بن طلحة عن أبيه قال: أصيب إصبع طلحة البنصر من اليسرى من مفصلها الأسفل فَشَلَّتْ، تَرَسَ بها على النبي ﷺ.

ج- طلحة أوجب الجنة، أي لنفسه بعمله:

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أُحد درعان فنهض إلى صخرة فلم يستطع، فاقعد تحته طلحة، فَصَعِدَ النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، فقال «أي الزبير»: سمعت النبي ﷺ يقول: «أوجب طلحة». «اخرجه الترمذي وأحمد في المسند وابن حبان والحاكم وحسنه الألباني».

وقوله: «أوجب طلحة». قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: أي الجنة كما في رواية، والمعنى أنه أثبتها لنفسه بعمله هذا، أو بما فعل في ذلك اليوم؛ فإنه خاطر بنفسه يوم أُحد، وفدى بها رسول الله ﷺ وجعلها وقاية له حتى طُعن ببدنه، وجرح جميع جسده وشَلَّتْ يده. رضي الله عنه وأرضاه.

د- طلحة ممن قضى نحبه:

عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما طلحة: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سَلْهُ عمن قضى نحبه مَن هو ؟ وكانوا لا يجترئون هم على مسألته، يوقرونه ويهابونه، فساله الأعرابي فأعرضَ عنه، ثم ساله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد وعليَّ ثياب خُضْرٌ، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «أين السائل عمن قضى نحبه؟» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله، قال: «هذا ممن قضى نحبه». «اخرجه الترمذي وصححه الألباني».

وأخرج الترمذي وابن ماجه عن معاوية رضي الله عنه قول الرسول ﷺ: «طلحة ممن قضى نحبه». وكذا ابن عساكر كما عزاه إليه الألباني في صحيح الجامع عن عائشة رضي الله عنها، وصححه رحمه الله تعالى.

هـ- طلحة في الجنة، وإن رغمت أنوف الروافض والشانئين:

عن سعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». «حديث سعيد بن زيد أخرجه الإمام أحمد، وحديث عبد الرحمن بن عوف أخرجه الترمذي، وصححهما الألباني في صحيح الجامع».

و- طلحة ممن بشروا بالشهادة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراءٍ هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». «أخرجه مسلم والترمذي وأحمد».

ز- طلحة ممن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض:

لما طُعن عمر رضي الله عنه، وقيل له: أَوْصِ يا أمير المؤمنين اسْتَخْلِفْ، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى عليًا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعيدًا، وعبد الرحمن. «أخرجه البخاري».

وبعد، فهذا بعض ما ورد في مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه وأرضاه، فهل يفهم دعاة التقريب الذين يسمعون ليلاً ونهارًا سب هؤلاء الأصحاب وخاصة هؤلاء العشرة، ومن يلعنهم بأسمائهم واحدًا واحدًا، ثم يجمعهم ويجمع معهم في اللعن أهل السنة والجماعة، هؤلاء اللاعنون الحمقى الذين يتنكرون لكل نص ناصع بَيِّن من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويكذبون على الله ورسوله، بل يكذبون الله ورسوله، فهل يجوز لمسلم أن يصدقهم أو أن يتفق معهم في قليل أو كثير؟ إن تقريب السنة لأهل الرفض من الشيعة ولا سيما الاثنا عشرية، معناه الجمع بين المتناقضين، وهذا محال، أو هدم الإسلام والإتيان عليه من قواعده، وهذا لن يكون، لأن الله تعالى حافظ دينه وكتابه وسنة نبيه ومعلٍ كلمته ومظهر دينه ولو كره الكافرون.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجمع المسلمين على الحق ويوحد صفوفهم تحت راية التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



مناقب عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه

إعداد / زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

عن عمرو بن وهب الثقفي قال: كنا مع المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فسئل: هل أمّ النبيَّ ﷺ أحدٌ من هذه الأمة غيرُ أبي بكر رضي الله عنه؟ فقال: نعم، كنا مع النبي ﷺ في سفر، فلما كان من السحر، ضرب عنق راحلتي، فظننتُ أنّ له حاجة فعدلتُ معه، فانطلقنا حتى برزنا عن الناس، فنزل عن راحلته، ثم انطلق فتغيب عني حتى ما أراه، فمكث طويلاً، ثم جاء فقال: «حاجتك يا مُغيرة؟»، قلتُ: ما لي حاجةً، فقال: «هل معك ماء؟»، فقلت: نعم، فقمتُ إلى قربة أو إلى سطيحة مُعلّقة في آخرة الرحل، فاتيتُه بماء، فصببتُ عليه، فغسل يديه، فأحسنَ غسلَهما- قال: وأشكُّ أقال: ذلكهما بتراب أمْ لا. ثم غسل وجهه، ثم ذهب يحسرُ عن يديه، وعليه جُبّةٌ شاميّةٌ ضيّقةُ الكمّين، فضاقت، فأخرج يديه من تحتها إخراجاً، فغسل وجهه ويديه، ثم مسح بناصيته، ومسح على العمامة، ومسح على الخفين، وركبنا فأدركنا الناس وقد أقيمت الصلاة، فتقدمهم عبدالرحمن بنُ عوف، وقد صلّى بهم ركعة وهمّ في الثانية، فذهبتُ أوذنُه، فنهاني رسولُ الله ﷺ، فصلّينا الركعة التي أدركنا، وقضينا الركعة التي سبقنا. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «أحسنتُم، أو أصبتُم».

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله تعالى في المسند بالأرقام:

[١٨١٣٤، ١٨١٤١، ١٨١٤٥، ١٨١٥٠، ١٨١٥٦، ١٨١٥٧، ١٨١٥٩، ١٨١٦٠، ١٨١٦١، ١٨١٧٠، ١٨١٧١، ١٨١٧٢، ١٨١٧٥، ١٨١٩٠، ١٨١٩٣، ١٨١٩٤، ١٨١٩٥، ١٨١٩٦، ١٨١٩٧، ١٨٢٠٦، ١٨٢٢٠، ١٨٢٢٥، ١٨٢٢٦، ١٨٢٢٨، ١٨٢٢٩، ١٨٢٣٤، ١٨٢٣٥، ١٨٢٣٩، ١٨٢٤٢].

كما أخرجه الإما مسلم مختصرًا في كتاب الطهارة باب (المسح على الناصية والعمامة) برقم (٨١/٢٧٤)، وأخرجه كذلك الإمام أبو داود في كتاب الطهارة باب المسح على الخفين برقم (١٤٩)، وأخرجه أيضًا الإمام النسائي في كتاب الطهارة باب كيف المسح على العمامة برقم (١٠٩)، وأخرجه الإمام ابن ماجه في أبواب إقامة الصلوات باب ما جاء في صلاة رسول الله ﷺ خلف رجل من أمته برقم (١٢٣٦).

أولا: ترجمة عبدالرحمن بن عوف

هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث ابن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري، كنيته أبو محمد، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسماه النبي ﷺ: «عبد الرحمن»، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن الحارث بن زهرة.

ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر رضي الله عنه، وكان من المهاجرين الأولين، ممن هاجروا الهجرتين؛ هجرة الحبشة وهجرة المدينة، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، فعرض عليه سعد بن الربيع أن يشاطره ماله وأهله، فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في أهلك ومالك، دلوني على السوق، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ توفي وهو راضٍ عنهم.

شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وبعثه رسول الله ﷺ إلى دومة الجندل إلى «كلب»، وعمّمَهُ بيده ﷺ وسدل العمامة - أي طرفها - بين كتفيه، وقال: «إن فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم - أو قال شريفهم-»، وكان الأصْبَغ بْنُ ثَعْلَبة بْن ضَمْضم الكلبي شريفهم،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فتزوج ابنته تَمَاضِر بنت الأصبغ، فولدت له أبا سلمة بن عبد الرحمن الفقيه.

ولقد صلى رسول الله ﷺ خلفه في سفرة، وجرح رضي الله عنه يوم أُحد إحدى وعشرين جراحة، وجرح في رجله فكان يعرج منها، وسقطت ثَنِيتَاه فكان أهتم.

قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: وكان عظيم التجارة مجدودًا فيها، كثير المال. قيل: إنه دخل على أم سلمة رضي الله عنها فقال: يَا أُمَّهْ، قد خفت أن يهلكني كثرة مالي. قالت: «يا بني أنفق».

ولما ذهب إلى السوق بعد أن عرض عليه سعد بن الربيع رضي الله عنه أن يشاطره ماله وأهله، جاء من السوق بسمن وأقط، واستمر على ذلك فجمع مالاً كثيرًا فتزوج، فأتى النبي ﷺ فرأى عليه أثر صفرة فقال: «مَهْيَمْ يا عبد الرحمن؟» قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار. قال: «ما سقت إليها؟» قال: نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب. قال: «بارك الله لك، أولم ولو بشاة». فبسبب دعوة النبي ﷺ له بارك الله عز وجل له في تجارته حتى أصبح كما قال عن نفسه: إني لأكثر قريش مالاً.

وعن الزهري قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ بشَطْر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفًا، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة.

وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده إلى سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن أُتي بطعام، وكان صائمًا، فقال: قُتِلَ مصعب بن عمير، وهو خير مني فكفِّنَ في بردته، إن غُطِّيَ رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّيَ رجلاه بدا رأسه، وأُرَاهُ قال: وقُتِلَ حمزةُ وهو خير مني - ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسِطَ - أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا. وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

وروى عن الزهري قال: أوصى عبد الرحمن لمن بقي ممن شهد بدرًا، لكل رجل أربعمائة دينار، وكانوا مائة فأخذوها، وأخذها عثمان فيمن أخذ، وروي أيضًا أن عليًا أخذها فيمن أخذ، وأوصى - أي عبدالرحمن - بألف فرس في سبيل الله.

قال: ولما مات قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «اذهب يا ابن عوف قد أدركت صفوها، وسبقت رَنَقَها» أي: كَدَرَهَا. وكان سعد بن أبي وقاص فيمن حمل جنازته وهو يقول: وَاجَبَلاه. وقد خلف مالاً عظيمًا من ذلك: ذهب قطع بالفئوس حتى عَجِلَتْ أيدي الرجال منه، وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع، وكان له أربع نسوة، صولحت امرأة منهن بثمانين ألفًا.

ويروى عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ (التوبة: ٧٩). قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله أربعة آلاف دينار. فقال أناس من المنافقين: إن عبد الرحمن لعظيم الرياء. أي: فأنزل الله تعالى هذه الآية. والله أعلم.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالدٌ، فقال رسول الله ﷺ: «دعوا لي أصحابي، أو أصيحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحد ذهبًا لم يدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه». وأخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بدون ذكر القصة. وأخرجه الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه.

وذكر الذهبي عن ابن أبي أوفى قال: شكا عبدالرحمن بن عوف خالدًا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «يا خالد، لا تؤذ رجلاً من أهل بدر، فلو أنفقت مثل أُحد ذهبًا لم تدرك عمله». قال: يقعون فيَّ فَأَرُدُّ عليهم، فقال النبي ﷺ: «لا تؤذوا خَالِدًا، فإنه سيف من سيوف الله، صَبَّهُ الله على الكفار». ثم قال الذهبي: مرسل.

وساق الذهبي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مُجَمِّع أن عمر رضي الله عنه قال لأم كلثوم بنت عقبة، امرأة عبد الرحمن بن عوف: أقال لك رسول الله ﷺ: «انكحي سيد المسلمين عبد الرحمن بن عوف؟» قالت: نعم. وساق من طريق الزهري عن عبيدالله بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أعطى رهطًا فيهم عبد الرحمن بن عوف، فلم يعطه، فخرج يبكي، فلقيه عمر فقال: ما يبكيك؟ فذكر له، وقال: أخشى أن يكون منعه مَوْجَدَةً وَجَدَهَا عَلَيَّ، فأبلغ عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: «لكنِّي وَكَلْتُهُ إلى إيمانه».

وروى الذهبي أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خياركم خياركم لنسائي». فأوصى لَهُنَّ عبد الرحمن بحديقة قومت بأربعمائة ألف.

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه عن الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان رضي الله عنه، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أوْ لَوَلَدِهَا ابْنَ عَمِّهِ وأقربَ الجماعة إليه سعدَ بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وساق عن سعيد بن المسيب أن سعد بن أبي وقاص أرسل إلى عبد الرحمن رجلاً وهو قائم يخطب: أن ارفع رأسك إلى أمر الناس. أي: ادع إلى نفسك. فقال عبد الرحمن: ثكلتك أمك، إنه لن يلي هذا الأمرَ أحدٌ بعدَ عُمَرَ إلاَّ لأمَةُ الناسُ.

وعن الزهري قال: حدثني إبراهيم بن عبدالرحمن قال: غُشِيَ على عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده، وجلَّلُوهُ. فافاق يكبِّر، فكبَّر أهل البيت، ثم قال لهم: غشي عليَّ آنفًا؟ قالوا: نعم. قال: صدقتم! انْطَلَقَ بي في غَشْيَتي رجلان أجدُ فيهما شدَّةً وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقيا رجلاً، قالا: أين تذهبان بهذا؟ قال: نحاكمه إلى العزيز الأمين. قالا: ارجعا، فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه سَيُمَتَّعُ به بنوه إلى ما شاء الله. فعاش بعد ذلك شهرًا.

قال الذهبي: أرخ المدائني، والهيثم بن عدي وجماعة وفاته في سنة اثنتين وثلاثين، وقال المدائني: ودفن بالبقيع، وقال يعقوب بن المغيرة: عاش خمسًا وسبعين سنة.

ثانيًا: شرح الحديث

قوله: «فسئل»: على البناء للمفعول، أي: سأله أحد الحاضرين معه.

وقوله: «أَمِنْ»: من الإمامة، أي: هل صلى النبي ﷺ خلف أحدٍ من أمته غير أبي بكر رضي الله عنه؟

وقوله: «فَعَدَلْتُ» بالتخفيف، أي صَرَفْتُ راحلتي لأصحبه ﷺ.

وقوله: «برزنا»: أي خرجنا إلى البَرَاز. فابْعَدَ ﷺ كما جاء في بعض الروايات.

وقوله: «حَاجَتَك» يجوز فيه النصب على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره: «اذكر»، ويجوز رفعه على أن يكون مبتدأ خبره مَحْذُوف والتقدير: «ما حاجتك؟».

وقوله: «قِرْبَة أو سَطِيحَة»: القربة ظَرْفٌ من جلد يخرز من جانب واحد، وتستعمل لحفظ الماء أو اللبن ونحوهما، وأما السطحية فهي عبارة عن مزادتين من جلد سُطِحَ أحدهما على الآخر، فسميت سطيحة.

وقوله: «ثم ذهب يَحْسُرُ» ذهب يحسر أي: شرع أو أخذ، فهو من أفعال المقاربة والشروع كَطَفِقَ، وجَعَلَ، وأما يَحْسُر فهو من باب نصر أي مضموم العين في المضارع، أو من باب ضرب أي مكسورها.

وقوله: «أوذنه» من الإيذان بمعنى الإعلام، أي أعلمه.

وفي الحديث منقبة عظيمة لعبد الرحمن بن عوف حيث صلى رسول الله ﷺ خلفه مؤتمًا به، ولم ينل هذا الشرف إلا هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه كما هو معروف محفوظ.

ولقد أراد عبد الرحمن بن عوف أن يتأخر عندما شعر بوجود رسول الله ﷺ لكي لا يؤم رسول الله ﷺ، لكن رسول الله ﷺ أومأ إليه أن يستمر في صلاته، ولو كان عبد الرحمن غير أهل لإمامة المسلمين في الصلاة ومعهم رسول الله ﷺ، لأخره النبي ﷺ أو لأقره على تأخره. والله أعلم.

ثالثًا: ما ورد من مناقبه رضي الله عنه

١- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من السابقين الأولين من المهاجرين، والله عز وجل نص على فضلهم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

٢- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من أهل بدر الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم». (البخاري ومسلم وأبو داود).

٣- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ممن بايعوا تحت الشجرة، والله تعالى بين أنه رضي الله عنهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨)، وأخبر رسول الله ﷺ أن من بايع تحت الشجرة لن يلج النار، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة». (مسلم وأبو داود والترمذي).

٤- عبد الرحمن رضي الله عنه ممن أنفقوا من قبل الفتح (أي فتح مكة)، **وقاتلوا**، ففضلهم الله تعالى على من أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، مع أن الجميع موعودون الحسنى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد: ١٠).

٥- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من خير أمة أخرجت للناس:

فهو أول من وجهوا بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

٦- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من الأمة الوسط:

فهو من أول من وجهوا بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

٧- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من الذين كانوا مع النبي ﷺ:

فمدحهم الله تعالى وذكر أنهم موصوفون بالوصف الطيب في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩)، قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: من غاظه أصحاب رسول الله ﷺ فتغيظ عليهم وانتقصهم فهو كافر بنص هذه الآية.

٨- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من المشهود لهم بالجنة:

شهد له النبي ﷺ، فهو من العشرة المبشرين بالجنة؛ فعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر». (أحمد وأبو داود والترمذي).

٩- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ممن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طعن، وطلب منه الصحابة أن يوصي لأحد بعده بالخلافة فاختار الستة المشهورين المعروفين، وقال رضي الله عنه: «ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليًا وعثمان وطلحة والزبير وسعدًا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء».

١٠- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يتعفف عن قبول مال أخيه الأنصاري وزوجه، ويدعو له بالبركة ويطلب إليه أن يدله على السوق ليتجر، فياكل من كسب يده رضي الله عنه، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، ساقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فاطلقها حتى إذا حلّت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دلوني على السوق، فربح شيئًا من أقط وسمن، فراه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضَرٌ من صُفرة (أثر من الزعفران)، فقال النبي ﷺ: «مَهْيَمْ يا عبد الرحمن؟» قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «فما سقت فيها؟» قال: وزن نواة من ذهب، فقال النبي ﷺ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بشاة». (متفق عليه).

١١- إحسان عبد الرحمن بن عوف إلى أزواج النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي». قال: فباع عبد الرحمن بن عوف حديقة بأربعمائة ألف فقسمها في أزواج النبي ﷺ. (الحاكم وصححه ووافقه الذهبي).

وروى الذهبي في السير قال: قال عبد الله بن جعفر الزهري: حدثتنا أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن باع أرضًا له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسمه في فقراء بني زهرة، وفي المهاجرين، وأمهات المؤمنين، قال المسور: فاتيت عائشة بنصيبها، فقالت: من أرسل بهذا؟ قلت: عبد الرحمن. قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون». سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة. (أحمد في المسند وأخرجه الحاكم).

وبعدُ؛ هذه بعض مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وألحقنا به وبصحابة رسول الله ﷺ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم بحبنا لصحب نبيك احشرنا معهم، وباعد بيننا وبين من يبغضونهم وينتقصونهم ويتجرأون على دينك ونبيك وصحابته الذين حملوا الدين إلى العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

مناقب سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خير خلق الله والمصطفى رحمة وهداية للناس نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فعن سعيد بن زيد أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد أنه أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعتَ رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَخَذَ شبرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ». فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها. ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت.

هذا الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم، أخرجه مسلم في كتاب المساقاة باب «تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها» برقم (١٦١٠)، وأخرجه البخاري بنحوه في كتاب بدء الخلق باب «ما جاء في سبع أرضين» برقم (٣١٩٨)، وأخرجه مختصرًا برقم (٢٤٥٢)، وأخرجه بدون القصة الترمذي في كتاب الديات برقم (١٤١٨)، وكذلك الدارمي في سننه في كتاب البيوع باب «من أخذ شبرًا من الأرض برقم» (٢٦٠٦)، وأخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة وسعيد بن زيد (١/١٨٧- ١٩٠، ٢/٣٨٧، ٣٨٨، ٤٣٢).

أولاً: ترجمة سعيد بن زيد رضي الله عنه

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزَّى بن رِيَاح بن عبد الله بن قُرْط بن رزَاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وأمه فاطمة بنت بَعْجَة بن أمية بن خويلد بن خالد بن المعمَّر بن حيان، من خزاعة، وكنية سعيد أبو الأعور، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره، كانت تحته فاطمة بنت الخطاب، وكانت أخته عاتكة بنت زيد بن عمرو تحت عمر بن الخطاب.

خبر زيد بن عمرو بن نفيل

أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن عامر بن ربيعة قال: كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين، وكره النصرانية واليهودية وعبادة الأوثان والحجارة، وأظهر خلاف قومه واعتزال الهتهم وما كان يعبد آباؤهم، ولا يأكل ذبائحهم، فقال لي: يا عامر، إني خالفت قومي، واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد وإسماعيل من بعده، وكانوا يصلون إلى هذه القبلة، فأنا أنتظر نبيًا من ولد إسماعيل يبعث، ولا أراني أدركُهُ، وأنا أومن به وأصدقه، وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيته فاقرئه مني السلام، قال عامر: فلما تنبأ رسول الله ﷺ أسلمت وأخبرته بقول زيد بن عمرو، وأقرأته منه السلام فرد عليه رسول الله ﷺ ورَحِمَ عليه، وقال: «قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً».

وأخرج أيضًا بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: رأيت زيد بن عمرو بن

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلي الكعبة يقول: يا معشر قريش، ما منكم اليوم أحدٌ على دين إبراهيم غيري، وكان يحيي الموءودة؛ يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مهلا، لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها، فياخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها. قال: وسئل عنه النبي ﷺ فقال: «يُبعث يوم القيامة أمة وحده».

وقد ذكر عن سعيد بن المسيب أنه ذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال: توفي وقريش تبني الكعبة قبل أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ بخمس سنين، ولقد نزل به وإنه ليقول: أنا على دين إبراهيم، فأسلم ابنه سعيد بن زيد أبو الأعور واتبع رسول الله ﷺ، وأتى هو وعمر بن الخطاب رسولَ الله ﷺ فسألاه عن زيد بن عمرو فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه، فإنه مات على دين إبراهيم». قال: فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحم عليه واستغفر له، ثم يقول سعيد بن المسيب: رحمه الله وغفر له.

ذكر إسلام سعيد بن زيد وجهاده

أسلم سعيد بن زيد قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها، وساق ابن سعد في طبقاته قال: لما هاجر سعيد بن زيد إلى المدينة نزل على رفاعة بن عبد المنذر أخي أبي لبابة. وقال: آخى رسول الله ﷺ بين سعيد بن زيد ورافع بن مالك الزُّرَقي، بينما قال ابن الأثير في أسد الغابة: آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه.

لم يشهد بدرًا رضي الله عنه، وذلك لأنه كان قد أرسله رسول الله ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قبل خروجه ﷺ من المدينة بعشر يتحسَّسَان خبر العير، فبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مَرَّتْ بهم العير، فَتَسَاحَلَتْ، فبلغ نبي الله الخبر قبل مجيئهما، فَنَدَبَ أصحابه وخرج يطلب العير، فتساحَلَتْ وساروا الليل والنهار، ورجع طلحة وسعيد إلى المدينة ليخبرا رسول الله ﷺ الخبر، ولم يعلما بخروجه، فقدما المدينة يوم الوقعة ببدر، فخرجا من المدينة ليلحقا برسول الله ﷺ، فلقياه بتُرْبَانَ بين مَلَلَ والسُّيَّالة منصرفًا من بدر، فلم يشهد طلحة وسعيد الوقعة، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمانهما وأجورهما ببدر، فكانا كمن شهدها.

وشهد سعيد رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ أحدًا والخندق والمشاهد كلها.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: وقال سعيد بن جبير: كان مقام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد ؛ كانوا أمام رسول الله ﷺ في القتال، ووراءه في الصلاة.

قال الإمام الذهبي في السير: لم يكن سعيد متاخرًا عن رتبة أهل الشورى في السابقة والجلالة، وإنما تركه عمر - رضي الله عنه - لئلا يبقى له فيه شائبة حظ، لأنه ختنه وابن عمه، ولو ذكره في أهل الشورى لقال الرافضي: حَابَى ابنَ عمه. فاخرج منها ولده وعصبته. فكذلك فليكن العمل لله تعالى.

وقال الذهبي أيضًا: روى غير واحد عن مالك قال: مات سعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص بالعقيق. وقال الواقدي: توفي سعيد بن زيد سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقيل: توفي سنة ثمان وخمسين بالعقيق، وخرج إليه ابن عمر رضي الله عنهما، فغسله وحنطه وصلى عليه، وقالت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص: غَسَّلَ سعيدَ بنَ زيدٍ سعدُ بنُ أبي وقاص وحنطه، ونزل في قبره سعدُ بن أبي وقاص وابن عمر، وصلى عليه ابن عمر.

ثانيًا: شرح الحديث

في هذا الحديث قصة أَرْوَى بنت أويس مع سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه، وأنها ادَّعَتْ عليه أنه اقتطع ضغيرة (أي جزءًا مبنيًا كالجدار) من أرضها وضمها إلى أرضه، فَشَكَتْهُ إلى مروانَ بنِ الحكمِ والي المدينة أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فلما أرسل مروان إلى سعيد بن زيد رضي الله عنه، وحضر سعيد عند مروان؛ قال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الله ﷺ ؟ أي أن سعيدًا رضي الله عنه تساءل متعجبًا عما ادعته هذه المرأة بشأنه، فقال له مروان: وماذا سمعت من رسول الله ﷺ ؟ فروى سعيد الحديث، قائلاً: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقه إلى سبع أرضين». استدل على عدم فعل ما ادعته المرأة أنه يقف عند نص حديث النبي ﷺ ولا يتعداه.

وقد جاء في بعض روايات القصة أن سعيدًا ترك لها ما ادعته، وهذا غاية الورع والتقوى، ولذلك قال له مروان: لا أسالك بينة بعد هذا.

وأما قوله: «من أخذ شبرًا». ففي بعض الروايات في الصحيح: «من أخذ شيئًا»، والروايات يفسر بعضها بعضًا فشيئًا أعم من الشبر. ومعناه من أخذ قليلاً من الأرض أو كثيرًا بظلم فإنه يعاقب به يوم القيامة.

وقوله: «طُوِّقه إلى سبع أرضين». قال النووي في شرح مسلم: «الأرَضُونَ بفتح الراء، وفيها لغة قليلة بإسكانها، قال: حكاه الجوهري وغيره. قال العلماء: هذا تصريح بأن الأرض سبع طبقات، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. وقولُ من قال: المراد بالحديث سبع أرضين من سبعة أقاليم، لا أن الأرض سبع طباق، تأويل باطل أبطله العلماء.

«طوقه» له أوجه ذكرها الحافظ في الفتح: أحدها أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر، ويكون كالطوق في عنقه. وثانيها: أنه يعاقب بالخَسْفِ إلى سبع أرضين أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقًا في عنقه، وهذا الوجه يؤيده حديث ابن عمر ثالث أحاديث الباب بلفظ: «خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين». وثالثها كالأول ولكن بعد أن ينقل جميعه يجعل كله في عنقه طوقًا، ويعظم قدر عنقه حتى يسع ذلك، كما ورد في غلظ جِلْدِ الكافر ونحوه. ورابعها: يحتمل أن يكون المراد أنه يكلف أن يجعله له طوقاً، ولا يستطيع ذلك فيعذب بذلك.

وخامسها: يحتمل أن يكون التطويق تطويق الإثم، والمراد به أن الظلم المذكور لازم له في عنقه لزوم الإثم.

وسادسها: يحتمل أن تتنوع هذه الصفات لصاحب هذه الجناية، أو تنقسم هذه الصفات على أصحاب هذه الجناية فيعذب بعضهم بهذا وبعضهم بهذا بحسب قوة المفسدة وضعفها.

وأما سعيد بن زيد رضي الله عنه فبعد ما روى الحديث وبين براءته من الظلم، وتنازل للمرأة عن الذي ادعته كذبًا وظلمًا وزورًا، بعد ذلك كله، توجَّه إلى الله تعالى بالدعاء على أروى بنت أويس قائلاً: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها، وفي رواية لمسلم فَعَمِّ بصرها، واقتلها في أرضها، وفي رواية واجعل قبرها في دارها، وفي رواية أخرى واجعل قبرها في بئرها وانظر إلى ورع الصحابة في مثل قول سعيد: اللهم إن كانت كاذبة، ولم يدعُ عليها مباشرة. قال ابن عبد البر: فعميت أروى، وجاء سيل فابدى ضفيرتها، فراوا حقها خارجًا من حق سعيد، فجاء سعيد إلى مروان، فقال: أقسمت عليك لتركبن معي ولتنظرن إلى ضفيرتها، فركب معه مروان وركب أناس معهما حتى نظروا إليها. ثم إن أروى خرجت في بعض حاجتها بعدما عميت فوقعت في البئر فماتت. قال: وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض يقولون: أعماك الله كما أعمى أروى يريدونها، ثم صار أهل الجهل يقولون: أعماك الله كما أعمى الأروى، يريدون الأروى الحيوان الوحشي المعروف يظنونها، ويقولون: إنها عمياء، وهذا جهل منهم.

ثالثًا: من فوائد الحديث

١- تحريم الظلم والغصب وتغليظ عقوبته.

٢- إمكان غصب الأرض وأنه من الكبائر.

٣- أن من ملك أرضًا ملك أسفلها إلى منتهى الأرض، وله أن يمنع من يحفر تحتها بغير رضاه.

٤- أن من ملك ظاهر الأرض ملك باطنها بما فيه من حجارة ثابتة وأبنية ومعادن ونحوها.

٥- في الحديث منقبة عظيمة لسعيد بن زيد رضي الله عنه، حيث أجيبت دعوته ورأى الناس أثرها باعينهم، وكذلك ورعه، وعدم إثارة الخلاف مع المرأة التي شكته، وأنه تنازل عن حقه لدعواها مع احتجاجه بالحديث على أنه لا يمكن أن يظلم لأن الحديث يدل على تحريم الظلم.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

رابعًا: بعض مناقب سعيد بن زيد رضي الله عنه

١- اختياره الضرب والهوان على الكفر.

عن سعيد بن زيد قال: لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام أنا وأخته، وما أسلم. أخرجه البخاري. ومعناه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قبل أن يسلم يعذب سعيدًا وزوجة فاطمة بنت الخطاب بسبب إسلامهما، ومع ذلك كان سعيد رضي الله عنه يتحمل ذلك في سبيل دينه.

٢- سعيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». (الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٥٠).

وقد أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وهو أصح من حديث عبدالرحمن.

٣- سعيد ممن شهد لهم الرسول ﷺ بالشهادة:

عن سعيد بن زيد، وأنس بن مالك، وبريدة، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين. قال سعيد بن زيد رضي الله عنه: أشهد أن عليًا من أهل الجنة. قيل: وما ذاك؟ قال: هو في التسعة، ولو شئت أن أسمي العاشر لسميته، قال: اهتز حراءُ، فقال رسول الله ﷺ: «اثبت حراءُ فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». قال: ورسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وأنا، يعني نفسه». فأما حديث سعيد فأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وأما حديث أنس وبريدة فأخرجه أحمد، وحديث ابن عباس أخرجه الطبراني (وصححه الألباني).

هذا، ولا شك أن سعيدًا من السابقين الأولين من المهاجرين، وأنه معدود في البدريين مع أنه لم يشهد الوقعة، لكن رسول الله ﷺ أسهم له، وأثبت له أجره، وهو كذلك ممن بايعوا تحت الشجرة، وهو ممن أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وهو من أوائل خير أمة أخرجت للناس، وهو من الأمة الوسط التي تكون شهداء على الناس، إلى غير ذلك مما أفاء الله سبحانه وتعالى على هذه الفئة وهذا القرن من الناس الذي شهد له النبي ﷺ أنه خير الأمة على الإطلاق.

ثم نختم الحديث عن العشرة بما كتبه الإمام الذهبي رحمة الله عليه في نهاية ترجمة سعيد بن زيد رضي الله عنه، قال:

فهذا ما تيسر من سيرة العشرة، وهم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدريين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة.

فأبعد الله الروافض، ما أغواهم وأشد هواهم، كيف اعترفوا بفضل واحد منهم وبخسوا التسعة حقهم؟ وافتروا عليهم بأنهم كتموا النص في علي أنه الخليفة. فوالله ما جرى من ذلك شيء، وأنهم زوَّروا الأمر عنه بزعمهم، وخالفوا نبيهم، وبادروا إلى بيعة رجل من بني تيم يتجر ويتكسب، لا لرغبة في أمواله، ولا لرهبة من عشيرته ورجاله، ويحك!! أيفعل هذا من له مسكة عقل؟ ولو جاز هذا على واحد لما جاز على جماعة، ولو جاز وقوعه من جماعة لاستحال وقوعه والحالة هذه من ألوف من سادة المهاجرين والأنصار، وفرسان الأمة وأبطال الإسلام، لكن لا حيلة في بُرْءِ الرفض فإنه داء مزمن ومرض عُضَال، والهدى نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلا قوة إلا بالله.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وأن يثبت حُبَّ الله عز وجل وحب رسول الله ﷺ وحب أصحابه في قلوبنا، وأن يرزقنا بحبهم الجنة في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

حال المؤمنين وسلوك الصالحين في رمضان

الحمد لله وحده، حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

أما بعدُ: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلا يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وإن امرؤٌ قَاتَلَهُ أو شاتمهُ فليقل: إني صائم (مرتين)، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لخُلُوف فَم الصَّائم أطيب عند الله من ريح المسكِ يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجْلي الصيام لي وأنا أجزى به».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بالأرقام الآتية (١٨٩٤، ١٩٠٤، ٥٩٢٧، ٧٤٩٢، ٧٥٣٨)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (١١٥١)، وكذلك أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم (٢٣٦٣)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام (١/١٩٥- ١٩٦، ٢/٢٥٧، ٢٧٣، ٣٠٢، ٣١٢، ٤/٢٣، ٥/٨٣). وكذلك الإمام الدارمي في سننه برقم (١٧٣٢) من حديث أبي عبيدة، وبرقم (١٧٧١) من حديث أبي هريرة.

أولا: شرح الحديث

قوله: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ». قال الحافظ في الفتح: زاد سعيد بن منصور عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد «جُنَّةٌ من النَّار». وللنسائي من حديث عائشة مثله، وله من حديث عثمان بن أبي العاص: «الصيام جُنَّةٌ كجُنَّةِ أحدكم من القتال». ولأحمد من طريق أبي يونس عن أبي هريرة: «جنة وحصن حصينٌ من النار». وله من حديث أبي عبيدة بن الجراح: «الصيام جُنَّةٌ ما لَمْ يخرقها». زاد الدارمي: «بالغيبة» أي: ما لم يخرمها بالغيبة، وبذلك ترجم له هو وأبو داود.

والجُنَّةُ - بضم الجيم-: الوقاية والستر، وقد تبين بهذه الروايات متعلق هذا الستر، وأنه من النار، وبهذا جزم ابن عبد البر، وأما صاحبُ النهاية فقال: معنى كونه جُنَّة، أي يقي صاحبه ما يؤذيه الشهوات، وقال القرطبي: جنة أي ستر، يعني: بحسب مشروعيته، فينبغي للصائم أن يصونه عما يفسده وينقص ثوابه، وإليه الإشارة بقوله: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرْفُثْ» إلخ. ويصح أن يراد أنه سترة بحسب فائدته وهو إضعاف شهوات النفس، وإليه الإشارة بقوله: «يدع شهوته» إلخ، ويصح أن يراد أنه سترة بحسب ما يحصل من الثواب وتضعيف الحسنات.

وقال عياض في «الإكمال»: معناه سترة من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك، وبالأخير جزم النووي.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



إعداد / زكريا حسيني

وقال ابن العربي: إنما كان الصوم جُنَّةً من النار لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات.

فالحاصل أنه إذا كفَّ نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترًا له من النار في الآخرة.

قال الحافظ: وفي زيادة أبي عبيدة بن الجراح إشارة إلى أن الغيبة تضر بالصيام، وقد حكي عن عائشة، وبه قال الأوزاعي: إن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم، وأفرط ابن حزم فقال: يبطل الصيام كل معصية من متعمد لها ذاكر لصومه سواء كانت فعلاً أو قولاً، لعموم قوله: «فلا يرفث ولا يجهل»، ولقوله في الحديث الآخر: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

قال في الفتح: والجمهور وإن حملوا النهي على التحريم إلا أنهم خصوا الفطر بالأكل والشراب والجماع.

أي العبادات أرجح ؟

قال: وأشار ابن عبد البر إلى ترجيح الصيام على غيره من العبادات، فقال: حسبك بكون الصيام جنة من النار فضلاً، وروى النسائي بسند صحيح عن أبي أمامة قال: قلت: يا رسول الله، مرني بأمر آخذه عنك، قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له». وفي رواية: «لا عدل له». والمشهور عند الجمهور ترجيح الصلاة.

قوله: «فلا يَرْفُث»: أي الصائم: كذا اختصره البخاري هنا، وفي الموطا: «الصيام جُنَّةٌ، فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث». إلخ. والمراد بالرفث هنا الكلام الفاحش، والرفث يطلق على الكلام الفاحش وعلى الجماع وعلى مقدماته، وقد يكون أعم من ذلك.

وقوله: «ولا يجهل» أي: لا يأتي بشيء من فعال الجاهلين مثل الصياح والسفه وغير ذلك، قال الحافظ: ولسعيد بن منصور: «فلا يرفث ولا يجادل»: قال القرطبي: لا يفهم من ذلك أنه في غير الصوم يباح فيه ذلك، وإنما المراد أن ذلك ممنوع على كل حال وإنما يتأكد المنع حال الصوم.

وقوله: «وإن امرؤ قاتله أو شاتمه». وفي رواية صالح: «فإن سَابَّهُ أحد أو قاتله». وفي رواية لأبي قرة: «وإن شتمه إنسان فلا يكلمه». ونحوه عند أحمد من رواية هشام عن أبي هريرة، وفي رواية سعيد بن منصور من طريق سهيل: «فإن سابَّهُ أو ماراه». أي جادله، ولابن حزم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «وإن سابَّك أحد فقل: إني صائم، وإن كنت قائمًا فاجلس». ولأحمد والترمذي من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة: «فإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم». وللنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها: «وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه».

هذا، وقد اتفقت الروايات كلها على أن الصائم يقول: إني صائم، لكن منها ما ذكره مرة واحدة، ومنها ما ذكره مرتين. واختلف العلماء؛ أيقول ذلك بلسانه بصوت مسموع، أم يقول ذلك في نفسه بحيث لا يسمعه أحد؟ والظاهر والله أعلم أنه يسمع من يسبه أو يقاتله حتى يكون في ذلك زجرٌ له ولسامعه.

وقوله: «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم». أقسم ﷺ تأكيدًا لذلك.

والخُلُوفُ - بضم الخاء - هو تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام ولا سيما في شدة الحر.

وقوله: «أطيب عند الله من ريح المسك». جعل دم الشهيد يوم القيامة ريحه ريح المسك، وأما خلوف فم الصائم فهو أطيب من ريح المسك، قال العلماء: وليس في ذلك دليل على أن الصوم أفضل من الشهادة ؛ إذ أن فضل الشهادة في سبيل الله تعالى معلوم.

وقوله: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي». وفي رواية الموطا: «وإنما يذر شهوته». إلخ. وقد صرح في رواية أحمد بنسبته إلى الله تعالى، فقال بعد قوله: «من ريح المسك»: «يقول الله عز وجل: إنما يذر شهوته» إلخ. وكذلك صرح في أول الحديث في روايات متعددة فقال: «يقول الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له... إلخ». ويُفهم من صيغة الحصر في قوله: «إنما يذر شهوته». إلخ. التنبيه على الإخلاص في الصوم وأن الإخلاص هو المترتب عليه هذا الثواب العظيم.

وقوله: «الصيام لي وأنا أجزي به». ذكر الحافظ في الفتح عشرة أقوال في معنى اختصاص الصوم به سبحانه، ثم ذكر بعدها خلاصة مؤداها ما يلي:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أن الحسنات يضاعف أجرها من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فلا يضاعف إلى هذا القدر، بل ثوابه لا يقدر قدره ولا يحصيه إلا الله تعالى، ولذلك يتولى الله سبحانه جزاءه بنفسه، والسبب في اختصاص الصوم بهذه المرتبة أمران:

أحدهما: أن سائر العبادات مما يطلع العباد عليه، والصوم سر بين العبد وبين الله تعالى يفعله خالصًا ويعامله به طالبًا لرضاه، وإلى ذلك الإشارة بقوله: «فإنه لي». والآخر: أن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال البدن، والصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان، وفيه الصبر على مضض الجوع والعطش وترك الشهوات. وإلى ذلك الإشارة بقوله: «يدع شهوته من أجلي».

ثانيًا: حال المؤمنين وسلوك الصالحين في رمضان:

المؤمنون يوقنون أن الصيام من أعظم العون على محاربة الهوى وقمع الشهوات وتزكية النفس، وإيقافها عند حدود الله تعالى، فيحبس الواحد منهم لسانه عن اللغو والسباب والانطلاق في أعراض الناس، والسعي بينهم بالنميمة المفسدة والغيبة، كما أنهم يمتنعون عن الغش والخداع، والتطفيف والمكر وارتكاب الفواحش وأكل الربا، وتعاطي الرضوة، وأكل أموال الناس بالباطل بأي نوع من الاحتيال.

والصالحون يسارعون في رمضان إلى فعل الخيرات وترك المنكرات ؛ فعل الخيرات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على وجهها الصحيح وفي جهاتها المشروعة، وبذل الصدقات والحرص على تحصيل الرزق من وجوه الحلال، كما أنهم يحرصون على البعد عن اقتراف الآثام والفواحش، فإذا نسوا أو غلبت الواحد منهم نفسُه على فعل معصية ذكر الله تعالى مسرعًا فأناب إليه واستغفر وتاب مما أصاب، وذلك لأن الصوم غرس فيه خشية الله تعالى ومراقبته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

لذلك فإن المؤمنين يتحفظون من كل ما يؤثر على صيامهم من سلوك مشين أو خلق مهين لأن النبي ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». [البخاري ١٩٠٣]. فهم يوقنون أن الصوم تهذيب لا تعذيب، وإذا لم يؤت ثمرته النافعة فليس العيب فيه وإنما العيب والنقص من سوء تصرف الصائم وعدم صحة قلبه وطهارة ضميره وحسن تفكيره.

والصالحون المتقون يعلمون أن الصوم يجب أن يكون عن إيمان واحتساب وضبط وتعظيم لشعائر الله سبحانه وتعالى، لا عن تقليد ومسايرة، كصوم من يصوم متوجعًا متحسرًا، ويقتل أوقاته بالنوم والبطالة، فمثل ذلك يقتل نفسه قتلًا معنويًا، ويتمنى سرعة انقضاء الشهر وكأنه ليس محسوبًا من عمره أو ليس فيه زيادة لأجره، والعياذ بالله.

إن المؤمنين الصالحين يقتدون في صيامهم بالنبي ﷺ وبأصحابه الكرام، فقد كانوا راضين بالله وبشرائع الله، مطمئنة نفوسهم منشرحة صدورهم مسرورين، شاكرين لله سبحانه الذي فسح لهم في العمر حتى بلغهم شهر الصيام، ولم يجعلهم من أصحاب القبور، فبذلك الاقتداء لا يكون في أنفسهم اضطراب ولا انزعاج ولا ضيق ولا حرج، بل يكونون أطيب أنفسًا وأهدأ بالاً وأقوى روحًا، وأحسن خلقًا في تعاملهم، وإذا ابتلى الواحد منهم بخصم من الحمقى لم يجاره في حمقه وسفاهته، بل يقول له مرتين: إني صائم كما أرشده لذلك الصادق المصدوق ﷺ.

وهم يعلمون أن الغاية العظمى من الصوم هي التقوى بجميع معانيها، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وهم كذلك يعلمون منزلة التقوى عند الله تعالى، وقوة تأثيرها وحسن نتائجها في جميع أعمالهم، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم وأفئدتهم، فتندفع إليها بقوة.

كما أنهم يعرفون أن الصوم أكبر حافز لتحصيلها، وخير أداة من أدواتها وأحسن طريق موصل إليها، ومن ثم يرفعها سياق القرآن في ختام الآية أمام أعينهم وقلوبهم هدفًا وضاءً يسعون إليه عن طريق الصيام، فيكسبهم التوبة عما اقترفوه من الذنوب قبله، فيمنحهم الجد والنشاط في القيام بوظائفهم تجاه دينهم ودنياهم وأخراهم، ولذا وصف الرسول الكريم ﷺ الصيام بأعظم وصف، إذ يقول: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ». أي: ستر ووقاية يقي صاحبه المعاصي وجميع المزالق التي يتردى فيها، والصيام جنة ما لم يخرقها بشيء من أعمال الإثم وسوء النية

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



أو سوء الاستقبال له وعدم الانشراح به، أو يخرقها بسوء الفهم وعدم المراقبة لله تعالى.

والمؤمنون يلزمون في هذا الشهر تلاوة القرآن، كتاب الله تعالى، فإن حال سيدهم وأسوتهم ﷺ انه كان ينزل عليه جبريل كل سنة في رمضان فيدارسه القرآن فيعرض عليه القرآن عرضة واحدة، وفي عامه الأخير عرضه عليه مرتين، فذا هم يقتدون به ﷺ فيكثرون من تلاوة القرآن الكريم، ولقد كان بعض السلف من الصحابة وغيرهم يختم القرآن عدة مرات في شهر رمضان، ومع تلاوة القرآن ومصاحبة الصالحين يكون الجود والكرم في العطاء من رزق الله الذي آتاهم فيحسنون إلى الفقراء والمحتاجين واليتامى والمساكين متمثلين في ذلك برسول الله ﷺ كما روى عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة. [البخاري: ١٩٠٢].

فيكثر المؤمنون الصالحون من الصدقات لذلك، كما أنهم يحرصون على تفطير الصائمين؛ لينالوا بذلك مثل أجور من فطروهم كما جاء في الحديث: «من فطّر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا». [أحمد، والترمذي، وابن ماجه، عن زيد بن خالد، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٤١٥].

الصالحون والبر في رمضان

يحرص المؤمنون المتقون على الازدياد من البر وأعمال الخير في رمضان، كبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الأقربين ويخصون الأهل والأولاد بمزيد عناية من تربيتهم وتنشئتهم على البذل والعطاء والجود والكرم، كما يزدادون في الإحسان إلى الجيران والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأحباب والخلان على التوادّ والتعاطف والتحابّ في الله عز وجل.

المؤمنون واعتكاف العشر الأواخر

والمؤمنون يحافظون على السنن الواردة عن المصطفى ﷺ، ولا سيما ما يخص رمضان من اعتكاف العشر الأواخر في المسجد؛ تركًا لأمور الدنيا، وإقبالاً على الرب تبارك وتعالى، مستلهمين رضاه سبحانه حتى يختموا شهرهم بأعظم القربات إلى الله العلي الكبير، فإن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان. [مسلم ١١٧٢].

ومع صدقة الفطر

فإذا انتهى المؤمنون من صيام شهرهم فإنهم يشكرون الله تعالى على إتمام نعمته عليهم فيكبرون الله تعالى ليلة عيد الفطر، ويخرجون صدقة الفطر صاعًا من تمر أو زبيب أو شعير أو طعام، كما ورد عن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ويعلمون أنها طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين ليغنوهم عن السؤال في هذا اليوم، كما أمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليهم.

اللهم تقبل منا أعمالنا، واجعلها خالصة لوجهك، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم، وصلّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

من البيوع المنهي عنها

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمده تعالى وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأصلي وأسلم على خير خلقه وخاتم أنبيائه، وإمام رسله نبينا محمد، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

هناك بيوع نهى الشارع عنها، من هذه البيوع:

١- بيع الإنسان ما ليس عنده:

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يأتيني الرجل يسألني من البيع ما ليس عندي، أبتاع له من السوق ثم أبيعه؟ قال ﷺ: «لا تبع ما ليس عندك».

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة، وحسنه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٢٠٦).

أخرجه الإمام أحمد بالأرقام (٣/٤٠٢: ١٥٣١١، ١٥٣١٢، ١٥٣١٣، ١٥٣١٥)، وأبو داود برقم (٣٥٠٣)، والترمذي برقم (١٢٣٢)، والنسائي برقم (٤٦١٧)، وابن ماجه برقم (٢١٨٧).

إعداد/ زكريا حسيني

أولا: شرح الحديث

قوله: «يسألني من البيع ما ليس عندي»: قال السندي في تعليقه على سنن النسائي: أي يسألني من المبيع، فالبيع بمعنى المبيع، كالصيد بمعنى المصيد.

وقوله: «أبتاع له من السوق؟» بتقدير همزة الاستفهام؛ أي أأبتاع له من السوق؟ بمعنى أأشتري له من السوق. قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: ومقصود السائل: أنه هل يبيع ما ليس عنده ثم يشتريه من السوق، ثم يسلمه للمشتري الذي اشترى له.

وقوله: «قال: لا تبع ما ليس عندك». أي شيئًا ليس في ملكك حال العقد.

قال البغوي في شرح السنة: قال الإمام: هذا في بيوع الأعيان دون بيوع الصفات. والمقصود ببيوع الصفات بيع السَّلَم، وهو مستثنى من بيع ما لا يملك الإنسان.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ثانيًا: حديث آخر في نفس المعنى

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل سلفٌ وبيع، ولا شرطان في بيع، ولا ربحُ ما لم يَضْمَن، ولا بيع ما ليس عندك». أخرجه الإمام أحمد بأرقام (٢/١٧٥، ١٧٩، ٢٠٥: ٦٦٢٨، ٦٦٧١، ٦٩١٨)، والترمذي، وصححه وأخرجه ابن ماجه مختصرًا.

ومعنى: «لا يحل سلف وبيع» السلف يطلق على السَّلَم وعلى القرض، والمراد به هنا شرط القارض، كأن يقول: بعتك هذا الثوب بعشرة على أن تقرضني عشرين، أو نحوها، وقيل: صورته: أن يقرضه قرضًا ويبيع منه شيئًا بأكثر من قيمته فإنه حرام لأن قرضه رَوَّجَ سِلْعَتَهُ، وقيل غير ذلك.

ومعنى قوله: «ولا شرطان في بيع» فسره الإمام أحمد بأن يقول: أبيعك هذا الثوب وعليَّ حياكته وقصارته، فإن قال: عليَّ حياكته جاز، وإن قال وعليَّ قصارته جاز. وفسره غيره بالبيعتين في بيعة. وقد فسر البيعتين في بيعة الإمام الشافعي: بأن يقول: أبيعك داري هذه بكذا على أن تبيعني غلامك بكذا. وفسره الترمذي بأن يقول: أبيعك هذا الثوب بنقد بعشرة ,وبنسيئة بعشرين، ولا يفارقه على أحد البيعين، فإذا فارقه على أحدهما فلا بأس، ومعنى قوله: «ولا ربح ما لم يضمن». يريد به الربح الحاصل من بيع ما اشتراه قبل أن يقبضه. وأما قوله: «ولا تبع ما ليس عندك» فقد سبق شرحه.

٢- بيع ما لم يقبضه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أما الذي نهى عنه رسول الله ﷺ فهو الطعام أن يباع حتى يقبض، قال ابن عباس: ولا أحسب كل شيء إلا مثله.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من ابتاع طعامًا فلا يبعه حتى يقبضه ويستوفيه».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يقول: «إذا ابتعت طعامًا فلا تبعه حتى تستوفيه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اشترى طعامًا فلا يبعه حتى يكتاله». وفي رواية: «حتى يُستَوْفَى».

أما حديث ابن عباس فأخرجه البخاري في موضعين من صحيحه ؛ الأول برقم (٢١٣٢)، والثاني برقم (٢١٣٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٥٢٥)، وأبو داود برقمي (٣٤٩٦، ٣٤٩٧)، والترمذي برقم (١٢٩١)، والنسائي بأرقام (٤٦٠١- ٤٦٠٢- ٤٦٠٣ - ٤٦٠٤)، وابن ماجه برقم (٢٢٢٧)، والإمام أحمد في المسند بأرقام ١/٣٥٦، ٣٦٨، ٣٦٩، وأما حديث ابن عمر فأخرجه البخاري بأرقام (٢١٢٤- ٢١٢٦ - ٢١٣٣ - ٢١٣٦)، ومسلم برقم (١٥٢٦)، وأبو داود بالأرقام (٣٤٩٢، ٣٤٩٣، ٣٤٩٤، ٣٤٩٥، ٣٤٩٨)، والنسائي بأرقام (٤٥٩٩ - ٤٦٠٠ - ٤٦٠١)، وابن ماجه برقم (٢٢٢٦)، والإمام أحمد بأرقام (٢/٤٦ - ٥٩ - ٧٣ - ١٠٨ - ١١١)، وأما حديث جابر بن عبد الله فأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٥٢٩).

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٥٢٨)، والإمام أحمد برقم (٢/٣٣٧).

شرح الأحاديث

ترجم الإمام البخاري لحديثي ابن عباس وابن عمر: «باب بيع الطعام قبل أن يقبض وبيع ما ليس عنده». وقال الحافظ في الفتح: لم يُذْكَرْ في حديثي الباب بيع ما ليس عندك وكأنه لم يثبت على شرطه فاستنبطه من النهي عن البيع قبل القبض، ووجه الاستدلال منه بطريق الأولى، وحديث النهي عن بيع ما ليس عندك أخرجه أصحاب السنن من حديث حكيم بن حزام بلفظ: قلت: يا رسول الله، يأتيني الرجل فيسألني البيع ليس عندي، أبيعه منه ثم أبتاعه له من السوق ؟ فقال: «لا تبع ما ليس عندك». قال ابن المنذر: وبيع ما ليس عندك يحتمل معنيين ؛ أحدهما أن يقول: أبيعك عبدًا أو دارًا معينة وهي غائبة، فيشبه بيع الغرر ؛ لاحتمال أن تتلف أو لا يرضاها، ثانيهما أن يقول: هذه الدار بكذا على أن أشتريها لك من صاحبها، أو على أن يسلمها لك صاحبها. اهـ.

قال الحافظ: وقصة حكيم موافقة للاحتمال الثاني.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وأما الإمام مسلم فترجمةُ صحيحِهِ لهذه الأحاديث الأربعة: «باب بطلان بيع المبيع قبل القبض».

أخذ ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الحديثين فقال: قوله عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أما الذي نهى عنه».. إلخ، أي: وأما الذي لم أحفظ نهيه فما سوى ذلك.

وقوله: «فهو الطعام أن يباع حتى يُقْبَضَ». وفي رواية مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس: «من ابتاع طعامًا فلا يبعه حتى يقبضه».

قوله: «قال ابن عباس لا أحسب كل شيء إلا مثله». ولمسلم من طريق معمر عن ابن طاوس عن أبيه: «وأحسب كل شيء بمنزلة الطعام». وهذا من تفقه ابن عباس، ثم قال الحافظ وقول طاوس في الباب قبله: «قلت لابن عباس: كيف ذاك ؟ قال: ذاك دارهم بدارهم والطعام مُرْجأ. معناه أنه استفهم عن سبب هذا النهي، فأجابه ابن عباس بأنه إذا باعه المشتري قبل القبض وتأخر المبيع في يد البائع فكأنه باعه دراهم بدراهم. ويبين ذلك ما وقع في رواية سفيان عن ابن طاوس عند مسلم: قال طاووس: قلت لابن عباس: لم ؟ قال: ألا تراهم يتبايعون بالذهب والطعام مُرْجأ» أي: فإذا اشترى طعامًا بمائة دينار مثلاً ودفعها للبائع ولم يقبض منه الطعام، ثم باع الطعام لآخر بمائة وعشرين دينارًا وقبضها، والطعام في يد البائع فكأنه باع مائة دينار بمائة وعشرين دينارًا. وعلى هذا التفسير لا يختص النهي بالطعام، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا أحسب كل شيء إلا مثله». ويؤيده حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: «نهى رسول الله ﷺ أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم». أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان. ثم نقل عن القرطبي قوله: وقد أخذ بظاهر هذه الأحاديث مالك فحمل الطعام على عمومه، والحق بالشراء جميع المعاوضات، والحق الشافعي وسحنون وابن حبيب بالطعام كل ما فيه حق توفية، وزاد أبو حنيفة والشافعي فعدياه إلى كل مُشْتَرًى، إلا أن أبا حنيفة استثنى العقار وما لا ينقل، واحتج الشافعي بحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن ربح ما لم يضمن». أخرجه الترمذي. قال الحافظ: قلت: وفي معناه حديث حكيم بن حزام المذكور في صدر الترجمة.

قال: وفي صفة القبض عند الشافعي تفصيل: فما يتناول باليد كالدراهم والدنانير والثوب فقبضه بالتناول، وما لا ينقل كالعقار والثمر على الشجر فقبضه بالتخلية، وما ينقل عادة كالأخشاب والحبوب والحيوان فقبضه بالنقل إلى مكان لا اختصاص للبائع به.

تفصيل المذاهب في ما لم يقبض

جاء في «الموسوعة الفقهية» ما ملخصه:

١- مذهب الشافعية، وهو قول أبي يوسف الأول، وقول محمد، وهو أيضًا رواية عن الإمام أحمد أنه لا يصح بيع المبيع قبل قبضه، سواء أكان منقولاً أم عقارًا، وإن أذن البائع وقبض الثمن، وذلك لحديث حكيم بن حزام وحديث عبد الله بن عمرو وحديث زيد بن ثابت المتقدم ذكرها. وعلل الشافعية النهي عن البيع قبل القبض بضعف الملك قبل القبض ولانفساخ العقد بتلفه.

وعلل الحنابلة بأنه لم يتم الملك عليه فلم يجز بيعه كما لو كان غير متعين.

٢- مذهب الحنفية أنه لا يصح بيع المنقول قبل قبضه، ولا يفرق الحنفية في ذلك بين الطعام وغيره من المنقولات، وذلك لقول ابن عباس - كما تقدم - ولا أحسب كل شيء إلا مثله، أي مثل الطعام، ويعضد قول ابن عباس رضي الله عنهما ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ابتعت زيتًا في السوق فلما استوجبته لقيني رجل فاعطاني فيه ربحًا حسنًا، فأردت أن أضرب على يده (أي أقبل إيجابه واتفق على العقد)، فأخذ رجل من خلفي بذراعي، فالتفتُّ فإذا زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال: لا تبعه حيث ابتعته حتى تحوزه إلى رحلك، فإن رسول الله ﷺ نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

إلى رحالهم».

وأجاز الشيخان- أبو حنيفة وأبو يوسف - بيع العقار قبل قبضه استحسانًا.

٣- مذهب المالكية أن المُحَرَّمَ المُفْسِدَ للبيع هو بيع الطعام دون غيره من جميع الأشياء قبل قبضه سواءً أكان الطعام ربويًا كالقمح أم غير ربوي كالتفاح عندهم، وذلك أخذًا بظاهر حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، ولغلبة تغير الطعام دون سواه، ولكن مالكًا اشترط شرطين لفساد هذا النوع من البيع:

أ- أن يكون الطعام ماخوذًا بطريق المعاوضة أي في مقابلة شيء بخلاف ما كان هبة أو ميراثًا.

ب- أن تكون المعاوضة بالكيل أو الوزن أو العدد.

٤- مذهب الحنابلة فيه روايات متعددة في الممنوع بيعه قبل قبضه. سبق بعضها وهي ما وافق مذهب الشافعية، وفي رواية أخرى قصر المنع على الطعام كمذهب المالكية لكن على تعميم المنع لبيع الطعام بلا شرطٍ خلافًا لمالك الذي اشترط شرطين لمنع بيع الطعام. وفي رواية ثالثة أن ما كان متعينًا - كالصبرة تباع من غير كيل - يجوز بيعها قبل قبضها، وما ليس بمتعين - كقفيز من صُبْرَةٍ، أو رطل من زُبْرَةِ حديدٍ - فإنه لا يجوز بيعها حتى تكال أو توزن. ففي هذه الرواية توسع بالزيادة على الطعام. اهـ. باختصار.

قال ابن عبد البر: على هذا سائر الفقهاء بالعراق والحجاز، وهو قول مالك، لو كانت السلعة طعامًا لم يختلف قوله في ذلك ؛ لأنه باع طعامًا ليس عنده قبل أن يستوفيه، وكأنه حمل نهيه ﷺ عن ربح ما لم يُضْمَنْ، وبيع ما ليس عندك على الطعام بتعين، وشك في غير الطعام. والله أعلم.

وحمله عشرةٌ من العلماء على العموم في بيع ما ليس عند البائع، وهو الأحوط، وبالله التوفيق.

أقول: وعلى ذلك فإن بعض من يملكون مالاً يذهب بعض الناس ويقول لأحدهم بعْ لي سلعة كذا - ثلاجة أو سيارة أو غير ذلك - مما ليس عنده فيبيعه، ويعقد معه الصفقة ويتممها بالتقسيط، ثم يذهب معه لشرائها من التاجر، ويسلمها له، فيكون بذلك باع نقودًا بنقود - كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما مع الزيادة، وهذا هو الربا بعينه، أو أنه بعد ما يتم الصفقة معه يدفع له ثمن السلعة ويقول له: اذهب واشترها من التاجر الفلاني. فيكون قد أعطى من أراد السلعة نقودًا واستردها نقودًا بالزيادة، وهذا هو الربا. وقد مضى قول الفقهاء أن هذا نوع تحايل على أكل الربا.

وللخروج من هذه المخالفات ؛ يمكن لمن يبيع هذا النوع من البيع: أولاً ألا يعقد الصفقة مع المشتري قبل أن يشتري السلعة (ليخرج من بيع ما ليس عنده ومن ربح ما لم يضمن).

وثانيًا: يشتري السلعة من التاجر أو المصنع أو غيرها ويحوزها في ملكه، ثم يبيعها بعد ذلك بشروط البيع التي منها حرية المشتري في أن يقبل شراءها أو يعدل عن الشراء، فيخرج بذلك من النهي عن بيع ما لم يقبض.

فإذا توفر هذان الأمران: عدم إتمام البيع قبل شراء السلعة، ثم نقل السلعة إلى حوزته فإن البيع حينئذ يكون صحيحًا لا مخالفة فيه إن شاء الله.

والتزام أوامر الشرع ونواهيه فيه مصلحة العباد والبلاد.

ولقد رأينا حرص الصحابة على النصح وعلى التناصح فيما بينهم، وعلى تعليم الأمة أمر دينها والتزامهم شرع الله التماسًا لبركة الله تعالى، وحرصًا على طيب الكسب وعدم أخذه إلا من حله، والابتعاد عن كل ما نهى عنه الشرع، وهذا من نصر دين الله، فإن الأمة إذا نصرت الله نصرها، وإن أعرضت عن شرع الله فليس لها إلا المعيشة الضنك في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

نسأل الله أن يرد المسلمين إلى دينهم ردًا جميلاً، وأن يهيء لهم من أمرهم رشدًا، وأن يخرج الأمة من ظلمات المعاصي والجهل إلى نور الطاعة والعلم والعمل بالشرع، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

من البيوع المنهي عنها

إعداد / زكريا حسيني

الحلقة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

نواصل ما بدأناه في العدد الماضي حول صور البيوع المنهي عنها، فقد تحدثنا في العدد السابق: عن بيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع ما لم يقبضه، وفي هذا العدد نتحدث - بمشيئة الله تعالى - عن:

٢- بيع الغرر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحَصَاةِ وعن بيع الغَرَرِ.

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب «بطلان بيع الحصاة والبيع الذي فيه غرر» برقم (١٥١٣)، وأبو داود في باب «في بيع الغرر» برقم (٣٣٧٦)، والترمذي في باب «ما جاء في كراهية بيع الغرر» برقم (١٢٣٠)، والنسائي في باب «بيع الحصاة» برقم (٤٥٢٢)، وابن ماجه في باب «النهي عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر» برقم (٢١٩٤)، وأخرجه برقم (٢١٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/٤٣٦، ٤٩٦).

شرح الحديث

أما الغرر فمعناه - كما قال في النهاية -: هو ما كان له ظاهر يَغُرُّ المشتري وباطن مجهول، ونقل عن الأزهري قوله: بيع الغرر: ما كان على غير عهدة ولا ثقة، وتدخل فيه البيوع التي لا يحيط بكنهها المتبايعان من كل مجهول.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: وأما النهي عن بيع الغرر فإنه أصل عظيم من أصول كتاب البيوع، ولهذا قدمه مسلم، ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة كبيع الآبق - أي العبد الهارب من سيده - والمعدوم والمجهول، وما لا يقدر على تسليمه، وما لم يتم ملك البائع عليه، وبيع السمك في الماء الكثير، واللبن في الضرع، وبيع الحمل في البطن، وبيع بعض الصبرة مبهمًا (والصُّبْرَةُ معناها: الكُومَةُ من الطعام)، وبيع ثوب من أثواب، وشاة من شياه (أي دون تعيين)، ونظائر ذلك، فكل هذا بيعه باطل؛ لأنه غَرَرٌ من غير حاجة، قال: وقد يحتمل (أي يُعفى عن) بعض الغرر تبعًا إذا دعت إليه حاجة كالجهل بأساس الدار، وكما إذا باع الشاة الحامل، والتي في ضرعها اللبن، فإنه يصح البيع؛ لأن الأساس تابع للظاهر من الدار، ولأن الحاجة تدعو إليه فإنه لا يمكن رؤيته، وكذا القول في حمل الشاة ولبنها، وكذلك أجمع المسلمون على جواز أشياء فيها غرر حقير؛ منها أنهم أجمعوا على صحة بيع الجُبَّة المحشوة وإن لم يُرَ حَشْوُها، ولو بيع حشوها بانفراده لم يجز (وكذا كل لباس له حشو باطني غير ظاهر يجوز بيعه دون رؤية الحشو)، قال: وأجمعوا على جواز إجارة الدار والدابة والثوب ونحو ذلك شهرًا، مع أن الشهر قد يكون ثلاثين يومًا، وقد يكون تسعة وعشرين يومًا، وأجمعوا على جواز دخول الحمام (للاستحمام) بالأجرة مع اختلاف الناس في استعمالهم الماء، وفي قدر مكثهم، وأجمعوا على بطلان بيع الأجنة في البطون والطير في الهواء.

ثم قال: قال العلماء: مدار البطلان بسبب وجود الغرر، والصحة مع وجوده على ما ذكرناه، وهو أنه: إن دعت الحاجة إليه إلى ارتكاب الغرر، ولا يمكن الاحتراز عنه إلا بمشقة، وكان الغرر حقيرًا جاز البيع، وإلا فلا.

قال: وما وقع في بعض مسائل الباب من اختلاف العلماء في صحة البيع فيها وفساده؛ كبيع العين الغائبة مبني على هذه القاعدة، فبعضهم يرى

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أن الغرر حقير فيجعله كالمعدوم فيصح البيع ، وبعضهم يراه ليس بحقير فيبطل البيع ، والله أعلم.

قال الإمام الترمذي عقب هذا الحديث : وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس وأبي سعيد وأنس . قال المباركفوري في التحفة : أما حديث ابن عمر فأخرجه البيهقي وابن حبان ، قال الحافظ : إسناده حسن ، وأما حديث ابن عباس فأخرجه ابن ماجه وأحمد ، وأما حديث أبي سعيد فأخرجه ابن ماجه، وأما حديث أنس فأخرجه أبو يعلى ، وفي الباب أيضًا عن سهل بن سعد عند الدارقطني والطبراني ، وعن علي عند أحمد وأبي داود، وفي الباب أحاديث أخر ذكرها الحافظ في التلخيص الحبير، والعيني في شرح البخاري.

وقال الترمذي أيضًا : والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم ؛ كرهوا بيع الغرر . اهـ .

واعلم أن الكراهة هنا للتحريم وليست للتنزيه . كما مر بك في شرح النووي الذي سقناه في قوله : وكل هذا بيع باطل . والتحريم يقتضي البطلان ، وكذلك البطلان يقتضي التحريم .

وقد بوب البخاري في الصحيح : باب بيع الغرر وحَبَل الحَبَلَة.

قال الحافظ في الفتح بعد أن ضبط «حبل الحبلة»، وتكلم عليه من حيث اللغة، قال: ولم يذكر - أي البخاري - في الباب بيع الغرر صريحًا ، وكأنه أشار إلى ما أخرجه أحمد من طريق ابن إسحاق حدثني نافع ، وابن حبان من طريق سليمان التيمي عن نافع عن ابن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الغرر ، وقد أخرج مسلم النهي عن بيع الغرر من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه من حديث ابن عباس ، والطبراني من حديث سهل بن سعد ، ولأحمد من حديث ابن مسعود رفعه : «لا تشتروا السمك في الماء فإنه غرر»، وشراء السمك في الماء نوع من أنواع الغرر ، ويلتحق به الطير في الهواء ، والمعدوم والمجهول والآبق، ونحو ذلك .

أنواع الغرر

قال النووي : واعلم أن بيع الملامسة وبيع المنابذة وبيع حَبَل الحَبَلَة وبيع الحصاة وبيع عَسْب الفحل وأشباهها من البيوع التي جاء فيها نصوص خاصة ، هي داخلة في النهي عن بيع الغرر ، ولكن أفردت بالذكر ونهي عنها لكونها من بيوع الجاهلية المشهورة ، والله أعلم.

من أنواع الغرر

أ- بيع الحصاة:

وفيه حديث أبي هريرة وهو حديثنا هذا، ومعنى بيع الحصاة كما قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: قال: فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها: أن يقول: بعتك من هذه الأثواب ما وقعت عليه الحصاة التي أرميها، أو: بعتك من هذه الأرض من هنا إلى ما انتهت إليه هذه الحصاة. أي ويرمي الحصاة فتقع في مكان معين فيكون مكان وقوعها حدًا لما يبيعه من الأرض .

والثاني: أن يقول: بعتك على أنك بالخيار إلى أن أرمي بهذه الحصاة . أي أنت بالخيار في قبول البيع أو رده إلى أن أرمي بهذه الحصاة فيكون رميها نهاية للخيار وملزمًا بالبيع .

والثالث : أن يجعلا نفس الرمي بالحصاة بيعًا فيقول: إذا رميت هذا الثوب بالحصاة فهو مبيع منك بكذا.

ب- بيع الملامسة:

وفيه حديث أبي سعيد : ونهى رسول الله ﷺ عن الملامسة . قال : والملامسة لمسُ الثوب لا ينظر إليه ، وهو في الصحيحين جزء من حديث البخاري (٢١٤٤)، ومسلم حديث (١٥١٢). وفيه أيضًا حديث أبي هريرة في الصحيحين أيضًا برقم (٢١٤٦) البخاري ، وبرقم (١٥١١) في مسلم . والمقصود بالملامسة أن يلمس المشتري الثوب ونحوه ولا يقلبه ليعرف كنهه ، بل يجعل اللمس باليد قائمًا مقام النظر والرؤية . قال النووي : ولأصحابنا في تفسيره ثلاثة أوجه : أحدها : تأويل الشافعي رحمه الله وهو أن يأتي بثوب مطوي أو في ظلمة فيلمسه المستام فيقول صاحبه : بعتكه ؛ هو بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته .

والثاني أن يجعلا نفس اللمس بيعًا ، فيقول إذا لمسته فهو مبيع لك . والثالث : أن يبيعه شيئًا على أنه متى لمسه انقطع خيار المجلس وغيره . وهذا البيع باطل على التأويلات كلها .

ج- بيع المنابذة:

وفيه حديث أبي هريرة برقمه السابق في الصحيحين وكذا حديث أبي سعيد بالرقم نفسه في الصحيحين . ونص فيهما : نهى رسول الله ﷺ عن الملامسة والمنابذة .

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وقد مضى تفسير الملامسة ، وأما المنابذة فقال النووي : وفي المنابذة ثلاثة أوجه أيضًا : أحدها أن يجعلا نفس النبذ بيعًا وهو تأويل الشافعي ، والثاني : أن يقول بعتك فإذا نبذته إليك انقطع الخيار ولزم البيع ، والثالث : المراد نبذ الحصاة ، كما مر في تفسير بيع الحصاة .

د- بيع حبل الحبلة:

وفيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع حَبَلِ الحبَلَة، وكان بيعًا يتبايعه أهل الجاهلية ؛ كان الرجل يبتاع الجزور إلى أن تُنْتَجَ الناقة ثم تُنْتَجُ التي في بطنها .

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيح ، والحَبَل أي الحَمْلُ ، والحبلة جمع حابِل مثل ظالم وظلمة وفاجر ، وفَجَرَة ، وكاتب وكتَبَة ، واختلف العلماء في المراد بالنهي عن بيع حبل الحبلة ، فقال جماعة : *هو البيع بثمن مؤجل إلى أن تلد الناقة* ويلد ولدها . قال النووي : وقد ذكر مسلم - وكذا البخاري- في هذا الحديث هذا التفسير عن ابن عمر ، وبه قال مالك والشافعي ومن تابعهما ، وقال آخرون : هو بيع ولد الناقة الحامل في الحال ، أي بيع الجنين في بطن أمه ، وهذا تفسير أبي عبيدة معمر بن المثنى وصاحبه أبي عبيدة القاسم بن سلام وآخرين من أهل اللغة ، وبه قال أحمد وإسحاق بن راهويه ، وهو أقرب إلى اللغة (أي بيع الجنين في بطن أمه)، لكن الراوي وهو ابن عمر قد فسره بالتفسير الأول ، وهو أعرف . ومذهب الشافعي ومحققي الأصوليين أن تفسير الراوي متقدم إذا لم يخالف الظاهر . وهذا البيع باطل على التفسيرين ، أما الأول فلأنه بيع بثمن إلى أجل مجهول ، والأجل يأخذ قسطًا من الثمن ، وأما الثاني فلأنه بيع معدوم ومجهول وغير مملوك للبائع وغير مقدور على تسليمه ، والله أعلم .

هـ- بيع المجهولات والمعدومات وغير المقدور على تسليمها:

وذلك كبيع السمك في الماء ، إذا كان الماء كثيرًا غير شفاف لا يرى مقدار السمك الذي فيه ، أو أن يكون المشتري غير قادر على اصطياد هذا السمك والحصول عليه .

وكذلك بيع الطير في الهواء ، وبيع العبد الآبق أو الحيوان الشارد الذي لا يقدر على تسليمه ، وكذلك بيع جزء من كومة طعام دون تعيين أو كيل أو وزن ، ومنه بيع ثوب من ثياب دون تحديد ما يريد شراءه أو بيعه ، وبيع حيوان من قطيع دون تعيين ما يباع ، فكل هذا مما فيه جهالة وغرر لا يجوز بيعه ، والله أعلم .

٤- البيع على بيع أخيه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «لا يبيع بعضكم على بيع أخيه» . أخرجه البخاري في الصحيح بأرقام (٢١٣٩، ٢١٦٥، ٥١٤٢)، وأخرجه مسلم برقمي (١٤١٢، ١٥١٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد ، ولا تناجشوا ، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها».

وهذا الحديث أخرجه البخاري بأرقام (٢١٤٠، ٢١٤٨، ٢١٥٠، ٢١٥١، ٢١٦٠، ٢١٦٢، ٢٧٢٣، ٢٧٢٧، ٥١٤٤، ٢١٥٢، ٦٦٠١). كما أخرجه مسلم بأرقام (١٤١٣، ١٥١٥، ١٥٢٠).

شرح الحديث

بوب الإمام البخاري لهذين الحديثين : باب لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه حتى يأذن أو يترك .

وقال الحافظ في الفتح : أشار بالتقييد (حتى يأذن أو يترك) إلى ما ورد في بعض طرقه، وهو ما أخرجه مسلم من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع في هذا الحديث بلفظ : «لا يبع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه ، إلا أن يأذن له». وقوله : «إلا أن يأذن له»: يحتمل أن يكون استثناءً من الحكمين كما هو قاعدة الشافعي، ويحتمل أن يختص بالأخير . ويؤيد الثاني رواية المصنف في النكاح من طريق ابن جريج عن نافع بلفظ : «نهى أن يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه ، حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب»، ومن ثم نشأ خلاف بين الشافعية : هل يختص ذلك بالنكاح أو يلتحق به البيع في ذلك ؟ والصحيح عدم الفرق . وقد أخرجه النسائي من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر بلفظ : «لا يبيع الرجل على بيع أخيه حتى يبتاع أو يذر».

قال الحافظ : وترجم البخاري أيضًا بالسوم ، ولم يقع له ذكر في حديثي الباب ، وكأنه أشار بذلك إلى ما وقع في بعض طرقه أيضًا ، وهو ما أخرجه في الشروط من حديث أبي هريرة بلفظ : «وأن يستام

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الرجل على سوم أخيه». وأخرجه مسلم في حديث نافع عن ابن عمر أيضًا.

وذكر «المسلم» لأنه أقرب إلى امتثال الأمر من غيره، وفي ذكره إيذان بأنه لا يليق به أن يستأثر على مسلم مثله.

وقوله: «ألا يبيع» قال الحافظ: كذا للأكثر بإثبات الياء على أن «لا» نافية، ويحتمل أن تكون ناهية وأشبعت الكسرة فتولدت الياء كقراءة من قرأ: «إنه من يتقي ويصبر» ويؤيده رواية الكشميهني بلفظ: «لا يبع» بصيغة النهي.

وقوله: «بعضكم على بيع أخيه». كذا أخرجه عن إسماعيل عن مالك. وظاهر التقييد بالأخ أن يختص ذلك بالمسلم، وبه قال الأوزاعي وأبو عبيد بن حربويه من الشافعية، وأصرح من ذلك رواية مسلم من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ: «لا يسوم المسلم على سوم المسلم». وقال الجمهور: لا فرق في ذلك بين المسلم والذمي. وذكر الأخ خرج للغالب، فلا مفهوم له.

قال الحافظ: قال العلماء: البيع على البيع حرام، وكذلك الشراء على الشراء، وهو أن يقول لمن اشترى سلعة (في زمن الخيار)، أن يقول له: افسخ البيع لأبيعك بأنقص من ذلك. أو يقول لمن باع سلعة: افسخ لأشتري منك بأزيد. وهذا مجمع على تحريمه. أقول: وكثيرًا ما يحدث مثل ذلك في زماننا بل يحدث ذلك بعد إتمام البيع فيؤدي ذلك إلى إفساد العلاقات بين المسلمين، فتجد التاجر أو غيره يرى في يد الرجل سلعة قد اشتراها فيساله: بكم اشتريت هذه السلعة؟ فإذا أخبره بثمنها قال له: عندي أرخص من ذلك، لو رددتها إلى البائع لبعتك إياها بأنقص من ذلك، وذلك بعدما تم البيع وانصرف المشتري من محل البائع وقد تمت الصفقة، وكثيرًا ما يثير هذا من المشاجرات والخلافات ما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

قال: وأما السوم فصورته أن يأخذ شيئًا ليشتريه فيقول له: رده لأبيعك خيرًا منه بثمنه أو مثله بأرخص، أو يقول للمالك: استرده لأشتريه منك بأكثر، ومحله بعد استقرار الثمن وركون أحدهما للآخر فإن كان ذلك صريحًا فلا خلاف في التحريم، وإن كان ظاهرًا - أي مظنونًا - ففيه وجهان للشافعية. ونقل ابن حزم الركون عن مالك، وقال: إن لفظ الحديث لا يدل عليه، وتُعقب بأنه لا بد من أمر مبين لموضع التحريم في السوم، لأن السوم في السلعة التي تباع فيمن يزيد (أي في المزاد) لا يحرم اتفاقًا كما نقله ابن عبد البر. فتعين أن السوم المحرم هو ما وقع فيه قدر زائد على ذلك.

هذا وقد استثنى بعض الشافعية من تحريم السوم والبيع على الآخر ما إذا لم يكن المشتري مغبونًا غبنًا فاحشًا، وبه قال ابن حزم، واحتج بحديث: «الدين النصيحة»، لكن لم تنحصر النصيحة في البيع والسوم، فله أن يعرفه أن قيمتها كذا، وأنك إن بعتها مغبون من غير أن يزيد فيها، فيجمع بذلك بين المصلحتين. وذهب الجمهور إلى صحة البيع المذكور مع تأثيم فاعله، وعند المالكية والحنابلة في فساده روايتان، وبه جزم أهل الظاهر، والله أعلم.

وبعد: فإن كثيرًا من الناس - إلا من رحم الله - لا يبالون في تجارتهم وبيعهم وشرائهم بحلال أو حرام، فلا يسأل عما نهى عنه النبي ﷺ ولا عما أباحه، غير عابئ بما أحل الله وما حرم، والواجب على من يعمل في تجارة أن يعرف حكم الله سبحانه وتعالى وحكم رسوله ﷺ قبل أن يتعامل في تجارته، ولقد روي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمنع من لا يعرف أحكام المعاملات من دخول سوق المدينة.

ولقد حذر النبي ﷺ أمته ألا يبالي المرء من حيث كسب المال، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام». وأخرجه الإمام أحمد في المسند وكذا النسائي.

قال الحافظ: قال ابن التين: أخبر النبي ﷺ بهذا تحذيرًا من فتنة المال، وهو من دلائل نبوته ﷺ لإخباره بالأمور التي لم تكن في زمنه.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وجميع المسلمين الحلال الطيب ويبارك لنا فيه، وأن يجنبنا الحرام ويباعد بيننا وبينه كما باعد بين المشرق والمغرب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

من البيوع المنهي عنها

الحلقة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، نبينا محمد الهادي البشير، وعلى اله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فنواصل الحديث عن البيوع التي نهى عنها الشارع، وقد تكلمنا عن بيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع ما لم يقبضه، وعن بيع الغرر وأنواعه، وعن البيع على بيع أخيه، وحديثنا في هذا الشهر بحول الله وقوته عن:

٥- بيع الميتة والخمر والخنزير والأصنام:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام». فقيل: يا رسول الله، رأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا، هو حرام». ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرّم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب البيوع (باب بيع الميتة والأصنام) برقم (٢٢٣٦)، وأخرج الجزء الأول الخاص بالخمر في كتاب المغازي (باب: ٥١)، وأخرج الجزء الأخير الخاص باليهود في كتاب التفسير باب: قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾.

كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب (تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام)، برقم (١٥٨١)، كذا أخرجه أبو داود في البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة برقم (٣٤٨٦)، وأخرجه الترمذي في البيوع باب (ما جاء في بيع جلود الميتة والأصنام) برقم (١٢٩٧)، وأخرجه النسائي في البيوع باب (بيع الخنزير) برقم (٤٦٧٣)، وأخرجه ابن ماجه في التجارات باب (ما لا يحل بيعه) برقم (٢١٦٧)، وأخرجه الإمام أحمد في مسند جابر بن عبد الله برقم (٣/٣٢٤- ح١٤٤٧٢)، ورقم (٣/٣٢٦- ح١٤٤٩٥).

شرح الحديث

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قوله: (باب بيع الميتة والأصنام) أي: تحريم ذلك، والمَيْتَةُ- بفتح الميم-: ما زالت عنه الحياة بغير ذكاة شرعية، والمِيْتة بكسر الميم اسم الهيئة، وليست مرادًا هنا. ونقل ابن المنذر الإجماع على تحريم بيع الميتة، ويستثنى من ذلك السمك والجراد، والأصنام جمع صنم (جاء في المعجم الوسيط الصنم تمثال حجر أو خشب أو معدن، كانوا يزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله)، وقال في لسان العرب: الصنم معروف واحد الأصنام، يُقال: إنه مُعَرَّبُ شَمَنْ، وهو الوثن، وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن، وقيل: الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت

إعداد/ زكريا حسيني

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ويعبد، والصنم الصورة بلا جثة، قال ابن حجر: فبينها عموم وخصوص وجهي، فإن كان مصورًا فهو وثن وصنم.

جاء في سياق سند الحديث عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (عام الفتح وهو بمكة) فيه بيان تاريخ ذلك وكان ذلك في رمضان سنة ثمان من الهجرة، قال الحافظ: ويحتمل أن يكون التحريم وقع قبل ذلك، ثم أعاده ﷺ ليسمعه من لم يكن سمعه.

قوله: «إن الله ورسوله حرَّم». قال الحافظ: هكذا وقع في الصحيحين بإسناد الفعل (حَرَّم) إلى ضمير الواحد، وكان الأصل أن يقول: «حَرَّمَا». فقال القرطبي: إنه ﷺ تادب، فلم يجمع بينه وبين اسم الله تعالى في ضمير الاثنين، لأنه من نوع ما رد به على الخطيب الذي قال: «ومن يعصهما» كذا قال، ولم تتفق الرواة في هذا الحديث على ذلك، فإن في بعض طرقه في الصحيح: «إن الله حرَّم»، وليس فيه: «ورسوله»، وفي رواية لابن مردويه من وجه آخر عن الليث: «إن الله ورسوله حرما»، وقد صح حديث أنس رضي الله عنه في النهي عن أكل الحمر الأهلية: «إن الله ورسوله ينهيانكم». ووقع في رواية النسائي في هذا الحديث: «ينهاكم». والتحقيق جواز الإفراد في مثل هذا، ووجهه الإشارة إلى أن أمر النبي ﷺ تابع لأمر الله عز وجل، وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾، والمختار في هذا أن الجملة الأولى حذفت لدلالة الثانية عليها، والتقدير عند سيبويه: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه، وقيل أحق أن يرضوه خبر عن الاسمين، لأن أمر الرسول تابع لأمر الله تعالى.

قوله: «أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس» أي: فهل يحل بيعها لما ذكر من المنافع فإنها مقتضية لصحة البيع؟

قوله: «فقال: لا، هو حرام». قال الحافظ: أي البيع، هكذا فسره العلماء كالشافعي ومن اتبعه، ومنهم من حمل قوله: «هو حرام» على الانتفاع بها، فقال: يحرم الانتفاع بها، وهو قول أكثر العلماء، فلا ينتفع من الميتة أصلاً عندهم إلا ما خص بالدليل وهو الجلد المدبوغ، واختلفوا فيما يتنجس من الأشياء الطاهرة، فالجمهور على الجواز. وقال أحمد وابن الماجشون: لا ينتفع بشيء من ذلك، واستدل الخطابي على جواز الانتفاع بإجماعهم على أن من ماتت له دابة ساغ له أن يطعمها لكلاب الصيد، فكذلك يسوغ دهن السفينة بشحم الميتة ولا فرق.

قوله: «ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: قاتل الله اليهود» إلخ، وسياقه مشعر بقوة ما أوله الأكثر أن المراد بقوله: «هو حرام» البيع لا الانتفاع.

وروى أحمد والطبراني من حديث ابن عمر مرفوعًا: «الويل لبني إسرائيل، إنه لما حرمت عليهم الشحوم باعوها فاكلوا ثمنها، وكذلك ثمن الخمر عليكم حرام»، ولهما أيضًا من حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعًا: «إن الخمر حرام شراؤها وثمنها».

ثم قال الحافظ: قال جمهور العلماء: العلة في منع بيع الميتة والخمر والخنزير النجاسة، فيتعدى ذلك إلى كل نجس، والعلة في منع بيع الأصنام عدم المنفعة المباحة، فعلى هذا إن كانت بحيث إذا كسرت ينتفع برُضاضها (أي فُتاتها ودُقاقها)، جاز بيعها عند بعض العلماء من الشافعية وغيرهم، والأكثر على المنع حملاً للنهي على ظاهره، والظاهر أن النهي عن بيعها للمبالغة في التنفير عنها، ويلتحق بها في الحكم الصلبان التي تعظمها النصارى، ويحرم نحت جميع ذلك وصنعته، وأجمعوا على تحريم بيع الميتة والخمر والخنزير.

وبعد، فإذا كان الله ورسوله قد حرما بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام كما جاء في هذا الحديث وغيره من الأحاديث، وبيَّن الله تحريم شرب الخمر وجعلها رجسًا من عمل الشيطان، فكيف يسوغ لبعض المجتمعات الإسلامية أن تتعاطى ما حرم الله تعالى بحجة السياحة أو غيرها ؟ فإن الله تعالى حرم الخبائث، وحرم ما فيه ضرر للأبدان والأنفس، وكذا بيع الأصنام ونشرها في البلاد ونصبها في

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الميادين، بحجة أنها رمز للتراث القديم وترويج للسياحة، والإسلام حذر من الأصنام ومن اتخاذها آلهة، والناس اليوم يجادلون في أمرها، مع أن بعضها منصوب في ما يسمى بالمعابد، ويقف الناس أمامها موقف خشوع وتعظيم، وهذا ما نهى عنه الإسلام.

فلا ينبغي لمسلم أن ينهى اللهُ ورسولُه عن شيء ويرتكبه، فإن في ذلك إعراضًا عن أحكام الله تعالى، واستحسانًا من البشر لما حرمه الله تعالى ومحادةً لله ورسوله، وهذا ما يجلب سخط الرب تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة، فهل تفيق الأمة من غفلتها وتعود لربها وتقلع عن إعراضها وتنكرها لخالقها وأحكام دينها وتقليدها للكفرة الفجرة من أهل الغرب أو الشرق ممن لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، بل فسدت طباعهم وانتكست فطرهم فلا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وانشغلوا بالدنيا وزخرفها، فأصبحنا نجري وراءهم مقلدين متطلعين إلى رفاهية الحياة الدنيا بمتاعها الزائل، معرضين عن عبادة الله التي من أجلها خلقنا.

فلن يفلح المسلمون إلا إذا رجعوا إلى أحكام دينهم فبنوا عليها حياتهم فيحلون ما أحل الله، ويحرمون ما حرم الله، يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، حينئذ يعز الله المسلمين وينصرهم على أعدائهم لأنهم نصروا دينه، فالله تكفل بنصر من نصره، بل شرط لنصره عباده أن ينصروه، فقال عز من قائل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، فاللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلاً، وخذ بنواصينا إلى الحق واجعلنا من أتباع دينك الداعين إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

٦- تحريم ثمن الكلب:

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي وحلوان الكاهن.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أربعة مواضع من صحيحه أولها في كتاب البيوع باب ثمن الكلب برقم (٢٢٣٧)، وثانيها في الإجارات باب كسب البغي برقم (٢٢٨٢)، وثالثها في كتاب الطلاق باب مهر البغي والنكاح الفاسد برقم (٥٣٤٦)، ورابعها في كتاب الطب باب الكهانة برقم (٥٧٦١)، كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي والنهي عن بيع السنور برقم (١٥٦٧)، وأبو داود في البيوع باب في حلوان الكاهن برقم (٣٤٢٨)، وباب في أثمان الكلاب برقم (٣٤٨١)، والترمذي في البيوع باب ما جاء في ثمن الكلب برقم (٢٢٧٦)، والنسائي في البيوع باب بيع الكلب برقم (٤٦٧٠)، وابن ماجه في التجارات باب النهي عن ثمن الكلب برقم (٢١٥٩)، وأخرجه مالك في الموطأ في البيوع باب ما جاء في ثمن الكلب.

شرح الحديث

قوله: «نهى عن ثمن الكلب»، ظاهر النهي تحريم بيعه، وهو عام في كل كلب، معلمًا كان أو غيره مما يجوز اقتناؤه أو لا يجوز، ومن لازم ذلك ألا قيمة على متلفه، وبذلك قال الجمهور، وقال مالك: لا يجوز بيعه وتجب القيمة على متلفه، وعنه قول آخر يوافق فيه الجمهور، وعنه قول ثالث يوافق فيه أبا حنيفة أنه يجوز بيعه وتجب القيمة على متلفه، وقال عطاء والنخعي: يجوز بيع كلب الصيد دون غيره، وروى أبو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب وقال: إن جاء يطلب ثمن الكلب فاملأ كفه ترابًا». وإسناده صحيح، وروى أيضًا بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «لا يحل ثمن الكلب ولا حلوان الكاهن ولا مهر البغي».

والعلة في تحريم بيعه عند الشافعي: نجاسته

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

مطلقًا، وهي قائمة في المعلَّم وغيره، وعلة المنع عند من يرى عدم نجاسته النهي عن اتخاذه والأمر بقتله، ولذلك خص منه ما أذن في اتخاذه، ويدل عليه حديث جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب إلا كلب صيد». أخرجه النسائي بإسناد رجاله ثقات إلا أنه طعن في صحته، وقد وقع في حديث ابن عمر عند ابن أبي حاتم بلفظ: «نهى عن ثمن الكلب وإن كان ضاريًا»، يعني مما يصيد، وسنده ضعيف، قال أبو حاتم: هو منكر، وفي رواية لأحمد: «نهى عن ثمن الكلب، وقال: طعمة جاهلية»، ونحوه للطبراني من حديث ميمونة بنت سعد، وقال القرطبي: مشهور مذهب مالك جواز اتخاذ الكلب وكراهية بيعه، ولا يفسخ إن وقع، وكأنه لما لم يكن عنده نجسًا وأذن في اتخاذه لمنافعه الجائزة كان حكمه حكم جميع المبيعات، لكن الشرع نهى عن بيعه تنزيهًا لأنه ليس من مكارم الأخلاق، قال: وأما تسويته في النهي بينه وبين مهر البغي وحلوان الكاهن فمحمول على الكلب الذي لم يؤذن في اتخاذه.

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار: روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن ثمن الكلب من حديث علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي مسعود الأنصاري وأبي هريرة وأبي جحيفة ورافع بن خديج وغيرهم رضي الله عنهم. قال محقق كتاب الاستذكار:

الأثر عن علي بن أبي طالب في مسند زيد، والرواية عن ابن عباس في سنن أبي داود وفي معرفة السنن والآثار للبيهقي، وأما حديث أبي مسعود فهو الذي معنا ونحن بصدد شرحه، وحديث أبي هريرة أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم، وحديث أبي جحيفة أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد والطحاوي والطبراني والبيهقي والبغوي، وحديث رافع بن خديج أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، ثم علق على قول ابن عبد البر عند قوله: «وغيرهم» فقال: روي أيضًا من حديث السائب بن يزيد ومن حديث الفاروق عمر، ومن حديث جابر.

قال الإمام مالك رحمه الله في الموطأ بعد أن ساق حديث الباب: يعني بمهر البغي ما تعطاه المرأة على الزنا، وحلوان الكاهن رشوته وما يعطى على أن يتكهن.

قال أبو عمر بن عبد البر: لا خلاف بين المسلمين في أن مهر البغي حرام، وهو على ما فسره مالك، لا خلاف في ذلك. والبَغِيُّ: الزانية، والبِغاءُ الزنا. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ يعني: زانية، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ أي على الزنا.

قال: وكذلك لا خلاف في حلوان الكاهن أنه ما يعطاه على كهانته، وذلك كله من أكل المال بالباطل، ثم قال: والحلوان في أصل اللغة: العطية.

وبعد، فإن أناسًا يقتنون الكلاب من غير حاجة لا حراسة ولا صيد ولا غير ذلك، بل للتمتع بمنظرها وتربيتها، وربما للافتخار باتخاذها، ومنهم من يصحبها معه في بيته وسيارته، مقلدين بذلك غير المسلمين، وإذا نوقش أحدهم في ذلك نقل إليك ما رآه في بلاد الغرب من العناية بالكلاب والقطط مما يفوق العناية بالإنسان، فعندهم الكلاب والقطط مفضلة على البشر، وهذا من انتكاس الفطر، وقلب الموازين، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، وربما غالى بعضهم في أثمان هذه الكلاب التي لا تصلح إلا للزينة والترف والرفاهية، وأما الكلب المُعَلَّمُ المأذون في اتخاذه فليس مقصودًا للقوم، لكن مقصودهم ما يفسد الطباع، ويعلن عن مخالفة الشرع وارتكاب ما نهى عنه سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه، يحرص على ذلك كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم، مقلدين الكافرين مظهرين ضعفهم وذلتهم وقوة الكفار وعزتهم، ولو علموا أن العزة في طاعة الله تعالى واتباع رسوله ﷺ لتغير حالهم وتبدل إلى الصالحات من الأعمال، والحسن من الأخلاق ومكارمها، ولسعدوا في الدنيا التي يحرصون على السعادة فيها، ولفازوا بجنات النعيم في الآخرة.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويلهمنا اجتنابه، وأن يصلح أحوال المسلمين، ويردهم إلى دينهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة



من البيوع المنهي عنها

الحلقة الرابعة

إعداد / زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، ونصلي ونسلم على خير خلق الله والمصطفى رحمة وهداية للناس جميعًا، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد:

فنواصل الكلام عن البيوع التي نهى عنها الشارع، والتي سبق الكلام عليها في ثلاثة أعداد سابقة، فنقول مستعينين بالله تعالى:

٧- بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها:

أ- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع.

هذا الحديث متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في ستة مواضع من صحيحه ؛ فأخرجه بالأرقام (١٤٨٦، ٢١٨٣، ٢١٩٤، ٢١٩٩، ٢٢٤٧، ٢٢٤٩)، وأخرجه الإمام مسلم برقم (١٥٣٤).

ب- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى تزهي، فقيل له: وما تزهي ؟ قال: «حتى تَحْمَرَّ». فقال رسول الله ﷺ : «أرأيت إذا منع الله الثمرة، بم يأخذ أحدكم مال أخيه؟».

هذا الحديث متفق عليه أيضًا ؛ أخرجه الإمام البخاري في خمسة مواضع من صحيحه بالأرقام (١٤٨٨، ٢١٩٥، ٢١٩٧، ٢١٩٨، ٢٢٠٨)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (١٥٥٥).

جـ- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهى النبي ﷺ أن تباع الثمرة حتى تُشْقِحَ. فقيل: وما تشقح ؟ قال: تَحْمَارُّ وتَصْفَارُّ ويؤكل منها.

د- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كان الناس في عهد رسول الله ﷺ يتبايعون الثمار، فإذا أَجَذَّ الناس وحضر تقاضيهم قال المبتاع: إنه أصاب الثمر الدُّمَّان، أصابه مُرَاض، أصابه قُشَامٌ- عاهات يحتجون بها- فقال رسول الله ﷺ لما كثرت عنده الخصومة في ذلك: «فإمَّا لا فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر» كالمشورة يشير بها لكثرة خصومتهم، قال أبو الزناد: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت: أن زيد بن ثابت لم يكن يبيع ثمار أرضه حتى تطلع الثريا، فيتبين الأصفر من الأحمر.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في موضع واحد في باب: بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها برقم (٢١٩٣).

شرح الأحاديث

أولاً: المفردات التي في هذه الأحاديث:

يبدو: أي يظهر، الثمار: جمع ثمرة، قال الحافظ في الفتح: وهي أعم من الرطب وغيره. المبتاع: المشتري. تزهو: أي تصير زَهْوًا: وهو الأحمر أو الأصفر من ثمر النخل، ويكون في المرحلة التي بين البلح «الأخضر» وبين الرُّطب.

تُشْقِحُ: من أشْقَحَ ثمر النخل إذا احْمَرَّ أو اصْفَرَّ. تحمارُّ وتصفارُّ: قيل المراد بداية التلون

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باللون الأحمر والأصفر. وأنكر هذا بعض أهل اللغة وقال: لا فرق بين تحمر وتصفر وتحمار وتصفار. قال ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد المبالغة في احمرارها واصفرارها، كما تقرر أن الزيادة تدل على التكثير والمبالغة.

الدُّمَّان: بفتح أوله، وقيل: بالضم، قال القاضي عياض: وهما صحيحان، وقيل: الأدمان، وفسره بأنه فساد الطلع وتعفنه وسواده، وعن الأصمعي: الدمال باللام: العفن. وقال القزاز: الدمان فساد النخل قبل إدراكه، وإنما يقع ذلك في الطلع، قال الحافظ: ووقع في رواية يونس الدمار بالراء بدل النون وهو تصحيف كما قال عياض: ووَجَّهَهُ غيره بأنه أراد الهلاك، كأنه قراه بفتح أوله.

مُرَاضٌ: قال الحافظ: هذا في رواية الكشميهني والنسفي، ولغيرهما «مَرَضٌ»، فأما مِرَاضٌ فبكسر أوله للأكثر، وقال الخطابي: بضمه، وهو اسم لجميع الأمراض بوزن (الصُّدَاع- والنُّعَال)، وهو داء يقع في الثمرة فتهلك، يقال: أَمْرَضَ إذا وقع في ماله عاهة، وزاد الطحاوي في روايته: «أصابه عَفَنٌ».

قُشَامٌ: زاد الطحاوي في روايته: «والقُشَامُ شيء يصيبه حتى لا يرطب، وقال الأصمعي: هو أن ينتقص ثمر النخل قبل أن يصير بَلَحًا، وقيل: هو أكَالٌ يقع في الثمر.

عاهات: جمع عاهة، وهو بدل من المذكورات قبله، والعاهة: العيب والآفة، والمراد بها هنا ما يصيب الثمر مما ذكر.

فإمَّالا: أصلها إنْ الشرطية وما زائدة فأدغمت. وهي مثل قوله: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾، فاكتفى بلفظه عن الفعل، وهو نظير قولهم: من أكرمني أكرمته ومن لا فلا، أي: ومن لم يكرمني لم أكرمه.

والمعنى: إن لم تفعل كذا فافعل كذا.

قوله: «كالمشُورة»: بضم الشين وسكون الواو، وبسكون الشين وفتح الواو؛ لغتان، قال الحافظ: وزعم الحريري أن الإسكان من لحن العامة، وليس كذلك، فقد أثبتها صاحب الجامع وصاحب الصحاح، وصاحب المحكم وغيرهم.

قوله: «حتى تطلع الثريا» أي: مع الفجر، وقد روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعًا قال: «إذا طلع النجم صباحًا رفعت العاهة عن كل بلد». وفي رواية عن عطاء عن أبي هريرة: «رفعت العاهة عن الثمار». قال الحافظ: والنجم هو الثريا، وطلوعها صباحًا يقع في أول فصل الصيف عند اشتداد الحر في بلاد الحجاز وابتداء نضج الثمار. فالمعتبر في الحقيقة النضج، وطلوع النجم علامة له. وقد بينه في الحديث بقوله: «حتى يتبين الأصفر من الأحمر».

وروى أحمد من طريق عثمان بن عبد الله بن سراقة: سألت ابن عمر- رضي الله عنهما- عن بيع الثمار، فقال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة، قلت: ومتى ذلك؟ قال: حتى تطلع الثريا».

ووقع في رواية ابن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة عن أبيه: «قدم رسول الله ﷺ المدينة ونحن نتبايع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، فسمع خصومة، فقال: ما هذا؟» فذكر الحديث، فأفاد مع ذكر السبب وقت النهي.

ثانيًا: المعنى الإجمالي لهذه الأحاديث:

نهى رسول الله ﷺ عن هذا النوع من البيع؛ وهو بيع الثمار قبل بدو صلاحها، لأنها قبل ذلك تكون معرضة للآفات والعاهات التي تصيبها فيصبح فيها نوع من الغرر، ومنْ أكل أموال الناس بالباطل، وقد حرص الإسلام على إبقاء الألفة والمودة بين الناس ومنع الخصومات والمنازعات بينهم، وعلى ألا يأكل بعضهم مال أخيه بالباطل، فلذلك نهى رسول الله ﷺ البائع والمشتري، فأما البائع فلئلا يأكل مال المشتري بالباطل إذا وقعت جائحة فاجتاحت الثمرة فبأي حق يأكل مال أخيه؟ وأما المشتري فلئلا يضيع ماله ويساعد أخاه البائع على الباطل، ومقتضى النهي الذي في هذه الأحاديث جواز بيع الثمار بعد بدو صلاحها مطلقًا سواء اشترط الإبقاء أم لم يشترط؛ لأن ما بعد الغاية مخالف لما قبلها، وقد جعل النهي ممتدًا إلى غاية بدو الصلاح، والمعنى فيه أن تؤمن العاهة وتغلب السلامة فيثق المشتري بحصولها، فحينئذ يقبل على الثمرة وهو مطمئن بحصول عوضه عن المال الذي يدفعه للبائع، وبمثل هذه الأحكام تتبين محاسن الشريعة الإسلامية التي هي شرعة رب العالمين لعباده، فقد شرع سبحانه ما فيه مصلحة العباد ومنافعهم.

ثالثًا: الأحكام التي في هذه الأحاديث:

١- لا يجوز بيع الثمار قبل بدو صلاحها، فإن بَدَا صلاحها جاز بيعها، وإلى ذلك ذهب الجمهور، وعن أبي حنيفة إنما يجوز بيعها قبل بدو صلاحها حيث لا يشترط إبقاءها في الشجر، فإن شرط لم يصح البيع.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

٢- اختلف السلف في بدو الصلاح:

أ- هل المراد به جنس الثمار بحيث لو بدا الصلاح في بستان من البلد مثلاً جاز بيع ثمرة جميع البساتين وإن لم يَبْدُ الصلاح فيها ؟ إلى هذا ذهب الليث بن سعد، وهو عند المالكية بشرط أن يكون الصلاح متلاحقًا.

ب- أو المراد بدو الصلاح في كل بستان على حدة. وهو قول أحمد بن حنبل.

جـ- أو المراد بدو الصلاح في كل جنس على حدة، وهو قول الشافعية.

د- أو المراد بدو الصلاح في كل شجرة على حدة، وهو قول للإمام أحمد أيضًا.

٣- فإن بيعت الثمرة قبل بدو صلاحها ثم تلفت بجائحة أو عاهة فيرجع المشتري على البائع بالثمن.

٤- وإن بيعت الثمرة بعد بدو صلاحها، ثم أصابتها عاهة فلا يحل للبائع أن يأخذ الثمن، وذلك لحديث جابر عند مسلم: قال رسول الله ﷺ: «لو بعت من أخيك ثمرًا فأصابته عاهة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئًا، بم تأخذ مال أخيك بغير حق؟».

رابعًا: بم يعرف بدو الصلاح ؟

ذكر الشافعية ثماني علامات يعرف بها بدو الصلاح:

أحدها: اللون في كل ثمر مأكول ملون إذا أخذ في حمرة أو سواد أو صفرة كالبلح والعناب والمشمش.

ثانيها: الطعم ؛ كحلاوة القصب وحموضة الرمان.

ثالثها: النضج واللين كالتين والبطيخ.

رابعها: القوة والاشتداد كالقمح والشعير.

خامسها: الطول والامتلاء كالعلف والبقول.

سادسها: الكِبَرُ كالقثاء بحيث يؤكل.

سابعها: انشقاق أكمامه كالقطن والجوز.

ثامنها: الانفتاح كالورد.

وقد وضع له كل من الأحناف والمالكية والحنابلة ضابطًا، اختلفت في ألفاظها، وفي طولها وقصرها، ولكن مؤداها أن تصلح الثمرة لتناول بني آدم، وعلف الدواب فيتنفع بها.

وبعد ؛ فإن كثيرًا من تجار الفاكهة يتبايعون الثمر وهو زهر على الشجر، مخالفين بذلك أحكام الشرع فيخسر الواحد منهم لما يصيب الثمرة من التلف، وقد تأتي ريح عاصفة فتنزل الزهر من الشجر فيقلُّ الثمر أو ينعدم بعد أن اشتراه، فتكون خسارته بالغة، والبائع قد باع ولا يرد إلى المشتري شيئًا بحجة أن البيع قد تم عن تراض، وأن البائع لم يجبر المشتري على شراء سلعته، فالله المستعان.

وقد يزيد بعض التجار على ذلك فيشتري ثمر البستان لعدة سنوات، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ؛ ففي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: نهى عن بيع السنين. أخرجه مسلم برقم (١٥٣٦).

والمراد به أن يبيع ما سوف تثمره شجرة البائع سنتين أو ثلاثًا أو أكثر، وذلك لما فيه من الغرر، وهو أولى بالمنع من بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها.

فنسأل الله تعالى أن يهدي المسلمين عامة والتجار خاصة وأصحاب الثمار والزروع إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ؛ وذلك بتمسكهم بأحكام دينهم بالأخذ بما أحل الله تعالى والابتعاد عما نهى عنه الله ورسوله، ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

٨- النجش في البيع

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن النَّجْش.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضعين من صحيحه أولهما في كتاب البيوع باب النجش برقم (٢١٤٢)، والثاني في كتاب الحيل باب ما يكره من التناجش برقم (٦٩٦٣)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في البيوع برقم (١٥١٦)، وأخرجه كذلك النسائي في البيوع برقمي (٤٥٠٢، ٤٥٠٩)، وابن ماجه برقم (٢١٧٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تناجشوا».

هذا الحديث أخرجه أبو داود في باب النهي عن النجش برقم (٣٤٣٨)، وأخرجه الترمذي في ما جاء في كراهية النجش برقم (١٣٠٤)، والنسائي في باب بيع المهاجر للأعرابي برقم (٤٤٩٦)، وفي باب بيع الحاضر للبادي برقم (٤٥٠١)، وباب النجش برقمي (٤٥١٠- ٤٥١١)، وابن ماجه في ما جاء في النهي عن النجش (٢١٧٤).

شرح الحديثين

قال الإمام الترمذي عقب روايته حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وفي الباب عن ابن عمر وأنس، وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا النجش، وقال: والنجش أن يأتي الرجل الذي يبصر السلعة إلى صاحب السلعة فيستام بأكثر مما تَسْوَى، وذلك عندما يحضره المشتري، يريد أن يغتر المشتري به، وليس من رأيه الشِّري، إنما يريد أن

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ينخدع به المشتري بما يستام، وهذا ضرب من الخديعة.

وأما الإمام البخاري فتحت باب النجش قال: ومن قال: لا يجوز ذلك البيع، وقال ابن أبي أوفى: الناجش آكل ربا خائن، وهو خداع باطل لا يحل، قال النبي ﷺ: «الخديعة في النار، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ثم ساق حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الحافظ في الفتح: قوله: «باب النَّجْش» هو في اللغة تنفير الصيد واستثارته من مكانه ليصاد، يقال: نَجَشْتُ الصيدَ أَنْجِشُه نَجْشًا، وفي الشرع الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، سمي بذلك لأن الناجش يثير الرغبة في السلعة، فإن وقع ذلك بعلم البائع فهما مشتركان في الإثم، وإن وقع بغير علمه فالإثم خاص بالناجش، وقد يختص به البائع وذلك إذا أخبر أنه اشترى سلعة بأكثر مما اشتراها به ليغر غيره بذلك. اهـ بتصرف.

قوله: «ومن قال: لا يجوز ذلك البيع، قال الحافظ كأنه يشير إلى ما أخرجه عبد الرزاق من طريق عمر بن عبد العزيز «أن عاملاً له باع سَبْيًا فقال له: لولا أني كنت أزيد فأنفقه لكان كاسدًا، فقال له عمر: هذا نجش لا يحل، فبعث مناديًا ينادي: إن البيع مردود وإن البيع لا يحل. قال ابن بطال: أجمع العلماء على أن الناجش عاصٍ بفعله، واختلفوا في البيع إذا وقع على ذلك، ونقل ابن المنذر عن طائفة من أهل الحديث فساد ذلك البيع، وهو قول أهل الظاهر، ورواية عن مالك، والمشهور عن الحنابلة إذا كان ذلك بمواطأة البائع أو صنعه، والمشهور عند المالكية في ذلك ثبوت الخيار، وهو وجه للشافعية قياسًا على المصراة، والأصح عند الشافعية صحة البيع مع الإثم، وهو قول الحنفية.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: النجش أن يَحْضُرَ الرجلُ السلعة تباع فيعطي بها الشيء وهو لا يريد شراءها ليقتدي به السُّوَّام فيُعْطُون بها أكثر مما كانوا يُعْطُون لو لم يسمعوا سومه، فمن نجش فهو عاص بالنجش إن كان عالمًا بالنهي، والبيع جائز لا يفسده معصية رجل نجش عليه. اهـ من الفتح.

قوله: «وقال ابن أبي أوفى: الناجش آكل ربا خائن». قال الحافظ: هذا طرف من حديث أورده المصنف (أي البخاري) في الشهادات، في باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾، ثم ساق فيه من طريق السكسكي عن عبد الله بن أبي أوفى قال: أقام رجلٌ سلعته فحلف بالله لقد أعطى فيها ما لم يعط فنزلت. قال ابن أبي أوفى: الناجش آكل ربًا خائن.

قال الحافظ: وقد اتفق أكثر العلماء على تفسير النجش في الشرع بما تقدم. وقيد ابن عبد البر وابن العربي وابن حزم التحريم بأن تكون الزيادة المذكورة فوق ثمن المثل، قال ابن العربي: فلو أن رجلاً رأى سلعة رجل تباع بدون قيمتها فزاد فيها لتنتهي إلى قيمتها لم يكن ناجشًا عاصيًا، بل يؤجر على ذلك بنيته، وقد وافقه على ذلك بعض المتأخرين من الشافعية، وفيه نظر؛ إذ لم تتعين النصيحة في أن يوهم أنه يريد الشراء وليس من غرضه، بل غرضه أن يزيد على من يريد أن يشتري أكثر مما يريد أن يشتري به، فللذي يريد النصيحة مندوحة عن ذلك أن يعلم البائع أن قيمة سلعته أكثر من ذلك، ثم هو باختياره بعد ذلك، ويحتمل ألا يتعين عليه إعلامه بذلك حتى يسأله لحديث: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض، فإذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه». والله أعلم.

قوله: «وهو خداع باطل لا يحل». قال الحافظ: هو من تفقه المصنف وليس من تتمة كلام ابن أبي أوفى.

قوله: (قال النبي ﷺ: الخديعة في النار، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» قال الحافظ: أما الحديث الثاني فسيأتي موصولاً من حديث عائشة في كتاب الصلح، وأما حديث: «الخديعة في النار» فرويناه في الكامل لابن عدي من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المكر والخديعة في النار» لكنت من أمكر الناس، وإسناده لا بأس به.

أقول: إن كثيرًا من المسلمين يعدون المكر والخديعة في البيع والشراء الآن من المهارة في التجارة، وأن التاجر الماهر هو الذي يستطيع أن يبيع سلعته بأكثر مما تستحق، وذلك بطرق شتى أكثرها المخادعة والمخاتلة والحلف الكاذب الماحق للبركة، فيا ليت التجار يتعلمون أحكام الشرع ويرضون بالحلال الطيب، ويبتعدون عن كل ما نهى عنه الشرع، ففي ذلك سعادة الدارين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

من البيوع المنهى عنها

بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة نسيئة

إعداد/
زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، من أرسله ربه رحمه للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا يزال حديثنا موصولاً حول البيوع التي نهى عنها الشارع، صلوات الله وسلامه عليه، فنقول مستعينين بالله تعالى وبه التوفيق والعصمة:

٩- بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة نسيئة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهبَ بالذهب إلا مِثلاً بمِثلٍ، ولا تُشِفُّوا بَعْضَها على بَعْضٍ، ولا تبيعوا الوَرِقَ بالوَرِقِ، إلاَّ مِثلاً بمثلٍ، ولا تُشِفُّوا بَعْضَها على بعضٍ، ولا تبيعوا منها غائبًا بِناجزٍ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب البيوع بالأرقام (٢١٧٦، ٢١٧٧، ٢١٧٨)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب الربا برقم (١٥٨٤)، وبرقم (١٥٩٦)، وأخرجه أيضًا الترمذي في البيوع باب ما جاء في الصرف برقم (١٢٤١)، وأخرجه النسائي في السنن في كتاب البيوع باب بيع الذهب بالذهب برقمي (٤٥٧٤- ٤٥٧٥).

شرح الحديث

في هذا الحديث نهى رسول الله ﷺ عن بيع الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، وكذلك الوَرِق- وهو الفضة- حكمها حكم الذهب لاتباع الفضة بالفضة إلا مثلاً بمثل، وقوله ﷺ: «ولا تُشِفُّوا بعضها على بعض» أي: لا تزيدوا بعضها على بعض، فإن الشَّفَّ هو الزيادة، وقد يطلق على النقصان فهو من ألفاظ الأضداد، والذي نهى عنه النبي ﷺ واقع الآن في مجتمعات المسلمين، فإن الشخص يذهب إلى تاجر الذهب، فيعطيه الذهب القديم ليزنهُ ثم يأخذ ذهبًا جديدًا مقابل القديم مساويًا لوزنه، ويدفع له فرق السعر، وهذا ربًا ظاهر، وذلك يتناول جميع أنواع الذهب جيده ورديئه، والصحيح منه والمكسور، وما كان حليًا أو تبرًا أو غير ذلك، وكذا يشمل الخالص والمخلوط، وكذا الحكم في الفضة سواءً بسواء.

وللخروج من هذه الصورة الربوية المحرمة: يمكن أن يبيع الشخص ذهبه القديم للتاجر ويقبض الثمن فينهي هذه الصفقة، ثم إن أراد أن يشتري بثمنه ذهبًا جديدًا فليعقد صفقة جديدة.

وهذه الصورة هي التي أرشد إليها رسول الله ﷺ في قوله لمن اشترى له صاعًا من التمر الجيد بصاعين من تمر رديء: «بع الجمع بالدراهم ثم اشتر بالدراهم جنيبًا» (متفق عليه).

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: وقوله ﷺ: «لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق إلا مثلا بمثل». قال العلماء: هذا يتناول جميع أنواع الذهب والوَرِق من جيد ورديء، وصحيح ومكسور، وحلي وتبر وغير ذلك، وسواء الخالص والمخلوط بغيره، وهذا كله مجمع عليه.

وقال: قوله ﷺ: «ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز»، المراد بالناجز الحاضر، وبالغائب المؤجل، وقد أجمع العلماء على تحريم بيع الذهب بالذهب أو بالفضة مؤجلاً، وكذلك الحنطة بالحنطة أو بالشعير، وكذلك كل شيئين اشتركا في علة الربا، أما إذا باع دينارًا بدينار كلاهما في الذمة، ثم أخرج كل واحد الدينار، أو أرسل من أحضر له دينارًا من بيته، وتقابضا في المجلس فيجوز بلا خلاف عند أصحابنا، لأن الشرط ألاَّ يتفرقا قبل أن يتقابضا وقد حصل، ولهذا قال ﷺ كما جاء في الرواية التي بعد هذه: «ولا تبيعوا شيئًا غائبًا منه بناجز إلا يدًا بيد».

وقال الحافظ في الفتح: وقوله: «ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز»، والمراد بالغائب أعم من المؤجل، كالغائب عن المجلس مطلقًا مؤجلاً كان أم حالاً، والناجز الحاضر، قال ابن بطال: فيه حجة للشافعي في قوله: من كان له على رجل دراهم ولآخر عليه دنانير لم يجز أن يُقَاصَّ أحدهما الآخر بماله ؛ لأنه يدخل في معنى بيع الذهب بالورق دينًا، لأنه إذا لم يجز غائب بناجز فأحرى أنْ لا يجوز غائب بغائب، وأما الحديث الذي أخرجه أصحاب السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت أبيع الإبل بالبقيع ؛ أبيع بالدنانير وآخذ الدراهم، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير. فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «لا بأس به إذا كان بسعر يومه ولم تفترقا وبينكما شيء». فلا يدخل في بيع الذهب بالورق دينًا. واستدل بقوله: «مثلاً بمثل» على بطلان البيع بقاعدة (مُدّ عجوة) وهو أن يبيع مُدّ عجوة ودينارًا بدينارين مثلاً، وأصرح من ذلك في الاستدلال على المنع حديث فضالة بن عبيد عند مسلم في رد البيع في القلادة التي فيها خَرَزٌ وذَهَبٌ حتى تفصل، وفي رواية أبي داود فقلت: إنما أردت الحجارة، فقال: «لا، حتى تميز بينهما».

قال الحافظ في الفتح: وقد وقع لأبي سعيد مع ابن عمر رضي الله عنهم في هذا الحديث قصة، ووقعت له فيه مع ابن عباس قصة أخرى، فأما قصته مع ابن عمر فانفرد بها البخاري من طريق سالم، وأخرجها مسلم من طريق الليث عن نافع، ولفظه: «إن ابن عمر قال له رجل من بني ليث: إن أبا سعيد الخدري يأثر هذا عن رسول الله ﷺ، قال نافع: فذهب عبد الله وأنا معه والليثي حتى دخل على أبي سعيد الخدري فقال: إن هذا أخبرني أنك تخبر أنّ رسول الله ﷺ نهى عن بيع الوَرِق بالوَرِق إلا مثلاً بمثل». الحديث. فأشار أبو سعيد بإصبعيه إلى عينيه وأذنيه، فقال: أبْصَرَتْ عيناي وسَمِعَتْ أذناي رسول الله ﷺ يقول: «لا تبيعوا الوَرِق بالوَرِق إلا مثلاً بمثل». الحديث. ولمسلم من طريق أبي نضرة في هذه القصة لابن عمر مع أبي سعيد أن ابن عمر نهى عن ذلك بعد أن كان أفتى به لما حدثه أبو سعيد بنهي النبي ﷺ.

وأما قصة أبي سعيد مع ابن عباس رضي الله عنهم فتستبين من الرواية الآتية لحديث أبي سعيد:

عن عمرو بن دينار أن أبا صالح الزيات أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: الدينار بالدينار، والدرهم بالدرهم مثلاً بمثل من زاد أو ازداد فقد أربى. فقلت له: إن ابن عباس يقول غير هذا. فقال: لقد لقيت ابن عباس فقلت: أرأيت هذا الذي تقول أشيء سَمِعْتَهُ من رسول الله ﷺ أو وجدته في كتاب الله عز وجل ؟ فقال: لم أسمعه من رسول الله ﷺ ولم أجده في كتاب الله. ولكن حدثني أُسامة بن زيد أن النبي ﷺ قال: «الربا في النسيئة». هذا لفظ مسلم، وفي رواية البخاري فقال: كل ذلك لا أقول، وأنتم أعلم برسول الله ﷺ مني، ولكن أخبرني أسامة... الحديث.

قال الحافظ في شرح هذا الحديث وفي الجمع بينه وبين حديث أسامة:

قوله: «كلّ ذلك لا أقول» هو في المعنى نظير قوله عليه الصلاة والسلام في حديث ذي اليدين: «كل ذلك لم يكن»، فالمنفي هو المجموع، وفي رواية لمسلم من طريق عطاء، وفيها: أما رسول الله فأنتم أعلم به مني، وأما كتاب الله فلا أعلمه» أي: لا أعلم هذا الحكم فيه، وإنما قال لأبي سعيد: أنتم أعلم برسول الله ﷺ مني. لكون أبي سعيد وأنظاره كانوا أسنّ

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

منه وأكثر ملازمة لرسول الله ﷺ.

قال: وفي السياق دليل على أن أبا سعيد وابن عباس متفقان على أن الأحكام الشرعية لا تطلب إلا من الكتاب والسنة.

وقوله: «لا ربا إلا في النسيئة». هذه رواية البخاري، ولمسلم: «الربا في النسيئة». وفي رواية له: «إنما الربا في النسيئة». وفي رواية أخرى لمسلم: «ألا إنما الربا في النسيئة». قال الحافظ: وزاد في رواية طاووس عن ابن عباس: «لا ربا فيما كان يدًا بيد». وروى مسلم من طريق أبي نضرة قال: سألت ابن عباس عن الصرف فقال: أيدًا بيد؟ قلت: نعم، قال: فلا بأس، فأخبرت أبا سعيد، فقال: أوَ قال ذلك؟ إنا سنكتب إليه فلا يُفْتِكُمُوهُ، وله من وجه آخر عن أبي نضرة: سألت ابن عمر وابن عباس عن الصرف فلم يريا به بأسًا، فإني لقاعد عند أبي سعيد فسألته عن الصرف فقال: ما زاد فهو ربا، فأنكرت ذلك لقولهما. فذكر الحديث. قال فحدثني أبو الصهباء أنه سأل ابن عباس عنه بمكة فكرهه.

قال الحافظ: والصَّرْف: دفع ذهب وأخذ فضة وعكسه، وله شرطان؛ منع النسيئة (التأجيل) مع اتفاق النوع واختلافه وهو المجمع عليه، ومنع التفاضل في النوع الواحد منهما وهو قول الجمهور، وخالف فيه ابن عمر ثم رجع، وابن عباس واختلف في رجوعه.

قال: وقد روى الحاكم من طريق حيَّان العدوي: سألت أبا مجلز عن الصرف فقال: كان ابن عباس لا يرى به بأسًا زمانًا من عمره ما كان منه عينًا بعين يدًا بيد، وكان يقول: إنما الربا في النسيئة، فلقيه أبو سعيد، فذكر القصة والحديث، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: أستغفر الله وأتوب إليه، فكان ينهى عنه أشد النهي.

قال الحافظ: واتفق العلماء على صحة حديث أسامة، واختلفوا في الجمع بينه وبين حديث أبي سعيد، فقيل: منسوخ، لكن النسخ لا يثبت بالاحتمال. وقيل: المعنى في قوله: «لا ربا». الربا الأغلظ الشديد التحريم المتوعد عليه بالعقاب الشديد، كما تقول العرب: لا عالم في البلد إلا زيد، مع أن فيها علماء غيره، وإنما القصد نفي الأكمل لا نفي الأصل. وأيضًا نفي تحريم ربا الفضل من حديث أسامة إنما هو بالمفهوم، فيقدم عليه حديث أبي سعيد لأن دلالته بالمنطوق، ويحمل حديث أسامة على الربا الأكبر كما تقدم، والله أعلم.

١٠- بيع الذهب بالفضة نسيئة (دَيْنًا)

١- عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه قال: أَقْبَلْتُ أقولُ: من يَصْطَرِفُ الدَّرَاهِمَ؟ فقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه- وهو عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه-: أَرِنَا ذهبك ثم ائتنا إذا جاء خادمُنا نعطك وَرِقَك. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كلاَّ، والله لتعطينه وَرِقَه أو لتردنَّ إليه ذهبه. فإن رسول الله ﷺ قال: «الوَرِق بالذهب ربًا إلا هاءَ وهاءَ، والبر بالبر ربًا إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربًا إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر ربًا إلا هاء وهاء».

هذا الحديث متفق عليه، واللفظ لمسلم، فقد أخرجه البخاري في البيوع بالأرقام (٢١٣٤، ٢١٧٠، ٢١٧٤)، كما أخرجه مسلم في المساقاة برقم (١٥٨٦)، وأبو داود في البيوع برقم (٣٣٤٨)، والترمذي في البيوع (١٢٤٣)، والنسائي في البيوع برقم (٤٥٦٢)، وابن ماجه في التجارات برقم (٢٢٥٣).

٢- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُرُّ بالبُرِّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يدًا بيد، فإن اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد».

هذا الحديث أخرجه مسلم في المساقاة برقم (١٥٨٧)، وأبو داود في البيوع برقم (٣٣٤٩)، والترمذي في البيوع برقم (١٢٤٠)، والنسائي في البيوع برقم (٤٥٦٤)، وابن ماجه في التجارات برقم (٢٢٥٤).

شرح الحديثين

أما الحديث الأول ففيه بيان بيع الذهب بالوَرِق وهو الفضة مع تأجيل دفع أحدهما وهو منهي عنه كما روى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في هذا الحديث. فيجب المقابضة في كل نوعين ربويين.

وأما حديث عبادة فبين فيه الستة الأصناف الربوية التي نص عليها رسول الله ﷺ.

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: وقد

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

أجمع المسلمون على تحريم الربا في الجملة، وإن اختلفوا في ضابطه وتفاريعه. قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والأحاديث فيه كثيرة مشهورة، ونص النبي ﷺ في هذه الأحاديث على تحريم الربا في ستة أشياء: «الذهب، والفضة، والبر، والشعير، والتمر، والملح». فقال أهل الظاهر: لا ربا في غير هذه الستة بناءً على أصلهم في نفي القياس، وقال جميع العلماء سواهم: لا يختص بالستة بل يتعدى إلى ما في معناها، وهو يشاركها في العلة، واختلفوا في العلة التي هي سبب تحريم الربا في الستة، فقال الشافعي: العلة في الذهب والفضة كونهما جنس الأثمان (أصل النقود فتقاس عليهما جميع النقود سواء كانت ورقية أم معدنية)، فلا يتعدى الربا منهما إلى غيرهما من الموزونات وغيرها لعدم المشاركة، قال: والعلة في الأربعة الباقية كونها مطعومة، فيتعدى الربا منها إلى كل مطعوم، وأما مالك فقال في الذهب والفضة كقول الشافعي رحمة الله عليهما، وقال في الأربعة الباقية كونها تدخر للقوت وتصلح له، فعداه إلى الزبيب ؛ لأنه كالتمر، وإلى القُطْنِيَّة (الحبوب التي تطبخ في البيت كالعدس وغيره) لأنها في معنى البر والشعير، وأما أبو حنيفة فقال: العلة في الذهب والفضة الوزن، وفي الأربعة الكيل، فيتعدى إلى كل موزون من نحاس وحديد وغيرهما، وإلى كل مكيل كالجص والأشنان (الجص من مواد البناء وهو الجبس، والأشنان نبات يستعمل في الغسيل كالصابون) وغيرهما. وقال سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وأحمد رحمهم الله: العلة في الأربعة كونها مطعومة موزونة أو مكيلة بشرط الأمرين، فعلى هذا لا ربا في البطيخ والسفرجل ونحوهما مما لا يكال ولا يوزن. اهـ. كلام النووي.

أقول: ولكن البطيخ والسفرجل يوزن في زماننا.

ثم قال النووي رحمه الله: وأجمع العلماء على جواز بيع الربوي بربوي لا يشاركه في العلة متفاضلاً ومؤجلاً، وذلك كبيع الذهب بالحنطة، وبيع الفضة بالشعير وغيره من المكيل، وأجمعوا على أنه لا يجوز بيع الربوي بجنسه وأحدهما مؤجل، وعلى أنه لا يجوز التفاضل إذا بيع بجنسه حالاً كالذهب بالذهب، وعلى أنه لا يجوز التفرق قبل التقابض إذا باعه بجنسه أو بغير جنسه مما شاركه في العلة كالذهب بالفضة، والحنطة بالشعير، وأنه لا يجوز التفاضل عند اختلاف الجنس إذا كان يدًا بيد ؛ كصاع حنطة بصاعي شعير، ولا خلاف بين العلماء في شيء من هذا إلا ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تخصيص الربا بالنسيئة. قُلْتُ: وقد مر أنه تراجع عنه، ولله الحمد والمنة.

قال النووي: قال العلماء: إذا بيع الذهبُ بذهب، أو الفضةُ بفضةٍ سميت مراطلة، وإذا بيعت الفضة بذهب (أو العكس) سمي صرفًا. قيل: سمي صرفًا لصرفه عن مقتضى البياعات من جواز التفاضل والتفرق قبل القبض والتأجيل، وقيل: من صريفهما، وهو تصويتهما في الميزان. والله أعلم.

قال الحافظ في الفتح عقب حديث عمر: قال ابن عبد البر: في هذا الحديث أن الكبير يلي البيع والشراء لنفسه وإن كان له وكلاء وأعوان يكفونه، وفيه المماكسة في البيع والمراوضة وتقليب السلعة، وفائدته الأمن من الغبن، وأن من العلم ما يخفى على الرجل الكبير القدر حتى يذكره غيره، وأن الإمام إذا سمع أو رأى شيئًا لا يجوز فإنه ينهى عنه ويرشد إلى الحق، وأن من أفتى بحكم حَسُنَ أن يذكر دليله، وأن يتفقد أحوال رعيته ويهتم بمصالحهم، وفيه اليمين لتأكيد الخبر، وفيه الحجة بخبر الواحد، وأن الحجة على من خالف في حكم من الأحكام إنما هي في كتاب الله أو حديث رسوله ﷺ.

وفيه أن النسيئة لا تجوز في بيع الذهب بالوَرِق، وإذا لم يَجُزْ فيهما مع تفاضلهما بالنسيئة فأحرى ألا يجوز في الذهب وهو جنس واحد، (ولينتبه لهذا تجار الذهب، فإن كثيرًا منهم يقعون في هذا في زماننا هذا)، وكذا الوَرِق بالوَرِق، وقد نقل ابن عبد البر وغيره الإجماع على هذا الحكم، أي التسوية في المنع بين الذهب بالذهب وبين الذهب بالوَرِق، والله أعلم.

نسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم ردًا جميلاً، وأن يوفقهم للعمل بأحكام الشريعة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



من البيوع المنهي عنها

إعداد/
زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلا يزال الحديث موصولاً عن البيوع المنهي عنها، فنقول مستعينين بالله تعالى وبه الحول والطول:

١١- النهي عن تلقي الركبان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ عن التلقي وأن يبيع حاضر لباد.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب البيوع باب النهي عن تلقي الركبان وأن بيعه مردود، برقم (٢١٦٢) وأطرافه في (٢١٤٠- ٢١٤٨- ٢١٥٠- ٢١٥١- ٢١٦٠- ٢٧٢٣- ٢٧٢٧- ٥١٤٤- ٥١٥٢- ٦٦٠١)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب البيوع باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه وسومه على سومه وتحريم النجش وتحريم التصرية برقم (١٥١٥)، وفي باب تحريم تلقي الجلب برقم (١٥١٩)، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في باب التلقي من كتاب البيوع برقم (٣٤٣٧)، والإمام الترمذي في جامعه في البيوع باب ما جاء في كراهية تلقي البيوع برقم (١٢٢١)، والإمام النسائي في البيوع باب التلقي برقم (٤٥٠٥)، والإمام ابن ماجه في التجارات في باب النهي عن تلقي الجلب برقم (٢١٧٨)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، في مسند أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا رواه الإمام مالك في الموطأ.

شرح الحديث

ترجمة الإمام البخاري لهذا الباب هي «النهي عن تلقي الركبان، وأن بيعه مردود؛ لأن صاحبه عاصٍ آثمٌ إذا كان به عالمًا، وهو خداع في البيوع والخداع لا يجوز».

قال الحافظ في الفتح: جزم المصنف (يعني الإمام البخاري) بأن البيع مردود بناء على أن النهي يقتضي الفساد، لكن محل ذلك عند المحققين فيما يرجع إلى ذات المنهي عنه لا ما إذا كان يرجع إلى أمر خارج عنه فيصح البيع ويثبت الخيار بشرطه الآتي ذكره. وأما كون صاحبه عاصيًا آثمًا والاستدلال عليه بكونه خداعًا فصحيح، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون البيع مردودًا؛ لأن النهي لا يرجع إلى نفس العقد ولا يخل بشيء من أركانه وشرائطه، وإنما هو لدفع الإضرار بالركبان، والقول ببطلان البيع صار إليه بعض المالكية وبعض الحنابلة، ويمكن أن يحمل قول البخاري إن البيع

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

مردود على ما إذا اختار البائع رده فلا يخالف الراجح، وقد تعقبه الإسماعيلي والزمه التناقض ببيع المصراة- وهي البهيمة التي يحبس اللبن في ضرعها ليظهر أن لبنها كثير عند بيعها- فإن فيه خداعًا ومع ذلك لم يبطل البيع، وبكونه- أي البخاري- فصل في بيع الحاضر للبادي بين أن يبيع له باجر أو بغير أجر.

واستدل عليه أيضًا بحديث حكيم بن حزام في بيع الخيار ففيه: «فإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما». قال: فلم يبطل البيع بالكذب والكتمان للعيب، وقد ورد بإسناد صحيح: «أن صاحب السلعة إذا باعها لمن تلقاه يصير بالخيار إذا دخل السوق». ثم ساقه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم قال الحافظ: «قال ابن المنذر: أجاز أبو حنيفة التلقي وكرهه الجمهور. قُلْتُ: الذي في كتب الحنفية: يكره التلقي في حالتين ؛ أن يضر باهل البلد، وأن يلتبس السعر على الواردين، ثم اختلفوا ؛ فقال الشافعي: من تلقاه فقد أساء، وصاحب السلعة بالخيار، وحجته حديث أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن تلقي الجَلَب، فإن تلقاه فاشتراه فصاحبه بالخيار إذا أتى السوق. قلت: وهو حديث أخرجه أبو داود والترمذي وصححه ابن خزيمة من طريق أيوب، وأخرجه مسلم من طريق هشام عن ابن سيرين بلفظ «لا تلقوا الجلب، فمن تلقاه فاشترى منه فإذا أتى سيدُهُ السوق فهو بالخيار». وقوله: «فهو بالخيار» أي: إذا قدم السوق وعلم السعر، وهل يثبت له الخيار مطلقًا أو بشرط أن يقع له في البيع غبن ؟ وجهان، أصحهما الأول، وبه قال الحنابلة. وظاهره أيضًا أن النهي لأجل منفعة البائع وإزالة الضرر عنه وصيانته ممن يخدعه. قال ابن المنذر: وحمله مالك على نفع أهل السوق لا على نفع رب السلعة، وإلى ذلك جنح الكوفيون والأوزاعي. قال: والحديث حجة للشافعي لأنه أثبت الخيار للبائع لا لأهل السوق. وقد احتج مالك ومن معه بحديث ابن عمر وفيه: النهي عن تلقي السلع حتى يهبط بها إلى السوق.

قال المباركفوري في شرح الترمذي: وهذا لا يكون دليلاً لمدعاهم ؛ لأنه يمكن أن يكون ذلك رعاية لمنفعة البائع، لأنها إذا هبطت إلى الأسواق عرف مقدار السعر فلا يخدع، قال: ولا مانع من أن يقال: العلة في النهي مراعاة نفع البائع ونفع أهل السوق.

وقد ساق الإمام البخاري في هذا الباب أربعة أحاديث وهي: حديث أبي هريرة هذا، وثانيها حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واقتصر فيه الإمام البخاري على قول طاوس: سألت ابن عباس عن معنى قوله: «لا يَبِيعَنَّ حاضرٌ لبادٍ؟ فقال: لا يكن له سِمْسَارًا». قال الحافظ في الفتح: وكأنه أشار إلى أصل الحديث. فقد سبق قبل بابين من وجه آخر عن معمر وفي أوله: «لا تلقوا الركبان». وكذا أخرجه مسلم.

قال: وقوله: «لا تلقوا الركبان». خرج مخرج الغالب في أن من يجلب الطعام يكونون عددًا ركبانًا. ولا مفهوم له، بل لو كان الجالب عددًا مشاةً، أو واحدًا راكبًا، أو واحدًا ماشيًا لم يختلف الحكم.

وقوله: «للبيع» يشمل البيع لهم والبيع منهم، ويفهم منه اشتراط قصد ذلك بالتلقي.

فلو تلقى الركبانَ أحدٌ للسلام أو الفرجة أو خرج لحاجة له فوجدهم فبايعهم فهل يتناوله النهي ؟ فيه احتمال ؛ فمن نظر إلى المعنى لم يفترق عنده الحكم بذلك، وهو الأصح عند الشافعية وشرط بعض الشافعية في النهي: أن يبتدئ المتلقي فيطلب من الجالب البيع، فلو ابتدأ الجالب بطلب البيع فاشترى منه المتلقي لم يدخل في النهي.

من صور التلقي المحرم

قال الحافظ في الفتح:

١- ذكر إمام الحرمين في صورة التلقي المحرم أن يكذب في سعر البلد ويشتري منهم باقل من ثمن المثل.

٢- وذكر المتولي فيها أن يخبرهم بكثرة المؤنة عليهم في الدخول.

٣- وذكر أبو إسحاق الشيرازي: أن يخبرهم بكساد ما معهم ليغبنهم.

قال الحافظ بعد أن ساق هذه الصور: وقد يؤخذ من هذه التقييدات إثبات الخيار لمن وقعت له ولو لم يكن هناك تلقٍ.

فائدة لغوية

في قوله: «لا تلقوا» بفتح التاء واللام وتشديد القاف المفتوحة وضم الواو، أصله: تتلقوا حذفت منه

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

إحدى التاءين تخفيفًا، كما في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾، وهذا الحذف جائز، وذلك لثبوت التاءين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

ومطلق النهي عن التلقي يشمل طول المسافة وقصرها وهو ظاهر إطلاق الشافعية.

١٢- النهي عن الاحتكار

عن معمر بن عبد الله أحد بني عدي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحتكر إلا خاطئ».

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب تحريم الاحتكار في الأقوات برقم (١٦٠٥)، كما أخرجه أبو داود في سننه في البيوع باب النهي عن الحُكْرَة برقم (٣٤٤٧)، والترمذي في البيوع باب ما جاء في الاحتكار برقم (١٢٦٧)، وابن ماجه في التجارات باب الحُكْرَةِ والجلب برقم (٢١٥٤)، كما أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٤٥٣، ٤٥٤)، وذكره ابن عبد البر في باب الحكرة والتربص من كتابه الاستذكار.

شرح الحديث

قال الإمام النووي: قال أهل اللغة: الخاطئ بالهمز هو العاصي الآثم، وهذا الحديث صريح في تحريم الاحتكار، قال أصحابنا: الاحتكار المحرم هو الاحتكار في الأقوات خاصة، وهو أن يشتري الطعام في وقت الغلاء للتجارة ولا يبيعه في الحال، بل يدخره ليغلو ثمنه. فأما إذا جاءه من قريته، أو اشتراه في وقت الرخص وادخره، أو ابتاعه في وقت الغلاء لحاجته إلى أكله، أو ابتاعه ليبيعه في وقته فليس باحتكار ولا تحريم فيه. وأما غير الأقوات فلا يحرم الاحتكار فيه بكل حال، هذا تفصيل مذهبنا. اهـ.

وأما الاحتكار عند المالكية فهو الادخار من أجل البيع وطلب الربح بتقلب الأسواق، وأما الادخار للقوت أي من أجل طعامه وعياله فليس من الاحتكار، واتفق المالكية مع الشافعية في أن الاحتكار في الأقوات خاصة.

وأما الأحناف فالاحتكار عندهم من حيث اللغة هو احتباس الشيء انتظارًا لغلائه، والمراد به شرعًا: حبس الأقوات متربصًا للغلاء، أو هو: اشتراء طعام ونحوه وحبسه إلى الغلاء أربعين يومًا مستدلين بحديث: «من احتكر طعامًا أربعين ليلة فقد برئ من الله، وبرئ الله منه، وأيما أهل عَرْصَةٍ بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله».

والحنابلة عندهم الاحتكار ما اجتمع فيه ثلاثة أمور:

١- أن يكون قد حَصَّلَ السلعة بطريق الشراء وليس بطريق الجَلَب، فلو جلب شيئًا، أو أدخل من غلته شيئًا فادخره لا يكون محتكرًا، وذلك لحديث: «الجالب مرزوق، والمحتكر معلون».

٢- أن تكون السلعة المشتراة قوتًا من الحبوب المقتاتة ونحوها، لأنه ما تعم الحاجة إليه، أما الإدام والحلواء والعسل والزيت وأعلاف البهائم فليس فيها احتكار محرم.

٣- أن يُضَيِّقَ على الناس في شرائه بأمرين: أحدهما: أن يكون في بلد يضيق بأهله الاحتكار كالثغور، وأما البلاد الواسعة كثيرة المرافق والجلب كالأمصار التي لا يؤثر فيها الاحتكار فلا يحرم.

وثانيهما: أن يكون في حال الضيق والشدة، كان تدخل البلدَ قافلةٌ فيبادر ذوو الأموال بشرائها ويضيقون على الناس، وعلى هذا لا فرق بين البلد الصغير والكبير. أما الشراء في حال السَّعة والرخص بوجه لا يضيق على أحد فليس بمحرم.

هذا، وقد اتفق الفقهاء على تحريم الاحتكار في كل وقت في الأقوات أو طعام الإنسان؛ مثل الحنطة والشعير والذرة والأرز، والتين والعنب والتمر والزبيب ونحوها مما يقوم به البدن.

وكذلك اتفق الأحناف والشافعية والحنابلة على تحريم الاحتكار في طعام البهائم، وعند المالكية وأبي يوسف من الأحناف يحرم الاحتكار في غير الطعام في وقت الضرورة، لا في وقت السَّعَة، فلا يجوز عندهم الاحتكار في الطعام وغيره من الكتان والقطن وجميع ما يحتاج إليه الإنسان، أو كل ما أضر بالناس حبسه قوتًا كان أو ثيابًا أو نقودًا.

وقال السبكي من الشافعية: إذا كان الاحتكار في وقت قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج- زيت السمسم- وأمثالها إضرار، فينبغي أن يقضى بتحريمه، وإذا لم يكن إضرار فلا يخلو احتكار من كراهة.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قال الإمام النووي: قال العلماء: والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس. كما أجمع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام، واضطر الناس إليه ولم يجدوا غيره أجبر على بيعه دفعًا للضرر عن الناس. قال: وأما ما ورد في الكتاب- صحيح مسلم- وغيره عن سعيد بن المسيب راوي الحديث عن معمر بن عبد الله، وكذلك عن معمر أنهما كانا يحتكران فقال ابن عبد البر وآخرون: إنما كانا يحتكران الزيت، وحملا الحديث على احتكار القوت عند الحاجة إليه والغلاء.

وقد قال الترمذي عقب حديث معمر بن عبد الله ؛ قال أبو عيسى: وفي الباب عن عمر وعلي وأبي أمامة وابن عمر، وحديث معمر حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم ؛ كرهوا احتكار الطعام. ورخص بعضهم في الاحتكار في غير الطعام.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: قوله: «وفي الباب عن عمر» مرفوعًا: «ومن احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس». أخرجه ابن ماجه، وحَسَّنَ الحافظ في الفتح إسناده. وعنه مرفوعًا بلفظ: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» أخرجه ابن ماجه وإسناده ضعيف، وعن «علي» قال في تحفة الأحوذي: لم أقف على حديثه، وعن «أبي أمامة» مرفوعًا: «ومن احتكر طعامًا أربعين يومًا ثم تصدق به، لم يكن له كفارة». أخرجه رزين. وعن «ابن عمر» مرفوعًا: «من احتكر طعامًا أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه». أخرجه أحمد والحاكم، قال الحافظ في الفتح: في إسناده مقال، قال المباركفوري: وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «من احتكر حُكْرَةً يريد أن يغالي بها على المسلمين فهو خاطئ». أخرجه الحاكم، ذكره الحافظ وسكت عنه، وعن معاذ مرفوعًا: «من احتكر طعامًا على أمتي أربعين يومًا، وتصدق به لم يقبل منه». أخرجه ابن عساكر.

ثم قال المباركفوري: قوله: «ورخص بعضهم في الاحتكار في غير الطعام»، واحتجوا بالروايات التي فيها التصريح بلفظ الطعام. قال الشوكاني في نيل الأوطار: وظاهر أحاديث الباب أن الاحتكار محرم من غير فرق بين قوت الآدمي والدواب وبين غيره، والتصريح بلفظ الطعام في بعض الروايات لا يصلح لتقييد باقي الروايات المطلقة، بل هو من التنصيص على فرد من الأفراد التي يطلق عليها المطلق؛ وذلك لأن نفي الحكم عن غير الطعام إنما هو لمفهوم اللفظ، وهو غير معمول به عند الجمهور، وما كان كذلك لا يصلح للتقييد على ما تقرر في الأصول. اهـ.

والحق الذي يجب أن يصار إليه أن الاحتكار إذا كانت علة التحريم فيه هي الإضرار بعامة الناس فينبغي أن يُحَرَّمَ احتكار القوت وغيره من السلع إذا كان احتكارها يلحق الضرر بهم.

نسأل الله أن يهدي تجار المسلمين إلى تقوى الله في بيعهم وشرائهم، وأن يخافوا ربهم في تعاملاتهم، وأن يرعوا فيها ما حرم الله، وأن يعلموا أن الذي حرمه الله تعالى من المعاملات إنما هو لمصلحة عموم المسلمين، والمسلم إذا كان يتقي ربه سبحانه فإنه لا يقدم مصلحته الخاصة على مصالح المسلمين العامة.

وفقنا الله وجميع المسلمين إلى محبته ومرضاته، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

من البيوع المنهي عنها

بيع العينة

بيع العُرْبان

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا يزال حديثنا موصولاً عن البيوع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله ﷺ، فنقول مستعينين بالله:

١٣- بيع العينة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوفِيَهُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أربعة مواضع من كتاب البيوع من صحيحه بالأرقام: (٢١٢٤، ٢١٢٦، ٢١٣٣، ٢١٣٦)، كما أخرجه الإمام مسلم (١٥٢٧)، وفي البيوع (٣٤، ٣٧)، وأخرجه الإمام أبو داود في البيوع (٣٤٩٢، ٣٤٩٥)، والإمام النسائي في البيوع (٤٩٩-٤٦٠٠)، والإمام أحمد في المسند (٢/١١١)، والإمام مالك في الموطأ (٦٤٠).

شرح الحديث

المراد ببيع العينة:

هو بيع المقصود منه أن يكون صلة للقرض بالربا.

وصورته: أن يبيع شخص سلعة بثمن آجل ولم يقبض، ثم يشتريه في نفس الوقت من المشتري بثمن حالٍّ أقل من الثمن الذي باعه به أو إلى أجل آخر كذلك، وفي نهاية الأجل المحدد في العقد الأول يدفع الثمن الأول كله، والمراد منه أن يحصل المشتري على قرض من البائع، فيكون القرض بين الثمن الآجل والحال هو الزيادة الربوية، يستفيد منها صاحب المتاع الأول الذي باعه بيعًا صوريًا لا حقيقة له.

ومثال ذلك أن يبيع شخص لآخر جهازًا أو نحوه من السلع بألف مثلاً مؤجلاً إلى عام أو أقل أو أكثر، ثم يبيع المشتري هذا الجهاز نفسه إلى بائعه الأول بثمانمائة تدفع حالاً إلى المشتري الأول، وفي نهاية الأجل المحدد بينهما لدفع الثمن في العقد الأول يدفع المشتري الثمن كاملاً، فيكون الفرق بين الثمنين الألف والثمانمائة ربًا لصاحب الجهاز الذي يبيع بيعًا صوريًا، وهكذا نرى أن الصفقة عبارة عن تحايل على الإقراض عن طريق البيع والشراء.

وربما وسّط المتعاقدان بينهما شخصًا ثالثًا يقوم بعملية الشراء للعين بثمن حالٍّ من مريد الاقتراض بعد أن اشتراها من مالكها المقرض، ثم يبيعها للمالك الأول الذي باعها بالثمن الأول، فيكون الفرق ربًا له.

هذا، وقد اختلف العلماء في الحكم على هذه الصورة الأخيرة:

فعند أبي حنيفة- رحمه الله تعالى-: أنه عقد فاسد إن خلا من توسط شخص ثالث بين المالك المقرض والمشتري المقترض، وهنا خالف أبو حنيفة أصله الذي يقتضي القول بصحة هذا العقد، وذلك استحسانًا؛ لأن الثمن إذا لم يستوف لم يتم البيع الأول، فيصير البيع الثاني مبنيًا عليه، فليس للبائع الأول أن

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

يشتري ممن لم يمتلكه بعد، فيكون البيع الثاني فاسدًا.

وأما أبو يوسف فقال: هذا البيع صحيح بلا كراهة، وقال محمد بن الحسن: إنه صحيح مع الكراهة حتى إنه قال: هذا البيع في قلبي كامثال الجبال ذميم، اخترعه أكلة الربا.

وأما الشافعي- رحمه الله تعالى- فعنده هذا العقد صحيح مع الكراهة ؛ لتوافر ركنه وهو الإيجاب والقبول الصحيحان، ولا عبرة في إبطال العقد بالنية التي لا نعرفها ؛ لعدم وجود ما يدل عليها ؛ أي أن القصد الآثم لا يعرفه إلا الله تعالى، والحكم على ظاهر العقد شيء آخر، لذا فإنه يحمل العقد على عدم التهمة.

وأما المالكية والحنابلة فإن هذا العقد عندهم يقع باطلاً سدًا للذرائع، ولما روي من قصة زيد بن أرقم رضي الله عنه مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي: أن العالية بنت أيفع قالت: دخلت أنا وأم ولد زيد بن أرقم وامرأته على عائشة رضي الله عنها، فقالت أم ولد زيد بن أرقم: إني بعت غلامًا من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم إلى العطاء، ثم اشتريته منه بستمائة درهم (أي حالَّة)، فقالت عائشة رضي الله عنها: بئسما شَرَيْتِ وبئسما اشْتَرَيْتِ، أبلغي زيدًا أنه أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إن لم يتب، كما استدلوا بحديث: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاءً فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم». واستدلوا أيضًا من جهة المعقول بالقياس على الذرائع المجمع على منعها بجامع أن الأغراض الفاسدة في كل منها هي الباعثة على عقدها، لأنه المحصل لها.

قال أبو عمر بن عبد البر: وتفسير ما ذكره مالك وغيره في ذلك أنها ذريعة إلى دراهم بدراهم أكثر منها إلى أجل، ودنانير بدنانير أكثر منها إلى أجل.

وهكذا نرى أن التحايل على الربا واضح في صورة العينة، وقد حذر منه رسول الله ﷺ، وبيّن لنا أن هذه الصور المنهي عنها إذا تعامل الناس بها فإن الله تعالى ينزل بهم البلاء، والمسلمون تنزل بهم البلايا والفتن من غلاء العيش وضنكه وضيق الصدور، وظهور الأوجاع والأمراض وانتشارها، وتسلط الأعداء عليهم، ونزول الذل بهم، وذلك بسبب الإعراض عن دين الله تعالى، وعدم المبالاة بالمكاسب.

ولقد بيّن الرسول ﷺ أن هذا البلاء لن يُرْفَعَ حتى يرجع الناس إلى دينهم، والله تبارك وتعالى بيّن لنا في كتابه العزيز أن ما يصيب الناس إنما يكون بسبب ما كسبت أيديهم من المخالفات الشرعية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى].

وشرع الله تعالى فيه الحلول التي تحول بين الناس وبين المحرمات، فمن ابتاع ذهبًا بذهب أو غيره من الأصناف الربوية وجب عليه فيه التماثل والتقابض، ومن اشترى جنسًا منها بجنس آخر، وجب فيه التقابض وانتفى إيجاب المثلية، وعلى تجار الذهب ألا يتعاملوا بمبادلة الذهب بالذهب مع الزيادة، وقد أوجد لهم الشرع الحل في أن يشتري التاجر ممن أراد البيع ذهبه ويعطيه ثمنه، ومن ثم يشتري بنقوده ذهبًا فتكون صفقة غير الصفقة، كما قال رسول الله ﷺ في التمر: «بع الجمع بالدرهم واشتر بالدراهم جنيبًا».

وفي هذه الصورة- صورة العينة- نجد الرسول ﷺ ينهى المسلم أن يبيع ما اشتراه قبل أن يقبضه. قال أبو عمر بن عبد البر بعد ما ساق النصوص وأقوال الفقهاء في المسألة:

وتفسير ما ذكرنا في العينة:

فأما لفظ نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «من ابتاع طعامًا فلا يبعه حتى يستوفيه». ولفظ عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «من ابتاع طعامًا فلا يبعه حتى يقبضه». فالمعنى في ذلك سواء، لأن الاستيفاء بالكيل والوزن هو القبض لما يكال أو يوزن.

٠٠ ١٤- بيع العُرْبَان ٠٠

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الْعُرْبَانِ.

هذا الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٦٠٩)، وأخرجه الإمام أبو داود في البيوع باب في بيع العربان برقم (٣٥٠٢)، والإمام ابن ماجه في التجارات باب بيع العربان برقمي (٢١٩٢، ٢١٩٣)، وكذا رواه الإمام أحمد في المسند (٢/١٨٣).

٠٠ شرح الحديث ٠٠

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار: قال مالك: وذلك فيما نرى- والله أعلم- أن يشتري الرجل العبد أو الوليدة، أو يتكارى الدابة، ثم يقول للذي اشترى منه أو تكارى منه: أعطيك دينارًا أو درهمًا أو أكثر من ذلك أو أقل، على أني إن أخذت السلعة أو ركبت ما تكاريت منك فالذي أعطيتك من ثمن السلعة أو من كراء الدابة، وإن تركت ابتياع السلعة أو كراء الدابة فما أعطيتك لك. اهـ.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وكذا ذكره عن الإمام مالك أبو داود في سننه عقب روايته للحديث. وهذا تفسير الإمام مالك لهذا الحديث. وقد ذكر الإمام أبو عبد الله بن ماجه في سننه عقب الحديث قال: العربان أن يشتري الرجل دابة بمائة دينار، فيعطيه دينارين عربونًا، فيقول: إن لم أشتر الدابة فالديناران لك، قال: وقيل: يعني- والله أعلم- أن يشتري الرجل الشيء فيدفع إلى البائع درهمًا أو أقل أو أكثر، ويقول: إن أخذته، وإلا فالدرهم لك.

وهكذا نرى أن العُرْبانَ هو العَرْبون، ونرى كذلك أن صورته ما يقع بين الناس في تبايعهم، من أن يشتري الشخص شيئًا فيدفع إلى البائع جزءًا من الثمن مقدمًا، فإن أتم البيع دفع بقية الثمن، وإن رد البيع فَقَدَ العربون، فيكون حينئذٍ الخيار للمشتري دون البائع.

وحُكْمُه:

الجمهور على أنه بيع ممنوع غير صحيح ؛ وذلك لأن النبي ﷺ نهى عنه، ولأنه من باب المخاطرة وفيه نوع من الغرر، وأكل المال بغير عوض، قالوا: ولأن فيه شرطين فاسدين: أحدهما شرط الهبة، والثاني شرط الرد على تقدير ألا يرضى، ولأنه شَرَطَ للبائع شيئًا بغير عوض فلم يصح، كما لو شرطه لغير البائع.

وقالوا أيضًا: لأنه بمنزلة الخيار المجهول ؛ فإنه اشترط أن يكون له أن يرد المبيع من غير ذكر مدة فلم يصح.

وعند الإمام أحمد أنه لا بأس به، ودليله ما أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه من حديث زيد بن أسلم «سُئل رسول الله ﷺ عن العربان في البيع فأحله». وما روي فيه عن نافع بن عبد الحارث: أنه اشترى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم، فإن رضي الله عمر، كان البيع نافذًا، وإن لم يرض فلصفوان أربعمائة درهم، وضَعَّف الإمام أحمد الحديث المروي في بيع العربان.

قال أبو عمر بن عبد البر: وأما قول مالك في تفسير ذلك فعليه جماعة فقهاء الأمصار من الحجازيين والعراقيين، منهم الشافعي والثوري وأبو حنيفة والأوزاعي والليث بن سعد وعبد العزيز بن أبي سلمة ؛ لأنه من بيع الغرر والمخاطرة، وأكل المال بغير عوض ولا هبة وذلك باطل. قال: وبيع العربان على ذلك منسوخ عندهم إذا وقع قبل القبض وبعده، وترد السلعة إن كانت قائمة، فإن فاتت (أي استُهْلِكَتْ) رد قيمتها يوم قبضها، ويَرُدُّ على كل حال ما أخذ عُرْبانًا في الشراء والكراء.

قال أبو عمر بن عبد البر: وقد رُوِيَ عن قوم من التابعين منهم ؛ مجاهد وابن سيرين ونافع بن عبد الحارث وزيد بن أسلم أنهم أجازوا بيع العربان على ما وصفنا. قال: وذلك غير جائز عندنا. وكان زيد بن أسلم يقول: أجازه رسول الله ﷺ.

قال أبو عمر: وهذا لا نعرفه عن النبي ﷺ من وجه يصح. قال: ويحتمل أن يكون بيع العربان الذي أجازه رسول الله ﷺ لو صح عنه أن يجعل العربان عن البائع من ثمن سلعته إن تم البيع وإلا رده، وهذا وجه جائز عند الجميع. ثم قال: قال مالك في الرجل يبتاع ثوباً من رجل فيعطيه عربانًا على أن يشتريه، فإن رضيه أخذه، وإن سخطه رده وأخذ عربانه،إنه لا بأس به. قال أبو عمر: لا أعلم في هذا خلافًا، قال: وفي اتفاقهم على هذا دليل على أن المعنى في النهي عن بيع العربان ما قاله مالك والجماعة التي ذكرناهم من العلماء معه على ما تقدم ذكره.

قال أبو عمر: إن وقع بيع العربان الفاسدُ فُسِخَ، وردَّت السلعة إلى البائع والثمن للمشتري.

١٥- مَطْلُ الغني

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ وإذا أُتْبِعَ أحَدُكُمْ على مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحوالات من صحيحه باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة برقم (٢٢٨٧)، وفي باب إذا أحال على ملي فليس له رد، برقم (٢٢٨٨)، وفي كتاب الاستقراض وأداء الديون باب (مطل الغني ظلم) برقم (٢٤٠٠)، كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب تحريم مطل الغنيِّ وصحة الحوالة، واستحباب قبولها إذا أحيل على مليٍّ برقم (١٥٦٤). والإمام أحمد في المسند برقم (٢/٤٦٣)، والإمام مالك في الموطا برقم (٦٧٤)، وأبو داود في البيوع برقم (٣٣٤٥)، والترمذي في البيوع باب في مطل الغني أنه ظلم برقم (١٣٠٨)، والنسائي في البيوع باب الحوالة برقم (٤٦٩٥)، وابن ماجه في الصدقات باب الحوالة برقم (٢٤٠٣).

شرح الحديث

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قوله: «مَطْلُ الغني ظلم». وفي رواية ابن عيينة عن أبي الزناد عند النسائي وابن ماجه: «المطل ظلم الغني»، والمعنى أنه من الظلم، وأطلق ذلك للمبالغة في التنفير عن المطل، وقد رواه الجوزقي من طريق همام عن أبي هريرة

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بلفظ: «إنَّ مِنَ الظُّلْمِ مَطْلَ الْغَنِيِّ»، وهو يفسر الذي قبله.

قال: وأصل المَطْلِ المَدُّ، قال ابن فارس: مطلت الحديدة أمطلها مطلاً، إذا مددتها لتطول، وقال الأزهري: المطل المدافعة، والمراد هنا تاخير ما استُحِق اداؤه بغير عذر. والمراد بالغني هنا من قدر على الأداء فاخره ولو كان فقيرًا، قال: وهل يتصف بالمطل من كان القدر المطالب به ليس حاضرًا عنده لكنه قادر على تحصيله بالتكسب مثلاً ؟

أورد ابن حجر للشافعية فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون ماطلاً ويجب عليه تحصيل ما استحق عليه، والثاني عدم الوجوب، والقول الثالث التفصيل بين أن يكون أصل الدين وجب بسبب يعصى به فيجب وإلا فلا.

قال: وقوله: «مطل الغني» من إضافة المصدر للفاعل عند الجمهور، والمعنى: أنه يحرم على الغني القادر أن يماطل بالدين بعد استحقاقه، بخلاف العاجز، وقيل: هو من إضافة المصدر للمفعول، والمعنى: أنه يجب وفاء الدين ولو كان مستحقه غنيًا، ولا يكون غناه سببًا لتاخير حقه عنه، وإذا كان كذلك في حق الغني فهو في حق الفقير أولى، قال: ولا يخفى بُعْدُ هذا التاويل.

أقول: ولا مانع من شمول الحديث للمعنيين. والله أعلم.

قال الحافظ: وفي الحديث الزجر عن المطل، واختلف: أيُعَدُّ فِعْلُهُ كبيرةً أم لا ؟ فالجمهور على أن فاعله يفسق، لكن أيثبت فسقه بمطله مرة واحدة أم لا؟ قال النووي: مقتضى مذهبنا اشتراط التكرار، ورده السبكي في «شرح المنهاج» بان مقتضى مذهبنا عدمه، واستدل بان منع الحق بعد طلبه وابتغاء العذر عن أدائه كالغصب، والغصب كبيرة من الكبائر، وتسميته ظلمًا يشعر بكونه كبيرة، والكبيرة لا يشترط فيها التكرار. نعم لا يحكم عليه بذلك إلا بعد أن يظهر عدم عذره. انتهى كلام السبكي.

قال الحافظ: واختلفوا أيفسق بالتاخير مع القدرة قبل الطلب أم لا ؟ فالذي يشعر به الحديث التوقف على الطالب لأن المطل يشعر بذلك. ويدخل في المطل كل من لزمه حق كالزوج لزوجته، والسيد لعبده والحاكم لرعيته، وبالعكس.

قال: واستُدِلَّ به على أن العاجز لا يدخل في الظلم، وهو بطريق المفهوم ؛ لأن تعليق الحكم بصفة من صفات الذات يدل على نفي الحكم عن الذات عند انتفاء تلك الصفة، ومن لم يقل بالمفهوم أجاب بان العاجز لا يسمى ماطلاً، كما استدل به أيضًا على أن الغني الذي ماله غائب عنه لا يدخل في الظلم، واستنبط منه بعض العلماء أن المعسر لا يحبس ولا يطالب حتى يوسر.

قال أبو عمر بن عبد البر: إنما يكون المطل من الغني إذا كان صاحب الدين طالبًا لدينه راغبًا في أخذه، فإذا كان الغريم (أي المدين) مليئًا غنيًا ومطله وسوَّفَ به فهو ظالم له، والظلم محرم كثيره وقليله، وقد أتى الوعيد الشديد في الظالمين بما يجب أن يكون كل من فَقِهَهُ عن قليل الظلم وكثيره منتهيًا. وإن كان الظلم ينصرف على وجوه بعضها أعظم من بعض. قال: وأعظمها الشرك بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال حاكيًا عن الله تبارك وتعالى: «يا عبادي إن حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا». [مسلم: ٢٥٧٧].

قال: ومن الدليل على أن مطل الغني ظلم محرم موجب للإثم ما ورد به الخبر عن النبي ﷺ استحلال عرضه، والقول فيه، ولولا مطله لم يحل منه ذلك، قال الله عز وجل: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]. وقال رسول الله ﷺ: «لَيُّ الواجدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وعُقُوبَتَهُ». [أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٣٨٩)، وأبو داود والنسائي وابن ماجه].

الليي: المطل، والواجد: الغني.

قال أبو عمر: فمعنى قوله: «يحل عرضه» أي: يحل من القول منه ما لم يكن يحل لولا مطله وليه.

ومعنى «وعقوبته»: قالوا: السجن حتى يُؤَدِّي أو يُثْبِتَ عُسْرَتَهُ، فيجب حينئذٍ نظره.

وروى أبو عمر بسنده إلى سحنون بن سعيد قال: إذا مطل الغني بدين عليه لم تجز شهادته ؛ لأن النبي ﷺ سماه ظلمًا.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا والمسلمين الحلال الطيب ويبارك لنا فيه، وأن يباعد بيننا وبين الحرام الخبيث بُعد ما بين المشرقين، وأن يهدينا لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال. وأن يُباعد بيننا وبين سيئها، وأن يرفع عن المسلمين الغلاء والوباء والمحن والفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

عن طارق بن شهاب قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة. فقال: قد تُرك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٤٩).

كما أخرجه الإمام أبو داود في سننه في باب الخطبة يوم العيد برقم (٢١٤٠)، وكذا الإمام الترمذي في جامعه باب ما جاء في تغيير المنكر باليد واللسان والقلب برقم (٢١٧٢)، وأخرجه أيضًا الإمام النسائي في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان برقمي (٥٠١١-٥٠١٢). وكذلك الإمام ابن ماجه في السنن في باب ما جاء في صلاة العيدين برقم (١٢٧٥). كما أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ١٠-٢٠-٤٩-٥٢-٥٣-٥٤-٩٢).

شرح الحديث

في هذا الحديث بيان أن أول من بدأ في صلاة العيد من الأمراء بالخطبة قبل الصلاة هو مروان بن الحكم، لكن قال القاضي عياض رحمه الله- كما نقله عنه النووي في شرحه لصحيح مسلم: اختلف في هذا، فوقع هاهنا ما تراه. وقيل: أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى الناس يذهبون عند تمام الصلاة ولا ينتظرون الخطبة، وقيل: بل ليدرك الصلاة من تأخر وبعُدَ منزله. وقيل: أول من فعله معاوية رضي الله عنه، وقيل فعله ابن الزبير رضي الله عنه.

والذي ثبت عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمرو عثمان وعلي رضي الله عنهم تقديم الصلاة، وعليه جماعة فقهاء الأمصار، وقد عده بعضهم إجماعًا، قال النووي:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

يعني: والله أعلم بعد الخلاف، أو لم يلتفت إلى خلاف بني أمية بعد إجماع الخلفاء والصدر الأول، واستنبط النووي رحمه الله تعالى من قول أبي سعيد رضي الله عنه في الرجل الذي نصح لمروان: أما هذا فقد قضى ما عليه، بمحضر من ذلك الجمع العظيم دليلاً وحجة على استقرار السنة عندهم على خلاف ما فعله مروان، وكذلك يعضد هذا احتجاج أبي سعيد رضي الله عنه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرًا فليغيره». ولا يسمى منكرًا لو اعتقده هو ومن حضر، أو سبق به عمل، أو مضت به سنة. قال النووي: وفي هذا دليل على أنه لم يعمل به خليفة قبل مروان، وأن ما حكي عن عمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم لا يصح، والله أعلم.

وقد أورد النووي تساؤلاً حول تأخر أبي سعيد عن إنكار المنكر حتى سبقه إليه ذاك الرجل.

وأجاب بقوله: إنه يحتمل أن أبا سعيد رضي الله عنه لم يكن حاضرًا أول ما شرع مروان في أسباب تقديم الخطبة فأنكر عليه الرجل فدخل أبو سعيد وهما في الكلام، ويحتمل أن أبا سعيد كان حاضرًا من أول ما شرع مروان ولكنه خاف على نفسه أو غيره حصول فتنة بسبب إنكاره فسقط عنه الإنكار، ولم يخف ذلك الرجل شيئًا لاعتضاده بظهور عشيرته، أو غير ذلك، ويحتمل أن أبا سعيد هَمَّ بالإنكار فبدره الرجل فعضده أبو سعيد، والله أعلم.

ثم قال النووي: ثم إنه جاء في الحديث الآخر الذي اتفق الشيخان على إخراجه في صلاة العيد أن أبا سعيد هو الذي جذب بيد مروان حين رآه يصعد المنبر، وكانا جاءا معًا، فرد عليه مروان بمثل ما رد هنا على الرجل، فيحتمل أنهما قضيتان؛ إحداهما لأبي سعيد والأخرى للرجل بحضرة أبي سعيد والله أعلم. وقول أبي سعيد: «فقد قضى ما عليه» فيه تصريح بإنكار أبي سعيد رضي الله عنه.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الإمام النووي: فأما قوله: «فليغيره» فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضًا من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم، كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء، ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافًا للمعتزلة.

وأما قوله تعالى: «عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» [المائدة: ١٠٥]، فليس مخالفًا لما ذكرناه؛ لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: إنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: «وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» [الإسراء: ١٥]، وإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب عليه بعد ذلك لكونه أدى ما عليه، فإنما عليه الأمر والنهي لا القبول، والله أعلم.

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف؛ وذلك لقول الله تعالى: «وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [آل عمران: ١٠٤] ثم إنه قد يتعين؛ كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف.

ضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المكلف لكونه لا يفيد حسب ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وقد تقدم أن الذي على المكلف إنما هو الأمر والنهي لا القبول، كما قال الله تعالى: «مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ» [المائدة: ٩٩]، وقد مثل العلماء لهذا بمن يرى إنسانًا في الحمام أو غيره مكشوف العورة، ونحو ذلك.

ثانيًا: لا يشترط في الآمر الناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنبًا ما ينهى عنه، بل عليه الأمر ولو كان مخلاً بما يأمر به، والنهي ولو كان متلبسًا بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان؛ أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخلَّ بأحدهما فكيف يباح له الإخلال بالآخر؟

ثالثًا: لا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين، قال إمام الحرمين: الدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر، مع تقرير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

غير ولاية.

رابعًا: إنما يأمر وينهى من كان عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء فإن كان من الواجبات الظاهرة كالصلاة والصيام، أو المحرمات المشهورة كالزنا وشرب الخمر ونحوها فعامة المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأقوال والأفعال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء.

خامسًا: العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين: كل مجتهد مصيب، قال النووي: وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر: المصيب واحد، والمخطئ غير متعين لنا والإثم مرفوع عنه، قال: لكن إن ندبه- على جهة النصيحة- إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف، إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر.

هذا، وقد ذكر أبو الحسن الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» خلافًا بين العلماء في أن من قلده السلطان الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء إذا كان المحتسب من أهل الاجتهاد، أم لا يغير ما كان على مذهب غيره؟. والأصح أنه لا يغير، لما سبق ذكره، ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكذا بين التابعين فمن بعدهم، ولا ينكر محتسب منهم ولا غيره على غيره، وكذلك قالوا: ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه ما لم يخالف نصًا صريحًا أو إجماعًا أو قياسًا جليًا. والله تعالى أعلم.

سادسًا: ينبغي للآمر الناهي ألا يترك ذلك بسبب صداقة أو مودة أو طلب وجاهة أو مداهنة أو دوام المنزلة عنده، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقًا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من يسعى في إعمار آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب آخرته أو نقصها وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوًا لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها.

سابعًا: يجب على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يرفق بمن يأمره وينهاه، ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

[أخرجه مسلم من حديث أم المؤمنين عائشة برقم ٢٥٩٤].

وصح عنه أيضًا صلوات الله عليه قوله: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه».

[مسلم: ٢٥٩٣ عن عائشة].

وصح عنه صلوات الله وسلامه عليه قوله: «من يحرم الرفق يحرم الخير». [مسلم: ٢٥٩٢ عن جرير].

وقد أثر عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

ثامنًا: وتغيير المنكر باليد لمن له السلطان في رعيته كالزوج مع زوجته، وكالأب مع أولاده، وكل راعٍ في رعيته، وذلك لقول النبي ﷺ: «ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته». فيغير ذو السلطان بكل ما أمكنه من وسائل التغيير.

ومعلوم أن دفع المنكر إذا أدى إلى مفسدة مثله أو أعظم منه فإنه حينئذ لا يجوز تغييره، وقد استدل العلماء على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

تاسعًا: قال الماوردي في الأحكام السلطانية: ليس للمحتسب أن يبحث عن المنكرات غير الظاهرة، فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارة وآثار ظهرت، فذلك ضربان؛ أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذه الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرًا من فوات ما لا يستدرك، الضرب الثاني ما قصر عن هذه الرتبة، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه، فإن سمع أصوات الملاهي المنكرة من دار أنكرها خارج الدار، ولم يهجم عليها بالدخول لأن المنكر ظاهر فليس عليه أن يكشف عن الباطن، والله أعلم.

عاشرًا: قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل ويريق المسكر بنفسه أو يأمر من يفعله، وينزع الغصُوب، ويردها إلى أصحابها بنفسه أو بأمره إن أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل وبذي العزة الظالم المخوف شره إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله، كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى، ويغلظ على المتمادي في غيه والمسرف في بطالته إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرًا أشد مما غيره، لكون جانبه محميًا من سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرًا أشد منه من قتله أو قتل غيره بسببه، كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان في وسعه، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى، وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان به ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه، هذا هو فقه المسالة وصواب العمل فيها عند العلماء المحققين، خلافًا لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال وإن قتل ونيل منه كل أذى. اهـ.

الآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الإمام النووي: واعلم أن هذا الباب- أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- قد ضُيِّعَ اكثرُهُ من أزمان متطاولة، ولم يبق منه إلا رسوم قليلة جدًا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده، قال تعالى: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣]، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم».

[حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٠٧٠)]

فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص النية، ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: «وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: «وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [آل عمران: ١٠١]، قال: واعلم أن الأجر على قدر النصب، ونسال الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته، وأن يعمنا بجوده ورحمته.

قال المباركفوري في «التحفة» في قوله ﷺ: «...فإن لم يستطع فبقلبه»: بأن لا يرضى به وينكر في باطنه على متعاطيه فيكون تغييرًا معنويًا إذ ليس في وسعه إلا هذا التغيير، وقيل التقدير فلينكره بقلبه لأن التغيير لا يتصور بالقلب. «وذلك» أي: الإنكار بالقلب وهو الكراهية، «أضعف الإيمان» أي: أضعف شعبة من شعب الإيمان، أو أضعف خصال أهل الإيمان، والمعنى أنه أقلها ثمرة، فمن غَيَّرَ المراتب مع القدرة كان عاصيًا، ومن تركها بلا قدرة أو يرى المفسدة أكبر ويكون منكرًا بقلبه فهو من المؤمنين.

وقيل معناه: وذلك أضعف زمن الإيمان (أي أضعف الأجيال إيمانًا)؛ إذ لو كان إيمان أهل زمانه قويًا لقدر على الإنكار القولي أو الفعلي، ولما احتاج إلى الاقتصار على الإنكار القلبي.

نسال الله الكريم رب العرش العظيم أن يقوي إيماننا وإيمان أهل زماننا، وأن يعيننا وإخواننا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يصلح أحوال المسلمين ويؤلف بين قلوبهم، وأن يصلح ذات بينهم، وأن يوحد صفوفهم تحت راية التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



النفاق وعلامات المنافقين

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، ونشكره شكرًا يستجلب المزيد من فضله، ونصلي ونسلم على خير خلقه وسيد ولد آدم نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربع من كُن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

إعداد/ زكريا حسيني محمد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

الحديث الأول- حديث عبد الله بن عمرو- أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه باب «علامات المنافقين» برقم (٣٤)، وفي كتاب المظالم باب «إذا خاصم فجر» برقم (٢٤٥٩)، وفي كتاب الجزية والموادعة باب «إثم من عاهد ثم غدر» برقم (٣١٧٨)، وكذا أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب «بيان خصال المنافق» برقم (٥٨)، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة باب «الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه» برقم (٤٦٨٨)، وأخرجه أيضًا الإمام الترمذي في أبواب الإيمان باب «ما جاء في علامة المنافق» برقم (٢٦٣٢)، وكذا الإمام النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه باب «علامة المنافق» برقم (٥٠٢٣)، وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» بالأرقام (٣/١٨٩، ١٩٨، ٢٠٠).

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقد أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب «علامات المنافقين» برقم (٣٣)، كما أخرجه في كتاب الشهادات باب «من أمر بإنجاز الوعد» برقم (٢٦٨٢)، وفي كتاب الوصايا باب «قوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ برقم (٦٠٩٥)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان برقم (٥٩)، وأخرجه أحمد في المسند بالأرقام (٢/٣٥٧، ٣٩٧، ٥٣٦)، وكذلك أخرجه الإمام الترمذي في أبواب الإيمان باب ما جاء في علامة المنافق برقم (٢٦٣١)، والإمام النسائي في الصغرى في كتاب الإيمان وشرائعه باب «علامة المنافق» برقم (٥٠٢٤).

شرح الحديثين

أولاً: معنى النفاق:

النفاق معناه: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب، قال في اللسان: والنفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر، مشتق من نافقاء اليربوع، وقد تكرر في الحديث ذكر النفاق وما تصرف منه اسمًا وفعلاً، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب قبل الإسلام بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يظهر إيمانه ويبطن كفره، وإن كان أصله في اللغة معروفًا، يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا.

ثانيًا: معنى الآية:

الآية هي العلامة، وإنما أفردت لإرادة الجنس، أو أن العلامة إنما تحصل باجتماع الخصال كلها، قال

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الحافظ في الفتح: والأول ألبق بصنيع المصنف- يعني البخاري رحمه الله تعالى- ولهذا ترجم بالجمع وعقّب بالمتن الشاهد لذلك، فترجمة البخاري للباب: «علامات المنافق». قال: وقد رواه أبو عوانة في صحيحه بلفظ: «علامات المنافق».

ثالثًا: الجمع بين الحديثين

قال الحافظ في الفتح: «قوله: آية المنافق ثلاث»، فإن قيل ظاهره الحصر في الثلاث، فكيف جاء في الحديث الآخر بلفظ: «أربع من كُن فيه... الحديث»؟ وأقول: ليس بين الحديثين تعارض؛ لأنه لا يلزم من عد الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق كونها علامة على النفاق، لاحتمال أن تكون العلامات دالات على أصل النفاق، والخصلة الزائدة إذا أضيفت إلى ذلك كمل بها خلوص النفاق، على أن في رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ما يدل على إرادة عدم الحصر، فإن لفظه: «من علامة المنافق ثلاث»، وكذا أخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإذا حمل اللفظ الأول على هذا لم يرد السؤال، فيكون قد أخبر ببعض العلامات في وقت، وببعضها في وقت آخر، وقال القرطبي والنووي: حصل من مجموع الروايتين خَمْسُ خصال؛ لأنهما تواردتا على الكذب في الحديث والخيانة في الأمانة، وزاد أحدهما الخلف في الوعد، والثاني الغدر في المعاهدة والفجور في الخصومة. قلت: وفي رواية مسلم: الثاني بدل الغدر في المعاهدة الخلف في الوعد كما في الأول، فكأن بعض الرواة تصرف في لفظه لأن معناهما قد يتحد، وعلى هذا فالمزيد خصلة واحدة وهي الفجور في الخصومة، والفجور الميل عن الحق والاحتيال في رده، وهذا قد يندرج في الخصلة الأولى وهي الكذب في الحديث، ووجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث أنها منبهة على ما عداها؛ إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف؛ لأن خلف الوعد لا يقدح إلا إذا كان العزم عليه مقارنًا للوعد، أما لو كان عازمًا على الوفاء ثم عرض له مانع أو بدا له رأي فهذا لم توجد منه صورة النفاق. اهـ من الفتح باختصار. والله أعلم.

رابعًا: شرح هذه العلامات:

قال الحافظ ابن رجب: والنفاق شرعًا ينقسم إلى قسمين: أحدهما النفاق الأكبر؛ وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك.

وأصول هذا النفاق ترجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث، وهي خمس:

أحدها: «إذا حدث كذب»، وهو أن يحدث بحديث لمن يصدقه به وهو كاذب له، قال الحسن: كان يقال: النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج، وكان يُقال: أسُّ النفاق الذي بُني عليه النفاق الكذب. قلت: والتعبير يشعر أن هذه الخصلة المقصود بها كلما حدَّث كذب، فكان ديدنه الكذب لا يكاد يصدق في حديثه إلا قليلاً، فمن عُرِفَ عنه الكذب دائمًا فيخشى عليه النفاق، والله أعلم.

الثاني: «إذا وعد أخْلف»، وهو على نوعين: أولهما أن يعد ومن نيته أن لا يفي، وهذا أشر الخلف، ولو قال: أفعل كذا إن شاء الله تعالى، ومن نيته أن لا يفعل، كان كذبًا وخلفًا، قاله الأوزاعي: والآخر أن يَعِدَ ومن نيته أن يفي، ثم يبدو له، فيخلف من غير عذر له في الخلف.

وقد روي عن ابن مسعود قال: لا يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز له، وأخرج الإمام أحمد في المسند وأبو داود في السنن عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: جاء النبي ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي، فخرجت لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك، فقال رسول الله ﷺ: «ماذا أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال: «أما إنك لو لم تعطيه كُتبت عليك كذبة». وذكر الزهري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مَن قال لصبي: تعال هاكَ تمرًا، ثم لا يعطيه شيئًا فهي كذبة.

الثالث: «إذا خاصم فجر»: ويعني بالفجور أن يخرج

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

عن الحق عمدًا حتى يُصَيِّرَ الحق باطلاً والباطل حقًا، وهذا يدعو إليه الكذب. كما قال ﷺ: «إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار». (متفق عليه).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الْخَصِمُ». وفيهما من حديث أم سلمة رضي الله عنها: «إنكم لتختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي على نحو مما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار». وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحرًا». فإذا كان الرجل ذا قدره عند الخصومة- سواء كانت خصومته في الدين أو الدنيا- على أن ينتصر للباطل، ويخيل للسامع أنه حق، يوهن الحق ويضعفه ويخرجه في صورة الباطل، كان ذلك من أقبح المحرمات، ومن أخبث خصال النفاق، وفي سنن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع».

الرابع: «إذا عاهد غدر»، أي: لم يَفِ بالعهد، وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد، فقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ...﴾ [النحل: ٩١]، إلى غير ذلك من الآيات، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لكل غادر لواءٌ يوم القيامة يعرف به». وفي رواية: «إن الغادر ينصب له لواءٌ يوم القيامة، فيقال: ألا هذه غدرة فلان».

والغدر حرام بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهد كافرًا، ولهذا في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا». [البخاري ٦٩١٤]. وقد أمر الله تعالى بالوفاء بعهود المشركين، إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوها، وأما عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد، ونقضها أعظم إثمًا، ومن أعظمها نقض عهد الإمام على من بايعه، ورضي به، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم». فذكر منهم: «ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنياه، إن أعطاه ما يريد وفى له، وإلاَّ لم يفِ له». متفق عليه، ويدخل في العهود التي يجب الوفاء بها، ويحرم الغدر فيها جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التي يجب الوفاء بها، وكذلك ما يجب الوفاء به لله عز وجل مما يعاهد العبد ربه عليه من نذر فيما فيه طاعة لله تعالى ونحو ذلك.

الخامس: «وإذا ائتمن خان»:

فإذا ائتمن الرجل أمانة وجب عليه أن يؤديها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال النبي ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك». (أبو داود والنسائي والحاكم، وصححه الألباني برقم (٢٤٠) في صحيح الجامع). وقال ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها». فالخيانة في الأمانة من خصال النفاق، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وروي عن محمد بن كعب القرظي أنه استنبط ما في هذا الحديث- حديث آية المنافق ثلاث- من القرآن، وقال: مصداق ذلك في كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣]، وروي عن ابن مسعود نحو هذا الكلام، ثم تلا

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٧].

وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، كما قال الحسن رحمه الله: وقال الحسن أيضًا: من النفاق أيضًا اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج، وقال طائفة من السلف: خشوع النفاق أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع، وقد روي معنى ذلك عن عمر رضي الله عنه، وسئل حذيفة عن المنافق فقال: الذي يصف الإيمان ولا يعمل به. وفي صحيح البخاري برقم (٧١٧٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قيل له: إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعدها نفاقًا.

الصحابة كانوا يخشون النفاق على أنفسهم

عن حنظلة الأسيدي- وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ- قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قال: قلت: نافق حنظلة ؛ قال: سبحان الله ! ما تقول ؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك ؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين. فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة». ثلاث مرات (مسلم ٢٧٥٠).

وقال البخاري في صحيحه- تعليقًا في كتاب الإيمان بصيغة الجزم في باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر، وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ويذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق- يعني النفاق. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخاف النفاق على نفسه حتى سأل حذيفة رضي الله عنه عن نفسه. وسمع رجلٌ أبا الدرداء رضي الله عنه يتعوذ من النفاق في صلاته، فلما سلم قال له: ما شأنك وشأن النفاق ؟ فقال: اللهم غُفْرًا- ثلاثًا- لا تأمن البلاء، والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة فينقلب عن دينه.

قال الحافظ ابن رجب بعد أن ساق ذلك: والآثار في ذلك عن السلف كثيرة جدًا.

حكم التعامل مع المنافقين

أما النفاق الأكبر- وهو الاعتقادي- الذي أصحابه في الدرك الأسفل من النار، فإن هذا الصنف من الناس ينبغي الإعراض عنهم كما ورد عن العز بن عبد السلام مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة: ٩٥]، وهذا الإعراض يستلزم عدم التعامل أو التعاون معهم ؛ وذلك لنجاسة معتقداتهم وسوء مقاصدهم، وذكر العز بن عبد السلام أن علينا معشر المسلمين مجاهدة هؤلاء والغلظة عليهم وعلى الكافرين مستدلاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وأما النفاق العملي الذي نحن بصدد الحديث عنه فإن أهله يحتاجون إلى مجاهدة ومصابرة للتخلص من هذه الخصال، ولا سيما إن كان في الشخص خصلة أو أكثر، فإنه يجب أن يحذر منها، وأن يهجر إن كان الهجر يؤدي إلى زجره، أما إن كان الهجر لا يؤتي ثماره من زجره عما هو فيه فلينظر في وسيلة للأخذ بيد المسلم للتخلص من هذه الأخلاق الذميمة، وليعلم أن هذه الخصال إن تمادي فيها ودرج عليها فقد تؤدي به إلى النفاق الأكبر والعياذ بالله. وليعلم أيضًا أن هذه الخصال من كبائر الذنوب كل واحدة منها منفردة، فإذا اجتمعن في شخص كان منافقًا خالصًا كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

نسأل الله أن يجنبنا النفاق ويعيذنا منه، وأن يحسن أخلاقنا وأن يباعد بيننا وبين الأخلاق السيئة والسجايا الرذيلة، وأن يصلح أحوال المسلمين ويوحد صفوفهم تحت راية التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



عمليات التجميل بين الحِل والحُرمة

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبي الهدى والرحمة، نبينا محمد، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:



عن عبد الله (هو: ابن مسعود) رضي الله عنه قال: لعنَ اللهُ الواشماتِ والمُوتَشِماتِ، والمتنمصاتِ والمتفلجاتِ للحسنِ المغيراتِ خلقَ الله، فبلغَ ذلك امرأةً من بني أسدٍ يقال لها: أُمُّ يعقوبَ، فجاءتْ فقالت: إنه بلغني عنك أنك لعنتَ كيتَ وكيتَ، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ، وهو في كتابِ الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول. قال: لئنْ كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه. فقالت: فإني أرى أهلك يفعلونهُ. قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فلم تر من حاجتها شيئًا، فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في مواضع من صحيحه أولها في كتاب التفسير باب «وما آتاكم الرسول فخذوه»، برقمي (٤٨٨٦، ٤٨٨٧)، وثانيها في كتاب اللباس باب «المتفلجات للحسن» برقم (٥٩٣١)، وفي باب «المتنمصات» برقم (٥٩٣٩)، وفي باب «الموصولة» برقم (٥٩٤٣)، وفي باب «المستوشمة» برقم (٥٩٤٨)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب اللباس والزينة باب «تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله» برقم (٢١٢٥).

وأخرجه أيضًا الإمام أبو داود في سننه في كتاب الترجل باب «صلة الشعر» برقم (٤١٦٩)، وكذا أخرجه الإمام الترمذي في جامعه في أبواب الأدب باب «ما جاء في الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة» برقم (٢٧٨٢)، وأخرجه كذلك الإمام النسائي في الكبرى في كتاب الزينة برقمي (٥١٠٢، ٥١٠٣)، وبرقمي (٥١١٠، ٥١١١)، وفي المجتبى برقم (٥٢٥٣)، وأخرجه الإمام ابن ماجه برقم (١٩٨٩)، في كتاب النكاح باب «الواصلة والواشمة»، وكذلك أخرجه الإمام الدارمي في سننه برقم (٢٦٤٧) في كتاب الاستئذان، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام (١/ ٤١٥، ٤١٧، ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٥٤، ٤٦٥).

شرح الحديث

هذا الحديث اشتمل على ثلاثة أفعال:

١- الوشم: وهو عبارة عن تلوين بعض الأماكن من جلد المرأة بغرزها بالإبر وحشوها بالكحل وغيره تنقش به نقشًا، وهو نوع من التجميل الذي تحبه

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

بعض النساء في كثير من الأرياف العربية وغيرها.

٢- النمص: وهو عبارة عن ترقيق الحواجب بإزالة شعرها، لتغيير أشكالها برسوم مختلفة لتتناسب مع وضع عيونهن في زعمهن.

٣- التفليج، وهي تفريج ما بين الأسنان المتلاصقة، وغالبًا ما يختفي التفلج بالثنايا والرباعيات، وتستحسنه كثير من النساء، فتطلبه من كانت أسنانها مصمتة خلقة فتصبح فلجاء صنعة، وقد تفعله كبيرة السن لتبدو في أعين الناس صغيرة؛ لأن الفلجة غالبًا ما تذهب مع الكبر.

وهناك فعل رابع وهو الوصل، ورد في حديث كل من ابن عمر رضي الله عنهما، وابن عباس رضي الله عنهما، وعائشة رضي الله عنها، وأسماء رضي الله عنها، أما أحاديث ابن عمر وعائشة وأسماء رضي الله عنهم فهي في الصحيحين، وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فهو في سنن أبي داود.

والوصل عبارة عن وصل شعر المرأة بشعر آخر أو بصوف أو غيره ليظهر أنه كبير على غير حقيقته.

حكم فعل هذه الأشياء

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «أما الواشمة فهي فاعلة الوشم، وهي أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم فتحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر، وقد يفعل ذلك بدارات ونقوش وقد تكثره وقد تقلله، وفاعلة هذا واشمة، والمفعول بها موشومة، فإن طلبت فعل ذلك بها فهي مستوشمة، وهو حرام على الفاعلة والمفعول بها باختيارها والطالبة له، وقد يفعل بالبنت وهي طفلة فتأثم الفاعلة ولا تأثم البنت لعدم تكليفها حينئذ، وقال: يجب على من فعل به ذلك أن يزيله إن أمكنه ذلك، فإن أمكن ذلك ولم يزله عصى بتأخير إزالته، ويستوي في ذلك الرجل والمرأة، والله أعلم.

قال: وأما النامصة فهي التي تزيل الشعر من الوجه، والمتنمصة التي تطلب فعل ذلك بها، وهذا الفعل حرام، إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب فلا تحرم إزالتها بل يستحب عندنا. وقال ابن جرير: لا يجوز حلق لحيتها ولا عنفقتها ولا شاربها ولا تغيير شيء من خلقتها بزيادة ولا نقص، ومذهبنا ما قدمناه من استحباب إزالة اللحية والشارب والعنفقة، وأن النهي إنما هو في الحواجب وما في أطراف الوجه، ورواه بعضهم المنتمصة بتقديم النون، والمشهور تأخيرها. ويقال للمنقاش منماص.

قال: وأما المتفلجات فالمراد مفلجات الأسنان بأن تبرد ما بين أسنانها الثنايا والرباعيات، وهو من الفلج وهي فرجة بين الثنايا والرباعيات، وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها في السن إظهارًا للصغر وحسن الأسنان ؛ لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار، فإذا عجزت المرأة كبرت سنها وتوحشت فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر وتوهم كونها صغيرة، ويقال له أيضًا: الوشر، ومنه لعن الواشرة والمستوشرة، وهذا الفعل حرام على الفاعلة والمفعول بها لهذه الأحاديث، ولأنه تغيير لخلق الله تعالى، ولأنه تزوير، ولأنه تدليس، وأما قوله: «المتفلجات للحُسن» فمعناه: يفعلن ذلك طلبًا للحُسن، وفيه إشارة إلى أن الحرام هو المفعول لطلب الحسن، وأما لو احتاجت إليه لعلاج أو لعيب في السن ونحوه فلا بأس به، والله أعلم.

وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه: «لو كان ذلك لم نجامعها»، قال جماهير العلماء: لم نصاحبها ولم نجتمع نحن وهي بل كنا نطلقها ونفارقها. قال القاضي: ويحتمل أن معناه لم أطاها، وهذا ضعيف، والصحيح ما سبق، فيحتج به في أن من عنده امرأة مرتكبة معصية كالوصل أو ترك الصلاة أو غيرهما ينبغي له أن يطلقها، والله أعلم.

وأما الوصل الذي ورد في حديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وأسماء، رضي الله عنهم، فقال الإمام النووي رحمه الله: وأما الواصلة فهي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر، والمستوصلة هي التي تطلب من يفعل بها ذلك، ويقال لها: موصولة. قال: وهذه الأحاديث صريحة في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقًا، وهذا هو الظاهر المختار، وقد فصله أصحابنا فقالوا: إن وصلت شعرها بشعر آدمي فهو حرام بلا خلاف ؛ سواء كان شعر رجل أو امرأة، وسواء شعر الزوج والمحرم وغيرهما بلا خلاف لعموم الأحاديث، ولأنه يحرم الانتفاع بشعر الآدمي وسائر أجزائه لكرامته، بل يدفن شعره وظفره وسائر أجزائه، وإن وصلته بشعر غير آدمي فإن كان شعرًا نجسًا وهو شعر الميتة وشعر ما لا يؤكل لحمه إذا انفصل في حياته فهو حرام أيضًا للحديث، ولأنه حمل نجاسة في صلاته وغيرها عمدًا، وسواء في هذين النوعين المزوجة وغيرها من النساء والرجال،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وأما الشعر الطاهر من غير الآدمي فإن لم يكن لها زوج ولا سيد فهو حرام أيضًا، وإن كان لها زوج أو سيد فثلاثة أوجه:

أحدها: لا يجوز لظاهر الأحاديث. والثاني: لا يحرم، وأصحها عندهم إن فعلته بإذن الزوج أو السيد جاز، وإلا فهو حرام، قال: هذا تلخيص كلام أصحابنا في المسألة.

وقال القاضي عياض: اختلف العلماء في المسألة فقال مالك والطبري وكثيرون أو الأكثرون: الوصل ممنوع بكل شيء سواء وصلته بشعر أو صوف أو خرق، واحتجوا بحديث جابر الذي ذكره مسلم بعد هذا أن النبي ﷺ زجر أن تصل المرأة برأسها شيئًا، وقال الليث بن سعد: النهي مختص بالوصل بالشعر، ولا بأس بوصله بصوف وخرق وغيرها، وقال بعضهم: يجوز جميع ذلك وهو مروي عن عائشة ولا يصح عنها، بل الصحيح عنها كقول الجمهور.

هل يجوز وصل الشعر للضرورة

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن لي ابنة عُرَيِّسًا أصابتها حصبة فتمرق شعرها، أفأصله ؟ فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة».

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار زوجت ابنة لها، فاشتكت فتساقط شعرها فأتت النبي ﷺ فقالت: إن زوجها يريدها، أفأصل شعرها ؟ فقال رسول الله ﷺ: «لُعِنَ الواصلاتُ».

١- وفي رواية عنها رضي الله عنها قالت: إن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت فتمرط شعرها، فأرادوا أن يصلوه، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فلعن الواصلة والمستوصلة.

هذان الحديثان أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحيهما، والإمام أحمد في المسند وغيرهم. قال الإمام النووي في شرح مسلم: قوله: «فتمرق شعرها». وفي رواية: «فتمرق شعر رأسها وزوجها يستحسنها». وفي رواية: «أنها مرضت فتمرط شعرها». وفي رواية: «فاشتكت فتساقط شعرها، وأن زوجها يريدها». قال: أما تمرق فبالراء المهملة، وهو بمعنى تساقط وتمرط كما ذكر في باقي الروايات، ولم يذكر القاضي في الشرح إلا الراء المهملة كما ذكرنا، وحكاه عن جمهور الرواة، ثم حكى عن جماعة من رواة «صحيح مسلم» أنه بالزاي المعجمة، قال: وهذا وإن كان قريبًا من معنى الأول ولكنه لا يستعمل في الشعر في حال المرض.

وأما قولها: «إن لي ابنة عُرَيِّسًا»، فبصيغة التصغير، وهو تصغير عروس، والعروس يقع على المرأة والرجل عند الدخول بها، قال: وأما الحصبة فبفتح الحاء وإسكان الصاد، ويقال أيضًا: بفتح الصاد وبكسرها ثلاث لغات، والإسكان أشهر، وهو مرض معروف قديمًا وحديثًا.

وأما قولها: «وزوجها يستحسنها». فهكذا وقع في جماعة من النسخ من الاستحسان، أي يستحسنها فلا يصبر عنها ويطلب تعجيلها إليه، ووقع في كثير منها: «يستحثنيها» من الحث وهو السرعة في الشيء، وفي بعضها: «يستحثها»، والله أعلم.

قال: وفي الحديث أن الوصل حرام سواء كان لمعذورة أو عروس أو غيرهما. وفي هذه الأحاديث أيضًا أن هذه الأفعال (الوصل، والوشم، والنمص، والفلج) من المعاصي الكبار، وذلك للعن من تفعلها ومن تفعل به، ففاعل ذلك في محلات ما يسمى بـ «الكوافير» سواء كان الفاعل رجلاً أم امرأة فهو ملعون مطرود من رحمة الله تعالى، وكذلك من يُفعل بها ذلك، سواء كانت عروسًا أو مريضة تحتاج إلى تحسين هيئتها عما هي عليه فهي ملعونة أيضًا.

وفي هذه الأحاديث أيضًا أن المعين على الحرام يشارك فاعله في الإثم، كما أن المعاون على الطاعة يشارك فاعلها في الثواب، والله أعلم.

ما يلحق بهذه الأشياء من الحرمة مما تتزين به النساء

١- تكثير شعر الرأس بأي نوع من التكثير، سواء كان بشعر أو صوف أو خِرَقٍ أو خيوط أو غير ذلك ؛ لأن الهدف من استعمال هذه الأنواع هو الغش والخداع، وهو متحقق فيما تضعه نساء اليوم مما يسمى بـ «البوستيج» ليوهمن الناس بكثرة شعورهن، ولقد سمى النبي ﷺ ذلك كما في حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما الزور، وقال معاوية عندما قدم المدينة: ما كنت أرى أن يفعل ذلك إلا نساء بني إسرائيل، ويدخل في هذا الزور أيضًا «الباروكات» وغيرها من أنواع الشعر المستعار سواء أكان طبيعيًا أم صناعيًا.

٢- بعض التسريحات التي تفعلها بعض نساء

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

المسلمين برفع الشعر إلى أعلى وجمعه في منتصف الرأس ليشبه سنام الجمل، والذي أشار إليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما ؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». (ح:٢١٢٨).

٣- قشر الجلد لتظهر الطبقة التي تحته وهي ناعمة ناصعة اللون، واستعمال بعض الدهانات لقشر جلد الوجه بالذات حتى تبدو المرأة أكثر شبابًا ونعومة، ولا شك أن هذا من الزور الذي نهى عنه الشرع.

٤- ما استحدث من رموش صناعية وأظفار، وأنواع الطلاء التي صنعت لمثل ذلك، والمرأة تستعمل ذلك غير مبالية بكونها تحجب الماء عن البشرة في الطهارة غسلاً ووضوءًا، غير عابئة بصحة صلاتها وعباداتها.

٥- شد جلد الوجه بإجراء عملية جراحية أو بمواد كيميائية تؤدي إلى ظهور المرأة بأنها أصغر سنًا وأكثر شبابًا، وهذا أيضًا نوع من التزوير والخداع والغش وعدم الرضا بما خلق الله الخلق عليه وفطره عليه.

٦- ويلحق بذلك أيضًا زراعة الشعر بالرأس.

والله المستعان.

ما يجوز للمرأة من أنواع الزينة

أباح الإسلام للمرأة أن تتزين لزوجها بكل ما تستطيعه من أنواع الزينة المباحة التي لم يرد نص بمنعها وتحريمها، ومن ذلك:

١- الخضاب بالحناء، روى الإمام أحمد في المسند عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كانت امرأة عثمان بن مظعون تخضب وتَطَيَّبُ، فتركته فدخلت عليَّ، فقلت: أمشهدٌ أم مغيبٌ؟ قالت: مَشْهَدٌ. قالت: عثمان لا يريد الدنيا ولا يريد النساء، قالت عائشة: فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فلقي عثمان، فقال: «يا عثمان تؤمن بما نؤمن به؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «فأسوة مالك بنا؟» ،وأخرج أبو داود عن كريمة بنت همام قالت: دخلت المسجد الحرام فأخلوه لعائشة فسألتها امرأة: ما تقولين يا أم المؤمنين في الحناء ؟ فقالت: كان حبيبي ﷺ يعجبه لونه ويكره ريحه، وليس بمحرم عليكن بين كل حيضتين أو عند كل حيضة».

٢- الكحل وكذلك البودرة والحمرة، وضابط ذلك كما قال بعض العلماء: أن ما يزول ولا يثبت ولا يستديم يجوز استعماله لكونه ظاهرًا في أنه ليس من طبيعة بشرة المرأة.

٣- استعمال الشريط الملون وعلى ذلك فليس فيه غش ولا تدليس وأمثاله على ضفائر البنات الصغيرات، وذلك لظهوره، ومعرفة أنه ليس من الشعر.

٤- وضع أنواع الزينة على اختلافها على رؤوس النساء فيما يبدو أنه ليس من الشعر في شيء، ولا يراد به الغش والخداع، كالورود الصناعية والأشرطة الملونة والنصوص ونحوها مما تضعه النساء على شعورهن.

٥- إذا كان للمرأة سن طويل أو أصبع زائدة أو أي عضو زائد، فإنه لا يجوز قطعه وإزالته، لأنه داخل في تغيير خلق الله تعالى، أما إذا كان هذا السن أو الأصبع أو العضو يتسبب في أذى أو إعاقة في الأكل أو الكلام أو نحوهما، فيجوز للمرأة وكذا للرجل أن يزيل هذا العضو الزائد، والله أعلم.

هذا، وكثير من المسلمين ونساء المسلمين يقيمون ويقمن على مخالفة الشرع ومعصية الله ورسوله، ثم يكون التساؤل بعد ذلك: لماذا نصاب بالفتن والابتلاءات والمحن؟

وقد يعيب بعض المسلمين بعضًا، وكل يلقي باللائمة على غيره، ولا يفكر أحد في أن ما أصابنا ليس إلا بما كسبت أيدينا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

نسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعن المسلمين أجمعين، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويلهمنا اجتنابه، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأن يقيم رجال المسلمين ونساءهم وشبابهم على طاعته، وأن يباعد بينهم وبين المعاصي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

حفظ اللسان وإكرام الضيفان والجيران

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه. وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليَصْمُتْ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في مواضع من صحيحه بتقديم وتأخير، واقتصار على بعض في موضع منها، هذه المواضع هي: الأول في كتاب النكاح باب (الوصاة بالنساء) برقم (٥١٨٥)، والثاني في كتاب الأدب باب (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)، برقم (٦٠١٨)، والثالث في كتاب الأدب أيضًا باب (إكرام الضيف وخدمته بنفسه)، برقمي (٦١٣٦، ٦١٣٨)، والأخير في كتاب الرقاق باب (حفظ اللسان) برقم (٦٤٧٥). كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب (الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان)، برقم (٤٧). وأخرجه أيضًا الإمام أبو داود في كتاب الأدب باب (في حق الجوار) برقم (٥١٥٤)، وكذلك أخرجه الإمام الترمذي في صفة القيامة باب (حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) برقم (٢٥٠٠)، وليس فيه ذكر الجار. كما أخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧١) مقتصرًا على قول الخير، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ عن أبي شريح الخزاعي برقم (١٦٨٤)، والإمام أحمد في المسند في مسند أبي هريرة برقم (٢/٢٦٧، ٤٣٣).

شرح الحديث

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: «هذا الحديث خرجاه من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي بعض الفاظها: «فلا يؤذ جاره»، وفي بعضها: «فليُحسِنْ قِرَى ضَيْفِه»، وفي بعضها: «فليَصِلْ رَحِمَهُ» بدل ذكر الجار، وخرجاه أيضًا بمعناه من حديث أبي شريح الخزاعي عن النبي ﷺ.

وقد روي هذا الحديث عن النبي ﷺ من حديث عائشة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري وابن عباس وغيرهم من الصحابة.

وقال رحمه الله تعالى: فقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» فليفعل كذا وكذا، يدل على أن هذه الخصال من خصال الإيمان، وقد سبق أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان.

قال: وأعمال الإيمان تارة تتعلق بحقوق الله، كأداء الواجبات وترك المحرمات؛ ومن ذلك قول الخير والصمت عن غيره، وتارة تتعلق بحقوق عباده كإكرام الضيف وإكرام الجار والكف عن أذاه، فهذه ثلاثة أشياء يؤمن بها المؤمن:

أولًا: قول الخير والصمت عما سواه:

وقد روى الطبراني من حديث أسود بن أصرم المحاربي قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: «هل تملك لسانك؟» قلت: ما أملك إذا لم أملك لساني؟ قال: «فهل تملك يدك؟» قلت: فما أملك إذا لم أملك يدي؟ قال: «فلا تقل بلسانك إلا معروفًا، ولا تبسط يدك إلا إلى خير». [حسنه الهيثمي في المجمع].

وقد ورد أن استقامة اللسان من خصال الإيمان، كما في المسند عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». [وفي إسناده ضعف].

وخرج الطبراني من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنك لن تزال سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك». وفي المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من صمت نجا».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليتلكم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم».

وفي المسند وجامع الترمذي وسنن النسائي من حديث بلال بن الحارث المزني قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه».

قال الحافظ ابن رجب: فقوله ﷺ: «فليقل خيراً أو ليصمت»: أمر بقول الخير، وبالصمت عما عداه، وهذا يدل على أنه ليس هناك كلام يستوي قوله والصمت عنه، بل إما أن يكون خيراً؛ فيكون مأموراً بقوله، وإما أن يكون غير خير فيكون مأموراً بالصمت عنه، وقد روي عن أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «كلام ابن آدم عليه لا له، إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر الله عز وجل».

وقد قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقد أجمع السلف على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إذا كان أحدكم يصلي فإنه يناجي ربه والملَكُ عن يمينه». وروي من حديث حذيفة مرفوعاً: «إن عن يمينه كاتب الحسنات». واختلفوا هل يكتب كل ما تكلم به، أو لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب؟ على قولين مشهورين. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله: أكلت وشربت وذهبت وجئت، حتى إذا كان يوم الخميس عُرِضَ قوله وعمله، فأقر ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وعن يحيى بن أبي كثير قال: ركب رجل الحمار، فعثر به، فقال: تعس الحمار، فقال صاحب اليمين: ما هي حسنة فأكتبها، وقال صاحب الشمال: ما هي بسيئة فأكتبها، فأوحى الله إلى صاحب الشمال: ما ترك صاحب اليمين من شيء فأكتبه، فأثبت في السيئات: «تعس الحمار».

وظاهر هذا أن ما ليس بحسنة فهو سيئة، وإن كان لا يُعاقَبُ عليها، فإن بعض السيئات قد لا يُعاقب عليها، وقد تقع مُكَفِّرَةً باجتناب الكبائر، ولكن زمانها قد خسره صاحبها حيث ذهب باطلاً، فيحصل له بذلك حسرة في القيامة وأسف عليه، وهو نوع عقوبة.

وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة». وخرجه الترمذي ولفظه: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم ترة». وفي رواية لأبي داود والنسائي: «من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضطجعاً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة». وخرج أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يجلسون مجلساً لا يذكرون الله فيه إلا كانت عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة». وقال بعض السلف: يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره، فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات.

فمن هنا يعلم أن ما ليس بخير من الكلام، فالسكوت عنه أفضل من التكلم به، اللهم إلا ما تدعو الحاجة إليه مما لا بد منه، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إياكم وفضول الكلام، حسب امرئ ما بلغ حاجته، وعن النخعي قال: يهلك الناس في فضول المال وفضول الكلام. وأيضاً فإن الإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه يوجب قساوة القلب.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به. وقال محمد بن عجلان: إنما الكلام أربعة: أن تذكر الله، وتقرأ القرآن، وتسأل عن علم فتخبر به، أو تكلم فيما يعنيك من أمر دنياك. وقال رجل لسلمان رضي الله عنه: أوصني، قال: لا تكلِّمْ، قال: ما يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم، قال: فإن تكلمت فتكلمْ بحق أو اسكت.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأخذ بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض أحق بطول سجن من اللسان. وقال وهب بن منبه: أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت.

والمقصود أن النبي ﷺ أمر بالكلام بالخير والسكوت عما ليس بخير، وخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث البراء بن عازب أن رجلاً قال: يا رسول الله، علمني عملاً يدخلني الجنة، فذكر الحديث وفيه قال: «فأطعم الجائع واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكفَّ لسانك إلا من خير».

وقال الفضيل بن عياض: ما حجٌّ ولا رباطٌ ولا جهادٌ أشدُّ من حبس اللسان، ولو أصبحت يهمك لسانك، أصبحت في غمٍّ شديد، وقال: سجن اللسان سجن المؤمن.

وسُئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه: إن كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب، فقال: معناه: لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب.

وهذا يرجع إلى أن الكفَّ عن المعاصي أفضل من عمل الطاعات. وتذاكروا عند الأحنف بن قيس، أيما أفضل: الصمت أم النطق؟ فقال قوم: الصمت أفضل،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فقال الأحنف: النطق أفضل، لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه، والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه.

وما أحسن ما قال عبيد الله بن أبي جعفر فقيه أهل مصر في وقته- وكان من الحكماء-: إذا كان المرء يحدث في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت، وإذا كان ساكتًا فأعجبه السكوت فليحدث، وهذا حسن، فإن من كان كذلك كان سكوته وحديثه لمخالفة هواه وإعجابه بنفسه، ومن كان كذلك كان جديرًا بتوفيق الله إياه وتسديده في نطقه وسكوته، لأن كلامه وسكوته يكون لله عز وجل.

وعلى كل حال فالتزام الصمت مطلقًا، واعتقاده قربة إما مطلقًا أو في عبادة من العبادات كالحج والاعتكاف، والصيام منهي عنه، وفي سنن أبي داود من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا صمات يوم إلى الليل». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لامرأة حجت مصمتة: إن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية.

وروي عن علي بن الحسين زين العابدين رحمه الله أنه قال: صوم الصمت حرام.

فالتعبد لله بالصمت بدعة.

﴿ ثانيًا: إكرام الجار ﴾

وفي بعض الروايات «النهي عن أذى الجار»، فأما أذى الجار فمحرم، فإن الأذى بغير حق محرم لكل أحد، ولكن في حق الجار هو أشد تحريمًا، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سُئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك».

وفي المسند وعند البخاري في الأدب المفرد وفي التاريخ، وعند الطبراني في الكبير والأوسط بسند جيد عن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في الزنى؟» قالوا: حرام؛ حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره». قال: «فما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره».

وفي صحيح البخاري عن أبي شريح عن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه»، وخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث أبي هريرة. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، إن فلانة تصلي الليل، وتصوم النهار، وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها سليطة، قال: «لا خير فيها، هي في النار»، وقيل له: إن فلانة تصلي المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بالأثوار (جمع ثور وهو إناء صغير يشرب فيه)، وليس لها شيء غيره ولا تؤذي أحدًا، قال: «هي في الجنة». [أخرجه أحمد، في المسند والبخاري في الأدب المفرد، وابن حبان والحاكم وصححه، وهو كمال]، ولفظ الإمام أحمد: «ولا تؤي بلسانها جيرانها».

وخرج الحاكم وصححه من حديث أبي جحيفة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال له: «اطرح متاعك في الطريق». قال: فجعل الناس يمرون به فيلعنونه (يعني الجار)، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، ما لقيت من الناس، قال: «وما لقيت منهم؟» قال: يلعنوني، قال: «فقد لعنك الله قبل الناس».

وأخرجه أبو داود بمعناه من حديث أبي هريرة، ولم يذكر فيه: «فقد لعنك الله قبل الناس».

وأما إكرام الجار والإحسان إليه فمأمور به، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٣]، فجمع الله تعالى في هذه الآية بين حقه تعالى على العبد وحقوق العباد على العبد أيضًا، ومن بين العباد الذين أمر بالإحسان إليهم من له حق القرب والمخالطة وجعلهم ثلاثة أنواع: جار ذو قربى، وجار جنب، وصاحب بالجنب.

وقد اختلف المفسرون في تأويل ذلك، فمنهم من قال: الجار ذو القربى: الجار الذي له قرابة، والجار الجنب: الأجنبي، ومنهم من أدخل الزوجة في الجار ذي القربى، ومنهم من أدخلها في الجار الجنب، ومنهم من أدخل الرفيق في السفر في الجار الجنب، وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «أعوذ بك من جار السوء في دار الإقامة، فإن جار البادية يتحول». [أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وأحمد، وصححه الحاكم].

ومنهم من قال: الجار ذو القربى: الجار المسلم، والجار الجنب: الكافر.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك بابًا».

وأما الصاحب بالجنب، ففسره طائفة بالزوجة، وفسره طائفة منهم ابن عباس رضي الله عنهما بالرفيق في السفر، ومقصودهم أن صحبة السفر تكفي، وإلا فإن الصاحب الملازم في الحضر أولى، ولهذا قال سعيد بن جبير: هو الرفيق الصالح، وقال زيد بن أسلم: هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره». [أحمد في المسند والترمذي في جامعه، بسند حسن].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». ومن أنواع الإحسان إلى الجار مواساته عند حاجته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما كما عند الحاكم وغيره عن النبي ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع». وفي رواية أخرى: «ما آمن من بات شبعان وجاره طاويًا».

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي ﷺ: «إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمعروف». وفي رواية أن النبي ﷺ قال: «يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك».

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وجامع الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ذبح شاة فقال: هل أهديتم منها لجارنا اليهودي؟ ثلاث مرات، ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره». ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم.

ثالثا: إكرام الضيف

والمراد به إحسان ضيافته، وفي الصحيحين من حديث أبي شريح الخزاعي قال: أبصرت عيناي رسول الله ﷺ وسمعته أذناي حين تكلم به، قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته». قالوا: وما جائزته؟ قال: «يوم وليلة». قال: «والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة». وفي صحيح مسلم عن أبي شريح أيضًا عن النبي ﷺ قال: «الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة، وما أنفق عليه بعد ذلك فهو له صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يؤثمه». قالوا: يا رسول الله، وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقريه به».

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح عن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليلة الضيف حق على كل مسلم، فمن أصبح بفنائه فهو عليه دين، إن شاء اقتضى وإن شاء ترك». وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا، فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: «إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم».

وفي المسند وعند الحاكم بسند رجاله ثقات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أيما ضيف نزل بقوم فأصبح محرومًا فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه». وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: من لم يضف فليس من محمد ولا من إبراهيم. وقال عبد الله بن الحارث بن جَزْء: من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ولا من إبراهيم.

وقال أبو هريرة لقوم نزل عليهم فلم يضيفوه، فتنحى ونزل، فدعاهم إلى طعامه فلم يجيبوه، فقال لهم: لا تنزلون الضيف ولا تجيبون الدعوة، ما أنتم من الإسلام على شيء، فعرفه رجل منهم، فقال له: انزل عافاك الله، قال: هذا شرٌ وشرٌ، لا تُنزلون إلا من تعرفون.

قال الحافظ ابن رجب: هذه النصوص تدل على وجوب الضيافة يومًا وليلة، وهو قول الليث وأحمد، وقال حميد بن زنجويه: ليلة الضيف واجبة، وليس له أن يأخذ قراه منهم قهرًا، إلا أن يكون مسافرًا في مصالح المسلمين العامة دون مصلحة نفسه.

وقوله ﷺ: «لا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه». يعني يقيم عنده حتى يضيق عليه، لكن هل هذا في الأيام الثلاثة أم فيما زاد عليها؟ فأما فيما ليس بواجب، فلا شك في تحريمه، وأما في ما هو واجب وهو اليوم والليلة فينبني على أنه هل تجب الضيافة على من لا يجد شيئًا أم لا تجب إلا على من وجد ما يضيف به؟

فإن قيل: إنها لا تجب إلا على من يجد ما يضيف به- وهو قول طائفة من أهل الحديث- لم يحل للضيف أن يستضيف من هو عاجز عن ضيافته. وقد روي من حديث سلمان رضي الله عنه- بسند ضعيف- قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا. فإذا نهي المضيف أن يتكلف للضيف ما ليس عنده دل على أنه لا تجب عليه المواساة للضيف إلا مما عنده، فإذا لم يكن عنده فضل لم يلزمه شيء.

وأما إذا أثر على نفسه، كما فعل الأنصاري الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فذلك مقام فضل وإحسان، وليس بواجب.

ولو علم الضيف أنهم لا يضيفونه إلا بقُوتهم وقوت صبيانهم، وأن الصبية يتأذون بذلك، لم يجز له استضافتهم حينئذ عملاً بقوله ﷺ: «ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يحرجه».

وأيضًا فالضيافة نفقة واجبة، فلا تجب إلا على من عنده فضل عن قوته وقوت عياله، كنفقة الأقارب، وزكاة الفطر.

نسأل الله تعالى أن يعيننا والمسلمين على حفظ السنتنا فلا نتكلم إلا فيما يعنينا، وأن يوفقنا والمسلمين إلى إكرام الجيران والإحسان إليهم وكف الأذى عنهم، وأن يعيننا ويسددنا ويوفقنا لإكرام الضيف وأن يحسن أخلاقنا ويحسن خاتمتنا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

إعداد/ زكريا حسيني محمد

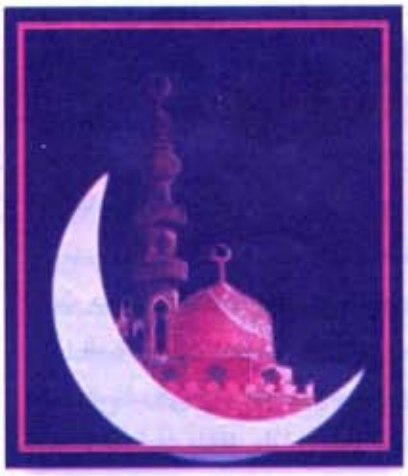

الحمد لله رب العالمين مولج الليل في النهار ومولج النهار في الليل، يقلب الليل والنهار، بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان، فقال: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له». [متفق عليه: البخاري ١٩٠٦، ومسلم: ١٠٨٠].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ، أو قال: قال أبو القاسم ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين». [متفق عليه: البخاري: ١٩٠٩، ومسلم: ١٠٨١].

٣- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين». [متفق عليه: البخاري: ١٩٠٧، ومسلم: ١٠٨٠].

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حال بينكم وبينه سحاب فكملوا العدة ثلاثين، ولا تستقبلوا الشهر استقبالاً». [رواه احمد والنسائي والترمذي بمعناه، وصححه].

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



وفي لفظ للنسائي: «فاكلموا العدة؛ عدة شعبان».

وفي لفظ لأبي داود: «لا تقدموا الشهر بصيام يوم ولا يومين، إلا أن يكون شيئًا يصومه أحدكم، ولا تصوموا حتى تروه، ثم صوموا حتى تروه، فإن حال دونه غمامة فاتموا العدة ثلاثين ثم أفطروا».

٥- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظه من غيره، يصوم لرؤية رمضان، فإن غم عليه عدَّ ثلاثين يومًا، ثم صام. [رواه أحمد وأبو داود والدارقطني، وقال: إسناده حسن صحيح].

٦- عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة، ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة». [رواه ابو داود والنسائي].

الصوم برؤية الهلال

قال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد»: «وكان من هدية ﷺ أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة، او بشهادة شاهد، كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد على خبرهما، ولم يكلفهما لفظ الشهادة».

قُلْتُ: قال محقق «زاد المعاد» (شعيب الأرناؤوط) بخصوص صومه ﷺ بشهادة ابن عمر: أخرج أبو داود في الصوم باب شهادة الواحد، والدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تراءى الناس الهلال، فاخبرت رسول الله ﷺ اني رأيته، فصامه وأمر الناس بصيامه. قال: وسنده قوي، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

وقال عن شهادة الأعرابي: أخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وابن خزيمة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الهلال، فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله ؟ أتشهد أن محمدًا رسول الله؟» قال: نعم، قال: «يا بلال، أذن في الناس أن يصوموا غدًا».

قال ابن القيم: فإن كان ذلك إخبارًا فقد اكتفى في رمضان بخبر الواحد، وإن كان شهادة فلم يكلف الشاهد لفظ الشهادة في دخول رمضان، فإن لم تكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا.

وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا، ثم صامه، ولم يكن ﷺ يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غُمَّ، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله وهذا أمره، ولا يناقض هذا قولُه ﷺ: «فإن غم عليكم فاقدروا له»، فإن القدر هو الحساب المقدر، والمراد به هو الإكمال؛ كما قال ﷺ: «فاكملوا العدة»، والمراد بالإكمال إكمال عدة الشهر الذي غم، كما قال في الصحيح الذي رواه البخاري: «فاكلموا عدة شعبان». وقال: «لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاكملوا العدة». والذي أمر بإكمال عدته هو الشهر الذي يُغَمُّ، وهو عند صيامه وعند الفطر منه، وأصرح من هذا قوله ﷺ: «الشهر تسعة وعشرون، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غُمَّ عليكم فاكملوا العدة».

وهذا راجع إلى أول الشهر بلفظه وإلى آخره بمعناه، فلا يجوز إلغاء ما دل عليه لفظه، واعتبار ما دل عليه من جهة المعنى. وقال: «الشهر ثلاثون، والشهر تسعة وعشرون، فإن غُم عليكم فعدوا ثلاثين». وساق ابن القيم رحمه الله تعالى كثيرًا من النصوص في هذا المعنى، وهي تدل دلالة واضحة على اعتبار رؤية الهلال لدخول رمضان والخروج منه، وأن ما يفهمه البعض من قوله ﷺ: «فاقدروا له» أنه العمل بالحساب الفلكي فهم غير مستقيم، وإنما النصوص يفسر بعضها بعضًا.

حكم صيام يوم الشك

قال الحافظ ابن حجر في الفتح في شرحه لهذه الأحاديث: وقد بوب البخاري لها بقوله: (باب قول النبي ﷺ: إذا رأيتم الهلال فصُوموا)، قال: هذه الترجمة لفظ مسلم من رواية إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة، وقد سبق للمصنف في أول الصيام من طريق ابن شهاب عن سالم عن أبيه بلفظ: «إذا رأيتموه». وذكر البخاري في

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



الباب أحاديث تدل على نفي صوم يوم الشك رتبها ترتيبًا حسنًا، فصدرها بحديث عمار المصرح بعصيان من صامه- وقد علقه البخاري عقب الترجمة- ثم بحديث ابن عمر من وجهين؛ أحدهما بلفظ: «فإن غُم عليكم فاقدروا له». والآخر بلفظ: «فأكملوا العدة ثلاثين»، وقصد بذلك بيان المراد من قوله: «فاقدروا له»، ثم استظهر بحديث ابن عمر أيضًا: «الشهر هكذا وهكذا حبس الإبهام في الثالثة»، ثم ذكر شاهدًا من حديث أبي هريرة لحديث ابن عمر مصرحًا بأن عدة الثلاثين المامور بها تكون من شعبان.

ثم قال ابن حجر رحمه الله: قوله: «فقد عصى أبا القاسم» استدل به على تحريم صوم يوم الشك؛ لأن الصحابي لا يقول ذلك من قبل رأيه فيكون من قبيل المرفوع. قال ابن عبد البر: هو مسند عندهم لا يختلفون في ذلك. وخالفهم الجوهري المالكي فقال: هو موقوف. والجواب انه موقوف لفظًا مرفوع حكمًا.

قال الطيبي: إنما أتى بالموصول ولم يقل يوم الشك مبالغة في أن صوم يوم فيه أدنى شك سبب لعصيان صاحب الشرع، فكيف بمن صام يومًا الشك فيه قائم ثابت، قال: وقوله: «أبا القاسم». قيل: فائدة تخصيص ذكر هذه الكنية الإشارة إلى أنه هو الذي يقسم بين عباد الله أحكامه زمانًا ومكانًا وغير ذلك.

وجوب الصوم بالرؤية

قال ابن حجر: قوله: «لا تصوموا حتى تروا الهلال» ظاهره إيجاب الصوم حين الرؤية متى وجدت ليلاً أو نهارًا، لكنه محمول على صوم اليوم المستقبل، وبعض العلماء فرق بين ما قبل الزوال أو بعده، وهو ظاهر في النهي عن ابتداء صوم رمضان قبل رؤية الهلال، فيدخل فيه صورة الغيم وغيرها، ولو وقع الاقتصار على هذه الجملة لكفي ذلك لمن تمسك به، لكن اللفظ الذي رواه أكثر الرواة أوقع للمخالف شبهة وهو قوله: «فإن غم عليكم فاقدروا له». فاحتمل أن يكون المراد التفرقة بين حكم الصحو وحكم الغيم، فيكون التعليق على الرؤية متعلقًا بالصحو، وأما الغيم فله حكم آخر، ويحتمل أن يكون الثاني مؤكدًا للأول، وإلى الأول ذهب أكثر الحنابلة، وإلى الثاني ذهب الجمهور، فقالوا: المراد بقوله: «فاقدروا له» أي: انظروا في أول الشهر واحسبوا تمام الثلاثين، ويرجح هذا التأويل الروايات الأخر المصرحة بالمراد وهي ما تقدم من قوله: «فأكملوا العدة ثلاثين» ونحوها. وأولى ما فسر الحديث بالحديث.

هل يُصام بناءً على الحساب؟

قال الحافظ ابن حجر: قوله: «فاقدروا له». تقدم أن للعلماء فيه تأويلين، وذهب آخرون إلى تأويل ثالث، قالوا: معناه فاقدروه بحساب المنازل، قاله أبو العباس بن سريج من الشافعية، ومطرف بن عبد الله من التابعين وابن قتيبةُ من المحدثين. قال ابن عبدالبر: لا يصح عن مطرف، وأما ابن قتيبة فهو مما يعرج عليه في مثل هذا، قال: ونقل ابن خويز منداد عن الشافعي مسألة «ابن سريج»، والمعروف عن الشافعي ما عليه الجمهور، ونقل ابن العربي عن ابن سريج أن قوله: «فاقدروا له» خطاب لمن خصصه الله بهذا العلم، وأن قوله: «فأكلموا العدة» خطاب للعامة، فصار وجوب رمضان عنده مختلف الحال يجب على قوم بحساب الشمس والقمر، وعلى آخرين بحساب العدد، قال: وهذا بعيد عن النبلاء.

وقال ابن الصلاح: معرفة منازل القمر هي معرفة سير الأهلة، وأما معرفة الحساب فأمر دقيق يختص بمعرفته الآحاد، قال: فمعرفة منازل القمر تدرك بأمر محسوس يدركه من يراقب النجوم، وهذا هو الذي أراده ابن سريج وقال به في حق العارف بها في خاصة نفسه، ونقل الروياني عنه أنه لم يقل بوجوب ذلك عليه، وإنما قال بجوازه، وهو اختيار القفال وأبي الطيب، وأما أبو إسحاق في «المهذب» فنقل عن ابن سريج لزوم الصوم في هذه الصورة، فتعددت الآراء في هذه المسألة بالنسبة إلى خصوص النظر في الحساب والمنازل:

أحدها: الجواز ولا يجزئ عن الفرض.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

ثانيها: يجوز ويجزئ.

ثالثها: يجوز للحاسب ويجزئه لا للمنجم.

رابعها: يجوز لهما، ولغيرهما تقليد الحاسب دون المنجم.

خامسها: يجوز لهما ولغيرهما مطلقًا.

وقال ابن الصباغ: أما بالحساب فلا يلزمه بلا خلاف بين أصحابنا.

قُلتُ: ونقل ابن المنذر قبله الإجماع على ذلك؛ فقال في الإشراف: صوم يوم الثلاثين من شعبان إذا لم ير الهلال مع الصحو لا يجب بإجماع الأمة. وقد صح عن أكثر الصحابة والتابعين كراهته، هكذا أطلق، ولم يفصل بين حاسب وغيره، فمن فرق بينهم كان محجوجًا بالإجماع قبله.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز في «اختياراته الفقهية»: لا عبرة شرعًا بمجرد ولادة القمر في إثبات الشهر القمري بدءًا وانتهاءً بإجماع أهل العلم المعتد بهم ما لم تثبت رؤيته شرعًا، ومن خالف في ذلك من المعاصرين فمسبوق بإجماع من قبله، وقوله: مردود؛ لأنه لا كلام لأحد مع سنة رسول الله ﷺ، ولا مع إجماع السلف، أما حساب سير الشمس والقمر فلا يعتبر في هذا المقام لما ذكرنا آنفًا ولما يأتي:

أ- أن النبي ﷺ أمر بالصوم لرؤية الهلال والإفطار لها في قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، وحصر ذلك فيها بقوله: «لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه»، وأمر المسلمين إذا كان غيم ليلة الثلاثين أن يكملوا العدة، ولم يأمر بالرجوع إلى علماء النجوم، ولو كان قولهم هو الأصل وحده أو أصلاً آخر مع الرؤية في إثبات الشهر لبين ذلك، فلما لم ينقل ذلك، بل نقل ما يخالفه دَلَّ على أنه لا اعتبار شرعًا لما سوى الرؤية، أو إكمال العدة ثلاثين في إثبات الشهر، وأن هذا شرع مستمر إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

ودعوى أن الرؤية في الحديث يراد بها العلم، أو غلبة الظن بوجود الهلال، أو إمكان رؤيته لا التعبد بنفس الرؤية مردودة؛ لأن الرؤية في الحديث متعدية إلى مفعول واحد، فكانت بصرية لا علمية، ولأن الصحابة فهموا أنها رؤية بالعين، وهم أعلم باللغة ومقاصد الشريعة من غيرهم.

ب- أن تعليق إثبات الشهر القمري بالرؤية يتفق مع مقاصد الشريعة السمحة؛ لأن رؤية الهلال أمرها عام يتيسر لأكثر الناس من الخاصة والعامة في الصحاري والبنيان، بخلاف ما لو علق الحكم بالحساب فإنه يحصل به الحرج ويتنافى في مقاصد الشريعة؛ لأن أغلب الأمة لا يعرف الحساب.

ودعوى زوال وصف الأمية بعلم النجوم عن الأمة غير مسلمة، ولو سلمت فذلك لا يغير حكم الله تعالى؛ لأن التشريع عام للأمة في جميع الأزمنة.

جـ- أن علماء الأمة في صدر الإسلام أجمعوا على اعتبار الرؤية في إثبات الشهور القمرية دون الحساب، فلم يعرف أن أحدًا منهم رجع إلى الحساب في ذلك عند الغيم ونحوه، أما عند الصحو فمن باب أولى.

د- لا يجوز لأحد أن يحتج على إبطال الرؤية بمجرد دعوى أصحاب المراصد أو بعضهم مخالفة الرؤية لحسابهم، كما لا يجوز لأحد أن يشترط لصحة الرؤية أن توافق ما يقوله أصحاب المراصد، لأن ذلك تشريع في الدين لم يأذن به الله.

هـ- لا يخفى على كل من له معرفة بأحوال الحاسبين من أهل الفلك، ما يقع بينهم من الاختلاف في كثير من الأحيان في إثبات ولادة الهلال أو عدمها، وفي إمكان رؤيته أو عدمه، ولو فرضنا اجتماعهم في وقت من الأوقات على ولادته أو عدم ولادته لم يكن إجماعهم حجة، لأنهم ليسوا معصومين بل يجوز عليهم الخطأ جميعًا، وإنما الإجماع المعصوم الذي يحتج به هو إجماع سلف الأمة في المسائل الشرعية.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها تبين للأمة أنه لا اعتبار في الشرع المطهر للحساب، ولا لضعف منازل القمر، ولا لكبر الأهلة وضغرها، ولا لرؤية الهلال قبل طلوع الشمس من اليوم التاسع

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس



والعشرين، سواءً كان منخفضًا أو مرتفعًا، وإنما الاعتبار شرعًا بالرؤية الشرعية بعد المغرب أو إكمال العدة.

اختلاف المطالع

قال الحافظ في الفتح: «قوله: فلا تصوموا حتى تروه» ليس المراد تعليق الصوم بالرؤية لكل أحد، بل المراد بذلك رؤية بعضهم وهو من يثبت به ذلك.

قال: وقد اختلف العلماء في المطالع على مذاهب:

أحدها: لكل أهل بلد رؤيتهم، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما يشهد لذلك- ومراده بحديث ابن عباس الذي في مسلم هو: عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام، قال: فقدمت الشام فقضيت حاجتها، واستهل عليَّ رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة. ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه يوم الجمعة. فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم، ورآه الناس فصاموا، وصام معاوية. فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت. فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه. فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا. هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

قال الحافظ في الفتح: وحكاه ابن المنذر عن عكرمة والقاسم وإسحاق، وحكاه الترمذي عن أهل العلم، ولم يحك سواه، وحكاه الماوردي وجهًا للشافعية.

ثانيها: مقابله وهو إذا رؤي ببلدة لزم أهل البلاد كلها، وهو المشهور عند المالكية، لكن حكى ابن عبد البر الإجماع على خلافه، وقال: أجمعوا على أنه لا تراعى الرؤية فيما بعد من البلاد كخراسان والأندلس.

وقال ابن الماجشون: لا يلزمهم بالشهادة إلا لأهل البلد الذي ثبتت فيه الشهادة، إلا أن يثبت عند الإمام الأعظم فيلزم الناس كلهم ؛ لأن البلاد في حقه كالبلد الواحد إذ حكمه نافذ في الجميع.

وقال بعض الشافعية: إن تقاربت البلاد كان الحكم واحدًا، وإن تباعدت فوجهان لا يجب عند الأكثر، واختار أبو الطيب وطائفة الوجوب، وحكاه البغوي عن الشافعي.

ضابط البعد

وفي ضبط البعد أوجه:

أحدها: اختلاف المطالع، قطع به العراقيون والصيدلاني، وصححه النووي في الروضة وشرح المهذب.

ثانيها: مسافة القصر قطع به الإمام والبغوي. وصححه الرافعي في الصغير والنووي في شرح مسلم.

ثالثها: اختلاف الأقاليم.

رابعها: حكاه السرخي، فقال: يلزم كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيرهم.

خامسها: قول ابن الماجشون المتقدم، واستدل به على وجوب الصوم والفطر على من رأى الهلال وحده وإن لم يثبت بقوله. وهو قول الأئمة الأربعة في الصوم، واختلفوا في الفطر، فقال الشافعي: يفطر ويخفيه، وقال الأكثر: يستمر صائمًا احتياطًا.

توحيد الصوم

لا شك أن توحد المسلمين في صومهم كما يتوحدون في حجهم أمرٌ محبب للنفس يدعو إلى القوة والوحدة والألفة وعدم الاختلاف ونبذ الخلاف، ولكن إذا حدث واختلفت البلاد في الرؤية فقال الشيخ ابن باز رحمه الله: فعلى المسلمين في كل بلد أن يصوموا مع قادتهم درءًا للفتنة ودفعًا للخلاف.

وكذا قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، إلى أن ييسر الله للمسلمين توحدهم، فأرى أنه على المسلمين في كل بلد أن يصوموا ويفطروا مع مفتيهم، حسمًا لمادة الخلاف ومنعًا للنزاع.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يرد المسلمين إلى دينهم ردًا جميلاً، وأن يتقبل منا الصيام، والقيام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

طاعة الرسول ﷺ سبب لدخول الجنة

إعداد/ زكريا حسيني محمد



الحمد لله رب العالمين، أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأمر العباد بطاعتهم ليهتدوا إلى صراط الله المستقيم، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله، ومَن يأبى؟ قال: «مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضع واحد من صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٠)، كما أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٢ / ٣٦١)، كما أخرج من حديث أبي أمامة برقم (٥ / ٢٥٨) بلفظ: «ألا أكلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير عن أهله».

وأخرج الطبراني في الأوسط (٨١٢) عن أبي سعيد الخدري بلفظ: «والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد شراد البعير». قيل: يا رسول الله، ومن أبى أن يدخل الجنة؟ فقال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار». وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ: «لتدخلن الجنة إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير». وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي.

شرح الحديث

يخبر النبي ﷺ أمته أنهم سيدخلون الجنة، وذلك لمن آمن به وصدقه واتبع النور الذي جاء به، فإنه أرسله ربه تبارك وتعالى لإنقاذ البشرية كلها من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وبين ﷺ ذلك أبلغ بيان، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليه آيات بينات واضحات تبين هذا، وتحث على تصديقه والإيمان به، وأمر سبحانه أهل الكتاب الذين أرسل فيهم محمدٌ ﷺ أن يتبعوه ويؤمنوا بما جاء به، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧- ١٥٨].

كما أخبر ﷺ أن من أمته من هو مستثنى من دخول الجنة، وهو الذي يأبى دخول الجنة ويرفض ذلك، حتى عجب أصحابه ﷺ ورضي الله عنهم، فتساءلوا: ومَن يأبى يا رسول الله ؟ فعلق ﷺ دخول الجنة بطاعته، وبين أن من يعصيه فهو الذي يأبى دخول الجنة.

وجوب طاعة الرسول ﷺ

لقد فرض الله تعالى طاعة رسوله ﷺ، وهذا شأن المرسلين جميعًا، فالله عز وجل يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، فرسل الله تعالى أرسلوا إلى أقوامهم ليهدوهم إلى صراط الله المستقيم، ولن يتحقق الفلاح والفوز والنجاح لأمة إلا إذا أطاعت رسولها، فما من رسول أرسله الله تعالى إلى قومه إلا فرض طاعته عليهم حتى تتحقق ثمرة الدعوة، ورسل الله تعالى كلهم دعوا أقوامهم إلى توحيد الله تعالى، فالدين الذي جاءوا به كلهم هو الإسلام ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وما من رسول أتى قومه إلا قال لهم: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وكذلك جاء محمد ﷺ أمته بالتوحيد فقال لهم أول ما قال: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله».

فالدعوة إلى التوحيد دعوة الرسل جميعًا، وهو أول ما أوجب الله على العباد أن يطيعوا فيه الرسل، والمهمة الثانية بعد توحيد الله تبارك وتعالى هي طاعته فيما أرسل به رسله في ما شرعه لهم، ولكل نبي شرعة ومنهاج أوجب الله على الأمة طاعة رسولها في هذه الشرعة.

فرسول الله محمد ﷺ ليس بدعًا في ذلك، إنما هو على درب الرسل السابقين يسير، وعلى منهج الله تعالى الذي رسمه لعباده يهدي أمته، وهذا المنهج هو صراط الله المستقيم، فقال الله تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ١٥٢، ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩].

طاعة الرسول ﷺ مقرونة بطاعة الله تعالى

لقد قرن الله عز وجل طاعة رسوله ﷺ بطاعته، وعطفها عليها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وهذا يفهم منه أن من أطاع الله ولم يطع رسوله فلا قيمة لطاعته لربه، كما أن من أطاع الرسول ولم يطع الله تعالى فطاعته أيضًا لا تفيده شيئًا حتى يجمع بين طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، كما أن الإيمان بالله مقرون بالإيمان بالرسول، فلا يقبل أحدهما بدون الآخر.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠]، وقال جل من قائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

[النور: ٥٤]، وقال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، وقال جل ثناؤه: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ١٣]، وقال جل جلاله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: ١٤]، وقال تعالى مبينًا أن الجنة جزاء من أطاع الله ورسوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [النساء: ١٣، والفتح: ١٧]، وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقال تبارك اسمه: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال جل ثناؤه: ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

طاعة الرسول طاعة لله وتؤدي إلى الجنة

ذكر الله تبارك وتعالى طاعة رسوله محمد ﷺ منفردة في كثير من الآيات، ورتب عليها الهداية والرحمة والنجاة من النار، كما جاء ذلك أيضًا في كثير من الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

أولاً: من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وقال جل ثناؤه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

ثانيًا: من السنة النبوية الشريفة:

قال ﷺ في هذا الحديث: «من أطاعني دخل الجنة»، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، قال: فاضربوا له مثلاً. فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله، ومحمد فَرْقٌ الناس. [أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة برقم (٧٢٨١) من صحيحه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني». أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه. وقال ابن حجر في فتح الباري في أول كتاب الأحكام: ووقع عند أحمد وأبي يعلى والطبراني من حديث ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال: «ألستم تعلمون أن من أطاعني فقد أطاع الله، وإن من طاعة الله طاعتي؟» قالوا: بلى نشهد، قال: «فإن من طاعتي أن تطيعوا أمراءكم». وفي لفظ: «أئمتكم».

معصية الرسول مقرونة بمعصية الله تعالى

وكما أن طاعة رسول الله ﷺ قرنت بطاعة الله تبارك وتعالى وعطفت عليها، فكذلك عطفت معصية الرسول على معصية الله سبحانه وقرنت بها، وهذا واضح في كثير من نصوص الكتاب والسنة ؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجن: ٢٣]. وقد تقدم من الأحاديث في هذا المعنى وهي كثيرة،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

فمعصية الرسول ﷺ مقرونة بمعصية الله تعالى.

معصية الرسول منفردة عن معصية الله تعالى مما يدخل النار

وقد وردت أيضًا معصية الرسول ﷺ منفردة عن معصية الله تعالى منهيًا عنها ومحذرًا منها، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، وعاتب أصحاب النبي ﷺ عندما عصوا أمره يوم أحد، فقال تعالى: ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وفي أخذ البيعة على النساء قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]. وقال في وصف المنافقين: ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٨]، ونهى المؤمنين عن ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٩].

وقد تقدم من الأحاديث في هذا المعنى الكثير، ومن ذلك أيضًا حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاءَ النجاءَ، فأطاعه طائفة فادلجوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم». [متفق عليه].

وكذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يزعهُنَّ ويغلبنه، فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحُجزكم عن النار وأنتم تقحَّمُون فيها». [متفق عليه].

وهكذا أيها المسلم يصور لك النبي ﷺ أنه يدعوك إلى دخول الجنة والهرب من النار، يدعوك إلى الفوز بالجنة ونعيمها المقيم، ويبعدك عن النار وعذابها الأليم العظيم، وأنت تأبى وتمتنع عن طاعة رسولك ﷺ، فهو ﷺ يدعوك إلى توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، ويدعوك إلى أداء فرائض الله تبارك وتعالى؛ من الصلاة والمحافظة عليها وأدائها في جماعة، وإيتاء الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، وعدم البخل بها، وصوم رمضان وحفظه من اللغو والرفث والغيبة والنميمة، وأداء الحج لمن استطاع إليه سبيلاً، وتعجيله وعدم الإمهال والتراخي عنه، وكذا بر الوالدين والإحسان بهما واجتناب عقوقهما، وصلة الأرحام واجتناب قطيعتها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الجيران وكف الأذى عنهم، وكف الأذى عن المسلمين، وعن الناس جميعًا، فالنبي ﷺ ما دعانا إلا إلى خير لنا في ديننا ودنيانا وآخرتنا، ولم يأمرنا إلا بما فيه فوزنا بالجنة والنجاة من النار، ولكن بعض الناس يأبى هذه الدعوة ويرفضها، ويرضى لنفسه أن يوردها النار.

فبالله كيف يسوغ لعاقل أن يرفض هذه الدعوة وينفر منها ويعرض عنها؟ ويأباها ولا يقبلها، ويرضى لنفسه النار وهو يعلم أنها بئس القرار.

ولقد بين النبي ﷺ أن الجنة حفت بالمكاره، والمقصود التكاليف الشرعية؛ وفيها كف النفس عن شهواتها وكبح جماحها عن ما تريده من الآثام، ومتاع الدنيا الزائل القليل إرضاءً للرب الجليل، والشهوات منها ما أباحه الله تعالى لكنه ذكره في مقام النقص والعيب مفضلاً غيره عليه، كما في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ثم عقَّب ذلك بقوله جل ذكره: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]، فذكرت الشهوات المباحة ثم ذكر بعدها ما هو خير منها وأفضل لينوه أنها ليس الخير فيها وإنما في غيرها.

ومن الشهوات ما هو محرم مقطوع بحرمته فيجب على العاقل أن يبتعد عنه كالزنا والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك من الشهوات التي حفت بها النار، فهذه من شهوات النفس الأمارة بالسوء، ومنها الغيبة والنميمة وأكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على الأنفس والأعراض والأموال، فذلك مما حرمه الله تعالى، فإذا ركن العبد إلى هذه الشهوات فقد عصى الرسول ﷺ وأعرض عن

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

دعوته وأبى الاستجابة له وحينئذ يحرم نفسه الجنة ويوردها النار، كما شبهه الرسول ﷺ بالبعير الذي يشرد عن أهله.

وأخيرًا ففي هذا الحديث، بل في هذه النصوص من الكتاب والسنة ما يوجب اتباع النبي ﷺ والعمل بسنته، وفيه رَدٌّ على من يقولون: نكتفي بالقرآن عن السنة، فإننا نؤمن ونوقن أن من لم يؤمن بالسنة لم يؤمن بالقرآن، وها أنت قد رأيت نصوص القرآن المتضافرة المتوافرة على وجوب طاعة رسول الله ﷺ، وهل طاعته إلا الامتثال لسنته والعمل بها، فمن آمن بالقرآن وصدقه أداه ذلك ولا بد للإيمان بالسنة وتصديقها والعمل بها، وأما من يطعنون في السنة لأن نقلتها من البشر وأن البشر غير معصوم، فدعواهم هذه من أبطل الباطل ؛ لأن بها يُرَدُّ كل علم، فإن القرآن، وهو وحي الله تعالى المتلو - نَقَلَتْهُ من البشر، وكذا السنة، وهي وحي الله غير المتلو - لأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كما قال رب العزة تبارك وتعالى، كذلك نقلتها من البشر وهم أيضًا نقلة القرآن، بل إن العلوم التجريبية سترد بهذه الدعوى لأنها من علوم البشر وتوصل إليها البشر واكتشفها البشر ونقلها البشر، والبشر غير معصوم، إذن لا نصدق - بناءً على هذه الدعوى الفاسدة - أي علم تجريبي ولو أجمع عليه البشر!!

وأما قول من قال: إن السنة دخل فيها ما ليس من كلام النبي ﷺ - بل هو مكذوب عليه، فنقول: إنَّ اكتشاف الكذب في بعض الأحاديث دليل على حفظ الله تعالى لسنة نبيه ﷺ ؛ إذ أن الله تعالى قيض لسنة نبيه جهابذة صيارفة يميزون صحيحها من ضعيفها بدقة بالغة، فوجود المكذوب في الحديث واكتشافه دليل على حماية الله تعالى لهذه السنة وحفظه لها، وإلا كان اختلط على الناس الصحيح بالمكذوب فلم يميزوا بين هذا وذاك، ولكن الله تعالى حافظ دينه وحافظ وحيه كتابًا وسنة، وكذلك من يتوهمون وجود أحاديث تتعارض مع آيات من القرآن، فيقولون: نطرح هذه الأحاديث ونأخذ بالقرآن، نقول لهم: إن هذا مجرد توهم منكم، فقد جمع العلماء - قديمًا وحديثًا - بين النصوص التي ظاهرها التعارض بما يكفي ويشفي، سواء كانت هذه النصوص من القرآن - آيات يعارض ظاهرها آيات أخر - أم من السنة - أحاديث يعارض ظاهرها أحاديث أخر - أم من القرآن والسنة - آيات يعارض ظاهرها أحاديث. فنقول لمن يردون الأحاديث لتعارضها مع بعضها، أو لتعارضها مع آيات القرآن، نقول لهم: إذا تعارضت آية مع آية أخرى في نظركم فبأي الآيتين تأخذون ؟ وأيهما تتركون ؟ والله إن هذا لبهتان عظيم، ونقول لهم: إنكم فتحتم الباب لأعداء الإسلام بفلسفتكم الفارغة هذه، ولو أنكم صدقتم الوحيين وآمنتم بهما ؛ ما تفوهتم بمثل هذا الهراء، ولكن الهدى هدى الله، يهدي من يشاء من عباده برحمته، ويضل من يشاء منهم بعدله.

وأما أعداء الإسلام الذين يشككون في السنة فهم لا يكتفون بالتشكيك في السنة، بل يشككون في القرآن، ويشككون في ذات الله تعالى وصفاته، ويشككون في رسله، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فهؤلاء نقول لهم: إن الذي يعيش في تيه وضلال وحيرة يحتاج إلى من يرشده ويهديه ويسدده فهو يعيش حيران في الأرض لا يهتدي إلى شيء ولا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، حياته بهيمية يعيش كالأنعام بل هو أضل سبيلاً، فيكف ينتقد من كان على الصراط المستقيم، ولو قارن بين حياته وحياة المسلمين واستخدم عقله الذي كرمه الله به لتغير حاله، وطلب الهداية من ربه وسعى إلى مسلم يعرفه كيف يلجأ إلى ربه وكيف يعبده ويؤمن به، وهذا ما يحدث لكثير منهم، وإنما يفعل من كان له قلب واستجاب لنداء فطرته التي فطره الله عليها، أما من انتكست فطرته وعميت بصيرته فيظل حيران يتيه في الأرض حتى يموت كالحيوان، لا يدري لم خُلق ولا مم خلق.

نسأل الله تعالى أن يديم علينا نعمة الهداية إلى الإسلام فإنها أعظم نعمة، كما نسأله سبحانه أن يديم علينا نعمة السنة والجماعة، وأن يديم علينا الطاعة - طاعة الله ورسوله - وأن يجنبنا المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وجوب لزوم الجماعة عند حلول الفتن

الحمد لله، الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربه كافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد:

إعداد/ زكريا حسيني محمد

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نَعَمْ، وفيه دَخَنٌ». قلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في موضعين، أحدهما في كتاب المناقب (باب علامات النبوة في الإسلام برقم: ٣٦٠٦)، والآخر في كتاب الفتن (باب كيف الأمر إذا لم يكن جماعة برقم: ٧٠٨٤).

كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة برقم ١٨٤٧)، وكذا الإمام أحمد في المسند برقم (٥ / ٣٨٦، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٦)، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب الفتن برقم (٤٢٤٤، ٤٢٤٦)، وابن ماجه في الفتن برقم (٣٩٧٩).

راوي الحديث

هو حذيفة بن اليمان - واسم اليمان: حِسْلٌ، ويقال: حُسَيْلٌ - ابن جابر العَبْسي اليماني، أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين. قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» له في الصحيحين اثنا عشر حديثًا، وفي البخاري ثمانية، وفي مسلم سبعة عشر حديثًا.

قال: وكان والده حِسْلٌ قد أصاب دمًا في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه «اليمان»؛ لحلفه لليمانية وهم الأنصار.

شهد حُذيفة وأبوه حِسْلٌ أحدًا، فاستُشهد يومئذ، قتله بعض الصحابة غَلَطًا ولم يعرفه، لأن الجيش يختفون في لأمة الحرب، ويسترون وجوههم، فإن لم يكن لهم علامة بينة وإلا ربما قتل الأخ أخاه، ولا يشعر، ولما شدوا على اليمان يومئذ بقي حذيفة يصيح: أبي! أبي! يا قوم! فراح خطأً، فتصدق عليهم حذيفة بديته. قال عروة بن الزبير راوي هذا الحديث عن عائشة أم المؤمنين: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل. وفي رواية ابن إسحاق - كما في سيرة ابن هشام - من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد: فقال حذيفة: قتلتم أبي! قالوا: والله ما عرفناه، وصدقوا. فقال حذيفة: يغفر الله لكم، فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَهُ - أي يدفع إليه ديته - فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرًا.

وفي المستدرك ٣ / ٣٨١ من طريق الأعمش بسنده إلى قيس قال: سئل عليّ رضي الله عنه عن ابن مسعود، فقال: قرأ القرآن، ثم وقف عند شبهاته، فأحل حلاله وحرم حرامه، وسئل عن عمار، فقال: مؤمن نسي وإذا ذكر ذكر، وسئل عن حذيفة فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين. وفي صحيح مسلم: قال حذيفة: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أنني خرجت أنا

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وأبي، فأخذنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمدًا! فقلنا: ما نريد إلا المدينة؛ فأخذوا العهد علينا: لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأخبرنا النبي ﷺ. فقال: «نفي بعهدهم، ونستعين بالله عليهم».

قال الحافظ الذهبي: وكان النبي ﷺ قد أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة. وقد ناشده عمر: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحدًا بعدك.

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي إدريس الخولاني سمع حذيفة يقول: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة.

وأخرج الشيخان عن أبي وائل عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فحدثنا بما هو كائن إلى قيام الساعة، فحفظه من حفظه ونسيه من نسيه.

قال الإمام الذهبي: ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة. قال: مات حذيفة بالمدائن سنة ست وثلاثين وقد شاخ.

قال ابن سيرين: بعث عمر حذيفة إلى المدائن، فقرأ عهده عليهم، فقالوا: سَلْ ما شئت، قال: طعامًا أكله، وعلف حماري هذا - ما دمت فيكم - من تبن، فأقام فيهم ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر: اقْدَمْ. فلما بلغ عمرَ قدومه، كمن له على الطريق ؛ فلما رآه على الحال التي خرج عليها، أتاه فالتزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك.

شرح الحديث

أورد الإمام البخاري رحمه الله تعالى هذا الحديث في كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، قال الحافظ في الفتح: قوله: (باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعةٌ) كان تامة، والمعنى: ما الذي يفعله المسلم في حال الاختلاف من قبل أن يقع الإجماع على خليفة.

وقوله: «مخافة أن يدركني» في رواية نصر بن عاصم عن حذيفة عند ابن أبي شيبة: «وعرفت أن الخير لن يسبقني». وقوله: (في جاهلية وشر). يشير إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر والشرك وقتل بعضهم بعضًا ونهب بعضهم بعضًا وإتيان الفواحش.

قوله: «فجاءنا الله بهذا الخير» يعني الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش. زاد مسلم في رواية أبي الأسود عن حذيفة «فنحن فيه».

قوله: «فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم» المراد بالشر ما وقع من الفتن بمقتل خليفة رسول الله ﷺ ذي النورين، وما بعده وهلم جرا، وقيل: ما يترتب على ذلك من عقوبات الآخرة.

قوله ﷺ: «نعم، وفيه دَخَنٌ». بدال مهملة وخاء معجمة مفتوحتين بعدهما نون: وهو الحقد والغل، وقيل: الدغل، وقيل: فساد في القلب، ومعنى الثلاثة متقارب، يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيرًا خالصًا، بل فيه كدر، وقيل: المراد بالدُّخَن الدخان، ويشير بذلك إلى كدر الحال، وقيل: الدخن كل أمر مكروه، وقال أبو عبيد: يفسر المراد بالحديث الحديث الآخر: «لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه»، فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض.

قوله: «قوم يَهْدُون بغير هديي» وفي رواية أبي الأسود: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي».

قوله: «تعرف منهم وتنكر» يعني: من أعمالهم، فالأعمال هي التي توصف بالمعرفة والإنكار، وليس المقصود الذوات والأشخاص، وفي حديث أم سلمة عند مسلم: «فمن أنكر بريء ومن كره سلم».

قوله ﷺ: «دعاة على أبواب جهنم» الدعاة: جمع داع، والمراد: دعاة إلى غير الحق، وعلى أبواب جهنم: إطلاق ذلك عليهم باعتبار ما يؤول حالهم إليه، كما يقال لمن أمر بفعل محرم: وقف على شفير جهنم.

قوله: «هم من جلدتنا» أي: من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب، وقال الداوودي: أي من بني آدم، وقال القابسي: معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون، ووقع في رواية أبي الأسود: «فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس». والجُثْمَان هو الجسد، ويطلق على الشخص. وقد نقل الإمام النووي والحافظ ابن حجر قول القاضي عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز، والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر: الأمراء بعده؛ فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل، وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور، قال ابن حجر: قلت: والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع على علي ومعاوية، وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدعاة على أبواب جهنم: من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله: «الزم جماعة المسلمين وإمامهم» يعني: ولو جار. ويوضح ذلك رواية أبي الأسود: «ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك». كان مثل ذلك كثيرًا في إمارة الحجاج وغيره.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قوله: «ولو أن تعض» أي: ولو كان الاعتزال بالعضّ فلا تعدل عنه، وفي رواية عبد الرحمن بن قرط عن حذيفة عند ابن ماجه: «فلأن تموت وأنت عاضٌ على جذلٍ خير لك من أن تتبع أحدًا منهم». والجذلُ: عود يُنْصَبُ لتحتكّ به الإبل.

وقوله: «وأنت على ذلك» أي: العض، وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عَصَوْا، قال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشاق، كقولهم: فلان يعض الحجارة من شدة الألم. أو المراد: اللزوم كما في الحديث الآخر: «عضوا عليها بالنواجذ». قال ابن حجر: ويؤيد الأول قوله في رواية عبد الرحمن بن قرط عند ابن ماجه: «فلأن تموت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم».

قال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور؛ لأن وصف الطائفة الأخيرة بأنهم «دعاة على أبواب جهنم»، ولم يقل فيهم: «تعرف وتنكر»، كما قال في الأولين، وهم لا يكونون دعاة على أبواب جهنم إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة. قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، [أي الأمر بلزوم الجماعة]، فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة السواد الأعظم [أي عموم المسلمين] ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود رضي الله عنه أنه أوصى من ساله لما قتل عثمان رضي الله عنه: «عليك بالجماعة، فإن الله تعالى لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة». وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم، وقال قوم: المراد بهم أهل العلم؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين، قال الطبري: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة، قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا فلا يتبع أحدًا منهم في الفرقة ويعتزل الجميع خشية من الوقوع في الشر.

قال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله تعالى في عباده كيف أقام كلا منهم فيما شاء؛ فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سببًا في دفعه عمن أراد الله له النجاة، وفي الحديث أيضًا سعة صدر النبي ﷺ ومعرفته بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من ساله بما يناسبه، ويؤخذ من الحديث أن كل من حبب إليه شيء يفوق غيره فيه، ومن ثَمَّ كان حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره حتى خُصَّ بمعرفة أسماء المنافقين، وبكثير من الأمور التي تاتي في المستقبل.

ويؤخذ منه أن من أدب التعليم أن يعلّم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه مما هو مباح فإنه أجدر أن يسرع إلى فهمه والقيام به، وأن كل شيء يهدي إلى طريق الخير يسمى خيرًا، وكذا بالعكس.

ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعًا لذلك الأصل الذي ابتدعوه، وفيه رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع. اهـ.

قال السيد محمود شكري الألوسي في «مختصر التحفة الإثني عشرية» عقب سياقه لهذا الحديث: فيا له من حديث اشتمل على علوم أخبر بها الصادق الأمين ﷺ، عن فوائد جليلة تفيد العلم اليقين ؛ منها حرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم على علم ما يستقيم به دينهم المتين، ومنها أن أول خير يقع في أمته فيه كدورة تذهب بصفائه، وفيه تغيير يغاير ما أمروا باقتفائه، ومنها أن يكون بعد ذلك دعاة من الأشرار، من أجابهم قذفوه - والعياذ بالله تعالى - في النار، فهم كذابون دجالون، ضالون مضلون.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ياتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا أباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم». أخرجه الإمام مسلم وغيره.

ولقد صدق عليهم قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ومنها أن النبي ﷺ أمر من أدرك ذلك الزمان أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، وهم الذين اتبعوا سنته ولزموا طريقته، فإن لم يكن لهم جماعة وكانوا غرباء فالواجب عليهم العزلة عن تلك الفرق كلها، ثم حرض النبي ﷺ على هذا الاعتزال الذي فيه سلامة الدين بقوله على سبيل المبالغة: «ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك» العمل ؛ معرض عن كل ما يفسد عليك دينك الذي هو رأس مالك، صابر على تلك المعاطب والمهالك.

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كانها موعظة

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

مودع، فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، ومن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

فقد أوصانا ﷺ بلزوم سنته وسنة الخلفاء الراشدين الذين هم على طريقته، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة والأخبار الرجيحة التي تحث على اتباع الكتاب وسنة الرسول ﷺ فإنهما الداعيان إلى سبيل العليم العلام. اهـ.

وبعدُ، أخي المسلم رأيت كيف يخرج أناس عن جماعة المسلمين بمناهج لا تمت إلى كتاب الله تعالى، ولا إلى سنة رسول الله ﷺ بصلة ولا تصل إليهما بسبب، منهم من انتكست فطرهم كالروافض الاثنى عشرية الذين اخترعوا دينًا غير الإسلام يدينون لله به، يقوم على تكذيب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، متخذين أهواءهم آلهة؛ فَضَلُّوا على علم، زعموا أن القرآن محرف مبدل مغير فيه، ونسوا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أو تناسوا ذلك وكفروا بهذا القول ونسجوا لأنفسهم خرافة سموها بالمهدي «قائم آل البيت» زعموا أنه أول ما يظهر سيحيي أبا بكر الصديق وعمر الفاروق - وزيري رسول الله ﷺ - ويصلبهما ويحرقهما، وسيحيي الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين وزوج رسوله الأمين وأحب أزواجه إليه، ويقيم عليها الحد - حد الزنى - وقد كفروا بما أنزل الله تعالى في براءتها قرآنًا يتلى في مساجد المسلمين إلى يوم القيامة، كما قال لها غير واحد من الصحابة منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عندما زارها وهي في سياقة الموت.

ويتخذون النفاق دينًا باسم «التقية»، وهم يعملون الآن جاهدين لتفريق كلمة أهل السنة وزرع باطلهم داخل بلاد السنة، ينفقون الأموال الطائلة في ذلك، ويغرون شباب المسلمين بالسفر إلى بلادهم، وإغداق الأموال عليهم، بل جاءت أسرٌ منهم لتعيش في مصر لبث بذور الفساد في أهلها، ولا عجب في ذلك، فالله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ولكن العجب ممن يفرحون بهم ويدافعون عنهم ويشجعونهم على ذلك ممن عميت بصائرهم وانطمس الحق في قلوبهم فلم يفرقوا بين حق وباطل، وراحوا يروجون لضلالاتهم، بزعم الاستفادة من ثورتهم، أو من تصدى بعضهم لليهود - كما يزعمون - والحق أن الباطل كله باطل والضلال ضلال، ولكن يظن المغفلون أنهم سيركبون الشيعة لتحقيق أغراضهم السياسية، كما زعموا أنهم ركبوا قبل ذلك بعض الأحزاب في مصر، ليس اقتناعًا بما عليه الأحزاب، ولكن لاستغلالهم كأحزاب قائمة في الوصول إلى السلطة السياسية!!

وهؤلاء سوف يحاسبهم الله تعالى على ترويج الباطل والضلال والدفاع عنه، ولو كان بنية استغلال هذا الضلال لصالحهم، ولو زعموا أنهم أهل سنة إذ أنهم من سنة رسول الله ﷺ بعيدون كل البعد، فحديثنا هذا وغيره من الأحاديث ناطقة وشاهدة عليهم بشذوذهم وضلال مسلكهم، فبعضهم ينكر أن يكون للمسلمين جماعة ولا إمام، فنقول لهم: إن كان الأمر كذلك وهو بالنسبة لكم ذلك، فهل تعملون بوصية رسول الله ﷺ باعتزال تلك الفرق ولزوم البيوت، أم أنكم تجاهدون بزعمكم لإيجاد الأمير؟

وبعضهم يقرأ الحديث ويفهم من قول الرسول ﷺ: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» هو لزوم الجماعة التي ينتمي إليها ويسمع ويطيع لأميرها، وهذا من أعجب العجب، ولقد نقلنا أقوال علماء الأمة أن المقصود بالجماعة السواد الأعظم، وليست الفرق التي تخرج على جماعة المسلمين، ولقد سمعت شريطًا لواحد من هؤلاء يناقش الشيخ الألباني رحمه الله تعالى - وكانت المناقشة في عمان الأردن وهو يدعو الشباب إلى الجهاد -، فقال له الشيخ: أي جهاد؟ قال: الجهاد!! فكرر عليه الشيخ السؤال، وهو يجب بنفس الجواب، وفي آخر الأمر قال له الشيخ: تحت أي راية تجاهد؟ وأين الأمير الذي يأمرك بالجهاد تحت رايته؟ فقال: لا يوجد أمير، فقال له الشيخ: أنت الآن تعتقد أن المسلمين ليس لهم جماعة ولا أمير؟ قال: نعم، قال: وتجاهد؟ قال: نعم نجاهد لإيجاد الأمير. قال الشيخ: تجاهد لإيجاد الأمير؟ أم أن الأمير هو الذي يأمرك بالجهاد؟ فأساء الأدب مع الشيخ، فقال له الشيخ بعدما عاتبه على سوء أدبه: إن كان المسلمون لا جماعة لهم ولا أمير، فبماذا أمرك نبيك؟ وساق له حديث حذيفة هذا.

نسأل الله أن يحفظ على المسلمين دينهم وعقيدتهم، وأن يحفظ علينا عقولنا، وأن يبصر الشباب بالحق، وأن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

باب السنة

قصة صلح الحديبية والدروس المستنبطة منها.

إعداد/ زكريا حسيني محمد



الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على خير خلق الله المبعوث رحمة وهداية للناس كافة، وعلى آله وصحابته الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــد

عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما يُصَدِّقُ كلُّ واحد منهما حديث صاحبه - قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعةً، فخذوا ذات اليمين». فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حَلْ. فألَحَّتْ. فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء. فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خُطةً يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها». ثم زجرها فوثبتْ. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضًا، فلم يلبثه الناس، حتى نزحوه، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّيِّ حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْلُ بن وَرْقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عَيْبَةَ نُصْحِ رسول الله ﷺ من أهل تهامة - فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العُوذُ المطافيل وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نَهِكَتْهُمُ الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهرْ وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا. وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره». فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

قريشًا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعْناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. قال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ. فقام عروة بن مسعود فقال: يا قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: ألست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلَّحُوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا عرض عليكم خطة رشد اقبلوها، ودعوني آتيه، قالوا: ائته. فأتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحوًا من قوله لبُدَيل. فقال عروة عند ذلك: أيْ محمدُ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوهًا، وإني لأرى أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: امْصُصْ بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. فقال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجْزِكَ بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما كلمه كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا ؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غُدَرُ، ألستُ أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلامَ فأقبلُ، وأما المال فلست منه في شيء». ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه. قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن يَتَنَخَّمُ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البُدْنَ فابعثوها له». فَبُعِثَتْ له، واستقبله الناس يُلَبُّونَ. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قُلِّدَتْ وأشْعِرَتْ، فما أرى أن يُصَدُّوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مِكْرَزُ بن حفص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائْتِه، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال مَعْمَرٌ: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيلٌ، قال النبي ﷺ: «قد سَهُلَ لكم من أمركم». قال معمرٌ: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكْتُبْ بيننا وبينكم كتابًا، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيلٌ: أما «الرحمن» فلا أدري ما هي، ولكن اكتب «باسمك اللهم» كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا يكتبها إلا «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال النبي ﷺ: «اكتبْ باسمك اللهم». ثم قال: «هذا ما قضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتبْ محمد بن عبد الله». قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها». فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به». فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغْطَةً، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجلٌ - وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُرَدُّ إلى المشركين، وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيلٌ: هذا يا محمدُ أول ما أقاضيك، عليك أن ترده إليَّ. فقال النبي ﷺ:

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

«إنا لم نقض الكتاب بعد». قال: فوالله إذًا لا أصالحك على شيءٍ أبدًا. قال النبي ﷺ: «فأجِزْهُ لي». قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فافْعَلْ». قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترون ما قد لقيتُ؟ وكان عُذِّب عذابًا شديدًا في الله، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت نبي الله ﷺ، فقلت: ألست نبيَّ الله حقًّا؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: «إني رسول الله، ولستُ أعصيه وهو ناصري». قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبيَّ الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمْسِكْ بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به.

قال الزهري: قال عمر رضي الله عنه: فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما يقم منهم أحد، ثم دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدْنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا، ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حتى بلغ: ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة]. فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير - رجل من قريش، وهو مسلم - فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهدَ الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجل، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تَمْرٍ لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا، فاستله الآخر فقال: أجَلْ والله إنه لجيد، لقد جربتُ به، ثم جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعرًا»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي، وإني لمقتول، فجاء أبو بصير، فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليه ثم أنجاني الله منهم، قال النبي ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد». فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحمَ لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حتى بلغ: ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٤-٢٦]، وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الشروط باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط) برقم (٢٧٣١- ٢٧٣٢)، وله أطراف ذكر فيها بعض الحديث مختصرًا مقتصرًا على بعضه، وذلك بالأرقام (١٦٩٤، ١٦٩٥- ١٨١١- ٢٧١١، ٢٧١٢، ٢٧٣١، ٢٧٣٢٠ ٤١٥٧، ٤١٥٨، ٤١٧٨، ٤١٧٩، ٤١٨٠، ٤١٨١)، وأخرجه أبو داود في سننه برقم (١٧٥٣) مقتصرًا على تقليد الهدي وإشعاره، كما أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى في السير (١٦٢) مختصرًا، و(١: ٢) كما في التحفة، وقد ساق القصة ابن إسحاق في السيرة بطولها بألفاظ مقاربة لألفاظ البخاري، كما نقلها عنه ابن هشام في السيرة.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

شرح الحديث

قال الحافظ في الفتح: قوله: «عن المسور بن مخرمة ومروان» أي: ابن الحكم، «قالا خرج»: هذه الرواية بالنسبة إلى مروان مرسلة لأنه لا صحبة له، وأما المسور فهي بالنسبة إليه أيضًا مرسلة لأنه لم يحضر القصة، وقد تقدم في أول الشروط من طريق أخرى عن الزهري عن عروة أنه سمع المسور ومروان يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ فذكر بعض الحديث، وقد سمع المسور ومروان من جماعة من الصحابة شهدوا هذه القصة؛ كعمر وعثمان وعلي والمغيرة وأم سلمة، وسهل بن حنيف وغيرهم، ووقع في نفس هذا الحديث شيء يدل على أنه عن عمر رضي الله عنه - كما سيأتي التنبيه عليه - وقد روى أبو الأسود عن عروة هذه القصة، فلم يذكر المسور ولا مروان لكن أرسلها، وهي كذلك في «مغازي عروة بن الزبير» أخرجها ابن عائذ في المغازي له بطولها، وأخرجها الحاكم في «الإكليل» من طريق أبي الأسود عن عروة أيضًا مقطعة.

قوله: «زمن الحديبية» في معجم البلدان: الحديبية بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء خفيفة أو مشددة قرية متوسطة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، بعضها في الحل وأكثرها في الحرم، وقيل: سميت بشجرة حَدْبَاء صغرت.

قال الحافظ في الفتح: ووقع في رواية ابن إسحاق في المغازي عن الزهري: «خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً». ووقع عند ابن سعد: «أنه ﷺ خرج يوم الاثنين لهلال ذي القعدة».

قوله: «حتى إذا كانوا ببعض الطريق». قال ابن حجر: اختصر المصنف صدر هذا الحديث الطويل مع أنه لم يسقه بطوله إلا في هذا الموضع، وبقيته عنده في المغازي من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري قال: ونبأنيه معمر عن الزهري: وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشًا جمعوا جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال ﷺ: أشيروا أيها الناس عليَّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين، وإلا تركناهم محرومين، قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: امضوا على اسم الله.

إلى ها هنا ساق البخاري في المغازي من هذا الوجه، وزاد أحمد عن عبد الرزاق، وساقه ابن حبان من طريقه قال: قال معمر: قال الزهري: وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحدًا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ. اهـ.

ثم ذكر ابن حجر الروايات التي تؤكد مشاورة رسول الله ﷺ لأصحابه، ورد أبي بكر عليه إشارته بالاستمرار إلى ما جاء من أجله وهو العمرة حتى يكون بدء القتال من المشركين، وأخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر رضي الله عنه. قال: والأحابيش جمع أُحْبُوش، وهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة كانوا تحالفوا مع قريش قيل تحت جبل يقال له: الحبشى أسفل مكة، وقيل: سموا بذلك لتحبشهم، أي تجمعهم، والتحبش: التجمع، والحباشة: الجماعة.

قوله: «قال النبي ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة». خالد لم يكن أسلم حينئذ، وإنما كان على شركه فلم يسلم إلا بعد الحديبية، وأما الغميم فبفتح المعجمة: وحكى فيها القاضي عياض الضم على التصغير.

قال المحب الطبري: يظهر أن المراد كراع الغميم وهو موضع بين مكة والمدينة. اهـ.

قال ابن حجر: وسياق الحديث ظاهر في أنه كان قريبًا من الحديبية، فهو غير كراع الغميم الذي وقع ذكره في الصيام وهو الذي بين مكة والمدينة، وأما الغميم هذا فقال ابن حبيب: هو قريب من مكان بين رابغ والجحفة، وبين ابن سعد أن خالداً كان في مائتي فارس فيهم عكرمة بن أبي جهل، والطليعة: مقدمة الجيش.

قوله: «فخذوا ذات اليمين». أي الطريق التي فيها خالد.

فنكتفي بهذا القدر، ونكمل إن شاء الله تعالى في العدد القادم شرح الحديث ونبين الفوائد المستنبطة من هذه القصة المباركة، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس